كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثاني

الناشران

المطبعة البولسية
حريصا

دار الثقافة
بيروت

١٩٥٥

كلمة الناشرين

يطيب لنا أن نحيي تراث الاقدمين فنقدمه لقراء العربية مائدة شهية متنوعة الالوان، وقد أصدرنا المجلد الاول من الاغاني وها نحن نقدم المجلد الثاني، بعد ما رأينا من تشجيع القراء والادباء. وقد ادخلنا على هذا المجلد التحسينات الجمة فبذلنا السعي في تلافي الاخطاء المطبعية، ونحن نعتذر عمّا وقع فيها في المجلد الاول.

واكتفينا بتقديم فهرس المواضيع للمجلد الاول فقط، وقد رأينا من الخير والاسهل ان نصدر في آخر الكتاب مجلدين للفهارس عامة يحتويان اسماء الاعلام والمدن والموضوعات والشعراء ورجال السند والمغنين ورواة الالحان من الامم والقبائل وما الى ذلك ممّا اشتمل عليه كتاب الاغاني. وقد عهدنا الى لجنة من المحققين ان تقوم بهذا العمل على وجهه الاكمل فعسى ان نكون قد قمنا برضى القراء وخدمة الادباء والاساتذة والطلاب والمدارس اجمع وعلى الله الاتكال.

الناشران

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الثاني

من كتاب الاغاني

اخبار مجنون بني عامر ونسبه

نسبه الصحيح :

هو — على ما يقوله من صحّح نسبَهُ وحديثَه — قَيسٌ، وقيل : مَهْديٌّ، والصحيح قيسُ بنُ الملوّح بنِ مُزَاحِم بنِ عُدَسَ بنِ رَبيعةَ بن جَعْدَةَ بن كَعْب ابن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصَعة. ومن الدليل على أنّ اسمه قيسٌ قولُ لَيْلَى صاحبتِه فيه :

ألا ليتَ شِعْرِي والخطوبُ كثيرةٌ   متى رَحْلُ قَيسٍ مُستقِلٌّ فراجعُ

اسمه الصحيح :

وأخبرني الحَسَن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال : سمعتُ مَنْ لا أُحصِي يقول : اسمُ المجنونِ قيسُ بن الملوّح .

لم يكن مجنوناً ؟

وأخبرني هاشمُ بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ، وأخبرني الجوهريّ عن عمر بن شَبَّةَ أنهما سمعا الأصمعيّ يقول – وقد سُئل عنه –: لم يكن مجنوناً ولكن كانتْ به لَوثة[1] كلَوثةِ أبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيّ.

الاختلاف في وجوده :

وأخبرني حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ عن ابن شَبَّةَ عن الحِزَاميّ قال حدّثني أيُّوبُ بنُ عَبَايةَ قال: سألتُ بني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدتُ أحداً يعرفه.

وأخبرني عمّي قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دَأْبٍ قال: قلتُ لرجل من بني عامر: أتعرف المجنونَ وتَرْوي من شعره شيئاً؟ قال: أوَقد فرَغنا من شعر العقلاء، حتى نَرْوِيَ أشعار المجانين! إنهم لكثيرٌ! فقلتُ: ليس هؤلاء أعني إنما أعني مجنونَ بني عامر الشاعرَ الذي قتله العشقُ، فقال: هيهات! بنو عامر أغلَظُ اكباداً من ذاكَ، إنما يكون هذا في هذه اليَمانِيَةِ الضِّعافِ قلوبُها، السَّخيفةِ عقولها، الصلعة[2] رؤوسُها، فأما نِزارُ فلا.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال سمعت الاصمعيّ يقول: رجلان ما عُرِفا في الدنيا قَطُّ إلا باسم مجنون: مجنونُ بني عامر، وابنُ القِرِّيَةِ[3]، وإنما وَضَعَهما الرُّوَاةُ.

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شبَّةَ قال حدّثني عبدالله بن أبي سَعْد عن الحِزاميّ قال: ولم أسمعه من الحزاميّ فكتبتُه عن ابن أبي سعد قال أحمد: وحدّثنا به ابنُ أبي سعد عن الحزاميّ قال حدّثنا عبدُ الجبَّار بن سعيد

---

(١) اللوثة بفتح اللام الحمق وبضمها الاسترخاء والحبسة في اللسان.

(٢) في طبعة دار الكتب المصرية الصملة ومعناها على رأيهم الصغيرة رؤوسها.

(٣) هو ايوب بن زيد بن قيس والقرية أمه وكان لسنا خطيباً.

ابن سليمانَ بن نَوْفَل بن مُساجِرٍ عن أبيه عن جدّه قال : سعيتُ(١) على بني عامر فرأيتُ المجنونَ وأتيتُ به وأنشدني .

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال حدّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال : المجنونُ المشهورُ بالشعر عند الناس صاحبُ لَيْلى قَيسُ بن مُعاذ من بني عامر، ثم من بني عُقَيل، أحد بني نُمَير بن عامر ابن عُقَيل، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مَهْديّ بن المُلَوَّح من بني جَعْدَة ابنِ كَعْبِ بنِ رَبيعةَ بنِ عامر بن صَعْصَعَةَ .

المجنون فتى من بني امية ؟

وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ قال حدّثنا ابن أبي سَعْد عن عليّ بن الصَّبّاح عن ابن الكَلْبيّ قال : حُدِّثتُ أن حديثَ المجنونِ وشعره وضعه فتًى من بني أميّةَ كان يهوى ابنةَ عمّ له، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعارَ التي يرويها الناسُ للمجنون ونسبها إليه .

أخبرني الحُسَين بن يحيى وأبو الحَسَن الأسديّ قالا : حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : اسم المجنون قيسُ بن مُعاذٍ أحدُ بَني جَعْدَةَ بن كَعْب بن رَبيعةَ ابن عامر بن صَعْصَعَة .

وأخبرني أبو سَعْد الحسنُ بن عليّ بن زكريّا العَدَويّ قال حدّثنا حمّاد بن طالوتَ بن عَبّاد : أنه سأل الأصمعيّ عنه، فقال : لم يكن مجنوناً، بل كانت به لَوْثةٌ أحدثها العشقُ فيه، كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها لَيْلى، واسمه قيسُ بنُ مُعاذ .

وذكر عمرو بن أبي عَمْرو الشَّيْبانيّ عن أبيه أنّ اسمه قيسُ بن مُعاذ .

وذكر شُعَيبُ بن السَّكَن عن يونُسَ النَّحْويّ أن اسمه قيسُ بن الملوَّح ،

(١) أي خرجت عاملاً على قبض الزكاة منهم .

قال أبو عمرو الشَّيبانيّ: وحدّثني رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه، فذكر أنه قيسُ بن الملوّح.

وذكر هشام بن محمد الكلبيّ أنه قيسُ بن الملوّح، وحدّث أن أباه مات قبل اختلاطه[١]، فعقرَ[٢] على قبره ناقته وقال في ذلك:

عقرتُ على قبرِ الملوّح ناقتي ... بذي السَّرْح لما أن جفاه الاقاربُ
وقلتُ لها كوني عَقيراً فإنني ... غداً راجلٌ أمشي وبالامس راكبُ
فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يا بنَ مُزَاحِمٍ ... فكلٌّ بكأس الموت لا شكَّ شارِبُ

وذكر إبراهيمُ بن المُنذِر الحِزاميُّ وأبو عُبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنّى أنَّ اسمه البَخْتَرِيُّ ابن الجعْد.

ذكر مُصْعَب الزُّبَيْرِيّ والرِّياشيّ وأبو العالية أن اسمَهُ الاقرعُ بن مُعاذ. وقال خالدُ بن كُلْثوم: اسمه مهديُّ بن الملوّح.

وأخبرني الاخفش عن السُّكَّريّ عن ابي زياد الكِلابيّ، قال: لَيْلَى صاحبةُ المجنون هي ليلى بنتُ سَعْد بن مَهْدِيّ بن رَبيعة بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبيعة ابن عامر بن صَعْصَعة.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ، قال حدّثنا أبو قِلَابةَ الرَّقَاشيّ، قال حدّثني عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل، قال: سمعتُ الاصمعيَّ وقد تذاكرنا مجنونَ بني عامر يقول: لم يكن مجنوناً وإنما كانت به لَوْثةٌ وهو القائل:

أخذتْ محاسنَ كلِّ ما ... ضُنَّتْ محاسنُه بحُسْنِهْ
كادَ الغزالُ يكونُها ... لولا الشَّوَى[٣] ونُشوزُ قَرْنِهْ

---

(١) يقال: اختلط عقله اذا تغير وفسد.

(٢) أصل العقر: قطع القوائم ثم أطلق بمعنى النحر. قال ابن الاثير: كانوا يعقرون الابل على قبور الموتى أي ينحرونها ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للاضياف أيام حياته فنكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته. وانما أطلق العقر على النحر لانهم كانوا اذا ارادوا نحر البعير عقروه لئلا يشرد عند النحر.

(٣) الشوى: الاطراف.

المجانين بليلى كثيرون :

وأخبرني عمر بن عبدالله بن جميل العَتَكِيّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال حدّثنا الاصمعيّ قال :

سألتُ أعرابياً من بني عامر بن صَعْصَعَة عن المجنون العامريّ فقال : عن أيّهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رُمُوا بالجنون ، فعن أيّهم تسألُ ؟ فقلت : عن الذي كان يُشبِّب بليلى ، فقال : كلّهم كان يُشبِّب بليلى ، قلتُ : فأنشِدْني لبعضهم ، فأنشَدَني لمُزَاحِم بن الحارث المجنون :

ألا أيُّها القلبُ الذي لَجَّ هائماً   بلَيْلى وليداً لم تُقطَّعْ تمائمُـهُ[1]
أفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أنى[2]   لكَ اليومَ أن تَلقى طبيباً تُلائمُهْ
أجِدَّكَ لا تُنسيكَ لَيْلى مُلِمَّـةٌ   تُلِمُّ ولا عهـدٌ يَطُولُ تَقادُمُهْ

قلت : فأنشِدْني لغيره منهم ، فأنشَدَني لمُعاذ بن كُلَيبٍ المجنون :

ألا طالما لاعَبْتُ لَيْلى وقـادَني   إلى اللّهو قلبٌ للحِسان تَبُـوعُ
وطال امْتراءُ[3] الشّوقِ عينيَ كلما   نَزَفْتُ دُمُـوعا تَستَجِدُّ دُموعُ
فقد طال إمساكي على الكَبِدِ التي   بها مِن هَوَى لَيْلى الغَداةَ صُدُوعُ

قلتُ : فأنشِدْني لغير هذين ممن ذكرتَ فأنشَدَني لمَهْدِيّ بن المُلَوَّح :

لو أنّ لكَ الدنيا وما عُدِلَتْ به   سِواهـا وليلى بائنٌ عنكَ بينُها[4]
لكنتَ إلى ليلى فقيـراً وإنما   يقود إليهـا وُدُّ نفسِك حينُها

قلتُ له : فأنشِدْني لمن بقي من هؤلاء، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنّ في واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ .

---

(١) تمائمه : جمع تميمة وهي خرزة أو ما يشبهها كان الاعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين والارواح .

(٢) أنى : حان وقرب .

(٣) الامتراء : الاستدرار .

(٤) بينها هنا معناه وصلها لأنه من أسماء الأضداد، يطلق على الوصل والفراق .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال قال ابن الأعرابيّ : كان مُعاذ بن كُلَيب مجنوناً، وكان يُحِبّ ليلى، وشَرِكه في حبها مُزاحِمُ بن الحارث العُقَيْليّ، فقال مُزاحِمٌ يوماً للمجنون :

كِلانا يا مُعاذُ يُحِب لَيلى بِفِيّ وفيكَ مِن لَيلى التُّرابُ
شَرِكتُكَ في هَوى من كان حظّي وحظُّكَ مِن مودّتها العَذابُ
لقد خَبَلَتْ فؤادَكَ ثم ثَنَّت بقلبي فهو مَخبولٌ مُصابُ

قال فيقال: إنه لما سمع هذه الابياتَ ٱلتُبِس وخولِط في عقله .

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ : أنه سمع في الليل هاتفاً يهتِفُ بهذه الابيات، فكانت سبب جنونه .

وذكر إبراهيمُ بن المُنذِرِ الحِزاميّ عن أيّوبَ بن عَبَايَةَ : أنّ فتًى من بني مَرْوانَ كان يهوى ٱمرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُه الى المجنون، وأنه عَمِلَ له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعرَ، فحمَله الناس وزادوا فيه .

المجنون اسم مستعار :

وأخبرني عَمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العُتْبيّ عن عَوانةَ أنه قال: المجنون ٱسم مُستعارٌ لا حقيقةَ له، وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسبٌ، فسُئل مَنْ قال هذه الاشعار ؟ فقال : فتًى من بني أمية .

وقال الجاحظُ : ما ترَكَ الناسُ شعراً مجهولَ القائل قِيل في لَيلى إلا نسبوه إلى المجنون، ولا شعرا هذه سبيلُه قيل في لُبْنَى إلا نسبوه إلى قَيسِ بن ذَرِيح .

وأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني أبو أيوبَ المَديني قال حدّثني الحَكَم بن صالح قال : قيلَ لرجل من بني عامر : هل تعرفونَ فيكم المجنونَ الذي قتله العشقُ؟ فقال : هذا باطلٌ، إنما يقتلُ العشقُ هذه اليَمانِيةَ الضعافَ القلوب .

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدّثنا إبراهيمُ بن المُنذِر الحِزامي قال حدّثني أيّوبُ بنُ عَبَايَة قال حدّثني مَنْ سأل بني عامرٍ بطناً بطناً عن المجنون فما وجدَ فيهم أحداً يعرفه .

شعره مولد عليه :

أخبرني محمدُ بن مَزْيد بن أبي الازهر قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن ابن الاعرابيّ أنه ذكر عن جماعة من بني عامر سُئِلوا عن المجنون فلم يعرفوه ، وذكروا أنّ هذا الشعر كله مُوَلَّدٌ[١] عليه .

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني أحمدُ بن سُلَيمانَ بنِ أبي شَيْخ عن ابيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوانَةَ قال : ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا : ابن أبي العَقِب صاحبُ قصيدة الملاحم ، وابنُ القِرِّيَةِ ، ومجنونُ بني عامر .

أخبرني أبو الحَسَن الاسَديّ قال حدّثنا الرِّياشيُّ قال سمعتُ الاصمعيَّ يقول : الذي أُلقِيَ على المجنون من الشعر وأُضيف اليه أكثرُ مما قاله هو .

أخبرني عيسى بن الحُسَين الوَرّاقُ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال حدّثني إسحاق قال : أنشدتُ أيّوبَ بنَ عَبَايَةَ هذين البيتين :

وخبّرتُماني أنّ تَيْماءَ[٢] مَنزِلٌ ... لِلَيلى اذا ما الصَّيفُ ألقى المَراسِيا
فهذي شهورُ الصَّيفِ عنّا قد انقضَتْ ... فما لِلنَّوى تَرمي بلَيلى المَرامِيا

وسألته عن قائلها ، فقال : جميلٌ ، فقلتُ له : إنّ الناس يَروُونَها للمجنون ، فقال : ومَن هو المجنون ؟ فأخبرتهُ ، فقال : ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به .

وأخبرني عمي عن عبدالله بن شَبيب عن هارونَ بن موسى الفرويّ قال :

---

(١) مولَّد : مفتعل .

(٢) تيماء : بلد صغير في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى والأبلق الفرد، حصن السموأل بن عاديا اليهودي مشرف عليها فلذلك كان يقال لها : تيماء اليهودي .

سألت أبا بكر العَدَوِيّ عن هذين البيتين فقال: هما لَجميل، ولم يعرف المجنونَ، فقلتُ: فهل معها غيرُهما؟ قال: نعم، وأنشدني:

وإنّي لأخشى أن أموتَ فُجاءةً وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا
وإنّي لَيُنسيني لِقاؤكِ كلّما لَقيتُكِ يوماً أن أَبُثَّكِ ما بِيَا
وقالوا به داءٌ عَياءٌ أصابه وقد علِمتْ نفسي مكانَ دوائيا

وأنا أذكر مما وقع إليّ من أخباره جُمَلًا مستحسنةً، مُتبَرِّئًا من العهدة فيها، فإن أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسُبُها بعضُ الرُّواة الى غيره وينسُبُها مَنْ حُكِيتْ عنه إليه، وإذا قدّمتُ هذه الشريطةَ برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومُتتبّع للعيوب.

عشق ليلى صغيرا:

أخبرني بخبره في شغفه بليلى جماعةٌ من الرُّواة، ونسختُ ما لم أسمعه من الروايات وجمعتُ ذلك في سِياقة خبره ما اتّسقَ ولم يختلف، فاذا اختلفَ نَسبتُ كلَّ روايةٍ الى راويها.

فمن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ، قالا: حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ عن رجاله وإبراهيمُ بنُ ايوبَ عن ابن قُتَيبة، ونسختُ أخباره من روايةِ خالد بن كُلْثوم وأبي عَمْرو الشَّيْباني وابن دَأْبٍ وهِشامَ بن محمد الكَلْبيّ وإسحاقَ بنِ الجَصّاص وغيرِهم من الرُّواة.

قال أبو عمرو الشَّيْباني وأبو عُبَيْدةَ: كان المجنونُ يهوَى ليلى بنتَ مَهْديِّ بن سَعْد بن مهديّ بن رَبيعة بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَةَ وتُكنى أمَّ مالكٍ، وهما حينئذ صبيان، فعَلِقَ كلُّ واحد منهما صاحبَه وهما يرعَيانِ مواشيَ أهلِهما، فلم يزالا كذلك حتى كَبِرا فحُجِبتْ عنه، قال: ويدل على ذلك قوله:

صوت

تَعلَّقتُ لَيْلى وهي ذاتُ ذُؤابةٍ(١) ولم يَبْدُ للأَتْراب من ثَدْيِها حجمُ
صغيرَيْن نَرعَى البَهْمَ يا ليتَ أننا إلى اليوم لم نَكْبَرْ ولم تَكبَرِ البَهْمُ

في هذين البيتين للاخضر الجُدّيّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالوُسطى، ذكره هارون ابن محمد بن عبد الملك الزيات والهشاميّ.

أخبرنا الحسينُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن أيوبَ بنِ عَبايَةَ ونسختُ هذا الخبرَ بعينه من خطّ هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال: حدّثنا عبدُ الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا الحسنُ بن عليّ قال حدّثني أبو عتّاب البصريّ عن إبراهيم بن محمد الشافعيّ قال:

بَيْنا ابنُ مُلَيكةَ يؤذِّن إذ سمِع الاخضرَ الجُدّيَّ يُغنّي من دار العاص بن وائل:

وعُلِّقتُها غَرّاءَ ذاتَ ذوائبٍ ولم يَبدُ للاتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهْمَ(٢) يا ليت أننا إلى اليوم لم نكبَرْ ولم تَكبرِ البَهْمُ

قال: فأراد أن يقول: حيّ على الصلاة فقال: حيّ على البَهْم، حتى سمعه أهل مكةَ فغدا يعتذرُ إليهم.

وقال ابنُ الكلبي: حدّثني مَعْروف المكيّ والمُعلّى بن هِلال وإسحاقُ بن الخَصّاص قالوا:

كان سببُ عشقِ المجنون ليلى، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمةٍ وعليه

(١) الذؤابة: شعر الناصية. وفي ديوانه وكتاب الشعر والشعراء في ترجمته: «وهي غرّ صغيرة». وفي تزيين الاسواق: «وهي ذات تمائم».

(٢) البهم: جمع بهمة وهي الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها، الذكر والانثى في ذلك سواء.

حُلَّتان من حُلَل الملوك، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها: كَرِيمةُ، وعندها جماعة نسوةٍ يتحدّثن فيهنّ ليلى، فأعجبهنّ جماله وكماله، فدعَونه الى النزول والحديثِ، فنزل وجعل يحدّثهن وأمر عبداً له كان معه فعقر لهنّ ناقته، وظَـلّ يحدّثهنّ بقية يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم فتًى عليه بُرْدةٌ من برود الاعراب يقال له: مُنازِلُ يَسُوق مِعْزًى له، فلما رأينَه أقبلنَ عليــه وتركْنَ المجنونَ، فغضب وخرج من عندهنّ وأنشأ يقول:

أأعقِرُ مِنْ جَرّا[1] كَرِيمــةَ ناقتي ووَصْليَ مَفْروشٌ لِوَصْلِ مُنازِلِ
إذا جاء قَعْقَعْنَ الحُليَّ ولم أكن إذا جئتُ أرضى صوتَ تلكَ الخلاخِلِ
متى ما انتضَلْنا[2] بالسِّهام نضَلتُه وإن نَرْمِ رَشْقاً[3] عندها فهو ناضِلي

قال: فلما اصبح لبس حُلّته وركب ناقة له أخرى ومضى مُتعرِّضاً لهنّ فألفى لَيْلى قاعدةً بفِناء بيتها وقد عَلِق حبُّه بقلبها وهَوِيَتْه، وعندها جُوَيْرِياتٌ يتحدّثن معها، فوقف بهنّ وسلّم، فدعَونَه الى النزول وقلن له: هل لك في مُحادثة مَن لا يَشْغَلُهُ عنك مُنازِلٌ ولا غيرُهُ؟ فقال: إي لَعَمْري، فنزل وفعل مثلَ ما فعله بالامس، فأرادت أن تعلم، هل لها عنده مثلُ ما له عندها، فجعلت تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتحدّث غيره، وقد كان عَلِق بقلبه مثلُ حبها إياه وشَغَفَتْه واستملحها، فبينا هي تحدّثه، إذ أقبل فتًى من الحيّ فدعته وسارّته سِراراً طويلاً، ثم قالت له: انصرف، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيّر وانْتُقِعَ[4] لونه وشق عليه فعلُها، فأنشأت تقول:

كِلانا مُظهِرٌ للناس بغضاً وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ
تُبَلِّغُنا العيونُ بمــا أردنا وفي القلبين ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

فلما سمع البيتين شَهَقَ شَهْقَةً شديدة وأُغمِيَ عليه، فمكث على ذلك ساعةً،

---

(١) أي من أجل.
(٢) أي ترامينا بالسهام، ونضلته: غلبته.
(٣) الرشق: رمي أهل النضال ما معهم من السهام في جهة واحدة.
(٤) يقال: انتقع لونه إذا تغير من هم أو فزع.

ونضحوا الماء على وجهه حتى أفاق وتمكن حبُّ كل واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مبلغ .

المجنون يخطب ليلى :

أخبرني الحسَن بن عليّ قال حدّثني هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال حدثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هِشام بن محمد بن موسى المكيّ عن محمد بن سعيد المخزومي عن أبي الهيثم العُقَيْليّ قال :

لما شُهِرَ أمرُ المجنون وليلى وتناشد الناسُ شعره فيها ، خطبها وبذَل لها خمسين ناقةً حمراء ، وخطبها وردُ بن محمد العُقَيْليّ وبذل لها عَشرًا من الابل وراعيها، فقال أهلها : نحن مُخَيِّروها بينكما ، فمن اختارت تزوّجته ، ودخلوا اليها فقالوا : واللهِ لئن تختاري وَرْدًا لنُمثِّلَنَّ بكِ ، فقال المجنون :

ألا يا لَيلَ إن مُلِّكتِ فينا   خِيارَكِ فانظُري لِمَنِ الخِيارُ
ولا تَستَبْـدِلِي مني دَنِيًّا   ولا بَرَمًا(١) إذا حُبَّ القُتارُ(٢)
يُهَرْوِل في الصغير إذا رآه   وتُعجِزُه مُلِمَّـاتٌ كِبارُ
فمِثلُ تأيُّمٍ(٣) منه نِكاحٌ   ومِثلُ تمـوُّلٍ منه افتِقارُ

فاختارَتْ وَرْدًا فتزوّجته على كُرْهٍ منها .

ابوه يروي قصة جنونه :

وأخبرني أحمدُ بن عبد العزيز وحَبيبُ بن نَصْر قالا : حدثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال ذكر الهيثمُ بن عَديّ عن عثمان بن عِمارةَ بن حُرَيم المُرّي قال :

(١) البرم : اللئيم .
(٢) القتار : ريح اللحم المشوي .
(٣) الأيم : المرأة التي تفقد زوجها .

خرجتُ إلى أرض بني عامر لألقى المجنونَ، فَدُلِلْتُ عليه وعلى مَحَلَّتِه، فلقِيتُ أباه شيخاً كبيراً وحَوْلَه إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالا ، فسألتُهم عنه فبكَوْه، وقال الشيخ: أما والله لهو كان آثر عندي من هؤلاء جميعاً ، وإنه عَشِقَ امرأَةً من قومه والله ما كانت تطمع في مثله ، فلما فشا أمرُه وأمرُها كره أبوهـا أن يُزَوِّجه إياها بعد ما ظهر من أمرهما، فزوَّجها غيره، وكان أوَّلَ ما كلِف بها يجلس إليها في نفرٍ من قومها فيتحدَّثون كما يتحدَّث الفتيانُ، وكان أجملَهم وأظرفَهُم وأرواهم لاشعار العرب ، فيُفيضونَ في الحديث فيكون أحسنَهم فيه إفاضةً ، فتُعرِضُ عنه وتُقبِلُ على غيره، وقد وقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه، فظنَّت به ما هو عليه من حبها، فأقبلت عليه يوماً وقد خَلَت فقالت :

صوت

كِلانا مُظهِرٌ للناس بغضاً وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ
وأسرارُ الملاحِظِ ليس تَخفى إذا نطقتْ بنا تُخفي العيونُ

هيامه بليلى :

— غنَّتْ في الاوَّل عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ ، وقيل : إنَّ هذا الغناء لشاريةَ، والبيتُ الاخير ليس من شعره — قال : فخرَّ مغشياً عليه ثم أفاق فاقداً عقله، فكان لا يلبَسُ ثوباً إلا خرَّقه ولا يمشي إلا عارياً ويلعب بالتراب ويجمعُ العظامَ حوله، فاذا ذُكِرتْ له ليلى أنشأ يحدث عنها عاقلًا ولا يُخطِئُ حرفاً، وترك الصلاةَ، فإذا قيل له : مالكَ لا تُصلِّي ! لم يَرُدَّ حرفاً ، وكنا نحبسه ونقيِّده ، فيعَضُّ لسانه وشفته ، حتى خشينا عليه فخلَّينا سبيلَه فهو يهيمُ .

قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف :

قال الهيثمُ : فولّى مروانُ بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمن بن عَوف صدقاتِ

بني كعبٍ وقُشَيرٍ وجَعْدةَ والحَريش وحَبيب وعبدِالله، فنظر إلى المجنون قبل أن يَستحكم جُنونه فكلّمه وأنشده فأُعجِبَ به، فسأله أن يخرجَ معه، فأجابه الى ذلك، فلما أراد الرَّواحَ جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى، وأنَّ أهلها استَعدَوا السلطانَ عليه، فأهدرَ دمَه إن أتاهم، فأضربَ عما وعده وأمر له بقَلائصَ، فلما علم بذلك وأُتي بالقلائص ردّها عليه وانصرف.

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرُّواة: أنَّ المجنون هو الذي سأل عمر بنَ عبد الرحمن أن يخرج به، قال له: أكون معك في هذا الجمْع الذي تجمعه غداً، فأرى في أصحابك، وأتجمل في عشيرتي بك، وافخرُ بقربك، فجاءه رهْطٌ من رهط ليلى واخبروه بقصته، وأنه لا يريد التجمل به، وإنما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها، وأنهم قد شكوه إلى السلطان فأهدر دمه إن دخل عليهم، فأعرض عما أجابه اليه من أخذه معه وأمرَ له بقلائصَ، فردّها وقال:

رَددتُ قلائصَ القرشيّ لمّا   بدا لي النقضُ منه للعهودِ
وراحوا مُقْصِرين وخلّفوني   إلى حُزنٍ أعالجه شديدِ

قال: ورجع آيسا فعاد إلى حاله الاولى، قال: فلم تزل تلك حاله، إلا أنه غيرُ مستوحشٍ، إنما يكون في جنباتِ الحيّ منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلا خرّقه، ويَهذِي ويُخطِطُ في الارض ويلعب بالتراب والحجارة، ولا يُجيب أحداً سأله عن شيء، فإذا أحبُّوا أن يتكلم أو يثوبَ عقله ذكروا له ليلى، فيقول: بأبي هي وأمي، ثم يرجع اليه عقله فيخاطبونه ويُجيبهم، ويأتيه أحداثُ الحيّ فيحدثونه عنها وينشِدونه الشعرَ الغزَلَ، فيجيبهم جواباً صحيحاً وينشدهم أشعاراً قالها، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفلُ بن مُساحق، فنزل مجمعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان، فقال لغلام له: يا غلام، هاتِ ثوباً، فأتاه به، فقال لبعضهم: خذ هذا الثوب فألقِه على ذلك الرجل، فقال له: أتعرفه جُعلتُ فِداكَ؟ قال: لا، قال: هذا ابنُ سيّد الحيّ، لا والله ما يلبسُ الثيابَ ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طُرِحَ عليه شيء خرّقه،

ولو كان يلبسُ ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه ، وحدّثه عن أمره ، فدعا به وكلّمه ، فجعل لا يعقل شيئاً يكلمه به ، فقال له قومه : إن أردت أن يجيبكَ جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى ، فذكرها له وسأله عن حبه إياها ، فأقبل عليه يحدثه بحديثها ويشكو اليه حبَّه إياها ويُنشِده شعره فيها ، فقال له نوفل : الحبّ صيّرك إلى ما أرى ؟ قال : نعم ، وسينتهي بي الى ما هو أشدّ مما ترى ، فعجب منه وقال له : أتُحِبُّ أن أزوّجكَها ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال : انطلق معي حتى أَقدَمَ على أهلها بكَ وأخطبَها عليكَ وأرَغّبهم في المهر لها ، قال : أتُراك فاعلا ؟ قال : نعم ، قال : أنظر ما تقول ! قال : لك عليّ أن أفعلَ بكَ ذلك ، ودعا له بثياب فألبسه إياها ، وراح معه المجنون كأصحّ أصحابه يحدّثه ويُنشِدُه ، فبلغ ذلك رهطها فتلقَّوْه في السلاح ، وقالوا له : يا بن مُساحِقٍ ، لا والله لا يدخل المجنونُ منازلنا أبداً أو يموتَ ، فقد أهدَرَ لنا السلطان دمه، فأقبل[1] بهم وأدبر ، فأبَوْا ، فلما رأى ذلك قال للمجنون : انصرفْ ، فقال له المجنون : والله ما وفَيتَ لي بالعهد ، قال له : انصرافك بعد أن آيسني القومُ من إجابتكَ أصلحُ من سَفكِ الدماء ، فقال المجنون :

صوت

أيا وَيحَ مَنْ أمسى تُخُلِّسَ[2] عقلُه فأصبح مذهوباً به كلَّ مذهبِ
خليّاً من الخُلّانِ إلا مُعَذِّراً[3] يُضاحِكني مَن كان يهوى تجنُّبي

الغناء للحُسَين بن مُحرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوُسطى من جامع أغانيه :

إذا ذُكِرتْ ليلى عَقَلتُ وراجعتْ روائعُ عقلي مِن هَوًى مُتَشَعِّبِ

---

(١) يريد انه بذل الجهد في إقناعهم أن يدخلوه معه وقلبهم على جميع الوجوه فلم يُجْدِه شيئاً .
(٢) تخلس : سلب .
(٣) هو المقصر الذي لا عذر له ولكنه يتكلف العذر .

وقالوا صحيحٌ ما به طيفُ جِنَّةٍ[1] ... ولا الهمُّ إلا بافتراء التكذّبِ
وشاهدُ وجدي دمعُ عيني وحُبُّها ... بَرَى اللحمَ عن أحناء[2] عَظمي ومنكبي

صوت

تجنَّبتَ ليلى أن يَلجَّ بكَ الهوى ... وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ
ألا إنما غادرْتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدًى أينما تَذهبْ به الريحُ يَذهبِ

الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنْصر، وفيه لابن جامعٍ هَزَجٌ من رواية الهشاميّ وهي قصيدة طويلة.

ومما يغنّى فيه منها قولُه :

صوت

فلم أرَ ليلى بعد مَوْقفِ ساعةٍ ... بِخَيْفِ مِنًى تَرمي جِمارَ المحصَّبِ
ويُبدي الحصَى منها إذا قذفَتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ
فأصبحتُ من لَيْلى الغداةَ كناظرٍ ... مع الصبح في أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ
ألا إنما غادرتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

فيه ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ باستهلال، ذكر ابنُ المكيّ أنه لابيه يحيى، وذكر الهشامي أنه للواثق، وذكر حَبَش أنه لابن مُحرِز، وهو في جامع أغاني سليمان منسوبٌ إليه.

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب للمجنون :

(١) طيف جنة : مسٌّ من الجنّ.

(٢) الأحناء : جمع حنو وهو كل شيء فيه أعوجاج كعظم الحِجاج (العظم الذي ينبت عليه الحاجب) واللحى والضلع.

فواللهِ ثم اللهِ إني لدائبٌ أفكر ما ذنبي إليها وأعجَبُ
ووالله ما أدري علامَ قتلتِني وأيُّ أموري فيك يا ليلَ أركبُ
أأقطعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونه أمَ اشربُ رَنْقاً منكمُ ليس يُشرَبُ
أمَ اهربُ حتى لا أرى لي مجاورا أمَ اصنعُ ماذا أم أبوحُ فأغلبُ
فأيَّهما يا ليلَ ما ترتضينــه فإني لمظــلومٌ وإني لمُعْتِبُ

حجوا به ليسلوها فزاد جنونه :

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال : ذكر هشام بنُ الكلبيّ ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسَن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الصَّبّاح عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه :

أن أبا المجنون وأمّه ورجالَ عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرَّحم ، وقالوا له : إنّ هذا الرجل لَهالكٌ ، وقبلَ ذلك ففي أقبحَ من الهلاك بذهاب عقله، وإنك فاجعٌ به أباه وأهله، فنشَدْناكَ الله والرحمَ أن تفعل ذلك، فوالله ما هي أشرفُ منه ، ولا لكَ مثلُ مالِ أبيه ، وقد حكَّمكَ في المَهر ، وإن شئتَ أن يخلَعَ نفسه إليك من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها إنه لا يزوّجه إياها أبداً، وقال: أفضحُ نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته أحدٌ من العرب، وأَسِمُ ابنتي بِميسَمِ فضيحةٍ ! فانصرفوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوّجها رجلًا من قومها وأدخلها اليه ، فما أمسى إلا وقد بنى بها ، وبلغه الخبرُ فأيس منها حينئذ وزال عقله جملةً، فقال الحيّ لابيه : احجُجْ به إلى مكة وادعُ الله عز وجلّ له، ومُره أن يتعلق بأستار الكعبة، فيسألَ الله أن يعافيَه مما به ويُبغِّضها اليه، فلعل الله أن يُخلِّصَه من هذا البلاء ، فحجّ به أبوه، فلما صاروا بمِنًى سمع صائحاً في الليل يصيحُ : يا ليلى ، فصرخ صَرْخةً ظنوا أن نفسه قد تلِفَتْ وسقط مَغشياً عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائلَ اللون ذاهلاً ، فأنشأ يقولُ :

---

(١) رنقاً : كدراً .

صوت

عَرَضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي ... من الآنَ فايأسْ لا أعزَّك من صَبْرِ
إذا بان مَن تهوى وأصبح نائياً ... فلا شيءَ أجدى من حلولك في القبرِ
وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْف من مِنًى ... فهيَّجَ أطرابَ[1] الفؤاد وما يدري
دعـا باسم ليلى غيرها فكأنما ... أطارَ بليلى طائراً كان في صدري
دعـا باسم ليلى ضَلَّل اللهُ سعيَه ... وليلى بأرضٍ عنـه نازحةٍ قفرِ

الغناء لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ — ثم قال له أبوه: تعلَّقْ بأستار الكعبة وأسألِ الله أن يعافيَكَ من حبِّ ليلى، فتعلَّقَ بأستار الكعبة وقال: اللهم زدْني لليلى حباً وبها كَلَفاً ولا تُنسِني ذكرها أبداً، فهام حينئذٍ وأختلط فلم يَضبِطْ. قالوا: فكان يَهِيمُ في البرية مع الوحش ولا يأكلُ إلا ما ينبت في البرّية من بقل ولا يشرب إلا مع الظباء إذا وردتْ مناهلَها، وطال شعرُ جسده ورأسه وألِفَتْه الظباء والوحوش فكانت لا تنفر منه، وجعل يَهِيمُ حتى يبلغَ حدود الشام، فإذا ثاب اليه عقله سأل مَن يمرّ به من احياء العرب عن نجدٍ، فيقالُ له: وأين أنت من نجد! قد شارفتَ الشام! أنتَ في موضع كذا، فيقول: فأروني وِجْهَةَ الطريق، فيرحمونه ويَعرضون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى، فيدلُّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوه.

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريُّ عن الهيثم بن عديّ وأخبرنا حبيبُ بن نَصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمرُ ابنُ شَبَّةَ قال ذكر الهيثم بن عَديّ عن أبي مِسكين قال:

خرج منّا فتًى حتى إذا كان ببئر ميمونٍ[2] إذا جماعةٌ فوق بعض تلك الجبال،

(١) الاطراب: جمع طرب وهو خفة تعتري الشخص من شدّة الفرح او الحزن.
(٢) بئر ميمون: هي بئر بمكة بين البيت والحجون بأبطح مكة.

وإذا معهم فتًى أبيضُ طُوالٌ[١] جَعْدٌ[٢] كأحسنِ مَنْ رأيتُ من الرجال على هُزال منه وصُفرةٍ، واذا هم مُتعلِّقون به، فسألتُ عنه، فقيل لي: هذا قيسُ المجنونُ خرج به أبوه يستجيرُ له بالبيت، وهو على أن يأتيَ به قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدعوَ له هُناكَ لعله يُكشَفُ ما به، فإنه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوُّه، يقول: أخرجوني لعلّني أتنسّم صَبا نجدٍ، فيُخرجونه فيتوجهون به نحو نجدٍ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقي نفسه من الجبل، فإن شِئتَ الأجر دنوت منه فأخبرته أنك أقبلتَ من نجدٍ، فدنوتُ منه وأقبلوا عليه فقالوا له: يا أبا المَهديّ، هذا الفتى أقبل من نجدٍ، فتنفّسَ تنفُّسةً ظننتُ أنّ كبِده قد انصدعتْ، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ، وأنا أخبره وهو يبكي أحرّ بكاء وأوجعه للقلب، ثم أنشأ يقولُ:

ألا ليت شِعري عن عُوارِضَتَيْ قنا[٣] لطول الليالي هل تغيَّرتا بعدي

وهل جارتانا بالبَتيل إلى الحمى على عهدنا أم لم تدوما على العهدِ

وعن عُلْويّاتِ[٤] الرياح إذا جرتْ بريح الخُزامى هل تهُبُّ على نجدِ

وعن أُقحُوانِ الرمل ما هو فاعلٌ إذا هو أُسرى ليلةً بثَرًى جعدِ[٥]

وهل أنفُضَنَّ الدهرَ أفنانَ لِمّتي على لاحقِ المَتنينِ مُندلِقِ الوَخْدِ[٦]

وهل أسمعنّ الدهرِ أصواتَ هجْمةٍ[٧] تحدَّرُ من نَشْزٍ[٨] خصيبٍ إلى وَهْدِ[٩]

(١) رجل طوال بضم الطاء: مفرط الطول.

(٢) جعد: معصوب الجوارح شديد الاسر غير مسترخ ولا مضطرب.

(٣) قنا وعوارضة: جبلان.

(٤) علويات: جمع عُلوية نسبة الى العالية وهي ما فوق أرض نجد الى تهامة وهذه النسبة نادرة والقياس عاليّ.

(٥) يقال: تراب جعد أي ندٍ.

(٦) لاحق: ضامر من قولهم لحق الفرس لحوقاً أي ضمر. والمتنان: جنبتا الظهر عن اليمين والشمال، والواحد متن يذكر ويؤنث. والمندلق: السريع، يقال: اندلقت الخيل اذا خرجت فأسرعت. والوخد: ضرب من سير الخيل والابل وهو سعة الخطو في المشي.

(٧) الهجمة: القطعة الضخمة من الابل.

(٨) النشز: المكان المرتفع.

(٩) الوهد: المكان المطمئن من الارض.

بربك هل ضممت اليك ليلى :

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُراني قال حدّثنا العُمريّ عن الهَيثم بن عديّ والعُتبيّ قالا :

مر المجنونُ بزوج ليلى وهو جالسٌ يَصْطَلي في يومٍ شاتٍ، وقد أتى ابنَ عمّ له في حيّ المجنونِ لحاجةٍ ، فوقفَ عليه ثم أنشأ يقول :

صوت

بربّكَ هل ضمَمْتَ اليك ليلى　　قُبيلَ الصبح أو قَبَّلْتَ فاها
وهل رفَّتْ(١) عليك قرونُ ليلى　　رَفيفَ الأُقْحُوانة في نَداها

فقال : اللهم إذ حلّفتَني فنَعَم، قال : فقبض المجنونُ بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فارقها حتى سقط مغشيّاً عليه، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه، وعضّ على شفته فقطعها، فقام زوجُ ليلى مغموماً بفعله مُتعجّباً منه فمضى .

غنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحُسين بن مُحْرِز، ولحنه رَمَل بالوسطى عن الهشاميّ .

صبا نجد :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيبُ بن نصر المُهَلّبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال : قال محمد بن الحكم عن عَوانةَ : إنه حدّثه ووافقه ابنُ نصر وابنُ حبيبَ قالوا :

(١) رفت بفتح الراء من رفّ لونه يرف بالكسر رفيفاً رفا اذا برق وتلألأ ، أراد شدّة سواد شعرها .

إنّ أهلَ المجنون خرجوا به معهم الى وادي القُرى[١] قبل توحشه ليمتاروا[٢] خوفاً عليه أن يضيعَ أو يَهلك، فمرّوا في طريقهم بجبلي نعمانَ[٣]، فقال له بعضُ فتيان الحيّ: هذان جبلا نعمانَ، وقد كانت ليلى تنزل بهما، قال: فأيّ الرياح يأتي من ناحيتهما؟ قالوا الصَّبا، قال: فوالله لا أريمُ[٤] هذا الموضع حتى تهبَّ الصبا، فاقام ومضَوْا فامتاروا لانفسهم، ثم أتَوْا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيام حتى هبّتِ الصَّبا، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول:

صوت

أيا جبَلَيْ نعمانَ باللهِ خَلِّيَا ... سبيلَ الصَّبا يَخْلُصْ إليَّ نسيمُها
أَجِدْ بردَها أو تَشْفِ مني حرارةً ... على كبدٍ لم يبقَ أَلَّا صميمُها[٥]
فإنّ الصَّبا ريحٌ تشفِ إذا ما تنسَّمتْ ... على نفس محزونٍ تجلَّت همومُها

وقوفه على منازل ليلى:

اخبرني عليُّ بنُ سليمان الاخفشُ قال حدّثني محمدُ بن الحسين بن الحرونِ قال حدّثني الكِسْرَوِيّ عن جماعةٍ من الرواة قال:

لما منَع أبو ليلى المجنونَ وعشيرتَه من تزويجه بها، كان لا يزال يَغْشى بيوتهم ويهجمُ عليهم، فشكَوْه الى السلطان فأهدَر دمه لهم، فأخبروه بذلك فلم يُرْعِهُ وقال: الموتُ أروَحُ لي فليتَهم قتلوني، فلمَّا علموا بذلك وعرفوا أنه لا يزال يطلب غِرَّةً[٦] منهم حتى إذا تفرَّقوا دخل دورَهم، فارتحلوا عنها وأبعَدوا، وجاء المجنونُ

---

(١) وادي القرى: واد بين الشام والمدينة كانت به قرى منظومة.
(٢) من الامتيار وهو جلب الطعام للبيع وغيره.
(٣) هو نعمان الأراك وهو واد بين مكة والطائف. وقيل وادٍ لهذيل على ليلتين من عرفات.
(٤) لا أريم: لا أبرح.
(٥) صميمها: أصلها.
(٦) غرة: غفلة.

عشيّةً فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بلاقع[١] ، فقصد منزل ليلى الذي كان بيتُها فيه ، فألصق صدره به وجعل يُمرّغُ خدّيه على ترابه ، ثم أنشأ يقول ، – وذكر هذه الابياتَ ابن حبيب وأبو نصر له :

أيا حرَجاتِ[٢] الحيّ حيث تحمّلوا بذي سَلَمٍ[٣] لا جادكنّ ربيعُ
وخيماتُكِ اللاتي بمُنعرَج اللِّوى بَلينَ بِلًى لم تَبلهنّ رُبوعُ
نَدمتُ على ما كان مني ندامةً كما ينــدَمُ المغبونُ حين يبيعُ
فقدْتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ[٤] فإنني نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ[٥]
فقرّبْتِ لي غيرَ القريب وأشرفت[٦] اليــكِ ثنايا[٧] ما لهنّ طلوعُ

الغريم الذي لا ينصف :

وذكر خالدُ بن جميل وخالد بن كُلثوم في اخبارها التي صنعاها أنّ ليلى وعدته قبل أن يختلط أن تستزيره ليلةً إذا وجدت فرصةً لذلك ، فمكث مدةً يراسلها في الوفاء وهي تعِده وتسوّفُه ، فأتى أهلها ذات يوم والحيّ خُلوف[٨] ، فجلس الى نسوة من أهلها حَجْرَةً[٩] منها بحيث تسمعُ كلامه ، فحادثهنّ طويلًا ثم قال : ألا أنشِدُكنّ أبياتاً أحدثتُها في هذه الايام ؟ قلن : بَلى ، فأنشدهنّ :

---

(١) بلاقع جمع بلقع : خالية .
(٢) الحرجات : جمع حرجة وهي الغيضة ، وسميت بذلك لضيقها ، وقيل : الشجر الملتف ، وهي أيضاً الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل اليها الاكلة وهي ما رعى من المال .
(٣) ذو سلم : موضع بالحجاز .
(٤) يقال : نفس شعاع اذا انتشر رأيها فلم تتجه لأمر جزم .
(٥) الجميع : ضدّ المتفرّق .
(٦) أشرفت : ظهرت وارتفعت .
(٧) الثنايا : جمع ثنية وهي العقبة وهي المرقى الصعب في الجبل يريد بذلك أن الوصول الى ليلى صعب لا يستطيعه .
(٨) يقال : حيّ خلوف اذا غاب الرجال وأقام النساء .
(٩) حجرة : ناحية .

صوت

يا لَلرِّجال لِهَمٍّ بات يعروني مُستطرَفٍ وقديمٍ كاد يُبليني
مَنْ عاذري من غريمٍ غيرِ ذي عُسُرٍ يأبى فيمطُلُني دَيني ويَلْويني
لا يُبعِدُ النقدَ من حقي فينكرَه ولا يُحدِّثني أنْ سوفَ يَقضيني
وما كشُكريَ شكرٌ لو يوافِقُني ولا مُنايَ سِواه لو يُوافيني
أطعتُه وعصيتُ الناسَ كلَّهمُ في أمره وهواه وهو يعصيني

قال: فقلنَ له: ما أنصفكَ هذا الغريمُ الذي ذكرته! وجعلنَ يتضاحكنَ وهو يبكي، فاستحيَتْ ليلى منهنَّ ورقَّتْ له حتى بكت، وقامت فدخلت بيتها وانصرف هو.

— في الثلاثة الابيات الأُوَلِ من هذه الابيات هزَجٌ طُنبوريٌّ للمسدود — قالا في خبرهما هذا: وكان للمجنون ابنا عمٍّ يأتيانه فيُحدِّثانه ويُسلِّيانه ويؤانسانه، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان، فقالا له: يا أبا المهديّ ألا تجلسُ؟ قال: لا، بل أمضي إلى منزل ليلى فأترسَّمه وأرى آثارها فيه، فأشفي بعضَ ما في صدري بها، فقالا له: فنحن معك، فقال: إذا فعلتما أكرمتما وأحسنتما، فقاما معه حتى أتى دار ليلى، فوقف بها طويلاً يتتبَّع آثارها ويبكي ويقف في موضعٍ موضعٍ منها ويبكي، ثم قال:

صوت

يا صاحبيَّ ألِمَّا بي بمنزلةٍ قد مرَّ حينٌ عليها أيُّما حينِ
إني أرى رَجَعاتِ الحبِّ تقتُلُني وكان في بدئها ما كان يَكفيني

لا خيرَ في الحبِّ ليستْ فيه قارعةٌ ... كأنَّ صاحبَها في نَزْعِ مَوتونِ[١]
إن قال عُذّالُهُ مَهلًا فُلانَ لهم ... قال الهوى غيرُ هذا القولِ يَعنيني
ألقى من اليأس تاراتٍ فتقتُلُني ... ولِلرجاءِ بشاشاتٌ فتُحييني

الغناء لابراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبيّ عن أبي مسكين : إن جماعة من بني عامر حدّثوه قالوا : كان رجل من بني عامر بن عُقَيلٍ يقال له : قيسُ بن مُعاذ ، وكان يُدعى المجنونَ ، وكان صاحبَ غَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء ، فخرج على ناقة له يسيرُ ، فمر بامرأة من بني عُقَيلٍ يقال لها : كريمةُ ، وكانت جميلةً عاقلةً ، معها نسوة فعرفْنَه ودعوْنَه الى النزول والحديثِ ، وعليه حُلّتان له فاخرتان وطَيْلَسانٌ وقَلَنسوةٌ ، فنزل فظلّ يُحدّثهنّ ويُنشدُهنّ وهنّ أعجبُ شيءٍ به فيما يُرى ، فلمّا أعجبه ذلك منهنّ عقر لهنّ ناقتَه ، وقُمْنَ اليها فجعلْنَ يَشوين ويأكلن الى أن أمسى ، فأقبل غلامٌ شابٌّ حسنُ الوجه مِن حيّهن فجلس اليهنّ ، فأقبلنَ عليه بوجوههنّ يَقُلْنَ له : كيف ظَلِلْتَ يا مُنازِلُ اليومَ ؟ فلما رأى ذلك من فِعلهنّ غَضِبَ ، فقام وتركهنّ وهو يقول :

أأعقِرُ من جَرا كريمةَ ناقتي ... ووَصْلي مَفْرُوشٌ لِوَصلِ مُنازِلِ
إذا جاء قَعقَعْنَ الحُليَّ ولم أكُنْ ... إذا جئتُ أرضَى صوتَ تلك الخلاخلِ

قال : فقال له الفتى : هَلُمَّ نَتَصارَع أو نَتناضَلْ ، فقال له : إن شئتَ ذلك فقُم الى حيثُ لا تَراهُنّ ولا يَرَيْنَكَ ، ثم ما شئتَ فافْعَلْ ، وقال :

إذا ما انْتَضَلْنا في الخلاءِ نَضَلْتُهُ ... وإن يَرْمِ رَشْقًا عندها فهو ناضلي

وقال ابنُ الكلبيّ في هذا الخبر : فلما اصبح لبس حلّته وركب ناقتَه ومضى مُتعرّضًا لهنّ ، فألفى ليلى جالسةً بفناء بيتها ، وكانت معهنّ يومئذ جالسةً ، وقد

---

(١) الموتون : المضروب على الوتين وهو عرق معلق بنياط القلب .

عَلِقَ بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيْرِياتٌ يُحدِّثْنها ، فوقفَ بهن وسلَّم ، فدعَوْنَه الى النزول وقلنَ له : هل لكَ في محادثة مَنْ لا يَشغَلُه عنك مُنازِل ولا غيرُه ؟ قال : إي لَعَمْري ، فنزل وفعلَ فَعلَته بالامس ، فأرادت أن تعلمَ هل لها عنده مثلُ ما لَهُ عندها ، فجعلت تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتحدّثُ غيره ، وقد كان عَلِقَ حبُّها بقلبه وشَغَفَه واستملَحَها ، فبينا هي تحدّثه إذ أقبل فتى من الحيّ فدعتْه فسارَّته سِراراً طويلاً ثم قالت له انصرف ، فانصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيّر وأمْتُقِعَ وشقَّ عليه ما فعلَتْ ، فأنشأت تقول :

كِلانا مُظهِرٌ للناس بُغضاً — وكلٌّ عند صاحبه مَكينُ
تُبَلِّغُنا العيونُ مَقالَتَينا — وفي القلبين ثَمَّ هَوًى دَفينُ

فلما سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهْقَةً عظيمةً وأُغميَ عليه فمكث ساعةً ، ونضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق ، وتمكّن حبُّ كلٍّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه وبلغَ منه كلَّ مَبلَغٍ .

تحرقت راحتاه وما شعر :

حدّثني عمي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن ابراهيمَ بن محمد بن إسماعيلَ القُرَيْشيّ قال حدّثنا أبو العالية عن أبي ثُمامةَ الجَعْديّ قال :

لا يُعرَفُ فينا مجنونٌ إلا قيسُ بنُ الملوّح .

قال : وحدّثني بعضُ العشيرة قال : قلتُ لقيس بن الملوّح قبل أن يُخالَطَ : ما أعجبُ شيء أصابك في وَجْدِكَ بليلى ؟ قال طَرَقَنا ذاتَ ليلةٍ أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ (١) ، فبعثني أبي الى منزل أبي ليلى وقال لي : اطلب منه أدماً ، فأتيتُه فوقفتُ على خبائه فصِحتُ به ، فقال : ما تشاء ؟ فقلت : طَرَقَنا ضِيفانٌ ولا أُدمَ عندنا لهم فأرسلني أبي نَطلُبُ منك أدماً ، فقال : يا ليلى ، أخرجي اليه ذلك النِّحْيَ (٢) ،

(١) أدم الخبز : خلطه بالادام والأدم ما يؤتدم به .
(٢) النحي عند العرب : الزقّ الذي يوضع فيه السمن خاصة .

فاملأي له إناءه من السمن ، فأخرجته ومعي قَعْبٌ(١) ، فجعلتُ تصبُّ السمنَ فيه ونتحدّثُ ، فألهانا الحديثُ ، وهي تصبُّ السمنَ وقد امتلأ القعبُ ولا نعلمُ جميعاً، وهو يسيلُ حتى استنقعتْ أرجلنا في السمن ، قال : فأتيتهم ليلةً ثانيةً أطلبُ ناراً، وأنا متلفّعٌ ببُرْدٍ لي ، فأخرجت لي ناراً في عُطْبَةٍ(٢) فأعطتنيها ووقفنا نتحدثُ ، فلما احترقت العُطبةُ خرقتُ من بُرْدِي خِرْقَةً وجعلتُ النار فيها ، فكلما احترقت خرقتُ أخرى وأذكيتُ بها النار حتى لم يبق عليَّ من البرد إلا ما وارى عورتي ، وما أعقِل ما أصنعُ ، وأنشدني :

أَمُسْتَقْبِلِي نَفحُ الصَّبَا ثم شَائقِي ... بِبَرْدِ ثَنَايا أُمِّ حَسَّانَ شائقُ
كأنَّ على أنيابها الخمرَ شَجَّهَا(٣) ... بماء الندى من آخرِ الليلِ عَاتِقُ(٤)
وما شِمْتُهُ(٥) إلا بعيني تَفَرُّساً ... كما شِيم في أعلى السَّحابةِ بارِقُ

ومن الناس مَن يروي هذه الابياتَ لنُصَيْبٍ، ولكن هكذا رُوِي في الخبر .

بنو عامر ارق الناس قلوباً :

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرَّقاشيّ عن عبد الصَّمد ابنِ المعذَّلِ قال :

سمعتُ الاصمعيّ يقول — وقد تذاكرنا مجنون بني عامر — قال : هو قيس بن معاذ العُقَيليُّ ، ثم قال : لم يكن مجنوناً إنما كانت به لَوْثَةٌ ، وهو القائل :

أخذتْ محاسنَ كلِّ ما ... ضنَّتْ محاسنه بحُسْنِهِ
كاد الغزالُ يكونها ... لولا الشَّوى ونُشُوزُ قَرْنِهِ

(١) القعب : القدح الضخم الغليظ، وقيل : قدح من خشب مقعّر .
(٢) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار .
(٣) شجها : مزجها .
(٤) العاتق : البكر التي لم تبن عن اهلها .
(٥) شمته من الشيم وهو النظر الى نحو النار والسحاب والبرق يقال شام السحاب والبرق شيما أي نظر اليه أين يقصد وأين يمطر .

قال : وهو القائل :

صوت

ولم أرَ ليلى بعد موقفِ ساعةٍ بخَيْفِ مِنًى ترمي جِمارَ المحصَّبِ
ويُبْدي الحصى منها إذا قَذَفَتْ به من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ
فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كناظرٍ مع الصبح في أعقاب نجمٍ مغرِّبِ
ألا إنما غادَرْتِ يا أمَّ مالكٍ صَدًى أينما تذهب به الريحُ يذهبِ

في هذه الابيات لحنٌ من الثقيل الاول ، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور . وذكره أبنُ المكيّ لابيه يحيى . وهو في جامع غناء سُلَيمِ بنِ سلام له . وذكره حبشٌ في موضعين من كتابه فنسبه في طريقة الثقيل الاول في أحدهما الى أبن محرز ، والآخر الى يحيى المكيّ . وزعم الهشاميّ أن فيه لِسُلَيم بن سلام لحناً آخر من الثقيل الاوّل .

أخبرنا الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار الصوفيّ قال حدّثني إبراهيمُ بن سعد الزُّهريّ قال : أتاني رجل من عُذْرَةَ لحاجة ، فجرى ذكر العشق والعشّاق ، فقلتُ له : أنتم أرقُّ قلوباً أم بنو عامر ؟ قال: إنا لارقّ الناس قلوباً، ولكن غلبتْنا بنو عامر بمجنونها .

بعض اوصافه :

أخبرني أحمدُ بن عمر بن موسى بن زكويه القطّان إجازةً قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ قال أخبرني عبد الجبّار بنُ سليمان بن نوفل بن مُساحقٍ عن أبيه عن جدّه قال : أنا رأيتُ مجنونَ بني عامر، وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه شُحُوب[١] واستنشدتُه فأنشدني قصيدته التي يقول فيها :

(١) يقال : شحب لونه يشحَب شحوباً اذا تغير لعارض مرض او سفر ونحوه .

تَذَكَّرتُ ليلى والسِّنينَ الخَوَاليَا ... وأيامَ لا أُعدِي[1] على اللَّهوِ عَادِيَا

أخبرني محمد بنُ الحسن الكِنديّ خطيب مسجد القادسية قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال : سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول : سمعتُ مُعاذا وبشرَ بن المفضَّل جميعاً ينشدانِ هذين البيتين وينسُبانها لمجنون بني عامر :

طمِعتُ بليلى أن تَريعَ[2] وإنما ... تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامِعُ

وداينتُ ليلى في خَلاءٍ ولم يكن ... شهودٌ على ليلى عُدُولٌ مَقانِعُ[3]

وحدَّثني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا أبو خليفة الفضْلُ بنُ الحُباب عن ابن سَلّام قال : قضى عُبَيدُ الله بن الحسن بنِ الحُصَين بن أبي الحرّ العنبريّ على رجل من قومه قضيةً أوجبها الحكم عليه ، وظنَّ العنبريُّ أنه تحامل عليه وانصرف مُغضباً ، ثم لقيه في طريق ، فأخذ بلجام بغلته وكان شديداً أَيِّداً[4] ، ثم قال له : إيه يا عُبَيدَ الله !

طمِعتُ بليلى أن تَريعَ وإنَّما ... تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامِعُ

فقال عُبَيْدُ اللهِ :

وبايعتُ ليلى في خلاءٍ ولم يكنْ ... شهودٌ عدولٌ عند ليلى مَقانِعُ

خلِّ عن البغلة . قال الصُّوليّ في خبره هذا : والبيتان للبَعِيث هكذا ، قال : فلا أدري أمن قوله هو أم حكايةً عن أبي خليفة ! .

آخر عهده بليلى :

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباريّ عن عبد الله بن خلف الدلّال قال حدَّثنا زكريا ابن موسى عن شُعَيب بن السَّكَن عن يونسَ النحويّ قال :

---

(١) لا أعدي : لا أعين ولا أنصر .
(٢) يقال : راع الشيء يَريع ريعاً أي رجع وعاد .
(٣) جمع مقنع بفتح الميم وهو العدل من الشهود يقال : فلان شاهد مقنع أي رضاً يُقنع به .
(٤) أيداً : قوياً .

لما اختلط عقلُ قيس بن الملوّح وترك الطعام والشراب، مضت أمُّهُ إلى ليلى فقالت لها: إنّ قيساً قد ذهب حُبُّكِ بعقله، وترك الطعام والشرابَ، فلو جئته وقتاً لرجوتُ أن يثوبَ اليه عقله، فقالت ليلى: أمّا نهاراً فلا لانني لا آمنُ قومي على نفسي ولكن ليلاً، فأتته ليلا فقالت له: يا قيس، إنّ أمكَ تزعمُ أنك جُنِنتَ من أجلي وتركتَ المطعمَ والمشربَ، فاتقِ الله وأبقِ على نفسك، فبكى وأنشأ يقول:

قالتْ جُنِنتَ على أيْشٍ[1] فقلتُ لها ... الحبُّ أعظمُ مما بالمجانينِ
الحبّ ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبُه ... وإنما يُصرَعُ المجنونُ في الحينِ

قال: فبكت معه، وتحدّثا حتى كاد الصبحُ أن يُسفر، ثم ودّعته وانصرفت فكان آخر عهده بها.

سبب جنونه:

أخبرنا ابن المرْزُبانِ قال قال القَحْذَميُّ: لما قال المجنون:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها ... فهلّا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانِيَا

سُلِب عقله. الغناء لحكَم ثقيلٌ أوّل، وقيل إنه لابن الهِرْبِذ. وفيه لمتيَّم خفيف ثقيلٍ أوّل من جامع أغانيها. وحدّثني جَحْظَة بهذا الخبر عن مَيْمونِ بن هارون أنه بلغه انه لما قال هذا البيت برِصَ.

تسميته:

أخبرني الحسن بن عليّ القرشيّ عن ابن عائشةَ قال: إنما سميَ المجنونَ بقوله:

ما بالُ قلبِكَ يا مجنونُ قد خُلِعا ... في حبِّ مَنْ لا ترى في نَيْله طمَعَا
الحبُّ والودّ نِيطا بالفؤاد لها ... فأصبحا في فؤادِي ثابتَيْنِ معاً

(١) أيش: مخففة من أي شيء.

حدّثنا وكيعٌ عن ابن يونسَ قال قال الاصمعيّ : لم يكن المجنونُ مجنوناً، إنما جنّنه العشقُ ، وأنشدَ له :

يُسمّونني المجنونَ حين يَرَوْنني ... نَعمْ بيَ مِن ليلى الغداةَ جنونُ
ليَاليَ يُزْهى بيَ[1] شبابٌ وشِرّةٌ[2] ... وإذ بيَ مِنْ خَفضِ المعيشة لِينُ

أخبرني محمدُ بن المَرْزُبان عن إسحاقَ بن محمد بن أبانَ قال حدّثني عليّ بن سَهل عن المدائني : أنه ذُكِرَ عنده مجنونُ بني عامر فقال : لم يكن مجنوناً ، وإنما قيل له المجنون بقوله :

وإنّي لمجنونٌ بليلى مُوَكَّلٌ ... ولستُ عَزُوفاً عن هواها ولا جَلْدَا
إذا ذُكِرَتْ ليلى بكيتُ صَبابَةً ... لِتَذْكارها حتى يَبُلَّ البُكا الخدّا

أخبرني عمرُ بن جَميلٍ العَتَكيّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال حدّثنا عَوْنُ ابن عبد الله العامريّ أنه قال : ما كان واللهِ المجنونُ الذي تَعزُونه الينا مجنوناً، إنما كانت به لَوْثَةٌ وسَهْوٌ أحدثهما به حبٌّ ليلى ، وأنشد له :

وبي مِن هَوَى ليلى الذي لو أَبُثّه ... جماعةَ أعدائي بكت لي عُيونُها
أرَى النفسَ عن ليلى أبتْ أن تُطِيعَني ... فقد جُنّ مِن وَجْدي بليلى جُنونُها

أخبرني ابن المرزُبانِ قال قال العُتبيّ : إنما سمي المجنونَ بقوله :

يقول أناسٌ عَلَّ مجنونَ عامرٍ ... يرومُ سُلُوّاً قلتُ أَنَّى لِما بيا
وقد لامني في حُبّ ليلى أقاربي ... أخي وابنُ عمي وابنُ خالي وخاليا
يقولون ليلى أهلُ بيتِ عَداوةٍ ... بنفسيَ ليلى مِن عَدُوٍّ وماليا
ولو كان في ليلى شَذاً من خصومةٍ ... للَوَّيتُ[3] أعناقَ المَطيِّ المَلاوِيا

(١) يزهى : يطيش بي الشباب ويستخفني .
(٢) شرة : حرص الشباب ونشاطه .
(٣) لويت : عطفت .

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن عيسى بن إسمعيلَ قال قال ابن سَلَّام : لو حلفتُ أن مجنون بني عامرٍ لم يكن مجنوناً لَصَدَقتُ ، ولكن تَوَلُّهُ[1] لما زُوِّجت ليلى وأيقنَ اليأسَ منها ، ألم تسمعْ إلى قوله :

أيا ويحَ مَنْ أمسى تُخُلِّسَ عَقلُه ... فأصبح مذهوباً به كلَّ مذهبِ
خَليعاً مِنَ الخُلَّانِ إلا مُجامِلاً ... يُساعِدني مَنْ كان يَهْوَى تَجَنُّبي
إذا ذُكِرَتْ ليلى عَقَلتُ وراجَعَتْ ... عَوازِبُ قلبي مِنْ هَوًى مُتَشَعِّبِ

قال : وأنشدنا له ايضاً :

صوت

وشُغِلتُ عن فهم الحديثِ سِوَى ... ما كان فيكِ فإنه شُغْلي
وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثي لِيَرَى ... أن قد فهمتُ وعِندكم عَقْلي

ليلى أم مالك :

أخبرني ابنُ المرزُبان عن محمد بن الحسن بن دينار الأحول عن عليّ بن المُغيرة الأثرم عن أبي عُبيدة :

أنّ صاحبةَ مجنونِ بني عامرٍ التي كَلِفَ بها ليلى بنتُ مَهْدِيّ بن سَعْد بن مهديّ ابن الحريش ، وكنيتها أمّ مالكٍ ، وقد ذكر هذه الكنيةَ المجنونُ في شعره فقال :

تكادُ بلادُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ ... بما رَحُبَتْ يوماً عليَّ تَضِيقُ

وقال أيضاً :

فإنّ الذي أمّلتُ مِن أمّ مالكٍ ... أشابَ قَذالي[2] واستهامَ فُؤادِيا
خليليَّ أن دارَتْ على أمّ مالكٍ ... صُروفُ الليالي فابغيا ليَ ناعيا

(١) توله : ذهب عقله من شدة الوجد .
(٢) القذال : جماع مؤخر الرأس .

وقال أبو عَمْرو الشيبانيّ : عَلِقَ المجنون ليلى بنتَ مهديّ بن سعد من بني الحَرِيش ، وكنيتُها أمُّ مالكٍ ، فَشُهِرَ بها وعُرِفَ خبرُه فَحُجِبَتْ عنه ، فشقّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوّجه إياها ، فاشتدّ به الامرُ حتى جُنَّ وقيل له : « مجنونُ بني عامر » ، فكان على حاله يجلس في نادي قومه فلا يفهمُ ما يُحَدَّثُ به ولا يعقِلُه إلا إذا ذُكِرَت ليلى . وأنشد له أبو عمرو :

صوت

مناجاة :

ألا ما لِليلى لا تُرَى عند مَضْجَعي ... بليلٍ ولا يَجْري بذلك طائرُ
بَلى إنّ عُجْمَ الطيرِ تَجري إذا جرَتْ ... بليلى ولكن ليس للطيرِ زاجرُ
أزالَتْ عن العهد الذي كان بيننا ... بِذي الأثْلِ أم قد غيّرَتْها المقادِرُ
فواللهِ ما في القرب لي منكِ راحةٌ ... ولا البعدُ يُسليني ولا أنا صابرُ
وواللهِ ما أدري بأيّةِ حيلةٍ ... وأيّ مرامٍ أو خِطارٍ[1] أخاطرُ
وتاللهِ إنّ الدهرَ في ذاتِ بيننا ... عليّ لها في كل حالٍ لجائرُ
فلو كنتِ إذ أزمعتِ هجري تركتِني ... جميعَ[2] القُوى والعقلُ منيَ وافرُ
ولكنّ أيامي بحَقْلٍ[3] عُنَيْزَةٍ ... وبالرَّضْم أيامٌ جناها التجاوُرُ
وقد أصبح الودُّ الذي كان بيننا ... أمانيَّ نفسٍ والمؤمّل حائرُ
لَعَمْري لقد رنَّقْتِ[4] يا أمَّ مالكٍ ... حياتي وساقتني اليكِ المقادرُ

قال ابو عمرو : وأخبرني بعض الشاميين قال : دخلتُ ارض بني عامر ، فسألت

---

(١) الخطار : مصدر خاطر بمعنى راهن .
(٢) جميع : مجتمع .
(٣) الحقل : المزرعة ويطلق على الموضع البكر الذي لم يزرع فيه قط. وعنيزة موضع بين البصرة ومكة. والرضم : موضع على ستة اميال من زُبالة. وزبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة .
(٤) رنقت : كدرت، والترنيق كما يطلق على التكدير يطلق على ضدّه الذي هو التصفية .

عن المجنون الذي قتله الحبُّ، فخبَّروني عنه أنه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلى، رَبا معها ثم حُجِبَتْ عنه، فاشتدَّ ذلك عليه وذهب عقله، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يصنع بنفسه، فقال:

صوت

يا صاحبيَّ ألمَّا بي بمنزلةٍ | قد مرَّ حينٌ عليها أيَّما حينِ
في كل منزلةٍ ديوانُ معرفةٍ | لم يُبقِ باقيةً ذِكرُ الدواوينِ
إني أرى رجعاتِ الحبِّ تقتُلني | وكان في بدئها ما كان يكفيني

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل.

قيس الهائم على وجهه:

أخبرني هاشمُ الخزاعيِّ عن الرِّياشي قال:

ذكر العُتْبيّ عن أبيه قال: كان المجنونُ في بدء أمره يَرى ليلى ويألفها ويأنَسُ بها ثم غُيِّبَتْ عن ناظره، فكان أهله يُعَزُّونه عنها ويقولون: نُزَوِّجك أنفسَ جاريةٍ في عشيرتك، فيأبى إلا ليلى ويهذي بها ويذكرها وكان ربما هاج عليه الحزن والهمُّ فلا يملكُ مما هو فيه أن يهيمَ على وجهه، وذلك قبل أن يتوحَّشَ مع البهائم في القفار، فكان قومُه يلومونه ويَعذلُونه، فأكثروا عليه في الملامة والعَذَل يوماً فقال:

صوت

يا للرِّجالِ لهمٍّ بات يعروني | مُستطرَفٍ وقديمٍ كان يعنيني
على غريمٍ مَليءٍ غيرِ ذي عُدُمٍ | يأبى فيمطُلُني دَيْني ويلويني[1]

---

(١) الغريم: الدائن. يلويني: يمطلني.

لا يذكرُ البعضَ من ديني فيُنكره ... ولا يُحدِّثني أن سوف يقضيني
وما كشُكرِيَ شُكرٌ لو يوافقني ... ولا مُنًى كمُناهُ إذ يُمَنّيني
أطعتُه وعَصيتُ الناس كُلَّهُمُ ... في أمره ثم يأبى فهو يعصيني
خيري لمن يبتغي خيري ويأمُلُهُ ... من دون شرّي وشرّي غيرُ مأمونِ
وما أشاركُ في رأيي أخا ضَعَفٍ ... ولا أقول أخي مَن لا يواتيني

في هذه الابيات هزَجٌ طُنبوريّ للمسدودِ من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : حدّثني رَباح العامريّ قال : كان المجنونُ أوّل ما عَلِق ليلى كثيرَ الذّكر لها والإتيان بالليل اليها ، والعربُ ترى ذلك غير منكرٍ أن يتحدّثَ الفتيانُ الى الفتيات ، فلما علِم أهلُها بعشقه لها منعوه من إتيانها وتقدّموا اليه ، فذهب لذلك عقلُه ويئسَ منه قومهُ واعتنوا بأمره ، واجتمعوا اليه ولاموه وعذَلوه على ما يصنعُ بنفسه ، وقالوا : والله ما هي لك بهذه الحال ، فلو تناسيتَها رَجَونا أن تَسلوَ قليلاً ، فقال لمّا سمع مقالتهم وقد غلب عليه البكاء :

صوت

فواكبِدا من حُبِّ من لا يُحِبُّني ... ومن زَفَراتٍ ما لهنّ فناءُ
أرَيتكِ[1] إن لم أُعطكِ الحبَّ عن يدٍ[2] ... ولم يكُ عندي إذ أبيتِ إباءُ
أتارِكَتي للموت أنتِ فميّتٌ ... وما للنفوس الخائفاتِ بقاءُ

ثم أقبل على القوم فقال : إن الذي بي ليس بهيّنٍ ، فأقلُّوا من ملامكم فلستُ بسامعٍ فيها ولا مُطيعٍ لقول قائلٍ .

نهاري نهار الناس :

أخبرني عمّي ومحمدُ بنُ حبيبَ وابنُ المرزُبانِ عن عبد الله بن أبي سعْد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دأبٍ عن رَباح بنِ حبيب العامريّ :

---

(١) أريتك : أصله أرأيتك كلمة تقولها العرب للاستخبار بمعنى أخبرني .
(٢) عن يد : عن انقياد واستسلام .

أنه سأله عن حالِ المجنون وليلى ، فقال : كانتْ ليلى من بني الحَريش وهي بنت مَهديّ بن سعيد بن مهديّ بن ربيعة بن الحَريش ، وكانت من أجمل النساء وأظرَفِهنّ وأحسَنِهنّ جسماً وعقلا وأفضلِهنّ أدباً وأملَحِهنّ شكلا ، وكان المجنون كَلِفاً بمحادثة النساء صبّاً بهنّ ، فبلغه خبرُها ونُعِتَتْ له ، فصبا اليها وعزم على زيارتها ، فتأهبَ لذلك ولبس أفضل ثيابه ورجّلَ جُمّتَه[١] ومسّ طيباً كان عنده ، وارتَحَلَ ناقةً له كريمةً برحْلٍ حسنٍ وتقلّد سيفَهُ وأتاها ، فسلّم فردّت عليه السلام وتَحَفّتْ في المسألة[٢] ، وجلس اليها فحادثَتْهُ وحادثها فأكثرا ، وكلٌّ واحدٍ منهما مُقبِلٌ على صاحبِهِ مُعجبٌ بهِ ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف الى اهله فبات بأطولِ ليلةٍ شوقاً اليها ، حتى إذا أصبح عاد اليها فلم يزل عندها حتى امسى ، ثم انصرف الى أهله فبات بأطولَ من ليلتهِ الاولى واجتهد أن يُغمِضَ فلم يقدر على ذلك ، فأنشأ يقول :

نهاري نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ... ليَ الليلُ هزّتني اليكَ المضاجعُ
أُقضّي نهاري بالحديث وبالمُنى ... ويجمَعُني والهمّ بالليل جامعُ
لقد ثَبتَتْ في القلب منكِ محبّةٌ ... كما ثبتَتْ في الراحتينِ الاصابعُ

— عَروضه من الطويل . والغناء لابراهيم الموصليّ رمل بالوُسطى عن عمرو — قال : وأدام زيارتها وتركَ مَن كان يأتيه فيتحدثُ اليهِ غيرها ، وكان يأتيها في كلّ يوم فلا يزال عندها نهاره أجمعَ حتى إذا أمسى أنصرف ، فخرج ذات يومٍ يريد زيارتها فلما قَرُبَ من منزلها لقيَتْهُ جاريةٌ عسْراء[٣] فتطيّر منها ، وأنشأ يقول :

وكيف يُرَجّى وصلُ ليلى وقد جرى ... بجَدِّ[٤] القوى والوصلِ أعسرُ حاسرُ[٥]

---

(١) الجمة : مجتمع شعر الرأس .
(٢) تحفّت بالمسألة : بالغت في ملاطفته والسؤال عنه .
(٣) أي شؤم .
(٤) الجدّ : القطع . والقوى : جمع قوّة وهي الطاقة الواحدة من طاقات الحبل .
(٥) الحاسر : الكاشف يوصف به الرجل والمرأة ، يقال : امرأة حاسر بغير هاء اذا حسرت عنها درعها ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين : حاسر .

صَديعُ(١) العصا صَعبُ المرام إذا انتحى لوصل امرىءٍ جُدَّتْ عليهِ الاواصر(٢)

ثم سار اليها في غدٍ فحدَّثها بقصته وطِيرَتِهِ بمن لقيه، وأنه يخاف تغيُّرَ عهدها وانتكاثه وبكى، فقالت: لا تُرَعْ(٣)، حاش للهِ من تغيُّرِ عهدي، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء اللهُ، فلم يزل عندها يحادثها بقية يومه، ووقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه، فجاءها يوماً كما كان يجيء، وأقبل يحدّثها فأعرضت عنه، وأقبلت على غيره بحديثها، تريد بذلك مِحْنَتَه وان تعلم ما في قلبه، فلما رأى ذلك جَزِعَ جَزَعاً شديداً حتى بان في وجهه وعُرِفَ فيه، فلما خافَتْ عليه أقبلَتْ عليه كالمُسِرَّةِ اليه فقالت:

كِلَانا مُظهرٌ للناس بغضا وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

فَسُرِّيَ(٤) عنه وعلم ما في قلبها، فقالت له: إنما أردتُ أن أمتحِنَكَ والذي لكَ عندي أكثرُ من الذي لي عندكَ، وأعطي اللهَ عهدا إن جالستُ بعد يومي هذا رجلاً سواكَ حتى أذوقَ الموتَ إلا أن أُكرَه على ذلك، قال: فانصرفَتْ عنه وهو من أشدِّ الناس سروراً واقرّهم عينا. وقال:

أظُنُّ هواها تاركي بِمَضَلَّةٍ(٥) من الارض لا مالٌ لديَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضي إليه وصيَّتي ولا صاحبٌ الا المطيَّةُ والرَّحلُ
مَحا حبُّها حبَّ الأُلى كُنَّ قبلها وحَلَّتْ مكانا لم يكن حُلَّ مِنْ قبلُ

بعد ان تزوجت:

أخبرني جعفرُ بن قُدامةَ عن أبي العَيْناء عن العُتْبيِّ قال:

(١) من الصدع بمعنى الشق وهو كناية عن الفراق. قال العرب: العصا تضرب مثلاً للاجتماع ويضرب انشقاقها مثلاً للافتراق الذي لا يكون بعده اجتماع، وذلك لأنها لا تدعى عصا اذا انشقت.

(٢) الأواصر: جمع آصرة وهي ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف.

(٣) لا ترع: لا تخف ولا يلحقك فزع.

(٤) أي انجلى همه وانكشف.

(٥) المضلة: بفتح الضاد وكسرها: الارض التي يضل فيها.

لما حُجبتْ ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضَهم أهلها ، وخطبها رجل من ثقيفٍ موسِرٌ فزوّجوه وأخفَوْا ذلك عن المجنون ثم نُمي إليه طَرَفٌ منه لم يتحقّقه، فقال :

دعوتُ إلهي دعوةً ما جهلتُها ... وربي بما تُخفي الصدورُ بصيرُ
لئن كنتَ تُهدي بردَ أنيابها العلا ... لأفقرَ مني إنني لفقيرُ
فقد شاعتِ الاخبارُ أنْ قد تزوّجتْ ... فهل يأتيَنِّي بالطلاق بشيرُ

وقال أيضاً :

ألا تِلكَ ليلى العامِريّةُ أصبحَتْ ... تَقطَّعُ إلا من ثَقيفٍ حِبالُها
همُ حبَسوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابْتَغى ... بها المالَ أقوامٌ ألا قلَّ مالُها
إذا التفتتْ والعِيسُ صُعْرٌ[1] من البُرَى ... بنخلةَ جلّتْ عبرةَ العينِ حالُها

قال : وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفِتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه :

صوت

ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزُوره ... وإن حَلَّه شخصٌ إليَّ حبيبُ
هجرتُكَ إشفاقاً وزرتُك خائفاً ... وفيك عليَّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستعتِبُ الايامَ فيكَ لعلَّها ... بيومِ سُرورٍ في الزمان تؤوبُ

الغناء لعَريبَ ثاني ثقيلٍ بالوسطى . قال : وبلغه أن أهلها يريدون نقلها الى الثَّقفيّ فقال :

صوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى ... بليلى العامريّةِ أو يُراحُ

(١) صعر : جمع أصعر من الصعر وهو ميل في العنق . والبرى : جمع برة وهي الحلقة تجعل في أحد جانبي منخر البعير . ونخلة : اسم موضع .

قَطَاةٌ عَزَّها[1] شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَناحُ

– عَرُوضه من الوافر . الغناء لابن المكيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وفيه خفيفُ ثقيل آخر لسُلَيمان مطلقٌ في مجرى البِنْصر ، وفيه لإبراهيم رَمَلٌ بالوُسطى في مجراها عن الهِشَاميّ – قال : فلما نُقِلَتْ ليلى إلى الثَّقفيّ قال :

طربت وشاقتك الحمول الدوافع :

طَرِبتَ وشاقتكَ الحُمُولُ[2] الدَّوافعُ غَداةَ دعا بالبينِ أَسْفَعُ[3] نازعُ
شَحَا[4] فَاهُ نَعباً[5] بالفراق كأنه حَرِيبٌ[6] سليبٌ نازحُ الدار جازعُ
فقلتُ ألا قد بَيَّنَ الامرُ فانصرفْ فقد راعنا بالبينِ قبلكَ رائعُ
سُقِيتَ سُمُوما من غراب فإنّني تبيَّنتُ ما خبَّرتَ مذ أنتَ واقعُ
ألم تَرَ أنّي لا مُحِبٌّ ألومُه ولا بِبديلٍ بعدهم أنا قانعُ
وقد يتناءى الإلفُ من بعد ألفةٍ ويصدَعُ ما بين الخليطين صادِعُ
وكم من هَوًى أو جيرةٍ قد ألِفتُهم زمانا فلم يمنعهمُ البينَ مانعُ
كأنّي غداةَ البينِ مَيْتٌ جوبةٍ[7] أخو ظمإٍ سُدَّتْ عليه المشارِعُ
تَخَلَّسَ[8] من أوشالِ[9] ماءٍ صُبابَةً فلا الشُّربُ مبذولٌ ولا هو ناقِعُ[10]

(١) عزها : غلبها .
(٢) الحمول : في الأصل الهوادج واحدها حمل ثم اتسع فيها وصارت تستعمل في الابل التي عليها الهوادج . والدوافع : المتدفعة في السير .
(٣) الأسفع : الاسود . والنازع : المسرع . والمراد بالأسفع النازع «الغراب» .
(٤) شحا فاه يشحوه ويشحاه : فتحه .
(٥) نعباً : صياحاً وتصويتاً .
(٦) الحريب : من سلب حريبته وهي ماله الذي يقوم به أمره .
(٧) الجوبة : فضاء أملس سهل بين أرضين .
(٨) تخلس الشيء : انتهبه وأخذه خلسة .
(٩) الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل . والصبابة : بقية الماء تبقى في الاناء والسقاء .
(١٠) هو من نقع بمعنى روى .

وبيضٍ تَطَلَّى بالعَبيرِ كأنها ... نِعاجُ المَلا[١] جِيبَتْ[٢] عليها البراقِعُ
تحمَّلْنَ من وادي[٣] الأراكِ فأومَضَتْ ... لهنَّ بأطراف العيون المدامِعُ
فما رِمْنَ[٤] ربعَ الدار حتى تشابهتْ ... هجائنُها والجُونُ منها الخواضِعُ[٥]
وحتى حملنَ الحُورَ من كلِّ جانبٍ ... وخاضتْ سُدُولَ[٦] الرَّقْمِ منها الأكارِعُ[٧]
فلما استوتْ تحتَ الخدورِ وقد جرى ... عَبيرٌ ومسكٌ بالعرانينِ[٨] رادِعُ[٩]
أشرْنَ بأن حُثُّوا الجمالَ فقد بدا ... من الصيفِ يومٌ لافحُ الحرِّ ماتِعُ
فلما لَحِقْنا بالحمول تباشرَتْ ... بنا مُقْصِراتٌ[١٠] غاب عنها المطامِعُ
يُعرِّضنَ بالدَّلِّ المَليحِ وإن يُرِدْ ... جَناهُنَّ مشغوفٌ فهنَّ موانِعُ
فقلتُ لأصحابي ودَمعِيَ مُسْبَلٌ ... وقد صَدعَ الشملَ المشتَّتَ صادِعُ
أليلى بأبواب الخدورِ تعرَّضَتْ ... لِعَيْنَيَّ أم قرنٌ من الشمس طالِعُ

المجنون وهديل الحمام :

أخبرني عيسى الحُسينُ الورّاق قال حدّثنا الهَيْثَمُ بنُ فِراسٍ قال حدّثني العُمَريُّ عن الهَيْثم بنِ عَدِيّ :

أنّ أبا المجنون حجّ به لِيدعوَ الله عزّ وجلّ في الموقف أن يُعافيَه ، فسار ومعه ابنُ عمه زيادُ بنُ كعب بن مُزاحِم ، فمرّ بحمامة تدعو[١١] على أيكة فوقف يبكي ، فقال له زياد : أيّ شيء هذا ؟ ما يُبكيك أيضاً ؟ سر بنا نلحقِ الرُّفقةَ ، فقال :

(١) الملا : الصحراء .
(٢) أي قطعت .
(٣) هو واد قرب مكة .
(٤) ما رِمْن : ما برحن .
(٥) الهجائن والجون الخواضع : الابل .
(٦) السدول : جمع سديل وهو ما يجلل به الهودج من الثياب .
(٧) الاكارع : قوائم الدابة .
(٨) العرنين : الأنف .
(٩) قميص مردوع : فيه أثر الطيب والزعفران .
(١٠) مقصرات : داخلات في القصر وهو عند العرب العشي .
(١١) تدعو : تصوّت وتنوح .

أألن هتفت يوما بوادٍ حمامةٌ ... بكيتَ ولم يَعذِرك بالجهل عاذرُ
دعتْ ساقَ حُرٍّ[١] بعد ما علتِ الضُّحى ... فهاج لكَ الاحزانَ أن ناحَ طائرُ
تُغني الضُّحى والصُّبحَ في مُرجَحِنّةٍ[٢] ... كِثافِ الأعالي تحتها الماءُ حائرُ[٣]
كأن لم يكن بالغَيْل[٤] أو بطنِ أَيْكةٍ[٥] ... أو الجِزْعِ من تولِ[٦] الأشاءةِ حاضرُ
يقول زيادٌ إذ رأى الحيَّ هجَّروا[٧] ... أرى الحيَّ قد ساروا فهل أنتَ سائرُ
وإنّي وإن غالَ[٨] التقادمُ حاجتي ... مُلِمٌّ على أوطان ليلى فناظرُ

جبل التوباد :

أخبرني ابن أبي الأزهر عن الزُّبير عن محمد بن عبدالله البَكري عن موسى ابن جعفر بن أبي كثير وأخبرني عمي عن ابن شَبيب عن الفروي عن موسى ابن جعفر بن أبي كثير وأخبرني ابنُ المَرْزُبان عن ابن الهَيثم عن العُمري عن العُتْبي قالوا جميعاً :

كان المجنونُ وليلى وهما صَبيّانِ يَرعَيانِ غنماً لاهلهما عند جبلٍ في بلادهما يقال له التَّوْباد، فلما ذهب عقلهُ وتوحّشَ، كان يجيء إلى ذلكَ الجبلِ فيقيمُ به، فإذا تذكّر أيامَ كان يُطيفُ هو وليلى به جَزِعَ جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتيَ نواحيَ الشامِ، فإذا ثاب اليه عقلُه رأى بلداً لا يعرفه فيقولُ للناس الذين يلقاهم : بأبي أنتم، أين التَّوبادُ من أرض بني عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بني عامر ! أنت بالشام عليك بنجم كذا فأُمَّه، فيمضي على وجهه نحوَ ذلك

(١) ساق حرّ : أصله صوت القماري ، ويطلق على الذكر من القماري تسمية له باسم صوته وهو المراد هنا .
(٢) المرجحنة : المهتزّة المتمايلة .
(٣) حائر : متردّد .
(٤) الغيل : اسم لعدة مواضع .
(٥) الأيكة : الغيضة الملتفة الاشجار .
(٦) الجزع : اسم موضع . وتول الاشاءة : صغار النخل .
(٧) هجروا : ساروا في وقت الهاجرة .
(٨) غال الشيء : ذهب به .

النجم حتى يقعَ بأرض اليمن، فيَرى بلاداً يُنكِرها وقوماً لا يَعرِفهم فيسألهم عن التَّوباد وارض بني عامر، فيقولون: وأين أنتَ من أرض بني عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوبادِ، فإذا رآه قال في ذلك:

وأجْهَشْتُ[1] للتَّوبادِ حين رأيتُه ... وكَبَّرَ للرحمن حين رآني

وأذرفتُ دمعَ العين لمّا عرفتُه ... ونادى بأعلى صوته فدعاني

فقلتُ له قد كان حولكَ جيرةٌ ... وعهدِي بذاكَ الصَّرم منذ زمانِ

فقال مَضَوا واستودعوني بلادَهم ... ومَنْ ذا الذي يبقى على الحدَثانِ

وإني لأبكي اليومَ من حَذَري غداً ... فِراقَكَ والحيَّانِ مُجتَمِعانِ

سِجَالًا وتَهْتَاناً[2] ووَبْلًا وديمَةً ... وسَحّاً وتَسْجَاماً[3] الى هَمَلانِ[4]

ذهاب عقله:

أخبرني عمي عن ابن شَبيب عن هارونَ بنِ موسى الفَرْوِيّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثير قال: لما قال المجنونُ:

خليليَّ لا واللهِ لا أملكُ الذي ... قضى اللهُ في ليلى ولا ما قَضى لِيَا

قضاها لغيري وابتلاني بحبِّهـا ... فهلّا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانِيَا

سُلِبَ عَقلُهُ.

وحدَّثني جحظةُ عن ميمون بن هارونَ عن إسحاقَ الموصليّ أنه لما قالها بَرِصَ.

يهتف بليلى:

قال موسى بن جعفر في خبره المذكور: وكان المجنونُ يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح: يا ليلى في ليلةٍ ظلماء أو توهَّم ذلكَ، فقال لبعض مَنْ معه: أما

(١) أجهشت: تهيأت للبكاء.
(٢) يقال: هتنت السماء تهتن هتناً وتهتاناً أي صبت.
(٣) يقال: سجَّمت السحابة مطرها تسجيماً وتسجاماً اذا صبته.
(٤) الهملان: فيض العين بالدموع.

تسمعُ هذا الصوتَ ؟ فقال : ما سَمِعْتُ شيئاً ، قال : بلى ، واللهِ هاتفٌ يهتفُ بليلى ، ثم أنشأ يقول :

أقولُ لأدنَى صاحِبَيَّ كُلَيْمَـةً أسِرَّتْ من الأقصى أجِبْ ذا المنادِيا
إذا سِرْتُ في الارضِ الفَضاءِ رأيتُني أصانِـعُ رَحْلي أن يَميلَ حِيالِيا
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن شِمالاً يُنازِعْني الهوَى عن شِمالِيا

وقال ابنُ شَبيبٍ وحدَّثني هـارونُ بنُ موسى قال : قلتُ لِعُزَيْزِ بنِ طلحةَ المخزوميِّ : مَن أشعرُ الناس ممن قال شعراً في مِنًى ومكّةَ وعرفاتٍ ؟ فقال : أصحابنا القُرَشِيُّون ، ولقد أحسن المجنونُ حيث يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ من مِنًى فهيَّجَ أحزانَ الفـؤادِ وما يدرِي
دعا باسم ليـلى غيرَها فكأنما أطارَ بليلى طائراً كان في صدرِي

فقلت له : هل تَروِي للمجنون غيرَ هذا ؟ قال : نعم ، وأنشدني له :

أما والذي أرْسَى ثَبِيرًا مكانه عليـه السَّحابَ فوقه يتنصَّبُ[1]
وما سَلَكَ المَوْماةَ[2] من كلِّ جَسْرَةٍ[3] طليحٍ[4] كجفنِ السّيفِ تَهْوِي فتُركَبُ
لقد عِشْتُ مِنْ ليلى زمانا أُحِبُّها أخا الموت إذ بعضُ المحبين يكذِبُ

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد عن أبيه قال : كانت كنيةُ ليلى أمَّ عمرو ، وأنشدَ للمجنون :

---

(١) يتنصب : يرتفع .
(٢) الموماة : الفلاة .
(٣) ناقة جسرة : ماضية في سيرها .
(٤) طليح : الناقة التي جهدها السير وهزلها .

صوت

أبى القلبُ إلا حُبَّهُ عامريَّةً ... لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو
تكادُ يدِي تَندَى إذا ما لمستُها ... وينبُتُ في أطرافها الورَقُ الخُضرُ

الغناء لعريبَ ثقيلٌ أولُ، وقال حبش: فيه لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ.

داء قديم:

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن دماذ عن ابي عُبيدَة قال: خطب ليلى صاحبةَ المجنون جماعةٌ من قومها فكرِهَتْهم، فخطبها رجلٌ من ثَقيف موسرٌ فرضيَتْهُ، وكان جميلًا فتزوّجها وخرج بها، فقال المجنونُ في ذلك:

ألا إنّ ليلى كالمَنيحةِ[1] أصبحتْ ... تَقطَّعُ إلا من ثقيفٍ حِبالُها
فقد حبسوها مُحبَسَ البُدْنِ وابتغَى ... بها الربحَ أقوامٌ تَساحتَ[2] مالُها
خليليّ هل مِنْ حيلةٍ تعلمانِها ... يُدنِّي لنا تكليمَ ليلى احتيالُها
فإن أنتما لم تَعلَماها فلستُما ... بأوّلِ باغٍ حاجةً لا ينالُها
كأنّ مع الركب الذين اغتَدَوْا بها ... غمامةَ صيفٍ زعزعَتها شَمالُها
نظرتُ بمُفضى سَيلِ جَوشَنَ إذ غدَوْا ... تَخُبُّ بأطراف المَخارِمِ[3] آلُها
بشافيةِ الاحزان هيَّج شوقَها ... مُجامَعَةُ الأُلّافِ ثم زِيالُها
إذا التفتتْ من خَلفِها وهي تَعتَلي ... بها العيسُ جَلّى عَبْرَةَ العينِ حالُها

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعلبٌ عن أبي نصر أحمدَ بن حاتم قال: وأنشدناه المبرّد للمجنون فقال:

---

(١) المنيحة: الشاة او الناقة يعطيها صاحبها رجلًا يشرب لبنها ثم يردها اذا انقطع اللبن.
(٢) يقال أسحت ماله: استأصله وأفسده.
(٣) المخارم: الطرق في الجبال أو الرمل.

صوت

وأَحبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ ... بِذِكْراكِ والْمَمْشى إليكِ قريبُ
مخافةَ أن تسعى الوُشاةُ بِظِنَّةٍ ... وأَحرُسُكُم ان يستريبَ مُريبُ
فقد جعلتْ نفسي – وأنتِ اجترمته ... وكنتِ أعزَّ الناسِ – عنكِ تَطيبُ
فلو شئتِ لم أَغضَبْ عليكِ ولم يزل ... لكِ الدهرَ منّي ما حييتُ نصيبُ
أما والذي يَبلو السرائرَ كلَّها ... ويعلَمُ ما تُبْدي به وتَغيبُ
لقد كنتِ ممن تَصطفي النفسُ خُلّةً ... لها دون خُلّانِ الصَّفاء حُجوبُ

ذكر يحيى المكّيّ أنه لابن سُرَيج ثقيل أوّل، وقال الهشاميّ: إنه من منحول يحيى إليه.

ظل النسوة في القمر:

أخبرني الحَرَميّ بن ابي العَلاء، قال حدّثني الحَسَن بن محمد بن طالب الدِّيناري قال حدّثني إسحاق الموصليّ، وأخبرني به محمد بن مَزْيد والحُسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن ابيه قال حدّثني سَعيد بن سُلَيمان عن ابي الحسن البَبَّغاء قال:

بينا انا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً، إذا بظل نسوة في القمر، فسمعتُ إحداهنّ تقول: أهو هو؟ فقالت لها أخرى معها: إي والله إنه لهو هو!

فدنت منّي ثم قالت: يا كهلُ، قل لهذا الذي معك:

ليستْ لياليكَ في خاخٍ بعائدةٍ ... كما عهدتَ ولا أيام ذي سَلَمِ

فقلت: أَجِبْ فقد سمعتَ، فقال: قد والله قُطِعَ بي وأرتج عليّ فأجِبْ عنّي، فقلت:

فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ ... اذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

ثم مضينا حتى اذا كنّا بمَفرَق طريقين مضى الفتى الى منزله ومضيتُ الى منزلي، فإذا انا بجويريةٍ تجذب ردائي فالتفتُّ، فقالت لي: المرأة التي كلمتَها تدعوكَ، فمضيتُ معها حتى دخلتُ دارا واسعة ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ، وقد ثُنِتْ لي وسادةٌ فجلستُ عليها، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثنيةٍ فطرحتها، ثم جاءت المرأةُ فجلستْ عليها، فقالت لي: أنت المجيبُ؟ قلت: نعم، قالت: ما كان أفظَّ جوابكَ واغلظَه! فقلت لها: ما حضرني غيرُه، فسكتَتْ، ثم قالت: لا، والله ما خلق الله خلقاً أحبَّ إليَّ من أنسان كان معكَ! فقلت لها: أنا الضامن لكِ عنهُ ما تُحبّينَ، فقالت: هيهاتَ أن يقع بذلك وفاءٌ، فقلت انا الضامن وعليَّ ان آتيَكِ به في الليلة القابلة فانصرفتُ، فاذا الفتى ببابي، فقلتُ: ما جاء بكَ؟ قال: ظننتُ أنها سَتُرسل اليكَ وسألتُ عنكَ فلم اعرف لك خبراً، فظننت انكَ عندها، فجلستُ انتظركَ، فقلت له: وقد كان الذي ظننتَ، وقد وعدتُها ان آتيَكِ فأمضيَ بكَ اليها في الليلة المقبلة، فلما اصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساء، فلما جاء الليلُ رَحلنا اليها، فإذا الجاريةُ منتظرةٌ لنا، فمضت امامنا حين رأتنا حتى دخلتُ تلك الدارَ ودخلنا معها، فإذا رائحةٌ طيبة ومجلسٌ قد أُعِدَّ ونُضِد، فجلسنا على وسائدَ قد ثُنيتْ وجلستْ مَلياً ثم اقبلتْ عليه فعاتبتهُ ملياً ثم قالت:

صوت

وأنتَ الذي أخلفتَني ما وعدتَني وأشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلومُ
وأبرزتَني للناس ثم تركْتَني لهم غَرَضاً أُرمَى وأنتَ سليمُ
فلو كان قولٌ يَكلُمُ الجلد قد بدا بجِلْدِيَ من قول الوشاة كُلُومُ

هذه الابيات لأُميمة امرأة ابن الدُّمينةِ، وفيها غناء لابراهيم الموصليّ ذكره إسحاق ولم يُجنِّسه. وقال الهشاميّ: هو خفيفُ رملٍ، وفيهِ لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل يُنسب إلى حَكَم الوادي وإلى يعقوبَ. قال: ثم سكتَتْ وسكت الفتى هُنَيهَةً ثم قال:

غَدَرْتِ ولم أغدِر وخُنْتِ ولم أَخُنْ ... وفي بعض هــذا للمحبّ عَزَاء
جزيتُكِ ضِعْفَ الودّ ثم صَرَمْتني ... فحُبُّكِ من قلبي اليــكِ أداء

فالتفتت إليّ فقالت : ألا تسمع ما يقول ! قد خبرتُكَ ، فغمزتهُ أن كُفَّ فكفَّ ، ثم أقبلتْ عليه وقالت :

صوت

تجاهَلْتَ وَصلي حينَ جَدَّتْ عَمَايتي ... فهلّا صرَمْتَ الحبلَ إذ أنا أبصِرُ
ولي من قُوَى الحبل الذي قد قطعتَه ... نصيبٌ وإذ رأيي جميــعٌ مُوَفَّرُ
ولكنما آذنتَ بالصَّرْم بغتَــةً ... ولستُ على مثل الذي جئتَ أقدِرُ

الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو — فقال :

لقد جعلتْ نفسي — وأنتِ اجترمتِه ... وكنت أعزَّ الناس — عنكِ تطيبُ

قال : فبكت ، ثم قالت : أو قد طابتْ نفسُك ! لا ، والله ما فيك بعدها خير ، ثم التفتت إليّ وقالت : قد علمتُ أنك لا تفي بضمانك ولا يفي به عنك . وهذا البيت الاخير للمجنون ، وإنما ذُكِر هذا الخبرُ هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه .

رجع الخبر الى سياقةِ أخبار المجنون

مر ولم يلمم بليلى :

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرَنيّ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ أن رهطَ المجنون اجتازوا في نُجْعَةٍ[١] لهم بحيّ ليلى ، وقد جمعتْهم نُجعةٌ فرأى أبياتَ أهل ليلى ولم يُقْدِم على الالمام بهم وعدَلَ أهله إلى جهة أخرى ، فقال المجنونُ :

(١) النجعة عند العرب : الذهاب في طلب الكلإ والعشب في موضعه .

لعمرُكَ إنّ البيتَ بالقَبَلِ[١] الذي مررتُ ولم أُلمِمْ عليه لَشائِقُ
وبالجِزْعِ[٢] مِن أعلى الجنينةِ منزلٌ شَجا حَزَنٍ صدري به مُتَضايِقُ
كأني إذا لم ألقَ ليلى مُعَلَّقٌ بسِبَّينِ[٣] أَهفُو[٤] بين سَهلٍ وحالِقِ[٥]
على أنني لو شئتُ هاجت صبابتي عليّ رسومٌ عيّ فيها التناطُقُ
لَعَمْرُكَ إن الحبّ يا أُمَّ مالكٍ بقلبي يراني اللهُ منه للاصِقُ
يَضمُّ عليّ الليلُ أطرافَ حُبِّكم كما ضمّ أطرافَ القميصِ البنائقُ

صوت

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا إنني لكِ عاشِقُ
نَعَم صدق الواشون أنتِ حبيبةٌ إليّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائقُ

الغناء لمتيَّمَ ثقيلٌ أوّلُ من جامعها . وفيه لدعامةَ رملٌ عن حَبَشٍ .

حديث ليلى مع جارتها :

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدّثني أحمدُ بن الطَّيِّب قال قال ابن الكلبيّ : دخلَتْ ليلى على جارة لها من عُقَيلٍ وفي يدها مِسْواكٌ تَستاكُ به ، فتنفّستْ ثم قالت : سقى الله من أهدى لي هذا المِسْواكَ ؛ فقالت لها جارتُها : مَنْ هو ؟ قالت : قيسُ بنُ الملوّح ، وبكت ثم نَزعتْ ثيابَها تغتسلُ ؛ فقالت : وَيْحَه ! لقد عَلِقَ منّي ما أهلكه مِنْ غير أن أستحقّ ذلك ، فنشدتُكِ اللهَ ، أصدَق في صفتي أم كذَب ؟ فقالت : لا والله ، بل صدق ؛ قال : وبلغ المجنونَ قولُها فبكى ثم أنشأ يقول :

---

(١) القبل : الناحية .
(٢) الجزع : منعرج الوادي ومنعطفه .
(٣) السب : الحبل كالسبب اي يذهب في الهواء .
(٤) أهفو : أذهب في الهواء .
(٥) الحالق : الجبل المرتفع .

نُبِّئْتُ ليلى وقد كنّا نبخِّلها قالت سقى المُزنُ غيثاً منزلا خربا
وحبَّذا راكبٌ كُنَّا نَهَشُّ به يُهْدي لنا من أراكِ الموسم القُضُبا
قالتْ لجارتها يوماً تُسائلُها لمَّا أستحَمَّتْ وألقتْ عندها السَّلبا[1]
يا عَمْرَكِ اللهَ ألا قلتِ صادقةً أَصَدَقَتْ صِفةُ المجنون أم كذبا

ويروى: «نشدتُكِ اللهَ» ويروى: «أصادقاً وصفَ المجنونُ أم كذبا».

ليلى تخرج مع زوجها:

وقال أبو نصر في أخباره: لما زُوِّجَتْ ليلى بالرجل الثقفيّ سمع المجنون رجلًا من قومها يقول لآخر: أنتَ ممن يُشَيِّعُ ليلى؟ قال: ومتى تخرج؟ قال: غداً، ضَحْوَةً أو الليلةَ، فبكى ثم قال:

صوت

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى بليلى العامريَّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتتْ تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

الغناء ليحيي المكيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وفيه رَمَلٌ ينسب إلى إبراهيمَ وإلى أحمد بن يحيي المكيّ؛ وقال حَبَش: فيه خَفيفُ ثقيلٍ لسُليم.

غريب الدار في ارض عامر:

وقال الهيثمُ بنُ عديّ في خبره: حدثني عبدالله بن عَيَّاش الهَمْدانيّ قال حدثني رجلٌ من بني عامر قال: مُطِرنا مَطرًا شديداً في ربيع أرتبعْناه، ودام المطرُ ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي، فرأيت رجلًا جالساً حَجْرةً[2] وحده فقصدتُه، فإذا هو المجنون جالسٌ وحدَه يبكي

(١) السَّلَبُ: كل ما على الانسان من ثياب.
(٢) حجرة: ناحية.

فوعظتُه وكلّمتُه طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إليَّ ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحُرقَته :

صوت

جَرَى السَّيلُ فاستبكانيَ السيلُ إذ جرى وفاضَتْ له من مُقلتَيَّ غُروبُ[1]
وما ذاكَ إلا حينَ أيقنتُ أنه يكون بوادٍ أنتِ فيه قريبُ
يكون أُجاجاً[2] دونكم فإذا انتهى إليكم تَلَقَّى طيبَكم فيطيبُ
أظَلُّ غريبَ الدارِ في أرض عامرٍ ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غَريبُ
وإن الكثيبَ الفردَ من أيمن الحمى إليَّ وإن لم آتــه لحبيبُ
فلَا خيرَ في الدنيا إذا أنتَ لم تَزُر حبيبا ولم يَطرَبْ إليكَ حبيبُ

وأوّل هذه القصيدة — وفيه أيضاً غناء — :

صوت

ألا أيها البيتُ الذي لا أزوره وهِجرانُه منّي إليه ذُنوبُ
هجرتُكَ مشتاقاً وزرتُكَ خائفاً وفيكَ عليَّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستَعْطِفُ الايامَ فيكَ لعلَّها بيوم سرورٍ في هواكَ تُثيبُ

هذه الابيات في شعر محمد بن أُمَيَّةَ مَرْويةٌ ، ورُوِيتْ ها هنا للمجنون . وفيها لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ ، ولعبدالله بن العباس ثاني ثقيلٍ ، ولاحمد بن المكيّ خفيفُ ثقيلٍ :

وأُفرِدْتُ إفرادَ الطريد وباعدتْ إلى النفس حاجاتٌ وهنَّ قريبُ

---

(١) غروب : دموع .
(٢) ماء أجاج : ملح مر .

لئن حـــال يأسٌ دون ليلى لربّما … أتى اليأسُ دون الامر فهو عَصيبُ
ومنّيتني حتى إذا مـــا رأيتني … على شَرَفٍ للنـــاظرين يُريبُ
صددْتِ وأشمَتِّ العدوَّ بصرْمنا … أثابكِ يا ليـــلى الجزاءَ مُثيبُ

عندما خر مغشياً على وجهه :

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلَّابيّ قال حدّثنا مَهْدِيّ بن سَابق قال حدّثنا بعضُ مشايخ بني عامر أن المجنون مرّ في توحّشه فصادف حيَّ ليلى راحلاً ولقيها فَجْأةً فعرفها وعرفته فصَعِقَ وخرّ مغشياً على وجهه، وأقبل فِتيانٌ من حيّ ليلى فأخذوه ومسحوا الترابَ عن وجهه، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تقفَ له وَقْفةً فرقّتْ لِمَا رأته به، وقالت أمّا هذا فلا يجوز أن أفتضحَ به، ولكن يا فلانةُ — لأَمَةٍ لها — اذهبي إلى قيس فقولي له : ليلى تقرأ عليك السلامَ، وتقول لكَ : أعززْ عليَّ بما أنتَ فيـــه، ولو وجدتُ سبيلاً إلى شفـــاء دائكَ لوقيتُكَ بنفسي منه، فمضتِ الوليدةُ إليه وأخبرته بقولها، فأفاقَ وجلس وقال : أبلغيها السلامَ وقولي لها : هيهاتَ ! إنّ دائي ودوائي أنتِ، وإنّ حياتي ووفاتي لفي يديكِ، ولقد وكّلتِ بي شقاءً لازماً وبلاءً طويلاً. ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لأصحابي هي الشمس ضوءُها … قريبٌ ولكن في تناوُلِهـــا بُعدُ
لقد عارضتْنا الريحُ منها بنفحةٍ … على كَبِدي من طيبِ أرواحها بَرْدُ
فـــا زلتُ مَغشِيّاً عليّ وقد مضتْ … أناةٌ[١] وما عندي جوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلَّبُ بالايدي وأهلي بِعَوْلَـــةٍ[٢] … يُفدُّونني لو يستطيعون أن يَفدُوا
ولم يبق إلا الجلدُ والعظمُ عاريا … ولا عظمَ لي إن دام ما بي ولا جِلدُ
أدُنيايَ ما لي في انقطاعي وغربتي … إليكِ ثوابٌ منكِ دَينٌ ولا نَقْدُ
عِديني — بنفسي أنتِ — وعداً فربّما … جلا كُربةَ المكروب عن قلبه الوعدُ

(١) أناة : انتظار .
(٢) العولة كالعول : رفع الصوت بالبكاء .

وقد يُبتلَى قومٌ ولا كَبليَّتي ولا مثلَ جَدِّي[١] في الشقاء بكم جَدُّ
غَزَتني جنودُ الحبِّ من كلِّ جانبٍ إذا حان من جندٍ قُفُولٌ[٢] أتى جُندُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم: كان أبو عمرو المدنيّ يقول قال نَوْفَل بن مُساحِق: أُخبِرتُ عن المجنون أن سببَ تَوَحُّشه أنه كان يوماً بضَرِيَّة جالساً وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل:

كِلانا يا أخيَّ يُحِبُّ لَيلى بفِيَّ وفيكَ من لَيلى الترابُ
لقد خَبَلَتْ فؤادكَ ثم ثَنَّتْ بقلبي فهو مَهمومٌ مُصابُ
شَرِكتُكَ في هَوَى مَن ليس تُبدي لنا الايامُ منه سِوَى أجتنابُ

خبر نوفل بن مساحق مع المجنون:

قال: فتنفَّس الصُّعَداء وغُشِيَ عليه، وكان هذا سببَ تَوَحُّشه فلم يُرَ له أثرٌ حتى وجده نوفلُ بن مُساحِقٍ. قال نوفل: قدِمتُ الباديةَ فسألتُ عنه، فقيل لي: توَحَّشَ وما لنا به عهدٌ ولا ندري إلى أين صار، فخرجتُ يوماً أتصيَّدُ الأَرْوَى[٣]، ومعي جماعةٌ من أصحابي، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى إذا نحن بأَراكةٍ[٤] عظيمة قد بدا منها قَطيعٌ من الظباء، فيها شخصُ إنسانٍ يُرَى من خَلَل تلك الأراكةِ، فعجِبَ أصحابي من ذلك، فعرفتُه وأتيته وعرفتُ أنه المجنونُ الذي أُخبِرتُ عنه، فنزلتُ عن دابتي وتخفَّفتُ[٥] من ثيابي وخرجتُ أمشي رُوَيداً حتى أتيت الاراكةَ فأرتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفتُ عليه وعلى الظباء؛ فأذا به وقد تدلى الشَعَرُ على وجهه، فلم أكد أعرفه إلا بتأمل شديد، وهو يرتعي في ثمر تلك الاراكةِ، فرفع رأسه فتمثَّلتُ ببيت من شعره:

---

(١) الجدّ بالفتح: الحظ والنصيب.
(٢) القفول: رجوع الجند بعد الغزو.
(٣) الأروى: الوعول وهي تيوس الجبل واحده أروية.
(٤) الأراكة: واحدة الاراك وهو شجر كثير الورق والأغصان ينبت بالغور تتخذ منه المساويك.
(٥) أي نزعت شيئاً منها.

أَتبكي على ليلى ونفسُك باعدتْ مَزارَكَ من ليلى وشِعْبَاكُما معا

قال: فنفَرَتِ الظباء، وأندفع في باقي القصيدة يُنشِدُها، فما أنسى حُسْنَ نَغْمَتِهِ وحسنَ صوته وهو يقول:

فما حَسَنٌ أن تأتيَ الامرَ طائعا وتَجْزَعَ أن داعي الصبابةِ أسمعا
بكتْ عينيَ اليسرى فلما زجرتُها عن الجهل بعد الحلم أسبلَتا معا
وأذكرُ أيامَ الحِمَى ثم أنثني على كبدي من خَشيَةٍ ان تَصدَّعا
فليستْ عَشِيَّاتُ الحِمَى برواجعٍ عليك ولكن خَلِّ عينيكَ تَدمَعا
معي كلُّ غِرٍّ قد عصَى عاذلاتِه بوصل الغواني من لَدُنْ أن تَرعرَعا
إذا راحَ يمشي في الرداءين أسرَعتْ اليه العيونُ الناظراتُ التطلُّعا

قال: ثم سقط مغشياً عليه، فتمثَّلتُ بقوله:

يا دارَ ليلى بسِقْطِ الحيِّ قد دَرَسَتْ إلا الثُّمامَ[١] وإلا مَوْقِدَ النّارِ
ما تفتأ الدهرَ من ليلى تموت كذا في موقف وقفته أو على دارِ
أبلَى عظامَكَ بعد اللحم ذِكْرُكها كما يُنَحِّتُ قِدْحَ[٢] الشَّوْحَطِ الباري

فرفع رأسه إليَّ وقال: مَنْ أنتَ حيَّاكَ اللهُ؟ فقلت: أنا نوفلُ بنُ مُساحقٍ، فحيَّاني فقلت له: ما أحدثتَ بعدي في يأسِكَ منها؟ فأنشدَني يقول:

ألا حُجِبَتْ ليلى وآلى أميرُها عليَّ يميناً جاهداً لا أزورُها
وأوعدني فيها رجالٌ أبوهُمُ أبي وأبوها خُشِّنَتْ لي صُدورُها
على غيرِ جُرمٍ غيرَ أني أُحِبُّها وأنَّ فؤادي رهنُها وأسيرُها

قال: ثم سنَحَتْ له ظِباء، فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها.

(١) الثام: نبت في البادية، كان العرب يسدّون به خصاص البيوت، وهو من النبات الذي لا يطول.

(٢) القدح: السهم. والشوحط: ضرب من النبع تتخذ منه القسيّ، وهو من اشجار الجبال.

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبدالله بن أبي سعد قال: حدّثني علي بن الصبّاح عن ابن الكلبي قال: لما قال مجنون بني عامر:

قضاها لغيري وابتلاني بحبّها فهلّا بشيءٍ غيرِ ليلى ابتلانيا

نُودي في الليل: أنتَ المتسخِّط لقضاء الله والمعترض في أحكامه! واختُلِسَ عقلُه فتوحّشَ منذ تلكَ الليلةِ وذهب مع الوحش على وجهه. وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيتَ من أشهر أشعاره، والصوت المذكور بذكره أخبارُ المجنون هاهنا منها. فيها أيضاً عدّة أبيات يُغنّى فيها، فمن ذلك:

صوت

أعد الليالي ليلة بعد ليلة:

أُعدُّ الليالي ليلةً بعد ليلةٍ وقد عشتُ دهراً لا أُعدُّ اللياليا
أراني إذا صلّيتُ يمّمتُ نحوَها بوجهي وإن كان المصلّى ورائيا
وما بِيَ إشراكٌ ولكنّ حبّها كعُود الشجا أعيا الطبيبَ المداويا
أُحبُّ من الاسماء ما وافق اسمَها وأشبَه أو كان منه مُدانيا

في هذه الابيات هَزَجٌ خفيفٌ لمعان معزفي:

صوت

وخبّرتماني أنّ تيماء منزلٌ لليلى إذا ما الصيفُ ألقى المراسيا
فهذي شهورُ الصيف عني قد انقضَتْ فما للنّوى ترمي بليلى المراميا

في هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعَته عجوزُ عُمير الباذَغيسي[1] على لحن إسحاق:
أماويَّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحُ

(١) نسبة الى باذغيس وباذغيس ناحية تشتمل على قرى.

وله حديث قد ذُكِرَ في أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغنّى ، لانه أشْهَرُ في أيدي الناس ، وإنما هو لحن إسحاق أُخِذَ فَجُعِلَ على هذه الابياتِ وكِيدَ بذلكَ :

صوت

فلو كان واشٍ باليامة بيتُه ودارِي بأعلى حَضْرَمَوْتَ أهتدى لِيَا
وماذا لهم — لا أحسنَ اللهُ حالَهمْ — من الحظّ في تَصْريم ليلى حِباليَا
فأنتِ التي إن شئتِ أشقيتِ عيشتي وإن شئتِ بعدَ اللهِ أنعمتِ باليَا
وأنتِ التي ما من صديقٍ ولا عِداً يَرى نِضْوَ[1] ما أبقيتِ إلا رَثَى لِيَا
أمَضْروبةٌ ليلى على أن أزورَها ومُتَّخَذٌ ذنباً لها أن ترانِيَا
إذا سِرْتُ في الارض الفضاء رأيتُني أصانِعُ رَحْلي أن يَميلَ حِيالِيَا
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن شمالاً يُنازِعُني الهوى عن شِمالِيَا
أُحِبُّ من الاسماء ما وافق اسمَها وأشبَهَهُ أو كان منه مُدانِيَا
هي السحرُ إلا أنّ للسحر رُقْيَةً وإنّيَ لا أُلْفِي لها الدهرَ راقِيَا

وأنشد أبو نصرٍ للمجنون وفيه غناء :

صوت

تكاد يدي تَندى إذا ما لمستُها ويَنبُتُ في أطرافها الوَرَقُ الخُضْرُ
أبى القلبُ إلا حبَّها عامريَّةً لها كُنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو

الغناء لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ ، وذكر الهشاميّ أن فيه لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ .

---

(١) النضو : المهزول .

المجنون يرثي اباه :

اخبرني محمد بن مَزيدَ بن ابي الأَزهر قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن ابيه عن الهَيثم بنِ عَديّ قال : أنشدني جماعةٌ من بني عُقيلٍ للمجنون يرثي اباه ، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه ، فعقر على قبره ورثاه بهذه الابيات :

عقرتُ على قبرِ الملوّحِ ناقتي ... بذي السَّرحِ لمّا أن جَفتهُ أقاربُهْ
وقلتُ لها كوني عقيراً فإنّني ... غداةَ غدٍ ماشٍ وبالأمسِ راكبُهْ
فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يا بنَ مزاحمٍ ... وكلُّ أمرىءٍ لِلموتِ لا بدَّ شاربُهْ
فقد كنتَ طلّاعَ النِّجادِ ومُعطِيَ الـ ... ـجياد وسيفاً لا تُفَلُّ مَضارِبُـهْ

شعره على اثر موعظة :

اخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عبدالله بن شبيب عن الحِزاميّ عن محمد بن مَعْنٍ قال : بلغني انّ رجلاً من بني جعدة بن كعب كان اخاً وخِلًّا للمجنون مرّ به يوماً وهو جالسٌ يخطّ في الارض ويعبَثُ بالحصى ، فسلّم عليه وجلس عنده ، فأقبل يخاطبه ويَعِظُه ويُسَلّيه ، وهو ينظر اليه ويلعب بيده كما كان وهو مُفكِّر قد غمره ما هو فيه ، فلما طال خطابه إياه قال : يا أخي ، اما لكلامي جواب ؟ فقال له : والله يا أخي ما علمتُ أنك تُكلّمني فاعذِرْني ، فإني كما ترى مذهوبُ العقلِ مُشتَرَكُ اللُّبِّ وبكى ، ثم أنشأ يقول :

صوت

وشُغلتُ عن فَهمِ الحديثِ سوى ... ما كان منكِ فإنه شُغلي
وأُديمُ لحظَ مُحَدِّثي ليرى ... أن قد فهمتُ وعندكم عَقلي

تجاوب الحمام :

الغناء لِعَلُّويَه . وقال الهيثم : مرّ المجنون بوادٍ في ايام الربيع وحمامه يتجاوب فأنشأ يقول :

صوت

ألا يا حَمامَ الأيكِ ما لكَ باكياً أفارقْتَ إلفاً أم جفاكَ حبيبُ
دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنَّمتْ هَتوفُ(١) الضحى بين الغصون طَروبُ
تُجاوِبُ وُرْقاً قد أذِنَّ(٢) لصوتها فكلٌّ لكلٍّ مُسْعِدٌ(٣) ومُجيبُ

الغناء لزِداذ ثقيلٌ أولُ مطلق في مجرى الوسطى .

يزورها في غياب زوجها :

وقال خالد بنُ حمل : حدّثني رجالٌ من بني عامر أنّ زوجَ ليلى وأباها خرجا في أمرٍ طَرَقَ الحيَّ إلى مكة ، فأرسلتْ ليلى بأمةٍ لها الى المجنون فدعتْه فأقام عندها ليلةً فأخرجتْهُ في السَّحَر ، وقالت له : سِر إليّ في كلّ ليلة ما دام القومُ سَفراً ، فكان يختلفُ اليها حتى قدِموا . وقال فيها في آخر ليلة لَقِيها وودّعته :

تمتَّعْ بليلى إنما أنتَ هامةٌ(٤) من الهام يدنو كلَّ يوم حِمامُها
تمتَّعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنهم متى يرجعوا يَحرُمْ عليكَ كلامُها

عندما مرض قيس :

وقال الهيثمُ : مَرِضَ المجنونُ قبل أن يختلط فعادهُ قومُه ونساؤهم ولم تَعُدْه ليلى فيمن عاده ، فقال :

صوت

ألا ما لِليلى لا تُرى عند مَضْجَعي بليلٍ ولا يَجري بها ليَ طائرُ

---

(١) هتفت الحمامة هتفاً : ناحت ، فهي هتوف .
(٢) أي استمعن لصوتها وأصغين اليه .
(٣) من أسعدت المرأةُ المرأة اذا ساعدتها بالنياحة في مصيبتها .
(٤) الهامة : أعلى الرأس واسم طائر ، وكان العرب يزعمون أنّ عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة فتطير . ونشأ من هذا الزعم قولهم : « هذا هامة اليوم أو غد » أي يموت اليوم أو غداً .

بلى إنّ عُجْمَ الطيرِ تجري إذا جَرَتْ ... بليلى ولكن ليس للطيرِ زاجرُ
أحالَتْ عن العهد الذي كان بيننا ... بذي الرِّمْثِ¹ أم قد غيّبتْها المقابرُ

الغناء، لِسُليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ.

فواللهِ ما في القربِ لي منكِ راحةٌ ... ولا البُعدُ يُسليني ولا أنا صابرُ
وواللهِ ما أدري بأيّـةِ حيلةٍ ... وأيِّ مَرامٍ او خِطارٍ أخاطرُ
وواللهِ إنّ الدهرَ في ذاتِ بيننا ... عليّ لها في كلّ أمرٍ لجائرُ
فلو كنتِ إذ أزمعتِ هجري تركتِني ... جميعَ القُوى والعقلُ منّي وافرُ
ولكنّ أيامي بحَفْـلِ عُنَيْزَةٍ² ... وذي الرِّمْثِ أيامٌ جناها التجاورُ
فقد أصبح الودُّ الذي كان بيننا ... أمانيَّ نفسٍ إن تَخَـبَّرَ خابرُ
لَعَمْري لقد أرهقْتِ يا أمَّ مالكٍ ... حياتي وساقتْني اليـكِ المقادرُ

راى غزالا فتذكر ليلى:

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن عبد الله الاصبهانيّ المعروف بالخَزَنْبَل عن عمرو ابن أبي عمرو الشيبانيّ عن ابيه قال: حدّثني بعضُ بني عُقَيل قال: قيل للمجنون أيُّ شيء رأيتَه أحبُّ اليكَ؟ قال: ليلى، قيل: دَعْ ليلى فقد عرفنا ما لها عندكَ ولكن سواها، قال: واللهِ ما أعجبني شيء قطّ فـذَكَرْتُ ليلى إلا سقطَ من عيني وأذهب ذكرُها بشاشتَه عندي، غير أني رأيتُ ظبياً مرّةً فتأملتُه وذكرتُ ليلى فجعل يزداد في عيني حُسناً، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعتُه حتى خفيا عنّي فوجدتُ الذئبَ قد صرعه وأكل بعضَه، فرميتُه بسهمٍ فما أخطأتُ مقتلَه، وبقَرتُ بطنَه فأخرجتُ ما أكل منه، ثم جمعتُه الى بقية شِلْوِهِ³ ودفنتُه وأحرقتُ الذئبَ، وقلتُ في ذلك:

---

(١) الرمث: شجر يشبه الغضا لا يطول وينبسط ورقه. وذو الرمث: وادٍ لبني أسد.
(٢) عنيزة: بقعة ينتهي اليها ماء أودية وحفل عنيزة: موضع الحفل أي الاجتماع.
(٣) الشلو: الجسد من كل شيء ويطلق على العضو من أعضاء اللحم.

أبى اللهُ أن تبقى لحيّ بشاشةٌ — فصبراً على ما شاءه اللهُ لي صبرا
رأيتُ غزالاً يرتعي وَسْطَ روضةٍ — فقلتُ أرى ليلى تراءتْ لنا ظُهرَا
فيا ظبيُ كُلْ رغداً هنيئاً ولا تخف — فإنكَ لي جارٌ ولا ترْهَبِ الدهرَا
وعندي لكم حِصنٌ حصينٌ وصارمٌ — حُسامٌ إذا أعملتُهُ أحسنَ الهبرَا[1]
فما راعني إلا وذئبٌ قد انتحى[2] — فأعلقَ في احشائه النابَ والظُّفرَا
ففوّقتُ[3] سهمي في كَتومٍ[4] غمزتُها — فخالط سهمي مُهجَةَ الذئبِ والنَّحرَا
فأذهب غيظي قتلُه وشفى جوى — بقلبي إن الحرَّ قد يُدركُ الوترَا

زوج ليلى يسب قيساً :

قال أبو نصر : بلغَ المجنونَ قبل توحّشه أنّ زوجَ ليلى ذكره وعضهه[5] وسبّه وقال : أوَ بلَغَ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعي محبةَ ليلى ويُنوِّهَ باسمها ! فقال ليَغيظَه بذلك :

فإن كان فيكم بعلُ ليلى فإنني — وذي العرش قد قبّلتُ فاها ثمانيا
وأشهَدُ عند الله أني رأيتُها — وعشرون منها أصبعا مِنْ ورائيا
أليس من البلوى التي لا شَوَى[6] لها — بأن زُوِّجتْ كلباً وما بُذِلتْ ليا

عفا الله عن ليلى :

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا

---

(١) الهبر : القطع .
(٢) انتحى : اعترض .
(٣) فوّقت : سدّدت .
(٤) الكتوم من القسي : التي لا ترنّ .
(٥) عضهه يعضهه عضها : قال فيه ما لم يكن .
(٦) لا شوى لها أي لا بقيا لها . والمراد وصف البلوى بمنتهى الشدّة يقال : القتل الخطّة التي لا شوى لها أي لا بُقيا لها ، ومنه قول الهذلي :

فإن من القول التي لا شوى لها — إذا زلّ عن ظهر اللسان انفلاتها

يريد بالقول الكلمة التي لا إبقاء لها أي القاتلة .

عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال: خرج المجنونُ في عِدَّةٍ من قومه يريدون سَفَراً لهم، فمرّوا في طريق يتشعَّب وِجْهَتين: إحداهما ينزلها رهطُ ليلى وفيها زيادةُ مرحلةٍ، فسألهم أن يَعْدِلوا معه الى تلك الوجهة فأبوا، فمضى وحده وقال:

صوت

أأتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إني اذاً لَصبورُ
هَبُوني امرءا منكم أضل بعيرَه له ذِمَّـةٌ إنّ الذِّمامَ كبيرُ
وللصَّاحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً على صاحبٍ من أن يَضِلَّ بعيرُ
عفا اللهُ عن ليلى الغداةَ فإنها إذا وَلِيَتْ حُكماً عليّ تَجورُ

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن حَبَش، وفيه لابن المارقيّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ، وفيه لِعَلُّوَيه رَمَلٌ بالبِنْصَر.

حمامة السرح:

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه: انّ المجنونَ كان ذاتَ ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمه وهو وَلِهٌ يتلظَّى ويتململُ وهم يعظونه ويُحادثونه حتى هتفتْ حمامةٌ من سَرْحَةٍ(١) كانت بإزائهم، فوثب قائماً وقال:

صوت

لقد غَرَّدَتْ في جنح ليل حمامةٌ على إلفها تبكي وإني لنائمُ
كَذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً لَمَا سَبَقَتْني بالبكاء الحمائمُ

ثم بكى حتى سقطَ على وجهه مَغْشياً عليه، فما أفاق حتى حَمِيَتِ الشمسُ عليه من غدٍ. الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دَحْمانَ ثقيلُ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى.

(١) السرحة: واحدة السرح، وهو كل شجر لا شوك فيه وقيل كل شجر طال.

في رمل يبرين :

وذكر ابو نصر عن اصحابه أن رجلاً مرّ بالمجنون وهو برمل يَبْرِينَ[١] يُخَطِّط فيه، فوقف عليه متعجباً منه وكان لا يعرفه، فقال له : ما بك يا أخي؟ فرفع رأسه اليه وأنشأ يقول :

بِيَ اليأسُ والداءُ الهُيامُ أصابني فإيَّاكَ عنّي لا يكُنْ بكَ ما بيا
كأنَّ جفونَ العينِ تَهمي دموعُها غداةَ رأتْ أظعانَ[٢] ليلى غواديا
غُروبٌ أمرَّتها نواضحُ بُزَّلٌ على عَجَلٍ عُجْمٍ يُروِّينَ صاديا[٣]

اليمانيون الذين اهاجوا اشواقه :

وقال خالد بن جمل : ذكر حمادُ الراويةُ أن نفراً من اهل اليمن مرّوا بالمجنون، فوقفوا ينظرون اليه فأنشأ يقول :

ألا أيها الركبُ اليمانُونَ عرِّجوا علينا فقد أمسى هوانا يمانِيـا
نُسائِلكُمُ هل سالَ نَعمانُ بعدنا وحَبَّ الينـا بطنُ نَعمانَ واديا

يقول في هذه القصيدة :

صوت

ألا يا حمامَيْ قصرِ وَدّانَ هِجتُما عليَّ الهوى لمّا تغنَّيتُما لِيـا
فأبكيتُماني وسْطَ صَحْبي ولم أكن أبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا

---

(١) قرية كثيرة النخل والعيون العذبة وفيها رمل كثير، بينها وبين الأحساء مرحلتان .

(٢) الأظعان : جمع ظعينة وهي الجمل يظعن عليه .

(٣) الغروب : جمع غرب وهو الدلو الكبير الذي يستقى به على السانية . وأمرّتها : جعلتها تمرّ وتذهب . والنواضح : جمع ناضح، وهو ما يستقى عليه الماء من نحو البعير والثور وغيرهما من النضح وهو سقي الزرع وغيره بالسانية . والبزل : جمع بازل وهو البعير الذي استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة وفطر نابه .

غنّى في هذين البيتين عَلُّوَيه غناء لم يُنسبْ .

فوالله إنّي لا أحبُّ ، لغيرِ أن تَحُلّ بها ليلى ، البِراقَ[١] الأعاليا
ألا يا خليلي حُبُّ ليل مُجشِمي حياضَ المنايا او مُقيديَ[٢] الاعاديا
ويا أيها القُمْرِيّتان تَجاوَبا بلَحْنيكما ثم أسجَعا عَلانِيا
فإن أنتما أستَطْربتا[٣] وأردتُما لَحاقاً بأطراف الغضى فأتْبعانِيا

ليلى التي رحلت فزال لب قيس :

قال أبو نصر : وذكر خالد بن كلثوم أنّ زوجَ ليلى لمّا أراد الرحيلَ بها الى بلده بلغ المجنونَ أنه غادٍ بها فقال :

صوت

أمُزمِعةٌ للبين ليلى ولم تَمُتْ كأنكَ عمّا قد أظلّك غافلُ
ستَعلم إن شطّتْ بهم غُرْبَةُ النّوى وزالوا بليلى أنّ لُبّكَ زائلُ

الغناء للزُبَيْر بن دَحمانَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى :

قال أبو نصر قال خالد : وحدّثني جماعةٌ من بني قُشَيرٍ انّ المجنونَ سقِم سَقاماً شديداً قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك ، فدخل اليه أبوه يعلّله[٤] فوجده يُنشِدُ هذه الأبياتَ ويبكي أحرّ بكاء ويَنشِجُ[٥] أحرّ نشيج :

ألا أيها القلبُ الذي لجّ هائماً بليلى وليداً لم تُقطّع تمائمُهْ
أفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أنى لحالكَ أن تلقى طبيباً تلائمُهْ

(١) البراق : أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل .
(٢) مقيدي : جاعل قيادي في يد الاعداء .
(٣) استطربتا : طلبتا الطرب .
(٤) يعلله : يحدّثه ويسليه .
(٥) ينشج : من نشج الباكي نشجاً أي غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب .

فما لكَ مسلوبَ العَزاء كأنّما تَرى نأيَ ليلى مَغرَماً أنتَ غارِمُهْ
أَجِدَّكَ لا تُنسيكَ ليلى مُلِمّةٌ تُلِمُّ ولا يُنسيكَ عهداً تَقادُمُهْ

الجمان السائل على الجيوب :

قال : ووقف مستتراً ينظر الى اظعان ليلى وقد رحّل بها زوجُها وقومُها ، فلما رآهم يرتحلون بكى وجَزِع ، فقال له ابوه : ويحكَ ! إنما جئنا بكَ مُتخفِّياً ليتروَّحَ بعضُ ما بكَ بالنظر اليهم ، فإذا فعلتَ ما أرى عُرِفْتَ ، وقد أهدرَ السلطانُ دمَكَ إن مررتَ بهم ، فأمسِكْ أو فانصرفْ ؛ فقال : ما لي سبيلٌ إلى النَّظر اليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غيرُ جازِع ولا باكٍ فانصرِفْ بنا ، فانصرفَ وهو يقول :

صوت

ذَرِ الدَّمعَ حتى يظعَنَ الحيّ إنما دموعُكَ إن فاضت عليكَ دليلُ
كأنَّ دموعَ العينِ يومَ تحمَّلوا(١) جُمانٌ على جيبِ(٢) القميص يسيلُ

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن أبن الاعرابيّ للمجنون :

صوت

ألا ليتَ ليلى أطفأتْ حرَّ زَفْرةٍ أُعالجها لا أستطيع لها رَدّا
إذا الرِّيحُ من نحوِ الحِمى نَسَمَتْ لنا وجدتُ لمَسْراها ومَنْسَمِها بَرْدَا
على كَبِدٍ قد كاد يُبدي بها الهوى نُدوبا وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدَا

هذا البيتُ الثالثُ خاصّةً يُروى لابن هَرْمةَ في بعض قصائده ، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاقُ ، أوّله :

---

(١) تحملوا : ارتحلوا .
(٢) جيب القميص : ما ينفتح على النحر .

أفاطمَ إنّ النّأيَ يُسلي من الهوى

وقد أخرج في موضع آخر . غنّى في هذين البيتين عبدُ آل الهذليّ ، ولحنُه المختارُ على ما ذكره جحظةُ ثاني ثقيل ، وهما في هذه القصيدة :

وإنّي يمانيُّ الهوى مُنجِدُ النّوى ... سبيلان ألقى من خلافهما جَهدَا
سقى اللهُ نجداً من ربيعٍ وصَيّفٍ ... وماذا يُرَجّى من ربيع سقى نجدَا
بلى إنه قد كانَ للعيش قُرّةً ... وللصّحب والرُّكبان منزلةً حَمْدَا[١]
أبى القلبُ أن ينفكّ من ذِكرِ نسوةٍ ... رِقاقٍ ولم يُخلَقن شُؤماً ولا نُكدا
إذا رُحنَ يَسحَبنَ الذُّيولَ عَشيّةً ... ويقتُلنَ بالألحاظِ أنفُسنا عَمْدا
مَشي عَيطلاتٍ[٢] رُجّحٍ بخصورها ... رَوادفُ[٣] وَعْثاتٌ[٤] تردُّ الخُطا رَدّا
وتَهتزّ ليلى العامريّةُ فوقَها ... ولاثتْ[٥] بسِبّ[٦] القزّ ذا غُدُرٍ[٧] جَعْدَا
إذا حرّكَ المِدرى[٨] ضَفائرَها العُلا ... مَجَجْنَ نَدى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدَا

وأخبارُ الهذليّين تُذكر في غير هذا الموضع إن شاء اللهُ لئلا تنقطعَ أخبارُ المجنون، ولهما في المائة الصوت المختارة أغانٍ تذكر اخبارُها معاً إن شاء الله .

مشابه من ليلى :

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدّثني ميمونُ بن هارونَ قال ذكر الهيثمُ

(١) حمد أي محمودة .
(٢) العيطلات : جمع عيطلة وهي الطويلة العنق في حسن، وتوصف به المرأة والناقة ، والمراد بها هنا النياق .
(٣) الروادف : الأعجاز . غير قياس أو هو جمع رادفة .
(٤) الوعثات : اللينات .
(٥) لاثت : لفت وعصبت، يقال : لاث العمامة على رأسه لوثاً اذا لفها وعصبها .
(٦) السبّ : الخمار .
(٧) الغدر : جمع غديرة وهي الذؤابة .
(٨) المدرى : المشط وقيل : حديدة على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح بها الشعر المتلبد.

ابن عديّ، وأخبرني محمد بن خلف عن أحمدَ بن الهيثم عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال: مرّ المجنونُ برجلين قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبلةٍ وذهبا بها، فلما نظر اليها وهي تركُضُ في حِبالها دمَعَتْ عيناه، وقال لهما: حُلّاها وخُذا مكانَها شاةً من غنمي — وقال ميمونُ في خبره: وخُذا مكانَها قَلوصاً من إبلي — فأعطاهما وحلّاها فولّتْ تعدو هاربةً. وقال المجنونُ للرجلين حين رآها في حبالها:

يا صاحِبيّ اللَّذَينِ اليومَ قد أخذا ... في الحبل شِبْهاً لليلى ثم غَلّاها
إني أرى اليومَ في أعطاف شاتِكُما ... مَشابِهاً أشبهَتْ ليلى فَحُلّاها

قال: وقال فيها وقد نظر اليها تعدو أشدَّ عدوٍ هاربةً مذعورةً:

صوت

أيا شِبهَ ليلى لا تُراعي فإنّني ... لكِ اليومَ من وَحْشيّةٍ لَصديقُ
ويا شِبهَ ليلى لو تَلَبَّثْتِ ساعةً ... لعلّ فؤادي مِنْ جَواه يُفيقُ
تَفِرُّ وقد أطلقتُها من وَثاقِها ... فأنتِ لليلى لو عَلِمْتِ طَليقُ

المجنون يصف ليلى ويقهر الغزال :

وذكر ابو نصر عن جماعة من الرواة وذكر ابو مسلم ومحمد بنُ الحسن الأحولُ أن ابنَ الأعرابيّ أخبرهما أنّ نسوةً جلسنَ الى المجنون فقلن له: ما الذي دعاك الى ان أحللتَ بنفسك ما ترى في هَوى ليلى، وإنما هي امرأة من النساء، هل لكَ في أن تصرفَ هواكَ عنها الى إحدانا فتُساعِفَكَ وتَجزيكَ بهواكَ ويَرجعَ اليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك؟ فقال لهنّ: لو قَدَرْتُ على صرف الهوى عنها اليكنّ لصرفتُه عنها وعن كل أحد بعدها وعِشتُ في الناس سوياً مستريحاً؛ فقلن له: ما أعجبك منها؟ فقال: كل شيء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبني، والله ما رأيتُ شيئاً منها قطّ إلا كان في عيني حَسناً وبقلبي عَلِقاً، ولقد جَهِدْتُ أن يَقبُحَ

منها عندي شيء أو يَسمُجَ أو يُعابَ لأسلوَ عنها فلم أجده؛ فقلن له: فَصِفْها لنا، فأنشأ يقول:

بيضاء خالصةُ البياض كأنها ... قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبرَدِ
مَوْسومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ ... إنّ الجمالَ مَظِنةٌ للحسّدِ
وتُري مدامعُها تَرقرُقَ مُقلةٍ ... سوداءَ ترغبُ عن سواد الإثمِدِ
خَودٌ(١) إذا كثُرَ الكلامُ تعوّذَتْ ... بحمى الحياء وإن تكلّمْ تَقْصِدِ(٢)

قال: ثم قال ابنُ الأعرابيّ: هذا واللهِ من حَسَنِ الكلام ومُنتَقَح الشِّعر.

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً، وفيه غناء، قال:

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ ... إذا ذُكِرَتْ ليلى يَشُدُّ بها قَبْضَا
كأنّ فِجاجَ الارض حَلْقةُ خاتَمٍ ... عليّ، فما تزدادُ طولًا ولا عَرضَا

اشهى من الدنيا وما فيها:

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أبو مسلم عن القَحذَميّ قال: قال رجل من عشيرة المجنون له: إني أريد الإلمامَ بحيّ ليلى فهل تُودِعُني اليها شيئاً؟ فقال: نعم! قِفْ بحيثُ تسمعُكَ ثم قُلْ:

صوت

اللهُ يعلمُ أنّ النفسَ هالكةٌ ... باليأس منكِ ولكنّي أُعنّيها(٣)
مَنّيتُكِ النفسَ حتى قد أضرّ بها ... واستيقنَتْ خُلُقاً مما أُمنّيها
وساعةٌ منكِ ألهوها وإن قَصُرَتْ ... أشهى إليّ من الدنيا وما فيها

(١) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نَصَفاً.
(٢) يقال: قصد في الأمر قصداً: توسط وطلب السداد ولم يجاوز الحدّ.
(٣) أعنيها: أكلفها ما يشقّ عليها.

قال : فمضى الرجل ، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلى لقد أحسنَ الذي يقول :

اللهُ يعلم أنّ النفسَ هالكةٌ ... باليأس منكِ ولكنّي أعنّيها

وأنشدَ الابيات ؛ فبكت بكاء طويلًا ثم قالت : أَبلِغهُ السلامَ وقل له :

نفسي فداؤكَ، لو نفسي ملكتُ إذاً ... ما كان غيرُك يَجْزيها ويُرضيها
صبراً على ما قضاه الله فيكَ على ... مرارةٍ في أصطباري عنكَ أخفيها

قال : فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها ؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبتُ لعُروةَ العُذْريّ أضحى ... أحاديثاً لقومٍ بعد قومِ
وعروةُ مات موتا مُستَريحاً ... وها أنا ميّتٌ في كلّ يومِ

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال أنشدنا احمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر للمجنون :

صوت

أيا زينةَ الدنيا التي لا ينالُها ... مُناايَ ولا يبدو لقلبي صَريمُها
بعيني قَذاةٌ من هواكِ لَوَ أنها ... تُداوَى بمن تَهوَى لصحّ سقيمُها
وما صبَرَتْ عن ذكركِ النفسُ ساعةً ... وإن كنتُ أحياناً كثيراً ألومُها

حلال لليلى شتمنا وانتقاصنا :

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبّاح عن أبن الكلبيّ قال : سأل الملوّحُ أبو المجنون رجلا قَدِمَ من الطائف أن يمرّ بالمجنون فيجلسَ اليه فيخبرَه انه لقِيَ ليلى وجلس اليها ، ووصفَ له

صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنونُ ، وقال له : حَدِّثه بها ، فإذا رأيتَه قد اشرأبّ[١] لحديثكَ واشتهاه فعرِّفه أنك ذكرتَه لها ووصفتَ ما به فشتمتْه وسبّته، وقالت : إنه يكذب عليها ويُشَهِّرُها بفعله ، وإنها ما اجتمعت معه قط كما يصف؛ ففعل الرجلُ ذلك، وجاء اليه فأخبره بلقائه إياها ؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها ، فيخبره بما أمره به الملوّح ، فيزداد نشاطاً ويثوبُ اليه عقلُه ، إلى ان أخبره بسبّها إياه وشتمِها له ؛ فقال وهو غير مُكترثٍ لما حكاه عنها :

صوت

تمرّ الصَّبا صَفحاً بساكن ذي الغَضَى ويَصدَعُ قلبي أن يَهُبَّ هُبُوبُها
إذا هبّتِ الريحُ الشَّمالُ فإنما جوايَ بما تُهدي إليَّ جَنُوبُها
قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هَوَى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها
وحسبُ الليالي أن طَرَحْنكَ مَطرَحاً بدارِ قِلًى تُمسي وأنتَ غريبُها
حلالٌ لِلَيلى شتمُنا وانتقاصُنا هنيئاً ومغفورٌ لليلى ذُنُوبُها

ذكر ابو ايوب المدنيّ أن الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته. وفيه لمتيّمَ غِناءٌ يُنسبُ . وذكر الهيثمُ بن عديّ أن المجنونَ قال — وفيه غناء — :

صوت

كأن لم تكن ليلى تُزارُ بذي الأثْلِ وبالجزْعِ من أجزاع وَدّانَ فالنخلِ
صديقٌ لنا فيا نَرى غير أنها تَرى أن حبي قد أحلّ لها قتلي

ليلى فلقة القمر :

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَديّ عن

(١) اشرأب : رفع رأسه لينظر .

عثمانَ بن عمارة بن حريم عن أشياخ من بني مُرَّة قالوا : خرج منا رجلٌ الى ناحية الشام والحجاز وما يلي تَيْماء والسَّراةَ وأرضَ نَجْد ، في طلب بُغية له ، فإذا هو بخيمة قد رُفعتْ له وقد أصابه المطرُ فعدَل اليها وتنحنحَ ، فإذا امرأةٌ قد كلَّمتْه فقالت : انزل ، فنزل . وراحت إبلهم وغنمهم فإذا أمرٌ عظيم ، فقالت : سَلوا هذا الرجلَ من أين أقبل ؛ فقلت من ناحية تِهامةَ ونجدٍ ؛ فقالت : ادخل ايها الرجلُ ، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة ، فأرختْ بيني وبينها ستراً ثم قالت لي : يا عبد الله ، أيّ بلادِ نجدٍ وطئتَ ؟ فقلت : كلها ؛ قالت : فبِمنْ نزلتَ هناكَ ؟ قلت : ببني عامر ؛ فتنفستِ الصُعداء ثم قالت : فبأيّ بني عامر نزلتَ ؟ فقلتُ : ببني الحريش ؛ فاستعبرَتْ ثم قالت : فهل سمعتَ بذكر فتى منهم يقال له : قيس ابن الملوّح ويلقَّب بالمجنون ؟ قلتُ : بلى والله ! وعلى أبيه نزلتُ ، وأتيتُه فنظرتُ اليه يهيمُ في تلك الفيافي ، ويكون مع الوحش لا يعقل إلا أن تُذكر له أمرأةٌ يقال لها ليلى ، فيبكي ويُنشِدُ أشعاراً قالها فيها . قال : فرفعَتِ السترَ بيني وبينها : فاذا فِلقةُ قمرٍ لم تَرَ عيني مثلها ، فبكتْ حتى ظننتُ — والله — أنّ قلبها قد أنصدعَ ، فقلتُ : أيتها المرأةُ ، اتقي اللهَ فما قلتُ بأساً ، فمكثتْ طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت :

ألا ليتَ شِعري والخُطوبُ كثيرةٌ ... متى رَحْلُ قيسٍ مُستقِلٌ فراجعُ
بنفسيَ مَنْ لا يستقِلّ برَحْلِه ... ومَن هو إن لم يَحفَظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكتْ حتى سقطَتْ مغشياً عليها ، فقلتُ لها : مَن أنتِ يا أمةَ اللهِ ؟ وما قِصَّتُكِ ؟ قالت : أنا ليلى المشؤومةُ عليه غيرُ المؤنسةِ له ؛ فما رأيتُ مثلَ حزنها ووجدها عليه .

موت المجنون عشقاً :

أخبرني احمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة ، وأخبرني عثمانُ عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن لَقيط ، وحدّثنا إبراهيمُ بن أيوبَ عن عبد الله بن مسلم

قال ذكر الهيثمُ بنُ عديّ عن عثمانَ بنِ عمارةَ ، وذكر ابو نصر احمدُ بن حاتم صاحبُ الاصمعيّ وأبو مسلم المُستَملي عن ابن الاعرابيّ – يزيد بعضهم على بعض –

أنّ عثمانَ بنَ عمارةَ المريّ أخبرهم أنّ شيخاً منهم من بني مرّة حدّثه أنه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنونَ ، قال : فدُلِلتُ على مَحلّته فأتيتُها ، فإذا ابوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال ، واذا نَعَمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ ، فسألتُهم عنه فاستعبروا جميعاً ، وقال الشيخُ : واللهِ لهو كان آثرَ في نفسي من هؤلاء وأحبَّهم إليَّ ! وإنه هَوِيَ امرأةً من قومه ، واللهِ ما كانت تَطمعُ في مثله ، فلما أن فشا أمرُه وأمرُها كره ابوها أن يزوّجها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره ، فذهب عقلُ ابني ولَحِقَه خَبلٌ وهام في الفيافي وَجداً عليها ، فحبسناه وقيّدناه ، فجعل يَعَضُّ لسانه وشفتَيه حتى خِفنا أن يقطعَها فخلّينا سبيله ، فهو يهيم في الفيافي مع الوحوش ، يُذهَبُ اليه كلَّ يوم بطعامه فيوضَعُ له حيث يراه ، فإذا تنحَّوا عنه جاء فأكل منه . قال : فسألتُهم أن يَدُلّوني عليه ، فدلّوني على فتًى من الحيّ كان صديقاً له وقالوا : إنه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعارَه عنه غيرُه ، فأتيتُه فسألتُه أن يدُلّني عليه ؛ فقال : إن كنتَ تريد شِعرَه فكلُّ شِعرٍ قاله إلى أمسِ عندي ، وانا ذاهبٌ اليه غداً فإن كان قال شيئاً اتيتُكَ به ؛ فقلتُ : بل تَدُلّني عليه لِآتيَه فقال لي : إنه إن نَفَر منك نفر مني فيذهبُ شِعرُه ، فأبَيتُ إلا ان يَدُلّني عليه ؛ فقال : أطلبه في هذه الصحارى فادنُ مستأنِساً ولا تُرِه أنك تَهابُه ، فإنه يتهدّدك ويتوعّدك أن يَرميَكَ بشيء ، فلا يَرُوعنَّكَ واجلِسْ صارفاً بصركَ عنه والحظه أحياناً ، فإذا رأيتَه قد سكن من نِفاره فأنشِدْه شعراً غَزَلاً ، وإن كنتَ تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأنشِدْه إياه فإنه مُعجَبٌ به ؛ فخرجتُ فطلبتُه يومي إلى العصر فوجدتُه جالساً على رمل قد خطَّ فيه بأصبعه خطوطاً ، فدنوتُ منه غيرَ منقبضٍ ، فنفر مني نفورَ الوحش من الانس ، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضتُ عنه ، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيامَ ، فلما طال جلوسي سكَن واقبل يخط بأصبعه ، فأقبلتُ عليه وقلتُ : أحسنَ واللهِ قيسُ بنُ ذَريحٍ حيث يقول :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبّني بعلمك في لُبنَى وأنتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبر بشيءٍ علمتَه فلا طِرْتَ إلا والجناحُ كسيرُ
ودُرْتَ بأعداءِ حبيبِكَ فيهمُ كما قد تَراني بالحبيب أدورُ

فأقبل عليّ وهو يبكي فقال: أحسنَ والله، وأنا أحسنُ منه قولًا حيث أقولُ:

كأنّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى بليلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فأمسكتُ عنه هُنيهةً، ثم أقبلتُ عليه فقلت: وأحسنَ واللهِ قيس بنُ ذَرَيح حيث يقول:

وإني لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَيَّ بالبكا حِذارًا لِما قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاكَ بليلةٍ فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ مَنِيَّتي بكفَّيكِ إلا أن مَنْ حانَ حائنُ

قال: فبكى — والله — حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد فاضتْ، وقد رأيتُ دموعَه قد بلّتِ الرملَ الذي بين يديه، ثم قال: أحسنَ لَعَمرُ اللهِ، وانا والله أشعرُ منه حيثُ أقول:

صوت

وأدْنيتني حتى إذا ما سَبَيْتِني بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ(١) سَهْلَ الاباطحِ
تناءَيْتِ عنّي حينَ لا لِيَ حيلةٌ وخلّفتِ ما خلّفتِ بينَ الجوانحِ

— ويروى: «وغادرْتِ ما غادَرْتِ . . .» — ثم سنحتْ له ظبيةٌ فوثب يعدو

(١) العصم: جمع اعصم وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض. والوعل: تيس الجبل. يريد ان قولها يجلب العصم ويستنزلها من الجبال وهي مساكنها الى الاباطح السهلة.

خلفها حتى غاب عني وأنصرفتُ، وعُدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده، وجاءت أمرأةٌ كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدَته بحاله، فلما كان في اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلُه معي فطلبناه يومَنا فلم نجده، وغدَونا في اليوم الرابع نَستَقري أثَره حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة خَشِنٍ، وهو ميّتٌ بين تلك الحجارةِ، فاحتمله اهلُه فغسلوه وكفنوه ودفنوه.

ابو ليلى يندم على ما فعل:

قال الهيثمُ: فحدّثني جماعةٌ من بني عامر: أنه لم تبقَ فتاةٌ من بني جعدةَ ولا بني الحَريش إلا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندُبه؛ وأجتمعَ فِتيانُ الحيّ يبكون عليه أحرَّ بكاء، ويَنشِجون عليه أشدَّ نَشيج، وحضرهم حيُّ ليلى مُعزّين وأبوها معهم فكان أشدَّ القوم جزعا وبكاء عليه، وجعل يقول: ما علمنا أن الامرَ يبلغ كلَّ هذا، ولكنّي كنتُ أمرأً عربياً يخاف من العار وقُبحِ الأُحدُوثة ما يخافه مثلي، فزوّجتُها وخرجتْ عن يدي، ولو علمتُ أن أمره يجري على هذا ما أخرجتُها عن يده ولا أحتملتُ ما كان عليّ في ذلك. قال: فما رُئيَ يومٌ كان اكثرَ باكيةً وباكياً على ميّتٍ من يومئذ.

نسبة ما في هذا الخبر من الاغاني

الصوتُ الذي أوّله:

ألا يا غرابَ البيـن ويحكَ نَبّني بعلمِكَ في لُبنَى وأنتَ خبيـرُ

الغناء لابن محرز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ، وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحكَم. وفي رواية أبن الاعرابيّ أنه أنشده مكانَ:

ألا يا غرابَ البيـن ويحكَ نَبّني بعلمِكَ في لُبنَى وأنتَ خبيـرُ

صوت

ألا يا غرابَ البينِ هل أنتَ مُخبِري بخيرٍ كما خبَّرتَ بالنأي والشرِّ
وخبَّرتَ أن قد جدَّ بَينٌ وقرَّبوا جِمالًا لبينٍ مُثقَلاتٍ من الغدرِ
وهِجتَ قذى عينٍ بلُبنى مريضةٍ إذا ذُكِرتْ فاضتْ مدامعُها تجري
وقلتَ كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

الشعر لقيس بن ذريح ، والغناء لابن جامع ، ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لبَحْرٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيه لدَحْمانَ ثاني ثقيلٌ عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى .

ومنها الصوت الذي أوّله :

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى بليلى العامريّةِ أو يُراحُ

ومنها الصوت الذي أوّله :

وأدنيتِني حتى إذا ما سبيتِني بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سهلَ الاباطحِ

الغناء لابراهيم ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

بكاء ابي ليلى :

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا الفَضْل الرَّبعيّ عن محمد بن حبيبَ قال :

لما مات مجنونُ بني عامر وُجد في أرض خَشِنةٍ بين حجارةٍ سودٍ ، فحضر أهله وحضر أبو ليلى – المرأةِ التي كان يهواها – وهو متذمّم[1] من اهله ، فلما رآه

(١) متذمّم : منقبض .

ميتاً بكى واسترجع وعلم أنه قد شَرِكَ في هلاكه ، فبينا هم يقلّبونه إذ وجدوا خِرْقَةً فيها مكتوب :

ألا أيها الشيخُ الذي ما بنا يرضى ... شَقيتَ ولا هُنيتَ من عَيشِكَ الغَضَا
شَقيتَ كما أشقَيتَني وتركتَني ... أهيمُ مع الهُلّاكِ لا أَطعَمُ الغَمْضا

صوت

كأنّ فؤادي في مخالب طائرٍ ... إذا ذُكِرَتْ ليلى يَشُدّ بها قَبضَا
كأن فِجاجَ الأرضِ حَلْقَةُ خاتمٍ ... عليّ فما تزدادُ طولًا ولا عَرْضا

في هذين البيتين رَمَلٌ ينسب إلى سُليم والى ابن محرز، وذكر حَبَشٌ والهشامي انه لإسحاق .

يتداوى بالاشعار :

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني ابو سَعيد السُّكَّري عن محمد بن حَبيبَ قال حدّثني بعض القُشَيْرِيين عن ابيه قال :

مررتُ بالمجنون وهو مُشرِفٌ على وادٍ في أيام الربيع، وذاك قبل ان يختلِطَ، وهو يتغنّى بشعر لم افهمه، فصحتُ به : يا قيسُ، اما تشغَلكَ ليلى عن الغناء والطرب ! فتنفّس تنفُّساً ظننتُ ان حيازيمه[1] قد انقدّتْ، ثم قال :

صوت

وما أشرفُ الأَيفاعَ[2] إلا صَبابةً ... ولا أُنشدُ الأشعارَ إلا تَداويا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتَينِ بعد ما ... يظنّان جَهدَ الظنّ أن لا تلاقِيا
لَحى اللهُ[3] أقواماً يقولون إنّني ... وجدتُ طوالَ الدّهر للحبّ شافِيا

(١) حيازيمه : ضلوع فؤاده .
(٢) اليفع من الرمل : ما أشرف وعلا .
(٣) لحاه الله : قبحه ولعنه وابعده .

التقاؤه بقيس بن ذريح :

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنا إسماعيلُ بن ابي أُوَيس قال : اجتاز قيسُ بنُ ذَريح بالمجنون وهو جالسٌ وحدَه في نادي قومه ، وكان كلّ واحد منهما مشتاقاً الى لقاء الآخر ، وكان المجنونُ قبل توحّشه لا يجلس إلا مُنفرداً ولا يُحدِّث أحداً ولا يردّ على متكلم جواباً ولا على مُسلِّم سلاماً ، فسلَّم عليه قيسُ بن ذَريح فلم يردّ عليه السلامَ ؛ فقال له : يا أخي ، انا قيسُ بن ذَريح ؛ فوثبَ اليه فعانقه وقال : مرحباً بك يا أخي ، انا والله مذهوبٌ مُشتَرَكُ اللُّبِّ فلا تلُمني ، فتحدّثا ساعةً وتشاكيا وبكيا ، ثم قال له المجنونُ : يا أخي ، إنّ حيَّ ليلى منّا قريبٌ ، فهل لك ان تمضيَ اليها فتبلِّغَها عني السلامَ ؟ فقال له : أفعل . فمضى قيسُ بن ذَريح حتى أتى ليلى فسلَّم وأنتسب ؛ فقالت له : حيّاكَ الله ، ألكَ حاجة ؟ قال : نعم ، ابنُ عمِّكِ أرسلني اليكِ بالسلام ؛ فأطرقَتْ ثم قالت : ما كنتَ أهلاً للتحيّة لو علمتُ أنك رسوله ، قل له عني : أرأيتَ قولكَ :

أَبتْ ليلةٌ بالغَيلِ يا أمَّ مالكٍ ... لكمْ غيرَ حبٍّ صادقٍ ليس يكذبُ
ألا إنما أبقيتِ يا أمَّ مالكٍ ... صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يذهبُ

أخبرني عن ليلة الغَيل ، أيُّ ليلة هي ؟ وهل خلوتُ معك في الغَيل أو غيره ليلاً أو نهاراً ؟ فقال لها قيسٌ : يا أبنة عمّ ، إن الناس تأولوا كلامَه على غير ما أراد ، فلا تكوني مثلَهم ، إنما اخبر انه رآكِ ليلةَ الغَيل فذهبتِ بقلبه ، لا انه عَناكِ بسوء ؛ قال : فاطرقتْ طويلاً ودموعُها تَجري وهي تُكفكِفُها ، ثم أنتحبَتْ حتى قلتُ تقطَّعَتْ حيازيمُها ، ثم قالت : أقرأ على أبن عمّي السلامَ ، وقل له : بنفسي أنت ! والله إن وجدي بكَ لفوقَ ما تجدُ ، ولكن لا حيلةَ لي فيكَ ؛ فأنصرفَ قيس اليه ليخبره فلم يجدْه .

بكى فرحاً بليلى اذ راها :

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيه قال حدّثني عمّي

عن أبن الصَّباح عن أبن الكلبيّ عن ابيه قال: مرَّ المجنونُ بعد أختلاطه بليلى تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويلٍ، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه، فانصرفتْ خوفاً من أهلها ان يلقَوْها عنده، فمكث كذلك ملياً ثم أفاق وأنشأ يقول:

بكى فرحاً بليلى إذ رآها   محبٌّ لا يرى حَسَناً سواها
لقد ظفِرَتْ يداه ونال مُلكاً   لئن كانتْ تراه كما يراها

الغناء لابن المكيّ رملٌ بالبنصر. وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ. وفيه خفيفُ رملٍ ليزيد حوراء. وقد نُسِبَ لحنُه إلى أبن المكيّ ولحنُ أبن المكيّ اليه.

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا   يشربون الخمرَ بالماء الزّلالِ
عَصَفَ الدّهرُ بهم فأنقرضوا   وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

الشعر لعديّ بن زيد العِبَاديّ، والغناء لابن مُحرِزٍ، ولحنُه المختارُ خفيفُ آخر بالبنصر أبتداؤه نشيدٌ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طُنبورةَ، وذكر أحمد بن المكي انه لأبيه. وهذه الأبياتُ قالها عديّ بن زيد العِباديّ على سبيل المَوْعِظة للنُّعمان أبن المُنذر، فيقال: إنها كانت سببَ دخوله في النصرانية.

عدي بن زيد والنصرانية:

حدّثني بذلك أحمد بن عِمْرانَ المؤدّب قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثني عليّ بن الصَّبّاح عن أبن الكَلْبيّ قال: خرج النعمانُ بنُ المنذر إلى الصيد ومعه عديٌّ بن زيد فمرّوا بشجرةٍ، فقال له

عديّ بن زيد : أيها الملكُ ، أتدري ما تقولُ هذه الشجرةُ ؟ قال : لا ، قال تقول :

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا يشربون الخمرَ بالماء الزُلالِ
عصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالًا بعد حالِ

قال : ثم جاوز الشجرةَ فمرّ بمقبرةٍ ، فقال له عديّ : أيها الملكُ أتدري ما تقول هذه المقبرةُ ؟ قال : لا ، قال تقول :

أيها الركبُ المُخِبُّو نَ على الارض المُجِدّون
فكما أنتمُ كُنّا وكما نحن تكونون

فقال له النعمان : إنّ الشجرةَ والمقبرة لا يتكلّمان ، وقد علمتُ أنك إنما أردتَ عِظَتي ، فما السبيلُ التي تُدرِكُ بها النجاةُ ؟ قال : تدعُ عبادةَ الأوثان وتعبدُ الله وتدينُ بدين المسيح عيسى بنِ مريمَ ؛ قال : أوَفي هذا النجاةُ ؟ قال : نعم ، فتنصّر يومئذٍ . وقد قيل : إنّ هذه القصةَ كانت لعديّ مع النعمان الأكبر بن المُنذِر ، وإنّ النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصر . وخبر هذا مع أحاديث عديّ .

ذكر عدي بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

نسبه وهل هو من فحول الشعراء :

هو عَديّ بن زيد بن حَمّاد بن زيد بن أيّوب بن مَحْروف بن عامر بن عُصَيَّة ابن أمرىء القَيس بن زيد مَناةَ بن تَميم بن مُرّ بن أدّ بن طابخةَ بن إلياسَ بن مضَر بن نِزار . وكان أيوبُ هذا فيما زعم ابن الاعرابيّ أوّلَ مَنْ سُمّيَ من العرب أيوبَ ، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانيّاً وكذلك كان أبوه وأمه وأهلُه ، وليس ممن يُعدّ في الفحول ، وهو قرويّ . وكانوا قد أخذوا عليه اشياء عِيب فيها . وكان الأصمعيّ وأبو عبيدةَ يقولان : عديٌّ بنُ زيد في الشعراء بمنزلةِ سُهَيلٍ في النجوم يعارضها ولا يجري معها مَجراها . وكذلك عندهم أُميّةُ ابنُ أبي الصَّلت ، ومثلهما كان عندهم من الاسلاميين الكُمَيتُ والطِّرِمّاحُ .

العجّاج ونقد الشعر :

قال العجّاج : كانا يسألاني عن الغريب فأُخبرهما به ، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه ؛ فقيل له : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنهما قَرَوِيّانِ يَصِفانِ ما لم يَرَيا فيضعانه في غير موضعه ، وأنا بدويّ أَصِف ما رأيتُ فأَضَعُه في مواضعه . وكذلك عندهم عديٌّ وأُميةُ .

نزول آل عدي بالحيرة :

قال ابنُ الأعرابيّ فيما أخبرني به عليّ بن سُلَيمان الأخفشُ عن السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيبَ عنه وعن هِشام بن الكَلْبيّ عن ابيه قال : سببُ نزول آلِ عَديّ ابن زيد الحِيرةَ أن جدَّه أيوبَ بنَ مَحْروف كان منزلُه اليمامةَ في بني أمرىء القيس بن زيد مناةَ ، فأصاب دماً في قومه فهربَ فلَحِقَ بأوْس بنِ قَلّامٍ أحد بني

الحارث بن كعب بالحيرة . وكان بين أيوبَ بن مَحْروف وبين أوس بن قَلّام هذا نسبٌ من قِبَل النساء، فلما قدِم عليه أيوبُ بنُ محروفٍ أكرمه وأنزله في داره، فمكث معه ما شاء الله أن يمكُثَ، ثم إن أوساً قال له : يابْنَ خالٍ، أتريدُ المُقامَ عندي وفي داري ؟ فقال له أيوبُ : نعم، فقد علمتُ أني إن أتيتُ قومي وقد أصبتُ فيهم دماً لم أسلَم، وما لي دارٌ إلا دارُكَ آخرَ الدهر ؛ قال أوس : إني قد كبرتُ وانا خائف ان أموتَ فلا يَعرِفُ ولديّ لكَ من الحقِّ مثلَ ما أعرفُ، وأخشى ان يقعَ بينكَ وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحيرة اليكَ فأعلِمْني به لأُقطِعَكه أو أبتاعه لكَ ؛ قال : وكان لأيوبَ صديق في الجانب الشرقيّ من الحيرة، وكان منزلُ أوْسٍ في الجانب الغربيّ، فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزلُ الذي تُسكِنُنيه عند منزل عِصام بن عَبْدَة أحد بني الحارث بن كَعْب ؛ فأبتاعَ له موضعَ داره بثلثمائة أوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً وأعطاه مائتين من الإبل برِعائها وفرساً وقَينَةً ؛ فمكث في منزل أوس حتى هلَكَ، ثم تحوّل إلى داره التي في شرقيّ الحيرة فهلك بها . وقد كان أيوبُ اتصل قبل مَهلَكِه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقَّه وحقَّ ابنه زيد بن أيوب، وثبت أيوب فلم يكن منهم ملكٌ يَملِكُ إلا ولِوَلَدِ أيوبَ منه جوائزُ وحُملانٌ[1] .

مقتل زيد بن ايوب :

ثم إنّ زيدَ بنَ أيوبَ نكح أمرأة من آل قَلّام فولدت له حمّاداً، فخرج زيدُ بنُ أيوبَ يوماً من الأيام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرةَ وهم مُنتدون[2] بحَفير – المكانِ الذي يذكره عديّ بن زيد في شعره – فأنفرد في الصيد وتباعد من أصحابه، فلقيه رجلٌ من بني أمرىء القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَلَ أبيه، فقال له – وقد عرف فيه شَبَهَ أيوبَ – : مِمَّنِ الرجلُ ؟ قال : من بني تَميم، قال :

---

(١) الحملان : ما يُحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .
(٢) انتدى القوم : اجتمعوا . وحفير : موضع بالحيرة .

مِن أيّهم ؟ قال : مَرَئِيّ[١] ؛ قال له الأعرابيّ : وأين منزلُك ؟ قال : الحيرة، قال : أمن بني أيوبَ أنتَ ؟ قال : نعم، ومن أين تعرف بني أيوب ؟ وأستوحش من الأعرابيّ وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه ؛ فقال له : سمعتُ بهم، ولم يُعلِمْهُ أنه قد عرفه ؛ فقال له زيدُ بنُ أيوبَ : فمن أيّ العرب أنتَ ؟ قال : أنا أمرؤ من طيء ؛ فأمِنه زيدٌ وسكتَ عنه، ثم إنّ الأعرابيّ اغتفلَ زيدَ بنَ أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيْه ففلَقَ قلبَه، فلم يَرِمْ[٢] حافرُ دابته حتى مات ؛ فلبِثَ أصحابُ زيد حتى إذا كان الليلُ طلبوه وقد أفتقدوه وظنّوا أنه قد أمعن في طلب الصيد، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه، ثم غدَوْا في طلبه فأقتفَوْا أثره حتى وقفوا عليه ورأوْا معه أثَر راكب يُسايرُه فأتبعوا الأثرَ حتى وجدوه قتيلاً، فعرفوا أنّ صاحبَ الراحلة قتله، فأتبعوه وأغذّوا السيرَ فأدركوه مساءَ الليلة الثانية، فصاحوا به وكان مِن أرمى الناس فأمتنع منهم بالنَّبلِ حتى حال الليلُ بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مَرْجِعِ[٣] كتِفَيه بسهم فلما أجنّه الليلُ ماتَ وأفلتَ الرامي، فرجعوا وقد قَتل زيدَ بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب .

حماد كاتب النعمان الاكبر :

فمكث حماد في أخواله حتى أيفَع[٤] ولَحِقَ بالوُصفاء، فخرج يوماً من الأيام يلعب مع غلمان بني لحيان، فلطم اللِّحيانيُّ عين حماد فشجّه حمّادٌ، فخرج ابو اللِّحياني فضرب حماداً فأتى حمادٌ أمّه يبكي، فقالت له : ما شأنك ؟ فقال : ضربني فلان لان أبنَه لطمني فشجَجْتُه، فجزِعَتْ من ذلك وحوّلتْهُ الى دار زيد بن أيوب وعلمتْهُ الكتابة في دار أبيه، فكان حمّاد أوّل من كتَب من بني أيوبَ، فخرج مِنْ أكتَبِ الناس وطُلبَ حتى صار كاتبَ الملكِ النُّعمانِ الأكبر، فلبِث كاتباً له حتى وُلد له آبنٌ مِن أمرأة تزوّجها من طيء فسمّاه زيداً بأسم أبيه .

(١) نسبة الى آمرىء القيس، ويقال في النسبة اليه : « آمرئيّ » ايضاً .
(٢) أي لم يبرح .
(٣) مرجع كتفيه : اسفلها .
(٤) يقال : أيفع الغلام فهو يافع اذا شارف الاحتلام . والوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق . ويقال : وصف الغلام اذا بلغ الخدمة فهو وصيف .

فرّوخ ماهان :

وكان لحمّاد صديقٌ من الدّهاقين[١] العُظماء يقال له فرّوخ ماهان، وكان مُحسناً إلى حمادٍ، فلما حضَرتْ حماداً الوفاةُ أوصى بأبنه زيدٍ الى الدّهقان، وكان من المَرَازِبَة[٢]، فأخذه الدّهقانُ اليه فكان عنده مع ولده، وكان زيدٌ قد حذَق الكتابةَ والعربيةَ قبل أن يأخذه الدّهقان، فعلّمه لمّا اخذه الفارسيّةَ فلقِنها[٣] وكانَ لَبيباً فأشار الدِّهقانُ على كِسْرى أن يجعله على البَرِيد في حوائجه، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المرازِبَة، فمكث يتولّى ذلك لكِسْرى زماناً؛ ثم إنّ النّعْمانَ النّصْريّ اللّخميّ هلكَ .

زيد بن حماد ملك الحيرة :

فأختلف أهلُ الحيرة فيمن يُمَلِّكونه إلى أن يعقِدَ كِسْرى الأمرَ لرجل يُنَصِّبُه، فأشار عليهم المَرْزُبانُ بزيد بن حمّاد، فكان على الحِيرة الى أن ملَّكَ كِسْرى المُنذرَ بنَ ماء السماء ونكح زيدُ بن حمّاد نعمةَ بنتَ ثَعْلَبَةَ العَدَوِيّةَ فولدت له عَدِيّاً، وملك المنذرُ وكان لا يَعصيه في شيء ووُلِدَ لِلمَرْزُبان ابنٌ فسمّاه « شاهانْ مَرْد » .

عدي في الكتّاب :

فلما تحرّكَ عديٌ بن زيد وأيفعَ طرَحه أبوه في الكُتّاب[٤]، حتى إذا حَذِقَ أرسله المَرْزُبانُ مع ابنه « شاهانْ مَرْد » إلى كتّاب الفارسية، فكان يختلفُ مع ابنه ويتعلّمُ الكتابةَ والكلامَ بالفارسية حتى خرج من افهم الناس بها وأفصحهم

(١) الدهاقين : جمع دهقان وهو التاجر فارسيّ معرّب .

(٢) المرزبان بضم الزاي : أحد مرازبة الفرس وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك وهو فارسيّ معرّب .

(٣) لقنها : فهمها .

(٤) الكتاب : موضع تعليم الكتابة .

بالعربية وقال الشعرَ ، وتعلّم الرميَ بالنُّشّاب يخرج من الاساورة[1] الرُّماةِ ، وتعلّم لِعبَ العجم على الخيل بالصّوالجةِ[2] وغيرها . ثم إنّ المرزُبان وفد على كِسرى ومعه ابنه « شاهان مرد » ، فبينا هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعمُ الذكر والانثى فجعل كلُّ واحدٍ منقارَه في منقار الاخر ، فغضِبَ كسرى من ذلك ولحقته غيرةٌ ، فقال للمرزُبان وابنه : لِيَرْمِ كلُّ واحدٍ منكما واحداً من هذين الطائرَين ، فإن قتلتماهما أدخلتُكما بيتَ المال وملأْتُ أفواهَكما بالجوهر ، ومَنْ أخطأ منكما عاقبتُه ؛ فاعتمد كلُّ واحد منهما طائراً منهما ورَمَيا فقتلاهما جميعاً ، فبعثَهما الى بيت المال فمُلِئَتْ أفواهُهُما جوهراً ، وأثبتَ « شاهان مرد » وسائرَ اولادِ المرزُبانِ في صَحابته ؛ فقال فرُّوخُ ماهان عند ذلك الملك :

اتصال عدي بكسرى :

إن عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلّفه في حِجْري فربّيتُه ، فهوَ أفصح الناس وأكتبُهم بالعربيّةِ والفارسيّة ، والملكُ محتاجٌ إلى مثله ، فإن رأى أن يُثبِتَه في ولَدي فعلَ ؛ فقال : أدعه ، فأرسل إلى عديّ بن زيد ، وكان جميلَ الوجه فائق الُحسنِ وكانت الفُرسُ تتبرّكُ بالجميل الوجه ، فلما كلّمه وجده اظرفَ الناس وأحضرَهم جوابا ، فرغِبَ فيه وأثبتَه مع ولدِ المرزُبان .

عدي كاتب كسرى :

فكان عديّ أوّل من كتب بالعربية في ديوان كسرى ، فرغِبَ أهلُ الحيرة إلى عديّ ورَهِبوه ، فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذَنُ له عليه في الخاصّة

---

(١) الاساورة : جمع الاسوار بالضم او الكسر وهو الجيد الرمي بالسهام . وقال ابو عبيد : اساورة الفرس : فرسانهم المقاتلون .

(٢) الصوالجة : جمع صولجان وهو عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب ، وهو فارسيّ معرّب .

وهو مُعجبٌ به قريبٌ منه ، وأبوه زيدُ بنُ حماد يومئذ حيّ إلا أن ذِكرَ عديّ قد أرتفع وخَملَ ذكرُ أبيه ، فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميعُ مَن عنده حتى يقعدَ عديّ ، فعلَا له بذاكَ صيتٌ عظيمٌ ، فكان إذا اراد المُقامَ بالحيرة في منزله ومع ابيه واهله أستأذنَ كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرَينِ واكثرَ وأقلَّ .

عدي موفد كسرى الى ملك الروم :

ثم إن كسرى ارسل عديّ بن زيد إلى ملكِ الروم بهديّةٍ من طُرَفِ ما عنده ، فلما أتاه عديّ بها أكرمه وحمله إلى عُمّاله على البريد ليُريَه سَعةَ أرضه وعظيمَ مُلكه – وكذلك كانوا يصنعون – فمن ثَمَّ وقع عديّ بدمشق ، وقال فيها الشعرَ . فكان مما قاله بالشام وهي أوّل شعر قاله فيما ذكر :

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجزْعِ مِن دو … مَةَ أشهى إليّ مِن جَيرُونِ
ونَدامَى لا يفرَحون بما نا … لُوا ولا يرهبونَ صَرفَ المنونِ
قد سُقيتُ الشَمولَ في دار بِشرٍ … قهوَةً مُزّةً بماءٍ سَخينِ

ثم كان أوّلُ ما قاله بعدها قولَه :

لِمنِ الدارُ تعفَّتْ بخِيَمْ[١] … أصبحَتْ غيَّرَها طولُ القِدَمْ
ما تَبينُ العينُ من آياتها … غيرَ نُؤيٍ مثل خطٍّ بالقَلَمْ
صالحا قد لَفّها فاستوسَقَتْ[٢] … لفَّ بازيٍّ حَماماً في سَلَمْ[٣]

انقلاب في الحيرة :

قال : وفسد أمرُ الحيرة وعديّ بدمشق حتى اصلح أبوه بينهم ، لان أهلَ

---

(١) خيم : موضع .
(٢) اي جمعها فاجتمعت .
(٣) السلم : شجر ورقه القرظ الذي يدبغ به .

الحيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتله لانه كان لا يعدِل فيهم ، وكان يأخذُ من اموالهم ما يُعجِبه ، فلما تيقَّن أن أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد ابن حماد بن زيد بن ايوب ، وكان قبلَه على الحيرة ، فقال له : يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبي ، وقد بلغني ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة فلا حاجة لي في مُلككُم ، دونكموه مَلِّكُوه مَن شئتم ؛ فقال له زيد : إنَّ الامر ليس إليَّ ، ولكني أسبُرُ[1] لكَ هذا الامرَ ولا آلوكَ[2] نصحاً ، فلما أصبح غدا اليه الناسُ فحَيَّوهُ تحيةَ الملك ، وقالوا له : ألا تبعَثُ إلى عبدك الظالِم – يَعنونَ المنذرَ – فتُريحَ منه رعيَّتَكَ ؟ فقال لهم : أوَلا خيرٌ من ذلكُ ! قالوا : أشِرْ علينا ؛ قال : تَدَعُونه على حاله فإنه من أهل بيت مُلكٍ ، وأنا آتيهِ فأُخبِرُه أنَّ أهلَ الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحيرة اليه إلا أن يكون غزوٌ أو قتالٌ ، فلك اسم المُلكِ وليس اليك سوى ذلك من الامور ؛ قالوا : رَأْيك أفضلُ . فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا ؛ فقبل ذلك وفَرح ، وقال : إنَّ لك يا زيدُ عليَّ نعمةً لا أكفُرُها ما عرفتُ حقَّ سبد – وسبد صنم كان لاهل الحيرة – فولَّى اهلُ الحيرة زيداً على كل شيء سوى اسم المُلكِ فإنهم أقرّوه للمنذر . وفي ذلك يقول عديّ :

نحن كنّا قد علِمتُمْ قبلكُمْ عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ[3]

قال : ثم هلك زيدٌ وابنُه عديّ يومئذ بالشام . وكانت لزيدٍ الفُ ناقةٍ للحَمالاتِ[4] كان اهلُ الحيرة أعطَوْهُ إياها حين ولَّوْه ما ولَّوْه ،فلما هلك أرادوا اخذها ، فبلغ ذلك المنذرَ ، فقال : لا ، واللّاتِ والعُزَّى لا يؤخذ مما كان في يد زيد ثُفْروقٌ[5] وأنا أسمعُ الصَّوتَ .

---

(١) سبر الامر : اختبره واستخرج كنهه .

(٢) آل : حلف .

(٣) الاصار : الطنب وهو حبل الخباء والسرادق ونحوهما .

(٤) الحمالات : جمع حمالة بالفتح وهي الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم .

(٥) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقمع من التمرة ؛ وقال الاصمعيّ : الثفروق قمع البسرة والتمرة ، ويكنى به عن القلة فيقال : ما له ثفروق أي ما له شيء .

ففي ذلك يقول عديّ بن زيد لابنهِ النُّعمانِ بنِ المنذر :

وأبوكَ المرءُ لم يُشنأْ بــه   يومَ سِيمَ الخسفَ منّا ذو الخسارِ

يؤثر الصيد على الملك :

قال : ثم إنّ عديا قَدِم المدائنَ عــلى كسرى بهديّةِ قيصرَ ، فصادفَ أباه والمرزُبانَ الذي ربّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى في الالمام بالحيرةِ فأذِن له فتوجّه اليها ، وبلغ المنذرَ خبرُه فخرج فتلقاه في الناس ورجع معه . وعديّ أنبلُ أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو اراد أن يُملّكوه لملّكوه ، ولكنه كان يُؤثِرُ الصيدَ واللّهوَ واللعِبَ على المُلكِ ، فمكث سنينَ يبدو[1] في فصلَي السنة فيقيمُ في جفيرٍ[2] ويشتو بالحيرة ، ويأتي المدائنَ في خلال ذلك فيخدُم كسرى ، فمكث كذلك سنين ، وكان لا يؤثِرُ على بلادِ بني يَربوع مَبْدًى من مَبادي العربِ ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميمٍ غيرِهم ، وكان أخِلّاؤه من العرب كلِّهم بني جعفر ، وكانت إبله في بلاد بني ضَبّةَ وبلاد بني سعد ، وكذلك كان أبوه يفعل : لا يجاوز هذين الحيّين بإبله .

زوجته هند بنت النعمان :

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هندَ بنتَ النعمان بن المنذر ، وهي يومئذ جاريةٌ حين بلغتْ أو كادت . وخبرُه يذكر في تزويجها بعد هذا .

قال ابنُ حبيبَ وذكر هشام بنُ الكلبيّ عن إسحــاقَ بن الجصّاص وحمّاد الراوية وأبي محمد بن السائب قال : كان لعديّ بن زيد أخوان : احدهما اسمه عمّار ولقبُه أُبَيّ ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَيّ ، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عديّ بنُ حَنظلة من طيء ، وكان أُبيّ يكون عند كسرى ، وكانوا أهلَ بيتٍ

(١) أي يخرج الى البادية .

(٢) جفير : قرية في البحرين ذات رياض ومياه ومنازه .

نصارى يكونون مع الاكاسرة، ولهم معهم أُكُلٌ[1] وناحيةٌ، يُقطِعونهم القطائعَ ويُجزِلون صِلاتِهم .

ابن المنذر في حجر عدي :

وكان المنذرُ لما ملكَ جعل ابنَه النعمانَ بنَ المنذر في حِجْرِ عديّ بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربّوه ، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له « الاسودُ » ، أمّهُ ماريةُ بنتُ الحارث بن جُلهُم من تَيم الرِّبابِ ، فأرضعه وربّاه قومٌ من اهل الحيرةِ يقال لهم بنو مَرينا ينتسبون إلى لَخْمٍ وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ ، وكان ولدُه يقال لهم « الاشاهب[2] » من جمالهم ، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثَعْلَبَة :

وبنو المنذرِ الاشاهبُ في الحيـــرَةِ يمشونَ غُـدْوةً كالسيوفِ

عدي السياسي الماكر :

وكان النعمانُ من بينهم أحمرَ أبرشَ قصيراً ، وأمّه سلمى بنتُ وائل بن عَطيّةَ الصائغ من أهل فَدَكَ[3] ، فلمّا أحتُضِرَ المنذرُ وخلّفَ اولادَه العشرةَ ، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر ، أوصى بهم إلى إياس بن قَبيصةَ الطّائي ، وملّكه على الحيرة الى ان يرى كِسرى رأيَهُ ، فمكث مُملّكاً عليها أشهُراً وكسرى في طلب رجل يُملّكه عليهم ، وهو كسرى بنُ هُرمُزَ ، فلم يجد أحداً يَرضاه فضَجِرَ ، فقال : لأبعثنّ الى الحيرة أثنيْ عشرَ الفاً من الأساورة ، ولأُملِكنَّ عليهم رجلاً من الفُرْس ، ولآمرنّهم أن ينزلوا على العرب في دُورهم ويَملكوا عليهم اموالَهم ونساءهم ، وكان عديُّ بن زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحكَ يا عديّ :

(١) الأكُلُ : الرزق . يقال : فلان ذو أُكل اذا كان ذا رزق وحظ واسع في الدنيا .

(٢) الأشاهب : سموا بذلك لبياض وجوههم .

(٣) فدك : قرية في الحجاز .

مَن بقي من آل المنذر ؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ ؟ فقال : نعم أيها الملكُ السعيدُ، إنّ في ولد المنذر لبقيةً وفيهم كلّهم خيرٌ؛ فقال: ابعث اليهم فأحضِرهم، فبعث عديّ اليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده، ويقال : بل شَخَص عديّ بن زيد الى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم، ثم قدِم بهم على كِسرى: قال: فلما نزلوا على عديّ بن زيد أرسل الى النُّعمان : لستُ أُمِلكُ غيرَكَ فلا يُوحشَنَّكَ ما أُفضِلُ به إخوتَكَ عليك من الكرامة فإني إنما أغترُّهم بذلك ، ثم كان يُفضِّلُ إخوتَه جميعاً عليه في النُّزُلِ والاكرام والملازمة ويُريهم تنقُّصاً للنُّعمان وأنه غيرُ طامعٍ في تمام أمرٍ على يده ، وجعل يخلو بهم رجلًا رجلًا فيقول : إذا ادخلتكم على الملكِ فألبسوا أفخرَ ثيابكم واجملَها، واذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا في الاكل وصغِروا اللُّقمَ ونَزِّروا ما تأكلون، فإذا قال لكم : أتكفُونَني العربَ ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد، أتكفُونَنِيهِ ؟ فقولوا : لا، إنّ بعضَنا لا يقدر على بعض، ليهابكم ولا يطمَعَ في تفرقكم ويعلَمَ أن للعرب مَنَعَةً وبأساً فقبِلوا منه ؛ وخلا بالنعمان فقال له : ألبسْ ثيابَ السفر وادْخل مُتقلِّداً بسيفك ، وإذا جلستَ للاكل فعظِّم اللُّقمَ وأسرع المضغَ والبلعَ وزِدْ في الاكل وتجوّعْ قبل ذلك ، فإنّ كسرى يُعجبه كثرةُ الاكل من العرب خاصّةً ، ويَرى أنه لا خيرَ في العربيّ إذا لم يكن أكُولًا شَرِهًا، ولاسيما إذا رأى غيرَ طعامه وما لا عهد له بمثله، وإذا سألكَ هل تكفيني العربَ ؟ فقل : نعم، فإذا قال لك : فمن لي بإخوتك ؟ فقل له : إن عجزتُ عنهم فإني عن غيرهم لأعجزُ . قال : وخلا ابنُ مَرينا بالأسود فسأله عمّا اوصاه به عديّ فأخبره، فقال : غشَّكَ والصليبِ والمعموديّةِ وما نصَحك، ولئن أطعتني لتُخالفنَّ كلَّ ما أمركَ به ولتُملَّكنَّ، ولئن عصيتَني ليُملَّكنَّ النعمانُ ولا يغرّنك ما أراكَهُ من الاكرام والتفضيل على النعمان ، فإن ذلك دهاء فيه ومكر، وإن هذه المَعَدِّيَّةَ لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ ؛ فقال له : إن عدياً لم يألُني نصحاً وهو اعلم بكسرى منك ، وإن خالفتُه أوحشتُه وأفسد عليّ وهو جاء بنا ووصَفَنا والى قوله يرجع كسرى، فلما أيِسَ ابنُ مَرينا من قبوله منه قال : ستعلمُ. ودعا بهم كسرى، فلما دخلوا عليه أعجبهُ جمالهم وكمالهم ورأى رجالًا قلّما رأى

مثلهم، فدعـا لهم بالطعام ففعلوا ما امرهم به عديّ، فجعل ينظر الى النعمان من بينهم ويتأملُ اكله، فقال لعديّ بالفارسية: إن يكن في احد منهم خيرٌ ففي هذا فلما غسلوا ايديَهم جعل يـدعو بهم رجلاً رجلاً فيقولُ لهُ: اتكفيني العربَ؟ فيقول: نعم اكفيكَها كلَّهـا إلا إخوتي، حتى انتهى الى النعمان آخرهم فقال له: اتكفيني العرب؟ قال: نعم. قال: كلَّها؟ قال: نعم. قال: فكيف لي بإخوتك؟ قال ان عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ؛ فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستون الفَ درهم فيه اللؤلؤ والذهب.

ابن مرينا يتوعد ابن زيد:

فلما خرج وقد مُلِّكَ قال ابنُ مَرينا للاسود: دونكَ عُقبَى خلافِكَ لي! ثم إنّ عدياً صنع طعاماً في بِيعةٍ[1] وارسل الى ابن مرينا أنِ ائْتِني بمن احببتَ فإنّ لي حاجةً، فأتى في ناس فتغدَّوْا في البِيعة؛ فقال عـديُّ بنُ زيد لابن مرينا: يا عديّ، إنّ أحقّ مَنْ عرفَ الحقّ ثم لم يَلُم عليه مَن كان مثلكَ، وإني قد عرفتُ أنّ صاحبكَ الأسودَ بنَ المنذر كان أحبَّ اليك أن يُملَّكَ من صاحبي النعمانِ، فلا تلُمْني على شيء كنتَ على مثله، وأنا أُحِبُّ ألا تَحقِدَ عليّ شيئاً لو قدَرتَ عليه ركبتَهُ، وأنا أُحِبُّ أن تُعطِيَني من نفسك ما أُعطيكَ من نفسي، فإنّ نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفرَ من نصيبك؛ وقام الى البِيعة فحلف ألّا يَهجوَه أبداً ولا يَبغِيَهُ غائلةً ولا يَزْوِيَ عنهُ خيراً أبداً. فلما فرغ عديُّ بن زيد، قام عديُّ بن مرينا فحلف مثِلَ يمينه ألّا يزالَ يهجوه أبداً ويَبغيه الغوائلَ ما بقي. وخرج النعمانُ حتى نزل منزلَ أبيه بالحيرة، فقال عديُّ بن مرينا لعديّ بن زيد.

ألا أبلغ عدياً عن عـديٍّ فلا تجزَعْ وإن رَثّتْ قُواكا
هياكلنا تَبَرُّ لغـيرِ فَقْرٍ لِتُحْمَدَ أو يَتِمَّ بهِ غِنـاكا
فإن تظفَرْ فلم تظفر حميـداً وان تَعطَبْ فلا يَبْعُدْ سِواكا

(١) البيعة: معبد للنصارى واليهود.

نَدِمتَ نَدامةَ الكُسَعي[١] لمّا رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكا

تدبيره المكيدة له :

قال : ثم قال عديٌّ بن مَرينا للأسود : أما اذا لم تظفر فلا تعجزَنَّ أن تطلبَ بثأرِكَ من هذا المَعَديِّ الذي فعل بكَ ما فعل، فقد كنتُ أُخبرُكَ أنَّ مَعَدًّا لا ينام كيدُها ومكرها وأمرتُكَ أن تَعصِيَه فخالفتني ؛ قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألّا تأتيَكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عَرَضْتَها عليَّ ففعلَ . وكان ابنُ مرينا كثيرَ المال والضَّيعةِ ، فلم يكن في الدهر يومٌ يأتي إلا على باب النعمان هديّةٌ من ابن مرينا ، فصار من أكرم الناس عليه حتى كان لا يقضي في ملكهِ شيئاً إلا بأمر ابن مرينا ، وكان اذا ذُكِرَ عديٌّ بنُ زيد عند النعمان أحسنَ الثناء عليه وشيَّعَ[٢] ذلك بأن يقول: إن عديَّ بن زيد فيه مكرٌ وخديعة ، والمَعَدِّيُّ لا يصلح إلا هكذا . فلما رأى مَنْ يُطيفُ بالنعمان منزلةَ ابنِ مرينا عنده لزموه وتابعوه، فجعل يقول لمن يَثِق به من أصحابه : اذا رأيتموني أذكر عدياً عند الملك بخيرٍ فقولوا : إنه لكذلكَ ، ولكنهُ لا يَسلم عليه أحدٌ ، وإنه ليقول : إنَّ الملكَ — يعني النعمان — عاملُهُ ، وإنه هو ولّاه ما ولّاه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، فكتبوا كتاباً على لسانهِ إلى قَهْرَمَانٍ[٣] له ثم دسّوا اليه حتى أخذوا الكتاب منهُ .

النعمان يحبس عدياً :

وأتوا به النعمانَ فقرأه فاشتدَّ غضبهُ ، فأرسل الى عديَّ بن زيد : عزمتُ

---

(١) الكسعيّ : نسبة الى كسع : حيّ من قيس عيلان وقيل هم حيّ من اليمن رماة . والكسعي هذا يضرب به المثل في الندامة وهو رجل رامٍ رمى بعد ما أظلم الليل عيراً فأصابه وظنّ أنه أخطأه فكسر قوسه ثم ندم من الغد حين نظر الى العير مقتولا وسهمه فيه، فصار مثلاً لكل نادم على فعل يفعله .
واياه عنى الفرزدق بقوله :

ندمتُ ندامة الكسعيّ لمّا غدت مني مطلّقةً نَوارُ

(٢) شيّع : اتبع .

(٣) القهرمان : أمين الملك وخاصته فارسيّ معرّب، ويطلق في لغة الفرس على القائم بأمور الرجل كالخازن والوكيل .

عليك إلا زُرْتَني فإني قد اشتقتُ إلى رؤيتك، وعديّ يومئذٍ عند كسرى، فاستأذنَ كسرى فأذِن له. فلما أتاه لم ينظر اليه حتى حبسهُ في محبسٍ لا يدخل عليه فيه احدٌ، فجعل عديٌّ يقول الشعر وهو في الحبس، فكان أوّلُ ما قاله وهو محبوس من الشعر :

شعره في الحبس :

ليتَ شِعْري عن الهمام ويأتيـكَ بخُبْرِ الانباء عطفُ السؤالِ
أين عنّا إخطارُنا[١] المالَ والأنفُسَ إذ ناهدوا[٢] ليوم المِحالِ[٣]
ونضالي في جنبكَ الناسَ يرمو ن وأرمي وكلُّنا غيرُ آلي[٤]
فأصيبُ الذي تُريدُ بلا غِشٍّ وأرْبي عليهمُ وأوالي
ليتَ أني أخذتُ حتفي بكفّي ولم ألقَ ميتةَ الأقتالِ[٥]
محَلوا[٦] محْلَهمْ لصَرْعَتِنا العا مَ فقد أوقعوا الرّحا بالثِّفالِ[٧]

وهي قصيدة طويلة . قالوا : وقال ايضاً وهو محبوس :

أرِقْتُ لمكفَهِرٍّ بات فيه بوارقُ يرْتقينَ رؤوسَ شِيبِ
تَلوح المشرَفيّةُ في ذُراه ويجلو صفحَ دَخدارٍ قشيبِ

ويروى : تخالُ المشرفيّةُ . الدخدار : فارسية معرّبة وهو الثوب المصون يقول فيها :

---

(١) إخطار المال والنفس : بذلها وجعلها خطراً .
(٢) المناهدة في الحرب : المناهضة .
(٣) المحال : الكيد او المكر .
(٤) أي غير مقصر .
(٥) الأقتال : جمع قتل (بالكسر) وهو العدوّ .
(٦) يقال : محل فلان بصاحبه اذا سعى به الى السلطان .
(٧) الثفال بالكسر : الجلد الذي يبسط تحت رحا اليد ليقي الطحين من التراب، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا .

سعى الاعداء لا يألونَ شرًّا … عليَّ وربِّ مكةَ والصليبِ
أرادوا كي تُمَهَّلَ عن عديٍّ … ليُسجَن أو يُدَهْدَه[١] في القليبِ
وكنتُ لِزازَ[٢] خصمِكَ لم أُعَرِّدْ[٣] … وقد سلكوكَ في يومٍ عصيبِ
أُعالِنُهم وأُبطِنُ كلَّ سرٍّ … كما بينَ اللِّحاء[٤] إلى العَسيبِ[٥]
فَفُزْتُ عليهمُ لمّا التقينا … بتاجِكَ فوزةَ القِدْحِ الاريبِ
وما دهري بأن كُدِّرتُ فضلاً … ولكن ما لقيتُ من العجيبِ
ألا مَنْ مُبلِغُ النعمانِ عنّي … وقد تُهدى النصيحةُ بالمغيبِ
أحظّي كان سِلسِلةً وقيداً … وغُلًّا والبيانُ لدى الطبيبِ
أتاكَ بأنّني قد طالَ حبسي … ولم تسأم بمسجونٍ حريبِ[٦]
وبيتي مُقفِرٌ إلا نساء … أراملَ قد هلكْنَ من النحيبِ
يُبادِرنَ الدموعَ على عديٍّ … كشَنٍّ[٧] خانه خَرْزُ الرَّبيبِ[٨]
يُحاذِرنَ الوُشاةَ على عديٍّ … وما اقترفوا عليه من الذنوبِ
فإن أخطأتُ أو أوهمتُ أمراً … فقد يَهِمُ المصافي بالحبيبِ
وإن أُظلَمْ فقد عاقبتموني … وإن أُظلَمْ فذلكَ من نصيبي
وإن أهلِكْ تجِدْ فَقْدي وتُخذَل … إذا التقتِ العوالي في الحروبِ
فهل لكَ أن تداركَ ما لدينا … ولا تُغلَبْ على الرأيِ المصيبِ
فإني قد وكلتُ اليومَ أمري … إلى ربٍّ قريبٍ مستجيبِ

قالوا : وقال فيه أيضاً :

---

(١) دهده الشيء : حدره من علو الى اسفل تدحرجاً .
(٢) فلان لزاز لفلان : لا يدعه يعانده ويخالفه .
(٣) عرّد الرجل عن قرنه : احجم وكلّ وفرّ .
(٤) اللحاء : قشر العود .
(٥) جريد النخل .
(٦) الحريب : الذي سلب ماله وعقاره .
(٧) الشن : الخلف من كل آنية صنعت من جلد .
(٨) الربيب : الحاضن .

طال ذا الليلُ علينا واعتكرْ وكأني ناذرُ الصبحِ سَمَرْ
مِنْ نجيِّ الهمِّ عندي ثاوياً فوقَ ما أُعلِنُ منه وأُسِرّْ
وكأن اللّيلَ فيه مثلُه ولَقِدْماً ظُنَّ بالليلِ القِصَرْ
لم أُغمِّضْ طولَهُ حتى انقضى أتمنّى لو أرى الصُّبحَ، جَشَرْ[1]
غيرِ ما عِشْقٍ ولكن طارقٌ خلَسَ النومَ وأجدانيَ[2] السَّهَرْ

وفيها يقول:

أبلِغِ النُّعمانَ عَنّي مألُكاً[3] قولَ مَنْ قد خافَ ظَنّاً فاعتذَرْ
أنّني واللهِ، فاقبَلْ حَلِفي لأبيلٌ[4] كلّما صلّى جأرْ
مُرعَدٌ أحشاؤه في هيكلٍ حَسَنٍ لِمَّتُهُ وافي الشَّعَرْ،
ما حَمَلْتُ الغِلَّ مِنْ أعدائكم ولَدى اللهِ مِنَ العِلْمِ المُسَرّْ
لا تكونَنَّ كآسي عَظْمِهِ بِأساً حتى إذا العَظْمُ جَبَرْ
عادَ بعدَ الجَبْرِ يَبْغي وَهْنَهُ يَنْحُوَنَّ المَشْيَ منهُ فانكَسَرْ
واذْكُرِ النُّعمى التي لم أنسَها لكَ في السَّعْي إذا العبدُ كَفَرْ

وقال له أيضاً – وهي قصيدة طويلة –:

أبلِغِ النُّعمانَ عنّي مألُكاً أنّهُ قد طالَ حَبسي وانتظاري
لو بغيرِ الماءِ حَلْقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصّانِ بالماءِ اعتِصاري[5]
ليتَ شِعري عن دخيلٍ يفتري حيثما أدركَ ليلي ونهاري
قاعِداً يكرُبُ[6] نفسي بَثُّها وحراماً كان سِجْني واحتِصاري[7]

---

(١) جشر الصبح: طلع وانفلق.
(٢) اجداني: اعطاني.
(٣) المألك: الرسالة.
(٤) أبيل: راهب.
(٥) الاعتصار: ان يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء أي يشربه قليلاً قليلاً ليسيغه.
(٦) يشتد عليها حزنها.
(٧) احتصاري: حبسي.

أَجَلْ[1] نُعمى رَبَّها[2] أوَّلكُمْ   ودُنُوِّي كان منكم واصطِهاري

في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها اليه فلا تُغني عنده شيئاً .

سبب حبس النعمان له :

وأمّا المفضَّل الضَّبّيّ فانه ذكر أن عديّ بن زيد لما قدم على النعمان صادفهُ لا مالَ عنده ولا أثاثَ ولا ما يَصْلحُ لِمَلِكٍ ؛ وكان آدمَ إخوته مَنْظراً وكلّهم أكثر مالًا منه: فقال له عديّ : كيف أصنعُ بكَ ولا مال عندكَ ! فقال له النعمان :

ما اعرِف لك حيلةً إلا ما تعرفه أنتَ ؛ فقال لهُ : قُمْ بنا نَمضِ الى ابن قرْدس — رجلٍ من اهل الحيرة من دُومةَ — فأتياه ليقترضا منهُ مالًا، فأبى ان يُقرِضَها وقال : ما عندي شيء، فأتيا جابرَ بن شَمعون وهو الأسقُفّ احد بني الأوْسِ بن قلّام بن بطين بن جمهير بن لَحْيان من بني الحارث بن كَعْب فاستقرضا منهُ مالًا، فأنزلها عنده ثلاثة ايام يذبح لهم ويَسقيهمُ الخمرَ، فلما كان في اليوم الرابع قال لها : ما تريدان ؟ فقال لهُ عديّ : تُقرِضُنا اربعينَ الف درهم يستعينُ بها النعمانُ على أمره عند كسرى؛ فقال : لكما عندي ثمانون ألفاً، ثم أعطاهما إياها ؛ فقال النعمانُ لجابر: لا جَرَمَ[3] لا جرى لي درهمٌ إلا على يديْكَ إن انا ملكت . قال : وجابر هو صاحبُ القصرِ الأبيضِ بالحيرة، ثم ذكر من قصة النعمان وإخوته وعديّ وأبنِ مَرينا مِثلَ ما ذكره أبن الكلبيّ . وقال المفضَّل خاصّةً : إنَّ سببَ حبسِ النعمان عديّ بنَ زيد، أنّ عدياً صنعَ ذاتَ يوم طعاماً للنعمان، وسألهُ ان يركبَ اليهِ ويتغدّى عنده هو وأصحابه، فركب النعمانُ اليه فاعترضه عديّ بن مَرينا فاحتبسَه حتى تغدّى عنده هو واصحابُه وشربوا حتى ثَمِلوا، ثم ركب الى

(١) أي من أجل نعمى .

(٢) ربها : رباها .

(٣) تستعمل هذه الكلمة بمعنى لا بدّ ولا محالة ، وكثر استعمالها في هذا المعنى حتى تحولت الى معنى القسم . والعرب تقول : لا جرم لآتينّك ، ولا جرم لقد أحسنت ، فتراها بمنزلة اليمين .

عديّ ولا فَضْلَ فيه، فأحفظه[1] ذلك، ورأى في وجه عديّ الكراهةَ، فقام فركب ورجع الى منزله؛ فقال عديّ بن زيد في ذلك من فعل النعمان:

أَحسِبْتَ مجلسَنا وحُسْنَ حديثِنا يُودي بمالِكْ
فالمالُ والأهلونَ مُصْرَعَةٌ لأمرِكَ أو نَكالِكْ
ما تأمُرَنْ فينا فأمرُكَ في يمينِكَ أو شِمالِكْ

قال: وأرسل النعمانُ ذات يوم الى عديّ بن زيد فأبى ان يأتيه ثم اعاد رسوله فأبى أن يأتيَهُ، وقد كان النعمان شَرِب فغضِبَ وأمر به فسُحِبَ من منزله حتى انتُهِيَ به اليه، فحبسه في الصِنِّين[2] ولجّ في حبسه وعديّ يرسل اليه بالشعر، فمما قاله له:

ليسَ شيءٌ على المنونِ بباقِ غيرُ وجهِ المسبِّحِ الخلّاقِ
إن نَكُن آمِنِينَ فاجأنا شرٌّ مُصيبٌ ذا الوُدِّ والاشفاقِ
فبريءٌ صدري من الظلم للرَّبِّ وحِنثٍ بمَعقدِ الميثاقِ
ولقد ساءني زيارةُ ذي قُربَى حبيبٍ لوُدّنا مُشتاقِ
ساءه ما بنا تبيَّنَ في الأيدي وإشناقُها[3] إلى الأعناقِ
فاذهبي يا أُميمَ غيرَ بعيدٍ لا يُؤاتي العِناقَ مَنْ في الوَثاقِ
واذهبي يا أُميمَ إن يشأ اللّهُ يُنفِّسْ مِن أزْمِ[4] هذا الخِناقِ
أو تَكُنْ وُجهةٌ فتلك سبيلُ النّاسِ لا تَمنعُ الحتوفَ الرَّواقي[5]

ويقول فيها:

(١) احفظه: أغضبه.
(٢) الصِنِّين: بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر، وبه نهر ومزارع.
(٣) الاشناق: أن تغلّ اليد الى العنق.
(٤) الازم: الشدة.
(٥) الرواقي: جمع راقية وصفا لامرأة أو وصفا لرجل والهاء للمبالغة وهو من رقي يرقي رقية اذا عوّذ ونفث في عوذته.

وتقول العُداةُ أودى عديٌّ وبنوه قد أيقنوا بغَلاقِ[١]
يا أبا مُسْهِرٍ فأبلِغْ رسولاً إخوتي إن أتيتَ صَحْنَ العِراقِ
أبلِغا عامراً وأبلغْ أخاه أنني مُوثَقٌ شديدٌ وِثاقي
في حديد القِسْطاس[٢] يرقُبني الحا رسُ والمرءُ كلَّ شيءٍ يُلاقي
في حديدٍ مُضاعَفٍ وغُلولٍ وثيابٍ مُنضَّحاتٍ خِلاقِ
فاركبوا في الحرام فُكُّوا اخاكم إنَّ عِيراً[٣] قد جُهِّزَتْ لانطلاقِ

يعني الشهرَ الحرام . قالوا جميعاً : وخرج النعمانُ الى البحرين، فأقبل رجل من غسّانَ فأصاب في الحِيرة ما أحبّ ؛ ويقال : إنه جَفْنة بن النُّعمان الجَفْني، فقال عديُّ بنُ زيد في ذلك :

سما صَقْرٌ فأشعلَ جانِبَيها وألهاكَ المروَّحُ والعَزيبُ

المروَّح : الابل المروَّحة إلى أعطانها . والعَزيبُ : ما تُرِكَ في مراعيه .

وثَبْنَ لدى الثَّوِيّة[٤] مُلْجَماتٍ وصبَّحنَ العِبادَ وهنَّ شِيبُ
ألا تلكَ الغَنيمةُ لا إفالٌ[٥] تُزَجِّيها مُسوَّمةٌ ونِيبُ[٦]
تُزَجّيها وقد صابَتْ بِقُرٍّ[٧] كما تَرجو أصاغرَها عَتِيبُ[٨]

وسالته الى اخيه من السجن :

وقالوا جميعاً : فلما طال سجنُ عديّ بن زيد كتب الى أخيه أُبَيّ وهو مع كسرى بهذا الشعر :

(١) اسم من اغلاق القاتل وهو إسلامه الى وليّ المقتول فيحكم في دمه ما شاء .
(٢) القسطاس : أعدل الموازين وأقومها ، وقيل هو القبّان .
(٣) العير : القافلة ، وقيل العير : الابل التي تحمل الميرة .
(٤) الثوية : موضع قريب من الكوفة كان يحبس فيه النعمان بن المنذر من أراد قتله .
(٥) الافال : صغار الابل .
(٦) النيب : النوق المسنة .
(٧) صابت بقر : نزلت في قرار .
(٨) عتيب : محلة في البصرة .

أبلغْ أُبيّاً على نأيِهِ وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ
بأنّ أخاكَ شقيقَ الفؤا دِ كنتَ به واثقاً ما سَلِمْ
لدى مَلِكٍ مُوثَقٌ في الحديـدِ إمّا بحقّ وإمّا ظُلِمْ
فلا أعرِفَنكَ كذاتِ[١] الغلا مِ ما لم تجدْ عارِماً[٢] تَعتَرِمْ[٣]
فأرضكَ أرضكَ إن تأتِنا تَنَمْ نومةً ليس فيها حُلُمْ

قال : فكتب اليه أخوه أبيّ :

إن يكن خانكَ الزمانُ فلا عا جزُ باعٍ ولا ألفُّ[٤] ضعيفُ
ويمينِ الإله لو أنّ جأوَا ءَ[٥] طحونا تُضيءُ فيها السيوفُ
ذاتَ رزٍّ مجتابةً[٦] غمرةَ المو تِ صحيحٌ سِربالُها مكفوفُ[٧]
كنتَ في حَمْيِها لجئتُكَ أسعى فاعلمنْ لو سمعتُ إذ تَستَضيفُ
أو بمالٍ سألتَ دونكَ لم يُمـنَعْ تِلادٌ لحاجةٍ أو طريفُ
أو بأرضٍ أسطيعُ آتيكَ فيها لم يَهُلْني بُعْدٌ بها أو مخوفُ
إن تَفُتني واللهِ إلفاً فجوعاً لا يُعقّبْكَ ما يَصوبُ الخريفُ
في الأعادي وأنتَ مني بعيدٌ عزّ هذا الزّمانُ والتعنيفُ
ولعَمْري لئن جزِعتُ عليه لجزوعٌ على الصديق أسوفُ
ولعَمْري لئن ملكتُ عَزائي لقليلٌ شَرْواكَ[٨] فيما أطوفُ

---

(١) ذات الغلام : الام المرضع .
(٢) عارما : راضعا .
(٣) اعترم الصبي ثدي أمه : مصه واعترمت هي أي طلبت من يعرمها .
(٤) الالف : الثقيل البطيء .
(٥) الجأواء : الكتيبة تطحن ما تلقاه .
(٦) الرز : الصوت يسمع من بعيد .
(٧) السربال المكفوف : القميص اذا خيطت حاشيته .
(٨) شرواك : مثيلك .

عندما قتل في السجن :

قالوا جميعاً : فلما قرأ أبيّ كتاب عديّ قام الى كسرى فكلمه في أمره وعرّفه خبرَه ؛ فكتبَ الى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث معه رجلًا ؛ وكتب خليفة النعمان اليه : إنه قد كُتِبَ اليك في أمره ، فأتى النعمانَ أعداءُ عديّ من بني بُقيلة وهم من غسّانَ ، فقالوا له : اقتله الساعةَ فأبى عليهم ، وجاء الرسولُ ، وقد كان أخو عديّ تقدّم اليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ فيدخلَ اليه وهو محبوسٌ بالصِّنَّيْنِ ، فقال له : أدخل عليه فأنظر ما يأمركَ به فأمتثِله ، فدخل الرسولُ على عديٍّ ، فقال له : إني قد جئتُ بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تُحبُّ ووعدَهُ بعِدَةٍ سنيَّةٍ ، وقال له : لا تخرُجنَّ من عندي وأعطني الكتابَ حتى أرسله اليه ، فإنك والله إن خرجتَ من عندي لأُقتلَنَّ ، فقال : لا أستطيعُ إلا أن آتيَ الملك بالكتاب فأوصله اليه ، فأنطلق بعضُ مَنْ كان هناكَ من أعدائه فأخبرَ النعمانَ أن رسولَ كسرى دخل على عديّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فعلَ واللهِ لم يَستَبْقِ منّا أحدًا أنت ولا غيرك ، فبعث اليه النعمانُ أعداءه فغمُّوه[1] ثم مات ثم دفنوه . ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الكتابَ اليه ؛ فقال : نعمْ وكرامةَ ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجاريةٍ حسناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فأدخل أنتَ بنفسكَ فأخرجه ؛ فلما أصبح ركبَ فدخل السجنَ ، فأعلمه الحرسُ أنه قد مات منذ أيامٍ ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إني كنت أمسِ دخلتُ على عديّ وهو حيّ ، وجئتُ اليومَ فجحزني السَّجّانُ وبَهتني[2] ، وذكر أنه قد ماتَ منذُ أيامٍ . فقال له النعمان : أيبعثُ بكَ الملك إليّ فتدخلَ اليهِ قبلي ! كذبتَ ، ولكنكَ أردتَ الرشوةَ والخبثَ ، فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمهُ ، وتوثّقَ منه ألا يخبر كسرى إلا إنه قد مات قبل أن يقدمَ عليه . فرجع الرسولُ الى كسرى وقال : إني وجدتُ عدياً قد ماتَ قبل أن أدخل عليه . وندم النعمان على قتل عديّ وعرف أنه أحتيل عليه في أمره ، وأجترأ أعداؤه عليه وهابَهم هيبةً شديدةً .

(١) يريد انهم غطوا وجهه بشيء حتى اختنق .
(٢) بهت الرجل : قابله بكذب .

النعمان يمدحه امام كسرى :

ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعديّ يقال لهُ زيد ، فلما رآه عرف شبهَهُ ، فقال له : مَن أنتَ ؟ فقال : انا زيد بن عديّ بن زيد ، فكلّمَهُ فإذا غلامٌ ظريفٌ ، ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر اليه من امر أبيه وجهّزه[١] ، ثم كتب الى كسرى : إنّ عدياً كان ممن أعينَ بِهِ الملكُ في نُصحه ولُبّه ، فأصابهُ ما لا بدّ منه وانقطعت مُدّته وانقضى أَجَله ، ولم يُصَبْ بِهِ أحدٌ أشدّ من مصيبتي ، وأما الملكُ فلم يكن لِيَفقِدَ رجلاً إلّا جعل الله لهُ منه خَلَفاً لِما عظّمَ اللهُ من ملكهِ وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلحُ لخدمةِ الملكِ فسرَّحتهُ اليه ، فإن رأى الملكُ أن يجعله مكان أبيه فليفعَلْ وليصرِفْ عمّه عن ذلك إلى عملٍ آخَرَ . وكان هو الذي يلي المكاتبةَ عن الملك إلى ملوك العرب في امورها وفي خواصّ امور الملك . وكانت له من العرب وظيفةٌ موظّفةٌ في كل سنة : مُهرانِ أشقرانِ يُجعلانِ لهُ هُلاماً[٢] ، والكَمْأة[٣] الرّطبةُ في حينها واليابسةُ والاقِط[٤] والأُدُمُ وسائرُ تجارات العرب ؛ فكان زيدُ بن عديّ يلي ذلك له وكانَ هذا عملَ عديّ . فلما وقع زيد بن عديّ عند الملك هذا الموقعَ سألهُ كسرى عن النعمان ، فأحسن الثناء عليه . ومكث على ذلك سنواتٍ على الامر الذي كان أبوه عليه ، وأعجبَ به كسرى ، فكان يكثر الدخول عليه والخدمة له .

كسرى يطلب نساء من النعمان :

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، فكانوا يبعثون في تلك الأرَضينَ بتلك الصفة ، فإذا وُجدَتْ حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونَها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة ،

(١) جهّزه : أعدّ له معدّات السفر .
(٢) الهُلامُ كغراب : مرق السِّكْباج المبرّد المصفى من الدهن . والسكباج : لحم يطبخ بخلّ .
(٣) نبات يظهر في الربيع مثل القلقاس .
(٤) الأقط : الجبن .

وأمر فكُتب بها الى النواحي ، ودخل اليه زيد بن عديّ وهو في ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل اليه فيه ، ثم قال : إني رأيت الملك قد كتب في نِسوة يُطلَبنَ له وقرأتُ الصفةَ وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمانِ من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة ؛ قال : فاكتب فيهنّ قال : أيها الملك ، إنّ شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصّــةً أنهم يتكرّمون — زعموا في أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن يُغَيِّبهنّ عمن تبعث اليه او يَعرِضَ عليه غيرَهنّ ، وإن قدمتُ أنا عليه لم يقدرْ على ذلك ، فابعثني وأبعثْ معي رجلًا من ثِقاتك يفهم العربيةَ حتى أبلغَ ما تحبّه ، فبعث معه رجلًا جَلْدا فَهِماً ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلطِفُه حتى بلغ الحيرةَ ، فلما دخل عليه أعظم الملكَ وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتكَ بصِهره فبعث اليكَ ؛ فقال : ما هؤلاء النِّسوة ؟

نموذج الحسناء في ذلك العصر :

فقال : هذه صفتُهنّ قد جئنا بها . وكانت الصفةُ أن المنذر الاكبر أهدى إلى أنوشروانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الاكبر بن أبي شَمِر الغسّانيّ ، فكتب إلى أنوشروانَ بصفتها ، وقال : إني قد وجّهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةَ الخَلْق ، نقيّةَ اللون والثغر ، بيضاء قمراء وَطفاء[١] كحلاء دَعجاء[٢] حَوراء عَيناء قَنواء[٣] شمّاء[٤] برجاء[٥] زَجّاء[٦] أسيلةَ الخدّ ، شهيّة المقبَّل ، جَثْلة[٧] الشَّعر ، عظيمــة

(١) الوطفاء : غزيرة الاهداب وشعر الحاجبين .
(٢) الدعج : شدّة سواد العين وشدّة بياض بياضها .
(٣) القنواء : وصف من القنا وهو ارتفاع في أعلى الانف واحديداب في وسطـــه وسبوغ في طرفه .
(٤) الشمم في الانف : ارتفاع القصبة وحسنها .
(٥) البرجاء : الجميلة الحسنة الوجه .
(٦) الزجاء : دقيقة الحاجبين في طول .
(٧) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه .

الهامة ، بعيدةَ مَهْوَى القُرط ، عَيطاء[١] ، عريضةَ الصدر ، كاعبَ الثدي ، ضخمة مُشاشِ المَنكِب والعضدِ ، حسنةَ المِعصَم ، لطيفةَ الكفِّ ، سَبطَةَ البَنان ، ضامرةَ البطن ، خَميصةَ الخَصْر ، غَرْثَى[٢] الوِشاح ، رَداحَ[٣] الأقبال ، رابيةَ الكفَل ، لَفّاء[٤] الفخذين ، ريَّا الروادف ، ضخمةَ المأكِمتَيْن[٥] ، مُفعمةَ[٦] الساق ، مُشبَعةَ[٧] الخَلخال ، لطيفةَ الكعب والقدم ، قَطوفَ[٨] المشي ، مِكسالَ[٩] الضُحى ، بَضَّةَ[١٠] المتجرَّد ، سموعاً للسيِّد ، ليستْ بخَنساء[١١] ولا سَفعاء[١٢] ، رقيقة الانف ، عزيزة النفس ، لم تُغذَ في بؤسٍ ، حييَّةً رزينةً ، حليمةً ركينةً ، كريمةَ الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جِماع قبيلتها ، قد أحكمتها الامورُ في الادب ، فرأيُها رأيُ أهل الشرف ، وعملُها عملُ أهل الحاجة ، صَناعَ الكفَّين ، قَطيعةَ[١٣] اللسان ، رَهوةَ[١٤] الصوت ساكنته ، تَزينُ الوليَّ ، وتَشينُ العدوَّ ، إن أردتَها اشتهتْ ، وإن تركتَها انتهتْ ، تَحمْلِقُ عيناها ، وتَحمرُّ وجنتاها ، وتَذَبذَبُ شفتاها ، وتبادِرُكَ الوثبةَ إذا قمتَ ، ولا تجلسُ إلا بأمرك

---

(١) العيطاء : الطويلة العنق .

(٢) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر .

(٣) الرداح : العجزاء الثقيلة الاوراك التامة الخلق . والاقبال : ما استقبلك من مشرف والواحد قَبَل .

(٤) لفاء : ضخمة الفخذين مكتنزة .

(٥) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رؤوس الوركين ، الواحدة مأكمة .

(٦) مفعمة الساق : ممتلئتها .

(٧) مشبعة الخلخال : كناية عن السمن .

(٨) القطوف : وصف من القطاف وهو تقارب الخطو .

(٩) المكسال : المرأة التي لا تكاد تبرح مجلسها ، وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى .

(١٠) البضة : الناعمة ، يقال : امرأة بضة المتجرَّد بالفتح أي بضة عند التجرُّد .

(١١) الخنساء من الخنس وهو تأخر الانف الى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف ، وقيل هو قريب من الفطس وهو لصوق القصبة بالوجنة وضخم الارنبة .

(١٢) السفعاء من السفع وهو السواد : اراد بسفعاء الخدَّين أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفه حتى شحب لونها واسودَّ ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .

(١٣) قطيعة اللسان : غير سليطة .

(١٤) رهوة الصوت : رقيقته، سهلته .

إذا جلستَ. قال: فقبِلَها أنوشِروانُ وأمر بإثباتِ هذه الصفةِ في دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كِسرى بن هُرمُز.

نعمان يرفض باباء:

فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان، فشقّت عليه؛ وقال لزيد والرسولُ يسمع: أما في مَها السَّواد وعِين فارسَ ما يبلغ به كسرى حاجتَه! فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما المها والعِينُ؟ فقال له بالفارسية: كاوان أي البقر، فأمسك الرسولُ: وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملكُ كرامتَكَ، ولو علم أنّ هذا يشُقُّ عليكَ لم يكتُبْ اليكَ به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذي طلب الملكُ ليس عندي؛ وقال لزيد: اعذرني عند الملكِ. فلما رجعا إلى كسرى؛ قال زيدٌ للرسول الذي قدِم معه: اصدُقِ الملكَ عما سمعتَ، فإني سأحدّثه بمثل حديثك ولا أُخالفكَ فيه. فلما دخلا على كسرى، قال زيدٌ: هذا كتابه اليك، فقرأه عليه. فقال له كسرى، وأين الذي كنتَ خبّرتني به؟ قال: قد كنتُ خبّرتكَ بضِنَّتِهم بنسائهم على غيرهم، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوعَ والعُريَ على الشِبَع والرِّياشِ، وإيثارهم السَمومَ والرياحَ على طيب أرضكَ هذه، حتى إنهم ليسمّونها السجنَ، فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عمّا قال، فإني أُكرِمُ الملكَ عن مشافهته بما قال وأجاب به. قال للرسول: وما قال؟ فقال له الرسول: أيها الملكُ، إنه قال:

كيد زيد للنعمان:

أما كان في بقَرِ السواد وفارسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا، فعُرِف الغضبُ في وجهه، ووقع في قلبه منه ما وقع، لكنّه لم يزد على أن قال: رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب. وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمانَ، وسكتَ كسرى أشهراً على ذلك.

غضب كسرى واستجارة النعمان بسادات العرب :

وجعل النعمان يستعد ويتوقعُ حتى أتاه كتابُه : أن أقبِلْ فإن للملكِ حاجةً اليك ، فانطلق حين أتاه كتابُه ، فحمل سلاحه وما قَوِيَ عليه ، ثم لحق بجبلَيْ طَيِّىء ، وكانت فَرعة بنتُ سعد بن حارثة بن لَأْم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة ، وكانت ايضاً عنده زينبُ بنتُ أوس بنِ حارثةَ ، فأراد النعمانُ طيِّئاً على أن يُدخِلوه الجبلين ويمنعوه فأبَوْا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صهرُكَ لقتلناكَ ، فإنه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقةَ لنا به . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه ، غيرَ أنَّ بني رَواحةَ بنِ قُطيعةَ بن عَبْسٍ قالوا : إن شئتَ قاتلنا معك ، لِمِنَّةٍ كانت له عندهم في أمر مروانِ القَرَظ ، قال : ما أُحِبُّ أنْ أُهلِكَكُم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى . فأقبل حتى نزل بذِي قارٍ في بَني شَيبانَ سِرًّا ، فلقِيَ هانئَ بن قَبيصة ، وقيل بل هانىء بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهلِ بن شيبان ، وكان سيداً مَنيعاً ، والبيتُ يومئذ من ربيعة في آلِ ذِي الجَدَّينِ لقَيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجَدَّين ، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بنَ مسعود الأُبُلَّةَ[1] ، فكره النعمانُ أن يدفع اليه أهله لذلك ، وعلم أن هانئاً يمنعه مما يمنع منه نفسَه .

وقال حمّاد الراويةُ في خبره : إنه إنما استجار بهانىء كما استجار بغيره فأجاره ، وقال له : قد لزمني ذِمامُكَ وأنا مانِعُكَ مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأَدْنَيْنِ رجلٌ ، وإنَّ ذلك غيرُ نافِعِكَ لانه مُهلِكي ومُهلِكُكَ ، وعندي رأيٌ لكَ لستُ أُشيرُ به عليك لادفعكَ عما تريده من مجاورتي ولكنه الصوابُ ؛ فقال : هاتِه ؛ فقال : إن كلَّ أمرٍ يجمُلُ بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد المُلكِ سُوقَةً ، والموت نازلٌ بكل أحدٍ ، ولَأَنْ تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذلَّ أو تبقى سُوقةً بعد المُلكِ ، هذا إن بقيتَ ، فامضِ إلى

(١) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة ، وكانت مدينة فيها مسالح وقائد من قبل كسرى.

صاحبك واحمل اليه هدايا ومالًا وألقِ نفسكَ بين يديه ، فإما أن صفح عنك فعُدتَ مَلِكاً عزيزاً ، وإما أن أصابك فالموتُ خيرٌ من أن يتلعَّبَ بكَ صعاليكُ العرب ويتخطَّفكَ ذئابها وتأكلَ مالكَ وتعيشَ فقيراً مجاوراً أو تُقتلَ مقهوراً ؛ فقال : كيف بحُرَمي ؟ قال : هنَّ في ذِمتي ، لا يُخلَصُ اليهنَّ حتى يُخلَصَ إلى بناتي ؛ فقال : هذا وأبيكَ الرأيُ الصحيحُ ، ولن أُجاوِزَه . ثم اختار خيلًا وحُللًا من عَصْبِ[1] اليمن وجوهراً وطُرَفاً كانت عنده ، ووجّه بها إلى كسرى وكتب اليه يعتذِرُ ويُعلِمُهُ أنه صائرٌ اليه ، ووجّه بها مع رسوله ، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم ؛ فعاد اليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم يرَ له عند كسرى سوءًا . فمضى اليه حتى إذا وصل إلى المدائن[2] لقيه زيدُ بنُ عديّ على قنطرة ساباط[3] ، فقال له :

النعمان يسلم نفسه فيموت سجيناً :

انجُ نُعيمُ ، إن استطعتَ النَّجاء ؛ فقال لهُ : أفعلتها يا زيدُ ! أما والله ، لئن عشتُ لكَ لأقتلنَّكَ قِتلةً لم يُقتَلها عربيٌّ قط ولأُلحقنَّك بأبيك ! فقال لهُ زيد : امضِ لشأنِكَ نُعيمُ ، فقد واللهِ آخيتُ لكَ أَخِيَّةً[4] لا يقطعُها المهرُ الأَرِنُ[5] . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث اليه ، فقيَّده وبعث به الى سجن كان له بخانقين[6] ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه .

(١) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله أي يجمع ويُشدّ ثم يصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٢) المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسه مدينة الى جنب التي قبلها وسماها باسم ، فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد سعد بن ابي وقاص في صفر سنة ١٦ هـ .

(٣) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

(٤) الأخية : وتد في الحائط .

(٥) الأرن : النشيط .

(٦) خانقين : بلد بسواد بغداد كان النعمان خنق به عديّ بن زيد حتى قتله .

وقال حَمّادُ الراويةُ والكوفيون : بل مات بساباطَ في حبسه . وقال ابن الكلبيّ : ألقاه تحت أرجل الفِيَلة فوطِئته حتى مات ، واحتجّوا بقول الأعشى :

فذاكَ وما أنجى من الموت ربّه بساباطَ حتى مات وهو مُحَزْرَقُ[١]

قال المحزْرَقُ : المضيَّقُ عليه . وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانقينَ ، وقالوا : لم يزل محبوساً مدّةً طويلة ، وإنه إنما مات بعد ذلك بحينٍ قُبيلَ الاسلام ، وغَضِبَتْ له العربُ حينئذٍ ، وكان قتلُهُ سببَ وقعةِ ذي قارٍ .

عدي وهند بنت النعمان :

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال حدّثنا علي بن الصَّبّاح وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال قال عليّ بن الصبّاح حدّثني هشامُ بن الكلبيّ عن أبيه قال :

كان عديّ بنُ زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب الشاعر العِبادي يهوى هِند بنتَ النعمانِ بنِ المنذر بنِ امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو ابن عديّ بن نَصْر ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غَنْم بن نُمارة بن لَخْم وهو مالك بن عديّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُبَ ابن عَريب بنِ زيد بن كَهْلانَ بن سَبأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطانَ ، ولها يقول :

عَلِقَ الأحشاء من هندٍ عَلَقْ[٢] مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ[٣] وأرَقْ

وهي قصيدةٌ طويلةٌ . وفيها أيضاً يقول :

(١) يقال حزرق الرجل بمعنى حبسه وضيّق عليه .

(٢) العَلَقُ : العشق والهوى .

(٣) النصب : الداء والبلاء والشرّ .

مَنْ لِقلب دَنِفٍ أو مُعتَمَدْ   قد عَصى كلَّ نَصوحٍ ومُفَدّ(١)

وهي طويلةٌ . وفيها أيضاً يقول :

يا خليلَيَّ يَسِّرا التعسيرا   ثم رُوحا فهجِّرا تهجيرا
عرِّجا بي على ديارٍ لهندٍ   ليس أن عُجْتُما المطيَّ كبيرا

كيف تزوج هندا :

قال ابن الكلبيّ : وقد تزوّجها عديّ . وقال ابنُ أبي سعد، وذكر ذلك خالدُ ابنُ كُلثوم أيضاً قالا : كان سببُ عِشقهِ إياها أن هنداً كانتْ من أجمل نساء أهلها وزمانها، وأُمُّها ماريَةُ الكِندريّةُ ؛ فخرجتْ في خميس الفِصْح، وهو بعد السَّعانين بثلاثة أيام، تتقرّب في البِيعة ، ولها حينئذٍ إحدى عشرةَ سنةً ، وذلك في مُلكِ المنذر ؛ وقد قَدِم عديّ حينئذٍ بهديّةٍ من كسرى إلى المنذر ، والنعمانُ يومئذٍ فتًى شابٌّ ، فاتفق دخولُها البِيعةَ وقد دخلها عديّ ليَتقرّبَ ، وكانت مديدةَ القامة عَبْلَةَ الجسم، فرآها عديّ وهي غافلةٌ فلم تَنتَبهْ له حتى تأمّلها، وقد كان جواريها رأينَ عدياً وهو مُقبلٌ فلم يَقلنَ لها ذلك، كيْ يراها عديّ ، وإنما فعلن هذا من أجل أمةٍ لهند يقال لها ماريةُ ، وقد كانت أحبّتْ عدياً فلم تدرِ كيفَ تأتي له . فلما رأت هند عدياً ينظر اليها شقّ ذلك عليها ، وسَبّتْ جواريَها ونالَتْ بعضَهنَّ بضرب؛ فوقعتْ هند في نفس عديّ ، فلبث حولًا لا يخبر بذلك أحداً . فلما كان بعد حولٍ وظنّتْ ماريةُ أنّ هنداً قد أضربَتْ عمّا جرى وصفتْ لها بِيعةَ دُومةَ — وقال خالدُ بنُ كلثوم : بِيعةَ تُوما وهو الصحيح — ووَصفت لها مَن فيها من الرواهب، ومَن يأتيها من جواري الحيرة، وحسنَ بنائها وسُرُجها ؛ وقالت لها : سَلي أمكِ الإذنَ لكِ في إتيانها ، فسألتها ذلك فأذِنَت لها، وبادرتْ ماريةُ إلى عديّ فأخبرته الخبرَ فبادر فلبِس يَلمَقاً(٢) كان « فَرَخانْشاه مَرْدْ » قد كساهُ إياه،

(١) هو اسم فاعل من فدّاه يُفدّيه اذا قال له : جعلت فداك .

(٢) اليلمق : القباء .

وكان مُذهباً لم يُرَ مِثلُهُ حُسناً ، وكان عديٌّ حَسنَ الوجه ، مديد القامة ، حُلوَ العينين ، حَسنَ المَبسِم ، نقيَّ الثغر . وأخذ معه جماعةً من فِتيانِ الحيرة ، فدخل البِيعة ؛ فلما رأته ماريةُ قالتْ لهند : انظري الى هذا الفتى ! فهو واللهِ أحسنُ من كلِّ ما ترَينَ من السُرُجِ وغيرِها ! قالت : ومن هو ؟ قالت : عديُّ بنُ زيد ؛ قالت : أتخافينَ أن يعرفَني إن دنوتُ منه لِأراه من قريب ؟ قالت : ومن أين يَعرِفُكِ وما رآكِ قطُّ مِن حيثُ يعرِفُكِ ! فدنَت منه وهو يُمازح الفتيانَ الذين معه وقد برَع عليهم بجماله ، وحُسنِ كلامه وفصاحته ، وما عليه من الثياب ، فذَهِلَت لمَّا رأته وبُهِتَتْ تنظر اليه . وعَرفَت ماريةُ ما بها وتبيَّنَتْهُ في وجهها ، فقالت لها : كلِّميه ، فكلَّمَتهُ ، وانصرفَت وقد تبعَتهُ نَفسُها وهَويَتْهُ ، وانصرف بمثل حالها . فلما كان الغدُ تعرَّضتْ لهُ ماريةُ ، فلما رآها هَشَّ لها ، وكان قبل ذلك لا يكلمها ، وقال لها : ما غَدَا بكِ ؟ قالت حاجةٌ اليك ، قال : اذكريها ، فواللهِ لا تسأليني شيئاً إلا أعطيتُكِ إياه ، فعرَّفَتْهُ أنها تهواه ، وأن حاجتها الخَلوةُ به على أن تحتالَ لهُ في هند ، وعاهدَتهُ على ذلك ؛ فأدخلها حانوتَ خمَّارٍ في الحيرة ووقع عليها ؛ ثم خرَجتْ فأتت هِنداً ، فقالت : أما تشتَهينَ أن تَرَيْ عدياً ؟ قالت : وكيف لي به ؟ قالت : أَعِدُهُ مكانَ كذا وكذا في ظَهر القصر وتُشرِفينَ عليه ؛ قالت : أفعَلي ، فواعدَتهُ الى ذلك المكان ، فأتاه وأشرَفَتْ هند عليه ، فكادَتْ تموت ، وقالت : إن لم تُدخِليه إليَّ هلَكتُ . فبادرتِ الأمةُ الى النعمان فأخبرَتهُ خبرَها وصدَقَته ، وذكَرت أنها قد شُغِفَت بهِ ، وأن سببَ ذلكَ رؤيتُها إياه في يوم الفِصح ، وأنه إن لم يزوِّجها بـه افتضحت في أمره أو ماتتْ ؛ فقال لها : ويلكِ ! وكيف أبدَؤه بذلكَ ! فقالت : هو أرغبُ في ذلكَ مِنْ أن تبدأه أنتَ ، وأنا أحتال في ذلكَ من حيثُ لا يعلم أنكَ عرفتَ أمره . وأتتْ عدياً فأخبرته الخبرَ ، وقالت : أدعُه ، فإذا أخذ الشرابُ منه فاخطُبْ اليهِ فإنهُ غيرُ رادِّك ؛ قال : أخشى أن يُغضِبَه ذلكَ فيكونَ سببَ العداوةِ بيننا ؛ قالت : ما قلتُ لكَ هذا حتى فرغتُ منهُ معه ؛ فصنع عديٌّ طعاماً واحتفل فيه ، ثم أتى النعمانَ بعد الفصح بثلاثة

أيام، وذلك في يوم الاثنين، فسأله ان يتغدّى عنده هو وأصحابُهُ، ففعل. فلما أخذ منهُ الشرابُ خطبها إلى النعمان فأجابهُ وزوّجهُ وضمها اليه بعد ثلاثة أيام.

هند تترهب بعده:

قال خالدُ بن كلثوم: فكانت معهُ حتى قتله النعمانُ، فترَّهبتْ وحبسَتْ نفسَها في الدَّيرِ المعروف بدير هند في ظاهرِ الحِيرة. وقال ابن الكلبيّ: بل ترَّهبتْ بعد ثلاث سنين ومنعته نفسَها واحتبَستْ في الديرِ حتى ماتتْ، وكانت وفاتُها بعد الاسلام بزمان طويل في ولاية المُغيرة بن شُعبة الكوفَةَ، وخطبها المغيرةُ فردَّتْهُ.

هند ترفض المغيرة:

أخبرني عمي قال حدثني ابنُ أبي سَعد قال حدّثنا علـيّ بن الصَّبّاح عن هشام ابن محمد بن الكلبيّ عن أبيه والشَّرَقِيّ بنِ القَطاميّ قالا:

مرّ المغيرةُ بنُ شعبة لمّا ولّاه معاويةُ الكوفةَ بدَيرِ هند، فنزله ودخل على هند بنتِ النعمانِ بعد أن استأذن عليها، فأذِنت له وبسَطتْ له مِسْحاً[١] فجلس عليه، ثم قالت له: ما جاء بكَ؟ قال: جئتُكِ خاطباً؛ قالت: والصليبِ لو علمتُ أن فيّ خَصلةً من جمالٍ او شبابٍ رغّبَتْكَ فيّ لأجبتُكَ، ولكنّكَ أردتَ أن تقولَ في المواسم: مَلكتُ مملكةَ النعمانِ بن المنذر ونكحتُ ابنته، فبحقّ معبودك أهذا أردتَ؟ قال: إي والله؛ قالت: فلا سبيل اليه؛ فقـام المغيرةُ وانصرف وقال فيها:

أدركتِ ما منّيتُ نفسِيَ خالياً ... للهِ درُّكِ يا ابنـةَ النعمانِ
فلقد رددْتِ على المغيرة ذِهنَهُ ... إنّ الملوكَ نقيـةُ الأذهانِ

وفي رواية أخرى: إنّ الملوكَ بطيّةُ الإذعانِ

---

(١) المسح: الكساء من الشعر.

يا هندُ حسبُكِ قد صَدَقتِ فأمسِكِي فالصِدقُ خيرُ مقالَةِ الإنسانِ

اول امرأة تعشق امرأة في العرب :

وقد روي عن ابن الكلبيّ غيرُ عليّ بن الصَّبّاح في هند أنها كانت تهوَى زرقاءَ اليَمامةِ، وأنها أوّل امرأة أحبّت أمرأةً في العرب، فإنّ الزرقاء كانت ترى الجيشَ من مَسيرة ثلاثين ميلاً؛ فغزا قوم من العرب اليَمامةَ، فلما قَرُبوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول، مع الزرقاء! فاجتمع رأيُهم على أن يقتلِعوا شجراً تستُرُ كلُّ شجرة منها الفارسَ إذا حملها؛ فقطعَ كلُّ واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها؛ فأشرفَتْ، كما كانت تفعلُ، فقال لها قومُها : ما ترَيْنَ يا زرقاء؟ وذلك في آخر النهار؛ قالت : أرى شجراً يسيرُ؛ فقالوا : كذبتِ أو كذبَتْكِ عينُكِ، واستهانوا بقولها؛ فلما أصبحوا صبّحهم القومُ، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأخذوا الزرقاء فقلَعوا عينها فوجدوا فيها عروقاً سوداء، فسُئلت عنها فقالت : إني كنتُ أديمُ الاكتحالَ بالإثمِدِ فلعلّ هذا منه، وماتت بعد ذلك بأيام؛ وبلغ هنداً خبرُها فترهّبت ولبِست المُسوحَ وبنَت ديراً يُعرَفُ بدير هند الى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت .

قيل انه اكره على طلاق هند :

وروى أبنُ حبيبَ عن أبن الاعرابيّ : أنّ النعمانَ لما حبَس عدياً أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلّقها . قال ابنُ حبيبَ : وذكر عديّ بنُ زيد صِهرَه هذا للنعمان في قصائده وكان زوجَ أختِه – هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة . وقالتْ رُواةُ العرب : إنه كان زوجَ أبنتِه هندٍ – فمن ذلك قولُه في قصيدته التي أوّلها :

أبصرَتْ عيني عِشاءً ضوءَ نارِ

فقال فيها :

أَجلَ نُعْمى رَبّها أَوّلكُمْ ودُنُوّي كان منكم واصْطِهاري
نحن كنّا قد عَلِمتُمْ قبلها عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ

لماذا تنصر النعمان :

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا إبراهيمُ بن فَهْدٍ قال حدّثنا خليفةُ بنُ خيَّاط شَبابٌ العُصْفُريّ قال حدّثنا هشامُ بن محمد قال حدّثني يحيى بن أيوبَ البَجَليّ قال حدّثنا أبو زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير بن عبد الله البَجَليّ قال: سمعتُ جدّي جريرَ بن عبدالله يقول، وأخبرني به عمي قال حدّثنا أحمدُ بن عبيد الله قال أخبرنا محمدُ بن يزيد بن زياد الكلبيّ أبو عبد الله قال حدّثني معروفُ بنُ خَرَّبُوذَ[1] عن يحيى بن أيوبَ عن أبي زُرعة بنِ عمرو قال: سمعت جدّي جرَير بن عبد الله – ولَفْظ هذا الخبر لاحمد بن عبيد الله وروايته أتم – قال:

كان سببُ تنصر النعمان – وكان يعبد الاوثانَ قبل ذلك، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره: النعمان بن المنذر الاكبر – أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عديّ بن زيد، فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها؛ فقال له عديّ بن زيد: أبيتَ اللعنَ، أتدري ما تقولُ هذه المقابرُ؟ قال: لا، وقال أحمدُ بنُ عُبيد الله في خبره: فقال له تقول:

أيها الرَّكْبُ المخِبُّو نَ على الارض المجدُّونْ
فكما أنتمُ كُنّا وكما نحن تكونُونْ

وقال الصوليُّ في خبره: فقال له تقول:

كنّا كما كنتمُ حيناً فغيّرَنا دهرٌ فسوفَ كما صِرنا تصيرون

قال: فانصرف وقد دخلته رِقّةٌ، فمكث بعد ذلك يسيراً؛ ثم خرج خَرْجةً

(١) خربوذ: محدث لغوي.

أخرى فمرّ على تلك المقابر ومعه عديّ ، فقال له : أبيتَ اللعنَ ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ؛ قال : فإنها تقول :

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَه ... أنه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالِ
وصُروفُ الدَّهرِ لا يَبقى لها ... ولِما تأتي بــه صُمُّ الجبالِ
رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمرَ بالماءِ الزُّلالِ
والاباريــقُ عليها فُدُمٌ(١) ... وجيادُ الخيلِ تَرْدي(٢) في الجِلالِ
عَمِرُوا دهراً بعيشٍ حَسَنٍ ... آمِني دَهرِهم غــيرَ عِجالِ
ثم أضحَوا عصفَ الدّهرُ بهم ... وكذاكَ الدهرُ يُودي بالرّجالِ
وكذاكَ الدهرُ يرمي بالفتى ... في طِلابِ العيشِ حالاً بعدَ حالِ

قال الصُّوليّ في خبره وهو الصحيح : فرجع النعمانُ فتنصَّرَ ؛ وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزِّياديّ الكلبيّ : فرجــع النعمانُ من وجهه وقال لعديّ : ائتني الليلةَ إذا هَدأتِ الرِّجلُ لتعلمَ حالي ، فأتاه فوجده قد لَبِسَ المسوحَ وتنصَّرَ وترّهبَ وخرج سائحاً على وجهه فلا يُدرَى ما كانت حالُهُ ، فتنصر ولدهُ بعده ، وبنَوا البِيعَ والصوامعَ ، وبنتْ هند بنتُ النعمان بن المنذر الديرَ الذي بظهر الكوفة ويقال لهُ : « دير هند » ، فلما حبَس كِسرى النعمان الأصغرَ أباها ومات في حبسه ترهّبَتْ هند ولبِست المسوحَ وأقامتْ في دَيرها مُترهّبةً حتى ماتت فدُفِنتْ فيه .

راي المؤلف في ذلك :

قال مؤلّف هذا الكتاب : إنما ذكرتُ الخبرَ الذي رواه الزِّياديّ على ما فيه من التخليط لأني إذا أتيتُ بالقصة ذكرتُ ما يُروَى في معناها . وهو خبر مختلط ، لأنّ عديّ بن زيد إنما كان صاحب النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفهُ عديّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد ،

---

(١) فُدُمٌ : جمع فَدام بفتح الفاء وكسرها وهو ما يوضع في فم الأبريق لتصفية ما فيه من شراب .
(٢) تردي : تعدو وترجم الارض بحوافرها .

وقد ذكرتُ نسبَ النعمان آنفاً ، ولعل هذا النعمانَ الذي ذكره عمُّ النعمان بن المنذر الاصغر بن المنذر الاكبر ، والمتنصر السائح على وجهه ليس عديّ بن زيد أدخله في النصرانية ، وكيف يكون هو المُدخِلَ له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لمّا حبسه مع مَنْ ضربه مثلاً له من الملوك السالفة !

حدّثنا بخبرِ ذلك الملك جعفرُ بن محمد الفِرْيابيّ وأحمدُ بنُ عبد العزيز بن الجعْدِ الوَشّاء قالا : حدّثنا إسحاق بنُ البُهلول الأنباريّ قال حدّثني أبي البُهلولُ ابن حسّان التَّنُوخيّ قال حدّثني إسحاقُ بن زِياد من بني سامةَ بنِ لُؤيّ عن شَبيبِ بن شَيْبَةَ عن خالد بن صَفوان بن الأهتم قال :

أوفدني يوسفُ بن عمرَ إلى هشام بن عبد الملك في وَفْد أهل العراق قال : فقدِمتُ عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمِه وغاشِيَته[1] وجُلَسائه ، فنزل في أرض قاعٍ صَحْصَحٍ[2] مُنيفٍ أفيحَ[3] ، في عامٍ قد بكَّر وَسْمِيُّه[4] ، وتتابع وليُّه ، واخذت الارض فيه زينتها على اختلاف الوان نَبتها من نَوْرِ ربيع مونقٍ فهو في احسن مَنظرٍ ، وأحسنِ مُختَبَرٍ ، وأحسنِ مُستَمْطَرٍ ، بصعيدٍ كأنّ ترابَه قِطعُ الكافور ؛ قال : وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ من حِبَرَةٍ[5] كان يوسفُ بنُ عمر صنعه له باليمن ، فيه فُسطاطٌ[6] فيه أربعة أفرِشَةٍ من خَزٍّ أحمرَ مثلُها مَرافِقُها[7] ، وعليه دُرّاعةٌ من خَزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامتُها ، وقد أخذ الناسُ مجالسهم ، قال : فأخرجتُ رأسي من ناحية السِّماطِ[8] فنظر إليَّ شِبْهَ المستنطِق لي فقلتُ : أتمّ اللهُ عليكَ يا أمير

(١) غاشية الرجل : من ينتابه من زوّاره وأصدقائه .
(٢) الصحصح : الارض الجرداء المستوية ذات حصى صغار .
(٣) الافيح : الواسع .
(٤) الوسميّ : مطر الربيع الاوّل . والوليّ : المطر الذي يلي الوسميّ .
(٥) الحِبرة والحَبَرة : ضرب من منسوج اليمن منمّر (فيه نقط سود) .
(٦) الفسطاط : بيت من شعر .
(٧) المرفق : ما انتفعت به .
(٨) السماط : جمع سمط وهو الصف من الناس وغيرهم .

المؤمنين نِعمَةً ، وجعل ما قلّدك من هذا الامر رُشداً ، وعاقبةَ ما يؤول اليه حمداً ، وأخلصه لك بالتُّقى ، وكثّره لك بالنَّماء ، ولا كدّر عليك منه ما صَفا ؛ ولا خالط سرُوره بالرَّدى ، فلقد اصبحتَ للمؤمنين ثِقَةً ومُستراحاً ، اليك يقصدون في مَظالمهم ، ويفزعون في أمورهم ، وما أجِدُ شيئاً يا اميرَ المؤمنين هو ابلغُ في قضاء حقك ، وتوقير مجلسك ، وما منَّ اللهُ جلَّ وعزَّ عليَّ به من مجالستك من أن أذكِّركَ نِعَم الله عليك ، وأنبّهك لشكرها ، وما أجِدُ في ذلك شيئاً هو ابلغُ من حديث مَنْ سلف قبلك من الملوك ، فإن أذِنَ أميرُ المؤمنين أخبرتُه به ؛ قال : فاستوى جالساً وكان مُتّكئاً ثم قال : هاتِ يا ابن الاهتم ، قال : قلتُ يا امير المؤمنين إنّ ملِكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثلِ عامكَ هذا الى الخَوَرْنَق والسَّديرِ في عامٍ قد بكّر وسميُّه ، وتابعَ وليّه ، وأخذتِ الارضُ فيه زينتَها على اختلاف الوان نَبتها في ربيع مُونِق ، وهو في أحسن مَنظر ، وأحسن مختبر ، بصعيد كأن ترابَه قِطعُ الكافور ، وقد كان أُعطيَ فَتاء السنّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظرَ ثم قال لجلسائه : لمنْ مِثلُ هذا ، هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ! وهل أُعطِيَ أحدٌ مثلَ ما أُعطيتُ ! قال : وعنده رجل من بقايا حَملة الحُجّة ، والمضيِّ على أدب الحقّ ومِنهاجه ، قال : ولم تَخْلُ الارضُ من قائمٍ للهِ بحُجّةٍ في عباده ؛ فقال : ايها الملكُ إنكَ سألتَ عن امرٍ أفتأذَنُ في الجواب عنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أرأيتَ هذا الذي أنتَ فيه ، أشيءٌ لم تزلْ فيه ، أم شيءٌ صار اليك ميراثاً وهو زائلٌ عنكَ وصائرٌ الى غيرك كما صار اليك ؟ قال : كذلك هو ؛ قال : فلا أراكَ إلا عَجِبْتَ بشيءٍ يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتغيبُ عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرتَهناً ؛ قال : وَيحكَ ! فأين المَهربُ وأين المَطلبُ ؟ قال : إما أن تُقيمَ في ملككَ فتعملَ فيه بطاعة الله ربِّكَ على ما ساءكَ وسرّكَ ، وأمضّكَ وأرمَضكَ ، وإما أن تضع تاجك ، وتخلعَ أطمارَكَ ، وتلبسَ أمساحك ، وتعبدَ ربك حتى يأتيك أجلُكَ ؛ قال : فإذا كان السَّحَرُ فأقرَعْ عليَّ بابي فإني مختارٌ أحدَ الرأيينِ ، وربما قال إحدى المنزلتين ، فإن أخترتُ ما انا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصَى ، وإن اخترتُ فَلَواتِ الارض وقفرَ البلاد كنتَ رفيقاً لا يُخالَفُ ؛

قال : فقرعَ عليه عند السَّحَر بابَه فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطمارَه ، ولبس أمساحَه ، وتهيأ للسياحة ، فلزما والله الجبلَ حتى اتاهما أجلُهما ، وهو حيثُ يقول عديّ بن زيد أخو بني تميم :

أيُّها الشامتُ المعيِّرُ بالدهـ ـرِ أأنتَ المبرَّأُ الموفورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيـ ـام بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خلَّدْنَ أم مَنْ ذا عليه مِن أن يُضامَ خفيرُ
أين كسرى كسرى الملوكِ أنوشِرْ وانُ أم أينَ قبله سابورُ
وبنو الاصفر الكرامُ ملوكُ الـ ـرومِ لم يبقَ منهمُ مذكورُ
وأخو الحضْرِ إذ بناه وإذ دِجْـ ـلَةُ تُجبَى اليه والخابورُ[1]
شادَهُ مَرْمَراً وجَلَّلَه كِلْـ ـساً فللطيرِ في ذُراه وُكورُ
لم يَهَبْه رَيبُ المنونِ فبادَ الـ ـمُلْكُ عنه فبابُه مهجورُ
وتذكَّرْ رَبَّ الخوَرْنَقِ إذ أشْـ ـرفَ يوماً وللهُدى تفكيرُ
سرّه مالُهُ وكثرةُ ما يمـ ـلِكُ والبحرُ مُعرِضاً والسديرُ
فارْعَوَى قلبُه فقال وما غِبْـ ـطَةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ
ثم بعد الفلاح والملكِ والإمّـ ـةِ[2] وارَتْهم هناكَ القبورُ
ثم صاروا كأنهم وَرَقٌ جـ ـفَّ فألوَت به الصَّبا والدَّبورُ

قال : فبكى والله هشامٌ حتى أخضل لحيتَه ، وبلَّ عمامتَه ، وأمرَ بنزع أبنيته ، وبنقلان قرابته واهله وحشَمه وغاشيته من جلسائه ، ولزم قصرَه ، فأقبلت الموالي والحشمُ على خالد بن صفوانَ فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ! أفسدتَ عليه لذّته ، ونغصتَ عليه مأدُبتَه ، فقال : اليكم عني فإني عاهدتُ اللهَ عزّ وجلّ ألا أخلوَ بملكٍ إلا ذكَّرتُه اللهَ عزّ وجلّ .

---

(١) الخابور : اسم نهر بين رأس عين والفرات .

(٢) الامة : النعمة .

قصرا الحضر والخورنق :

فأما خبرُ الحضر وصاحبه ، والخورنق وصاحبه ، فإني أذكر خبرهما هاهنا لانه مما يحسنُ ذكرُه بعقِب هذه الاخبارِ ولا يُستغنى عنه ، والشيء يتبعُ الشيء .

أخبرني بخبره ابراهيمُ بنُ السّريّ عن ابيه عن شُعيب عن سَيف ، وأخبرني به الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا الحارثُ بن محمد قال حدّثنا محمدُ بن سَعد عن الواقديّ ، وأخبرني به عليّ بنُ سليمانَ الاخفشُ في كتاب المغتالين عن السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيبَ عن ابن الاعرابيّ عن المفضَّل بن سَلمة الضَّبيّ ، وهشامُ بن الكلبيّ عن أبيه ، وإسحاق بن الجَصّاص عن الكوفيّين :

أن الحضرَ كان قصراً بجبال تكريتَ بين دِجلةَ والفُراتِ ، وأن أخا الحضر الذي ذكره عديّ بنُ زيد هو الضيزَنُ بن مُعاويةَ بن العَبيد بن الاجرام بن عمرو بن النَّخَع بن سَليح من بني تَزيدَ بنِ حُلوانَ بنِ عِمرانَ بن الحاف بن قُضاعةَ ، وأمه جُبَيْهَلَةُ امرأةٌ من بني تَزيدَ بن حُلوانَ أخي سَليح بن حُلوانَ ، وكان لا يُعرفُ إلا بأمه هذه ، وكان ملكَ تلكَ الناحيةِ وسائرِ أرضِ الجزيرة ، وكان معه من بني الاجرام وسائرِ قبائلِ قضاعة ما لا يُحصى ، وكان مُلكُه قد بلغ الشامَ . فأغارَ الضيزنُ فأصاب أختاً لسابور ذي الاكتاف وفتح مدينة نهر شير وفتكَ فيهم ، فقال في ذلك عمرو بن السَّليح بن حُدَيّ بن الدّها بن غَنْمَ بن حُلوانَ بنِ عِمرانَ بن الحاف بن قُضاعةَ :

لَقيناهم بجَمْعٍ مِن عِلافٍ   وبالخيل الصَّلادِمة الذكورِ
فلاقتْ فارسٌ منّا نَكالا   وقَتَّلنا هَرابِذَ شَهْرَزُورِ
دلَفْنا للأعاجم من بعيدٍ   بجمعٍ مِ الجزيرَة كالسَّعيرِ

قالوا : ثم إن سابور ذا الاكتاف جمع لهم وسار اليهم ، فأقام على الحضر أربع سنين لا يَستغِل منهم شيئاً . ثم إن النَّضيرة بنتَ الضَّيزَن عَرَكَتْ — أي

حاضت – فأُخرجتْ الى الرَّبَضِ[1]، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، وعشقها وعشقته، فأرسلتْ اليه: ما تجعل لي إن دللتُكَ على ما تهدِمُ به هذه المدينةَ وتقتلُ أبي؟ قال: أحكّمكِ وأرفعُكِ على نسائي، وأخصُّكِ بنفسي دونهن، قالت: عليكَ بحمامةٍ مطوّقة ورقاء، فأكتب في رجلها بحيض جاريةٍ بِكرٍ تكون زرقاء، ثم أرسلها فإنها تقعُ على حائط المدينة فتتداعى المدينةُ، وكان ذلكَ طِلّسمَها[2] لا يَهدِمُها إلا هو، ففعل وتأهب لهم، وقالت له: أنا اسقي الحرسَ الخمرَ، فإذا صُرعوا فاقتلهم وأدخل المدينة، ففعل فتداعت المدينةُ، وفتحها سابورُ عَنوةً، فقتلَ الضيزنَ يومئذٍ، وأبادَ بني العَبِيد، وأفنى قُضاعةَ الذين كانوا مع الضَّيزنِ فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم، وأصيبتْ قبائلُ حُلوان وانقرضوا ودَرَجوا، فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضَّيزَنِ:

أَلَمْ يَحْزُنكَ والأنباءُ تَنمِي[3] … بما لاقتْ سَراةُ بَني العَبِيدِ
ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَني أبيه … وأحلاسِ[4] الكتائبِ مِن تَزِيدِ
أتاهم بالفيولِ مُجلّلاتٍ … وبالأبطالِ سابورُ الجنودِ
فهدّمَ من أواسي[5] الحَضْرِ صَخْرًا … كأنّ ثِقالَهُ زُبَرُ[6] الحديدِ

قال: فأخربَ سابورُ المدينةَ واحتملَ النضيرةَ بنتَ الضَّيزن فأعرَسَ بها بعينِ[7]

(١) الربض: ما حول المدينة من خارج.

(٢) طِلّسمها: سرّها المكتوم.

(٣) تنمي أي تشيع، وأصله من نمي الشيء ينمي إذا ارتفع وزاد.

(٤) أحلاس الكتائب: الشجعان الملازمون لها، يقال: فلان من أحلاس الخيل أي هو في الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس.

(٥) جمع آسية وهي ما أسس من بنيان فاحكم اصله من سارية وغيرها.

(٦) زُبر: قطع.

(٧) عين التمر: بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة.

التمر، فلم تزل ليلتها تتضوّر[١] من خشانةٍ في فُرُشها وهي من حرير محشوّ بالقزّ فالتُمس ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعُكنةٍ من عُكَنِها قد أثّرت فيها. قال: وكان يُنظر إلى مُخّها من لِين بشرتها. فقال لها سابور: ويحكِ! بأيّ شيء كان ابوكِ يغذّيكِ؟ قالت: بالزُّبدِ والمخّ وشُهدِ الأبكارِ من النحل وصفوةِ الخمر. فقال: وأبيكِ لأنا أحدثُ عهداً بمعرفتِكِ، وآثَرُ لكِ من أبيكِ الذي غذّاكِ بما تذكرين! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جموحاً وضَفَر غدائرَها بذنبه، ثم استركضه فقطّعها قِطعاً، فذلك قولُ الشاعر:

أقفرَ الحضرُ من نضيرةَ فالمِرْ باعُ منها فجانبُ الثرثارِ[٢]

قالوا: وكان الضَّيزنُ صاحبُ الحضر يُلقّبُ السَّاطِرونَ، وقال غيرهم: بل السَّاطِرون صاحبُ الحضر كان رجلاً من اهل باجَرْمَى[٣] والله أعلم أيّ ذلك كان. هذا خبر صاحب الحضر الذي ذكره عديّ.

وأمّا صاحب الخَوَرْنَقِ فهو النعمانُ بنُ الشَّقيقة، وهو الذي ساح على وجهه فلم يُعرف له خبرٌ، والشقيقةُ أمه بنتُ أبي ربيعة بن ذُهل بن شَيبان. وهو النعمانُ بنُ أمرىء القيس بن عمرو بن عَديّ بن نَصر بن ربيعة بن الضَّخم اللَّخميّ، وهو صاحب الخَوَرْنَق، فذكر ابنُ الكلبي في خبره الذي قدّمنا ذكرَه وروايةَ عليّ بن الصبَّاح إياه عنه: أنه كانَ سبب بنائه الخَوَرْنَق أنَّ يَزدَجردَ بنَ سابور كان لا يبقى له ولد، فسأل عن منزل مَريءٍ صحيح من الأدواء والاسقام، فدُلَّ على ظَهر الحِيرة، فدفع أبنه بَهرام جُور بن يزدَجرد إلى النعمان بن الشقيقة، وكان عامله على أرض العرب، وأمره بأن يبنيَ الخَوَرنق مسكناً له ولابنه ويُنزِله إياه معه، وأمره بإخراجه الى بوادي العرب، وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له

---

(١) تتضوّر: تتلوّى، يقال: تضوّر أي تلوّى وأظهر الضرر.

(٢) الثرثار: وادٍ عظيم بين سنجار وتكريت كان في القديم منازل بكر بن وائل، واختص باكثره بنو تغلب منهم، ويمر بمدينة الحضر ثم يصبّ في دجلة أسفل تكريت.

(٣) باجَرْمى: قرية من أعمال البَليخ قرب الرقة من ارض الجزيرة.

« سِنِمَّارُ » فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله، فقال: لو علمتُ أنكم تُوفوني أجرتي وتصنعون بي ما أستحقّه، لَبنيتُه بناء يدورُ مع الشمس حيثما دارتْ، فقالوا وإنك لتبني ما هو أفضل منه ولم تبنِهِ! ثم أَمر بِهِ فطُرِح من أعلى الجَوْسَقِ[1]. وقال: في بعض الروايات أنهُ قال له: إني لأعرفُ في هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ، فقال له: أما والله لا تدلُّ عليه أحداً أبداً، ثم رُمِيَ به من أعلى القصر، فقالت الشعراء في ذلك اشعاراً كثيرة منها قولُ أبي الطَّمَحانِ القَيْنيّ:

جزاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها وربِّها وباللّاتِ والعُزّى جزاءَ المكفِّرِ

ومنها قولُ سَليطِ بنِ سَعْد:

جزى بنوه أبا الغِيلانِ عن كِبَرٍ وحُسنِ فِعلٍ كما يُجزى سِنِمَّارُ

وقال عبد العُزّى بن أمرىء القيس الكلبيّ – وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغسانيّ أفراساً، ووفَدَ اليه فأُعجِبَ به وأختصّه، وكان للملك أبنٌ مُسترضَعٌ في بني عبد وُدٍّ من كلبٍ فنهشتْهُ حَيَّةٌ، فظنَّ الملكُ أنهم أغتالوه، فقال لعبد العُزّى: جئني بهؤلاء القوم، فقال: هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولا فعلٍ، فقال: لتأتِيَنّي بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ، فقال له: رَجَوْنا من حِبائك أمراً حال دونه عِقابُكَ، ودعا أبنيه شَراحِيلَ وعبدَ الحارث – فكتب معهما الى قومه:

جزاني جزاهُ اللهُ شرَّ جزائِهِ جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذا ذنْبِ
سوى رَصِّهِ البنيانَ عِشرينَ حِجةً يُعلّي عليهِ بالقَراميدِ والسَّكْبِ[2]

وهي أبيات، قال: فقتله النعمان، وكان أمره قد عظُم وجعل معه كسرى

(١) الجوسق: القصر، فارسيّ معرّب.

(٢) السكب: النحاس أو الرصاص.

كتيبتين : إحداهما يقال لها : « دَوْسَر » وهي لِتَنُوخ ، والأخرى : « الشَّهْباء » وهي للفُرس ، وكانتا أيضاً تُسمّيانِ القبيلتين ، وكان يغزو بهما بلادَ الشام ، وكلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب . فجلس يوماً يُشرِفُ من الخَوَرْنَقِ فأعجبهُ ما رأى من مُلكه . ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما ذكره خالدُ بن صفوانَ لهشامٍ من مخاطبة الواعظِ وجوابه وما كان من اختياره السياحة وتركه مُلكَهُ .

النابغة الذبياني يرثي النعمان :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثني عبد الله ابن عمرو قال ذكر أبنُ حمزةَ عن مشايخه :

أن النعمان بنَ المنذر لما نُعِيَ إلى النابغة الذُّبيانيّ وحُدّثَ بما صنع بهِ كسرى قال : طلبهُ من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثّلَ :

مَنْ يَطْلُبِ الدهرَ تُدرِكْهُ مَخالبُهُ ... والدَّهرُ بالوِتْرِ ناجٍ غيرُ مطلوبِ
ما من أناسٍ ذَوي مجدٍ ومَكرُمةٍ ... إلا يَشدُّ عليهم شَدّةَ الذّيبِ
حتى يُبيدَ على عَمْدٍ سَرَاتَهُمُ ... بالنافذاتِ من النَّبلِ المَصابيبِ
إني وجدتُ سِهامَ الموت مُعرِضَةً ... بكلِّ حَتْفٍ من الآجالِ مكتوبِ

الغناء في شعر عدي :

وفي سائر قصائد عديّ بن زيد التي كتب بها الى النعمان يستعطفه ويعتذر اليه أغانٍ .

منها :

صوت

لم أرَ مثلَ الفِتيانِ في غَبنِ الـــأيام يَنسَوْنَ ما عواقِبُهـا
يَنسَوْنَ إخوانَهم ومصرَعَهم وكيف تَعتاقُهمْ مَخالِبُهـا
ماذا تُرجّي النفوسُ من طلبِ الـــخيرِ وحبُّ الحياةِ كارِبُها
تظنّ أن لن يصيبها عَنَتُ الــــدهرِ وريبُ المنون صائبُها

ويروى «عُقَبُ[١] الدهر» — يقول: الأيام تَغبِنُ الناسَ فتخدَعُهمْ وتختِلُهم مثلَ الغبنِ في البيع. وتَعتاقُهم: تَحبِسُهم؛ يقال: أعتاقه واعتقـاه[٢]. وكاربها هاهنا: غامُّها، وهو في موضع آخر القريبُ منها؛ يقال كَرَبهُ الأمر وكَرثه وبَهَضه وغَنَظه اذا غَمَّهُ.

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز خفيفُ رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة. وفيها رمل بالبنصر، نسبه حَبَشٌ ودَنانيرُ إلى حُنينٍ، ونسبه الهِشاميّ وابن المكيّ إلى الهُذَليّ.

ومنها:

صوت

يا لُبَينى أوقِــدي النّارا إنّ مَنْ تَهوَيْنَ قــد حارا
رُبَّ نارٍ بِتُّ أرْمُقُهــا تَقضِمُ الهنديّ والغــارا
عندها ظبيٌ يؤرِّثُهــا عاقِدٌ في الجيدِ تِقْصــارا

---

(١) عقب: جمع عقبة وهي الشدّة، يقال: لقي منه عقبة أي شدّة.

(٢) اعتقاه: احتبسه.

عروضه من المديد – حار يحير هنا : ضلّ ، وحار في موضع آخر : رجع . والغار : شجر طيّب الريح ، والغار أيضاً : شجرُ السوس ، والغار : الغَيرةُ . ويؤرّثها : يوقدُها ويُكثر حطبها . والتَّقصارُ : المِخنَقة .

الغناء لحُنين خفيفُ ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنه لعَريب .

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن داود بن محمد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس النحويّ قال :

مات رجل من جُندِ أهل الشام عظيمُ القدر ، له فيهم عزّ وعدد ؛ فحضر الحجّاجُ جنازتَه وصلّى عليه وجلس على قبره وقال : لِيَنْزِلْ اليه بعضُ إخوانه ، فنزل نفرٌ منهم ، فقال أحدهم وهو يُسوّي عليه : رحمكَ اللهُ أبا قنان ، إن كنتَ ما علمتُ لتُجيدُ الغناء ، وتُسرِعُ ردَّ الكأس ، ولقد وقعتَ في موضع سُوء لا تخرجُ منهُ والله إلى يوم القيامة . قال : فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضحِكَ ، وكان لا يكثر الضحكَ في جِدٍّ ولا هزلٍ . فقال له : أهذا موضع هذا لا أمَّ لكَ ! فقال : أصلح اللهُ الأميرَ ، فرسُه حبيسٌ في سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغنّي :

يا لُبَيْنَى أوقدي النـارا إنّ مَنْ تَهْوَيْنَ قد حارا

لأنتشرَ الاميرُ على سعنَةَ ، وكان الميتُ يلقّبُ بسعنَةَ ، فقال : إنا لله أخرجوه من القبر ! ما أبينَ حُجّةَ أهل العراق في جهلكم يا أهل الشام ! قال : وكان سعنةُ هذا الميتُ من أوحشِ خلقِ الله كلّهم صورةً ، وأذمّهم قامةً . فلم يبق أحد حضرَ القبرَ إلا استفرغ ضحكاً .

ومنها من قصيدته التي أوّلها :

لِمَنِ الدّارُ تعفّتْ بخِيَمْ[١]

(١) خيم : اسم جبل من عماية على يسار الطريق الى اليمن .

صوت

وثلاثٍ كالحماماتِ بها بين مَجْثاهنَّ توشيمُ الحُمَمْ[1]
أَسأَل الدارَ وقد أنكرتُها عن حبيبي فإذا فيها صَمَمْ

ـ ويروى : توشيمُ العَجَم . والتوشيمُ أراد به آثار الوَقود صار فيها كالوَشْم . والثلاثُ يعني الأثافيَّ التي تُنصب عليها القِدرُ .

الغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ . وفيه لَحكَم لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غيرُ مجنَّس . وهذه القصيدة التي أوّلها :

لمن الـدارُ تعفَّتْ بِخِيَمْ أصبحتْ غيَّرها طولُ القِدَمْ
مـا تبينُ العينُ من آياتها غيرَ نُؤْيٍ[2] مثل خطٍّ بالقلمْ

وبعده :

وثلاثٍ كالحمامـات بها بين مَجثاهنَّ توشيمُ الحُمَمْ

وعلى هذا خُفِضَ قولُهُ : وثلاث كالحمامات .

ومنها قوله :

كفى زاجراً للمرء أيامُ دهره تروح له بالواعظات وتغتدي

صوت

بناتِ كرامٍ لم يُرَبْنَ[3] بضَرَّةٍ دُمًى شَرِقاتٍ[4] بالعَبيرِ رَوادِعا[5]

(١) الحُمَمُ : جمع حممة وهي الفحم والرماد وكل ما احترق بنار .
(٢) النؤي : حفرة تجعل حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر .
(٣) لم يربن : لم يُسأن .
(٤) شرقات : ممتلئات، يقال : شرق الجسد بالطيب : امتلأ .
(٥) روادعا : جمع رادع، والرادع : ما فيه أثر الردع وهو الطيب .

يُسارِقْنَ مِ الأستارِ طَرفاً مُفَتَّرا ويُبرِزْنَ من فَتْقِ الخُدورِ الأصابعا

بناتِ كِرام موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله :

وأُصبي ظِباءً في الدِمَقْسِ[1] خواضِعا

بنات كِرام هكذا في القصيدة على تواليها، وقد يجوز رفعه على الابتداء. ويروى: بضُرَّةٍ وبضَرَّةٍ جميعاً بالضم والفتح. والدُّمى: الصُّوَر، واحدتُها دُمْيَةٌ.

الغناء في هذين البيتين لابن قندح، ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وذكر الهشاميّ انه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزيعٍ، وذكر حبشٌ أنه لإبراهيمَ.

ومنها:

صوت

أرِقتُ لمكفهِرٍّ بات فيه بَوارِقُ يرتقينَ رؤوسَ شِيبِ
تروحُ المشرَفيَّةُ في ذُراهُ ويَجلو صفحة الدَّيلِ القَشيبِ

والمكفهِرُّ والمكرهِفُّ: السحابُ المتوالي المتراكب. والشِيبُ: السحائبُ التي فيها سواد وبياض شبّهها بالرؤوس الشِيبِ، وقال قومٌ: بل شِيبٌ: جبل معروفٌ. شبّه البرق في السحاب بلَمَعانِ السُّيوف. ورواه ابن الأعرابيّ:

ويجلو صفحَ دَخْدارٍ قَشيبِ

وقال: الدَّخدارُ: الثوب المَصونُ، وهو أعجميّ معرّب أصله تحت دار. والقشيب: الجديد. الغناء لغَريب ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر.

ومنها من قصيدته التي أوّلها:

ألا يا طالَ ليلي والنهارُ

(١) الدمقس: الديباج وقيل هو الحرير.

صوت

ألا مَنْ مُبلغٌ النعمان عنّي　　علانيةً فقد ذهبَ السِّرارُ
بأنّ المرءَ لم يُخلَقْ حديداً　　ولا هَضْباً تَوقّاه الوِبارُ
ولكنْ كالشِّهابِ فثمّ يخبو　　وحادي الموتِ عنه ما يحارُ
فهل من خالدٍ إما هلكنا　　وهل بالموتِ يا للنَّاس عارُ

الهَضْبُ : الجبلُ . والوبار : جمع وَبْرٍ[1] . والشِّهاب: السراجُ . ويخبو : يَطفأ .

الغناء لابْنُويَه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش والهشاميّ .

ومنها :

صوت

ألا مَنْ مُبلغٌ النعمان عنّي　　فبينا المرءُ أَغرَبَ[2] إذ أراحا[3]
أَطعْتَ بني بُقَيْلَةَ في وَثاقي　　وكنا في حُلوقِهِمُ ذُباحا[4]
منحتَهمُ الفُراتَ وجانبيْـهِ　　وتَسقينا الأَواجنَ[5] والمِلاحا

الغناء لُحنَين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها :

---

(١) الوبر بالتسكين : دويبة على قدر السنور غبراء او بيضاء من دوابّ الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء تكون بالغور .

(٢) أغرب : من الاغراب وهو كثرة المال وحسن الحال .

(٣) أراح : مات، يقال أراح الرجل اذا مات كأنه استراح .

(٤) الذباح : وجع في الحلق .

(٥) الاواجن : جمع آجن وهو الماء المتغير الطعم واللون .

صوت

مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أو مُعْتَمِدْ ... قد عَصى كلَّ نَصيحٍ ومُفَدّْ
لستُ إنْ سَلمى نأتني دارُها ... سامعاً فيها إلى قول أحدْ

المعتَمِدُ : الذي عَمَده الوجعُ يَعمِده عَمداً .

غنّاه ابن محرز ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو . وذكر يونس أن فيه لمالك لحناً ، ولِسِنانٍ الكاتبِ لحناً ، وهو ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش .

ومنها :

صوت

أرَواحٌ مُوَدِّعٌ أم بُكورُ ... لكَ فاعْمِدْ لأيِّ حالٍ تَصيرُ
ويقولُ العُداةُ أوْدى عديٌّ ... وعديٌّ بسُخطِ ربٍّ أسيرُ
أيّها الشامتُ المعَيِّرُ بالدهـ ... ـر أأنت المبرّأ الموفورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيق من الأيـ ... ـام بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ

يريد : أرَواحٌ تودِّعكَ فيه أم بُكورٌ ؟ أيّهما تُريد ؟ فاعْمِدْ للذي تصيرُ اليه منْ أمر آخرتك . والموفورُ : الذي لم تُصِبه نوائبُ الدهر .

الغناء لِحُنَيْن من كتاب يونسَ ولم يذكر طريقته ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ حُنَينا غنّاه خالداً القَسْريَّ أيام حَرَّمَ الغناء ، فرقّ له وقال : غَنِّ ولا تُعاشِر سفيهاً ولا مُعَرْبِداً . والخبر يُذكر في أخبار حنين .

ومما يُغنّى فيه أيضاً من شعر عديّ :

صوت

أَلا يا رُبَّما عَزَّ خليلي فتهاوَنْتُ
ولو شئتُ على مَقدُرَةٍ مِنِّي لعاقبتُ
ولكن سَرَّني أن يَعلَموا قَدْري فأقلعتُ
أَلا لا فَاسْأَلوا الفتيةَ ما قالوا وقد قمتُ

الغناء لِسِياطٍ رمل عن الهشاميّ. وفيه ليحيى المكيّ خفيفُ ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له. ولعريب في البيتين الاوّلين ثقيل أوّل. وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر وهو:

ولكنَّ حبيبي جلَّ عندي فتغافلتُ

ومما يُغَنَّى فيه من شعره:

صوت

تَعرِفُ أَمسِ مِنْ لَمِيسَ الطَّلَلْ مثلَ الكتاب الدارسِ الأحوَلْ

الذي قد درس فلا يُقرأ.

أنعِمْ صَباحاً عَلقمَ بنَ عَدِيّ أَثوَيْتَ اليومَ أم تَرحَلْ
قد رَحَّلَ الفِتيانُ عِيرَهُمُ واللحمُ بالغيطانِ[١] لم يُنشَل[٢]
إذ هي تَسبي الناظرين وتجلو واضحاً كالأقحوانِ رَتِل[٣]

الرَّتِلُ: المستوي البِنية.

---

(١) جمع غائط وهو المطمئن الواسع من الارض، وقيل: المطمئن المنبت.
(٢) ينشل: ينزع من القدر، يقال: نشلت اللحم من القدر أنشله وأنشله نشلًا اذا انتزعته منها.
(٣) ثغر رتِل ورتَل: حسن التنضيد مستوي النبات.

عـذباً كما ذقتُ الجنيَّ من التـفاح مَسقياً بـبردِ الطَّلْ

هكذا يُغنّى . والذي قاله عديّ : يَسقهِ بردُ الطَّلّ . الغناء لحنين رملٌ بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمّاد عن ابيهِ عن ابن الكلبيّ أن عمرو بنَ أمرىء القيس المكنّى بابي سريح وعلقمةَ بن عديّ — وقيل علقم بن عديّ بن كعب — وعَمرو بنَ هند خرجوا إلى الصيد فأتوا قصرَ أبن مُقاتِل فمكثوا فيه يتصيدون ، فزعموا أن علقمةَ بن عديّ تَبعَ حماراً فصرعه والشمس لم تَطلع، ثم لحق آخر فطعنه فانقصف الرمحُ فيه ومرَّ به فرسه يركض ، فجال به العَيرُ فضربه فاصاب صدرَه فقتله ، وقيل : ان الرمحَ المنقصفَ دخل في صدره فقتله ، وذلك في ايام الربيع ، وكان عديّ بن زيد معهم واليه قصدوا ، وكان نازلا في قصر بن مقاتل ، فقال عديّ هذه القصيدة يرثيه بها :

صوت من المائة المختارة

عَفا مِنْ سُليمى مُسحُلانُ فحامِرُهْ   تَمشّى به ظُلمانُه وجـآذِرُهْ
بمستأسِدِ القُرْيانِ عافٍ نَبـاتُه   فَنُوّارُه مِيلٌ إلى الشمس زاهِرُهْ
رأتْ عارضاً جَوْناً فقامتْ غَريرَةً   بِمسْحاتِها قبـل الظلامِ تُبادِرُهْ
فما بَرِحَتْ حتى أتى المـاءُ دونها   وسُدَّتْ نواحيـه ورُفِعَ دابِرُهْ

عروضه من الطويل . عفا : درس . مُسحُلانُ : موضع . وحامِرُهُ : موضعٌ أضافه الى مُسحُلان . والظُلمانُ : ذكورُ النعام واحدُها ظليم . والجآذر : أولادُ البقر واحدها جُؤذُر وجُؤذَر بضم الذال وفتحها . وتَمشّى : تُكثِرُ المشيَ . والقُرْيانُ : مجاري الماء الى الرّياض واحدهـا قَرِيّ . والمستأسِدُ : ما ألتفَّ منها وطال . والنُّوّارُ يقال : إنه يكون أبداً حِيالَ الشمس يستقبلها بوجهه ، فيقول : إن نُوّار

هذه الروضة يميلُ زاهرُه حيالَ الشمس . والعارضُ : السحابُ . والجون : الاسود . والغريرة : الناعمةُ التي لم تجرِّب الامورَ ، يقول : لما رأت هذه المرأةُ السحابةَ السوداء قامت بمسحاتها تُصلحُ النؤيَ حوالَيْ بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الارض المستوية . وقوله : رُفِع دابرُه أي مؤخره الذي يلي الماء من النؤي . الشعرُ للحطيئة يهجو الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْرٍ . والغناء لابن عائشةَ ولحنه المختارُ خفيفُ رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاقَ ، وذكر حبشٌ أن له فيه لحناً آخر من الثقيل الثاني .

خبر الحطيئة ونسبه

والسبب الذي من اجله هجا الزبرقان بن بدر

نسبه :

الحُطَيئةُ لقبٌ لُقِّبَ به، وأسمه جَرْوَلُ بنُ أوْس بن مالك بن جُوَيَّةَ بن مَخْزوم بن مالك بن غالِب بن قُطَيعةَ بن عَبْس بن بَغيض بن الرَّيْث بن غَطَفان ابن سَعد بن قَيس بن عَيْلانَ بن مُضَرَ بن نِزار. وهو من فحول الشعراء ومتقدّميهم وفصحائهم، متصرّفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنّسيب، مُجيدٌ في ذلك أجمع، وكان ذا شرّ وسَفَهٍ، ونسبُه مُتدافعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كل واحدة منها إذا غَضب على الاخرين.

المسلم المرتد :

وهو مُخَضْرَمٌ أدركَ الجاهليةَ والاسلامَ فأسلم ثم ارتدّ وقال في ذلك :

أطعنا رسولَ الله اذ كان بيننا فيا لَعِبادِ الله ما لِأبي بَكْرِ
أيورِثُها بكرا إذا مات بعده وتلك لعمرُ الله قاصِمَةُ الظهر

لماذا لقب بالحطيئة :

ويُكْنَى الحطيئةُ أبا مُليكةَ، وقيل: إن الحطيئةَ غلَب عليه ولُقِّبَ به لِقِصَره وقُربه الى الارض. وقال حمّادٌ الراويةُ قال أبو نصر الاعرابيّ: سمّيَ الحطيئةَ لأنه ضَرطَ ضَرْطةً بين قوم، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إنما هي حُطَيئةٌ، فسمّيَ الحطيئةَ. وقال المدائني قال أبو اليقظان: كان الحطيئةُ يدّعي

أنه ابنُ عمرو بن عَلقمة أحد بني الحارث بن سَدوس، قال: وسمِّيَ الحطيئة لقربه من الارض.

كان ينتمي الى بني ذهل:

أخبرني الفَضْلُ بنُ الُحبابِ الُجمَحِيّ أبو خليفةَ في كتابه إليّ بإجازته لي يذكر عن محمد بن سَلّام: أنَّ الحطيئةَ كان ينتمي الى بني ذُهْلِ بن ثعلبةَ فقال:

إنَّ اليمامةَ خيرُ ساكنِها أهلُ القُرَيَّةِ من بني ذُهْلِ

قال: والقُرَيَّةُ: منازلهم، ولم ينبت الحطيئةُ في هؤلاء.

تلونه في نسبه:

وأخبرني محمد بن الَحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمي عن ابن الكلبيّ قال: سمعتُ خِراشَ بنَ إسماعيل وخالدَ بنَ سَعيدَ يقولان: كان الحطيئة إذا غضب على بني عَبسٍ يقول: أنا من بني ذُهْل، وإذا غضبَ على بني ذُهل قال: أنا من بني عبس.

الحطيئة ولد زنا:

أخبرني الحسين بن يحيي المِرْدامِيّ قال قال حمّاد بن إسحاق قال أبي قال ابن الكلبيّ: كان الحطيئة مغموز النسب، وكان من اولاد الزنا الذين شرُفوا. قال إسحاق وقال الأصمعيّ: كان الحطيئةُ يضربُ بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك:

قومي بنُو عَوْفِ بن عمرٍو إن أراد العلمَ عالِم
قومٌ إذا ذهبَتْ خضا رِمُ⁽¹⁾ منهم خَلَفَتْ خضارِمْ
لا يَفشَلون ولا تَبيتُ على أنوفِهِمُ الَخاطِمُ⁽²⁾

---

(١) الخضارم: جمع خضرم وهو الجواد الكثير العطيّة وقيل السيّد الحمول.
(٢) جمع مَخْطِم، والمخطم: موضع الخطام من الأنف.

قال الأصمعيّ: وقَدِمَ الحطيئةُ الكوفةَ فنزل في بني عَوْف بن عامر بن ذُهْلٍ يسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال في ذلك:

سِيري أمامَ فإنَّ المالَ يجمعُه   سَيْبُ الإلهِ وإقبالي وإدباري
إلى معاشرَ منهم يا أمامَ أبي   من آلِ عَوْفٍ بُدُوه[1] غيرِ أشرارِ
تمشي على ضوءِ أحسابٍ أضأنَ لنا   ما ضَوَّأتْ ليلةُ القَمْراءِ لِلسَّاري

قصته مع اخويه:

وقال ابنُ دُرَيد في خبره عن عمه عن ابن الكلبيّ عن أبيه، وحمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال: كان أوسُ بنُ مالك بن جُؤيّة ابن مَخْزوم بن مالك بن غالب بن قُطيعةَ بن عبس تزوّج بنتَ رِياح بن عمرو بن عَوْف بن الحارث بن سَدُوس بن شَيبانَ بن ذُهْل بن ثعلبةَ، وكان له أمَةٌ يقال لها الضَّرّاء فأعلقها بالحطيئةِ ورحل عنها. وكان لبنت رياحَ أخٌ يقال له: الأفقمُ، وكان طويلاً أفقمَ[2]، صغيرَ العينين، مضغوطَ اللَّحيين، فولدتِ الضَّراء الحطيئةَ فجاءت به شبيهاً بالأفقم، فقالت لها مولاتُها: من أين هذا الصبيّ؟ فقالت لها: من أخيك، وهابت أن تقولَ لها من زوجك، فشبّهته بأخيها؛ فقالت لها: صدقتِ. ثم مات أوسٌ وترك ابنين من الحرّة، وتزوّج الضَّرّاء رجلٌ من بني عبس فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمه. فأعتقتْ بنتُ رياحٍ الحطيئة وربّته فكان كأنه أحدُهما. وترك الأفقمُ نخلا باليمامة. فأتى الحطيئة أخويه من أوسِ بن مالكٍ وقد كانت أمه لما أعتقتْها بنتُ رياح اعترفت أنها أعتلقتْ من أوس بن مالك، فقال لهم: أفردوا إليّ من مالكم قطعةً فقالا: لا، ولكن أقِمْ معنا فنحن نُواسيك فقال:

أألآمرْتُماني أن أقيمَ عليكما   كلّا لعَمْرُ أبيكما الحبّاقِ

(١) البدوه: جمع بَدِيٍ وهو السيد، وقيل: الشاب المستجاد الرأي المستشار.

(٢) الأفقم من الفَقَم، والفَقَم في الفم: ان تدخل الأسنان العليا، وقيل: أن يخرج أسفل اللحي ويدخل أعلاه، ويقال لكل معوج: أفقم.

عبدانِ خيرُهما يُشَلُّ بضَبعِهِ شَلَّ الاجيرِ قلائصَ الوَرّاقِ[١]

الحطيئة يحرج امه بالسؤال عن ابيه :

قال : وسأل الحطيئةُ أمه : مَن أبوه فخلطت عليه فقال :

تقول لِيَ الضرّاء لستَ لواحدٍ ولا اثنين فانظر كيفَ شِرْكُ أولئكا
وأنتَ امرؤٌ تبغي أباً قد ضللتَه هَبِلتَ ألَّا تستفِق مِن ضلالكا

خبره مع اخوته من بني الافقم :

قال : وغضبَ عليها فلحقَ بإخوته بني الافقم فقال :

سِيري أمامَ فإنَّ المال يجمعُه سَيبُ[٢] الإله وإقبالي وإدباري

قال : فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال :

إنّ اليامةَ خيرُ ساكِنها أهلُ القُرَيَّةِ مِن بني ذُهلِ

وسألهم ميراثه من الافقم فأعطوه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعى نخلات أم مُليكةَ ، وأمّ مليكة : امرأةُ الحطيئة ، فقال :

لِيَهنِي تُراثي لامرئٍ غيرِ ذِلّةٍ صَنابِرُ أُحدانٌ لهنّ حَفيفُ[٣]

قال : ثم لم تُقنِعهُ النُّخَيلاتُ ، وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثه كاملًا من الافقم فلم يُعطوهُ شيئاً وضربوه ، فغضبَ عليهم وقال :

تمنّيتُ بكراً أن يكونوا عِمارتي[٤] وقومي وبكرٌ شرُّ تلك القبائل

(١) يشلّ : يطرد . والضبع : وسط العضد بلحمه . والورّاق : صاحب الورق : المال من إبل ودراهم وغيرها .

(٢) سيب : عطاء .

(٣) صنابر أحدان : سهام دقاق لا نظير لها .

(٤) العمارة بكسر العين وفتحها : أصغر من القبيلة ، وترتيبها هكذا : الشعب اكثر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط .

إذا قلتُ بَكريٌ نَبَوْتُم[1] بحاجتي فياليتني مِن غيرِ بكرِ بن وائلِ

فعاد الى بني عبس وأنتسب إلى أوس بن مالك . وقال الأصمعي في خبره : لما أتى أهلَ القُرَيَّةِ ، وهم بنو ذُهلٍ ، يَطلُبُ ميراثه من الافقمِ مدحهم فقال :

إنّ اليامةَ خيرُ ساكِنِها أهلُ القُرَيَّة من بني ذُهل
الضامنون لمالِ جارهمُ حتى يتمّ نواهضُ[2] البقلِ
قوم إذا أنتسبوا ففرعُهُم فَرعِي وأثبتُ أصلِهم أصلي

قال : فلم يُعطوه شيئاً ، فقال يهجوهم :

إنّ اليامة شرُّ ساكنها أهلُ القُرَيَّة من بني ذُهل

الحطيئة يهجو امه :

وقال أبو اليقْظان في خبره : كان الرجل الذي تزوّج أمّ الحطيئة ايضاً ولدَ زنا أسمه الكَلْب بن كُنَيس بن جابِر بن قَطَن بن نَهْشَل ، وكان كُنَيس زنى بأمَةٍ لزُرارة يقال لها رُشَيَّةُ ، فولدت له الكلبَ ويَرْبوعاً ، فطلبهم من زُرارة فمنعه منهم ، فلما مات طلبهم من أبيه لَقيطٍ فمنعه ؛ وقال لقيطٌ في ذلك :

أفي نصف شهر ما صَبَرتم لحقّنا ونحن صبرنا قبل ذاك سِنينا

وهي أبيات . فتزوّج الكلبُ الضَّرّاء أمّ الحطيئة ؛ فهجاه الحطيئةُ وهجا أمّه فقال :

ولقد رأيتُكِ في النساء فسُؤتني وأبا بنيكِ فساءني في المجلسِ
إنّ الذليل لمن تَزور ركابُه رهطَ ابن جَحْشٍ في الخطوب الحوّسِ[3]

(١) نبوتم : تجافيتم وتباعدتم .

(٢) نواهض البقل : ما استوى منه، يقال : نهض النبت اذا استوى .

(٣) الحوّس : الأمور الشداد التي تنزل بالقوم وتغشاهم .

قبح الالهُ قبيلةً لم يمنعوا يومَ المُجَيمرِ[١] جارَهم من فَقعَسٍ[٢]
أبلغ بني جَحْشٍ بأنّ نِجارَهم[٣] لؤم وأنّ أباهمُ كالهِجْرِسِ[٤]

وقال الحطيئةُ يهجو أمه :

جزاكِ اللهُ شرّاً من عجوزٍ ولقّاكِ العُقوقَ من البنينِ
فقد مُلِّكتِ أمرَ بنيكِ حتى تركتِهمُ أدقَّ من الطَّحينِ
فإن تُخلي وأمرَكِ لا تَصولي بمشتدٍّ قُواهُ ولا مَتينِ
لسانُكِ مِبْرَدٌ لا خيرَ فيهِ ودَرُّكِ دَرُّ جاذبةٍ[٥] دَهينِ

وقال يهجو أمه ايضاً :

تَنحَّيْ فأجلِسي مني بعيداً أراحَ اللهُ منكِ العالَمينا
أغِرْبالاً[٦] إذا استُودِعتِ سِرّاً وكانوناً[٧] على المتحدّثينا
حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سوءٍ وموتُكِ قد يسرُّ الصالحينا

الحطيئة يهجو نفسه :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الاصمعيّ عن عمه قال :

كان الحطيئة جَشِعاً سَؤُولاً مُلحِفاً، دنيءَ النفس، كثيرَ الشرِّ، قليلَ الخيرِ،

---

(١) المجيمر : جبل بأعلى مُبهِلٍ، وقيل المجيمر : أرض لبني فزارة .
(٢) فقعس : حي من بني أسد .
(٣) النجار : الحسب والأصل .
(٤) الهجرس : ولد الثعلب أو القرد، وقد يوصف به اللئيم .
(٥) الجاذبة : الناقة التي جذبت لبنها من ضرعها فذهب صاعداً . والدهين من الابل : الناقة البكيئة القليلة اللبن التي يمرى ضرعها فلا يدرّ قطرة .
(٦) الغربال : النمام .
(٧) الكانون : الثقيل الوخم من الناس .

بخيلاً، قبيحَ المنظر، رَثَّ الهيئة، مَغموزَ النسب، فاسدَ الدّين، وما تشاء أن تقول في شعر شاعر من عيبٍ إلّا وجدته، وقلّما تجد ذلك في شعره.

أخبرني ابنُ دُرَيد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال: بُخلاء العربِ أربعةٌ: الحطيئةُ، وحميدُ الأرقط، وأبو الأسود الدؤليّ، وخالدُ بن صَفوانَ.

أخبرنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم قال قال ابو عبيدة: كان الحطيئةُ بَذيئاً هجّاء، فالتمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول:

أَبتْ شَفتايَ اليومَ إلا تكلُّماً ... بشرٍّ فما أدْري لِمن أنا قائلُهْ

وجعل يُدَهْوِرُ هذا البيتَ في أشداقِه ولا يَرى إنساناً، إذ اطّلعَ في رَكيٍّ[1] أو حوض فرأى وجهَه فقال:

أرى لِيَ وجهاً شَوَّه اللهُ خَلْقَه ... فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

كانت تجمع له العطايا خوفاً من شره:

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العَلاء: حدّثنا الزُّبير بنُ بَكّار قال حدّثني عمي قال:

قدم الحطيئةُ المدينةَ فأرْصَدَتْ[2] قريشٌ له العطايا خوفاً من شرّه، فقام في المسجد فصاح: مَنْ يَحملني على بغلين.

أخبرني أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمدُ بن سَلّام وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائنيّ ومُصعبٌ:

كان الحطيئة سَؤولاً جَشِعاً، فقدِم المدينةَ وقد أرْصَدَتْ له قريشٌ العطايا،

(١) الركيّ: البئر.
(٢) أرصدت: أعدّت.

والناسُ في سَنةٍ مُجدِبَةٍ وسَخْطَةٍ من خليفة، فمشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضُهم إلى بعض، فقالوا: قد قَدِمَ علينا هذا الرجلُ وهو شاعر، والشاعرُ يَظُنّ فيُحَقِّق، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله، فإن أعطاه جَهَدَ نفسَه بَهْرَها[1]، وإن حرمَه هجاه، فأجمعَ رأيُهم على أن يَجعلوا له شيئاً مُعداً يجمعونه بينهم له، فكان اهل البيت من قريش والأنصارِ يجمعون له العشرةَ والعشرينَ والثلاثين ديناراً، حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنَوْه، فأتوْه فقالوا له: هذه صلةُ آلِ فلانٍ وهذه صلةُ آل فلانٍ، وهذه صلةُ آلِ فلانٍ، فأخذها؛ فظنوا أنهم قد كَفُّوه عن المسئلة، فإذا هو يومَ الجمعة قد استقبل الإمامَ ماثلاً ينادي: مَنْ يحملني على بغلين وقاه الله كَبَّةَ[2] جهنم.

كان متين الشعر:

ووصف أبو عبيدةَ ومحمدُ بن سلّام شعرَ الحطيئة فجمعتُ متفرّقَ ما وصفاه به في هذا الخبر، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلّام وابن دُرَيد عن أبي حاتم عن أبي عُبيدةَ قالا:

دنيء النفس:

كان الحطيئة مَتين الشعر، شَرودَ[3] القافية، وكان دنيء النفس، وما تشاء أن تطعن في شعر شاعر إلّا وجدت فيه مطعناً، وما أقلّ ما تجد ذلك في شعره. قالا: فبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعبَ بن زُهير — وكان الحطيئة راويةَ زهير وآل زهير — فقال له: قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي اليكم، وقد ذهب الفحولُ غيري وغيرَكَ، فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسكَ وتضعُني موضعاً بعدك! — وقال أبو عبيدة: تبدأ بنفسك فيه ثم تُثنّي بي — فإنّ الناس لأشعاركم أروى واليها أسرع! فقال كعبُ:

---

(١) أي كلف نفسه فوق طاقتها.

(٢) كبة: صدمة.

(٣) يقال: قافية شرود: سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير.

فمن للقوافي شانَها[1] مَنْ يَحوكُها ... إذا ما ثَوى كعبٌ وفوّزَ جَرْوَلُ
كَفَيتُكَ لا تلقى من الناس واحداً ... تَنخَّلَ[2] منها مثل ما نتَنخَّلُ
نقولُ فلا نعيا بشيءٍ نقولُه ... ومن قائليها مَنْ يُسيء ويُجمِلُ
نُثقّفها حتى تَلينَ مُتونُها ... فيقصُرُ عنها كلّ ما يُتمثَّلُ

قال: فاعترضه مُزَرِّدُ بن ضِرارٍ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمّاخ، وكان عِرّيضاً[3] أي شديد العارضة كثيرَها، فقال:

باستك إذ خلّفتني خلفَ شاعرٍ ... من الناس لم أُكفِئ[4] ولم أتنحّلِ
فإن تَخشِبا[5] أَخشِبْ وإن تتنخّلا ... وإن كنتُ أفتى منكما أتنخّلِ
فلستَ كحسّانَ الُحسامِ ابن ثابتٍ ... ولستَ كشمّاخٍ ولا كالُمخبّلِ

انشد عمر هجاء له:

نسختُ من كتاب الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَيْرُ بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك قال:

أنشد الحطيئةُ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدحَ إبله فقال:

مَهاريسُ[6] يُرْوي رِسلُها ضيفَ أهلها ... إذا الرّيحُ أبدتْ أوجهَ الخفِراتِ

(١) شانها: جاء بها شائنة أي معيبة. وثوى: مات وكذا فوّز.

(٢) يقال تنخلت الشيء: تخيرته واستقصيت أفضله.

(٣) العرّيض: الذي يتعرّض للناس بالشرّ.

(٤) من الاكفاء المعدود في عيوب الشعر وهو المخالفة بين حركات الرويّ رفعاً ونصباً وجرّاً، وله تعاريف اخرى. والتنحل: ان يدعي الشعر لنفسه وهو لغيره.

(٥) يقال: خشب الشعر يخشبه خشباً أي يمرّه كما يجيئه ولم يتأنق فيه ولا تعمّل له، وهو يخشب الكلام والعمل اذا لم يحكمه ولم يجوّده.

(٦) المهاريس من الابل: التي تقضم العيدان اذا قلّ الكلأ وأجدبت البلاد، كأنها تهرسها بأفواهها أي تدقها.

يُزيلُ القَتادَ جذْبُها بأصوله إذا أصبحتْ مُقْوَرَّةً[1] خَرِصاتِ[2]

تكريم الناس له :

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن التَّوَّزِيّ عن أبي عُبيدَة قال : بينا سعيد ابن العاص يُعَشِّي الناسَ بالمدينة والناسُ يخرجون أوّلًا أوّلًا ، إذ نُظِر على بساطه إلى رجل قبيح المنظَر ، رثِّ الهيئة ، جالسٍ مع أصحاب سَمَرِه ، فذهب الشُّرَطُ يُقيمونه فأبى أن يقومَ ، وحانتْ من سعيدٍ التِفاتةٌ فقال : دَعُوا الرجلَ ، فتركوه ؛ وخاضوا في أحاديثِ العرب وأشعارها مَليًّا ؛ فقال لهم الحطيئةُ : والله ما أصبتم جَيِّدَ الشعرِ ولا شاعِرَ العرب ؛ فقال له سعيد : أتعرفُ من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ؛ قال : فمن أشعرُ العربِ ؟ قال : الذي يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدماً ولكن فَقْدُ مَنْ قد رُزِئْتُه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ؛ فقال له : مَنْ يقولها ؟ قال : أبو دُوادٍ الإيادي ؛ قال : ثم مَنْ ؟ قال : الذي يقول :

أَفلِحْ بما شئتَ فقد يُدرَكُ بالـــجهل وقد يُخدَعُ الأريبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال عَبيد بن الأبرَص ؛ قال : ثم من ؟ قال : والله لَحسْبُكَ بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجليّ على الأخرى ثم عَوَيت في أثر القوافي عُواءَ الفَصيل الصَّادي ؛ قال : ومن أنتَ ؟ قال : الحطيئة ؛ قال : فرحّبَ به سعيد ، ثم قال : أسأتَ بكِتمانِنا نفسَك منذ الليلة ؛ ووَصله وكساه . ومضى لوجهه إلى عُتيبةَ بن النَّهَّاس العِجْليّ فسأله ؛ فقال : ما أنا على عملٍ فأعطيكَ من عَدَدِه ، ولا في مالي فضل عن قومي ؛ قال له : فلا عليك ، وانصرف . فقال له بعضُ قومه : لقد عرّضتنا ونفسَك للشرّ ! قال : وكيف ! قالوا :

(١) المقورّة هنا : المهازيل ، ويقال ايضاً على السمان ، فهو من أسماء الاضداد .

(٢) الخرصة : الجائعة المقرورة .

هذا الحطيئة هو هاجينا أخبث هجاء ؛ فقال : رُدُّوه ، فردّوه اليه ، فقال له : لِمَ كتمتنا نفسك كأنك كنت تطلب العِلَل علينا ! إجلسْ فلك عندنا ما يسرّك ؛ فجلس فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

ومَنْ يَجعَلِ المعروفَ من دونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ[١] ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتمَ يُشتَمِ

فقال له عتيبةُ : إنّ هذا من مقدّمات أفاعيك ؛ ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السوق فلا يطلبُ شيئاً إلا اشتريتَه له ؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخزَّ ورقيق الثياب فلا يريدها ويومىء الى الكرابيس[٢] والأكسية الغِلاظِ فيشتريها له حتى قضى أربه ثم مضى ؛ فلما جلس عتيبةُ في نادي قومه أقبل الحطيئةُ ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقامُ العائذِ بك يا أبا مُليكةَ من خيرك وشرّك ؛ قال : قد كنت قلتُ بيتين فأستمِعْها ثم أنشأ يقول :

سُئِلتَ فلم تبخَل ولم تُعطِ طائلاً فسِيّانِ لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ
وأنتَ امرؤٌ لا الجودُ منكَ سَجيّةٌ فتُعطي ولا يُعدي على النائل الوُجدُ[٣]

ثم ركَض فرسَه فذهب .

لا مطعن في شعره :

أخبرني الحسينُ بن يحيي ومحمدُ بن مَزيد البُوشَنجي[٤] قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن عمرو الجَرجَرائي[٥] عن أبي صَفوان الاحوزيّ قال :

ما من احد إلا لو أشاء أن أجدَ في شعره مطعناً لوجدتُه إلا الحطيئة .

---

(١) يفره : يتمه ولا ينقصه .
(٢) الكرابيس : جمع كرباس وهو ثوب من القطن الابيض ، فارسيّ معرّب .
(٣) الوجد : اليسار والسعة .
(٤) نسبة الى بوشنج : بليدة نزهة خصيبة في وادٍ مُشجِر من نواحي هراة بينها عشرة فراسخ .
(٥) نسبة الى جرجرايا : بلدة من اعمال النهروان الاسفل بين واسط وبغداد .

اشعر الشعراء بعد زهير :

قال حمّاد : وسمعتُ أبي يقول وقد أنشدَ قولَ الحطيئة :

وفتيانِ صدقٍ من عَديٍّ عليهمُ صفائحُ بُصْرى عُلِّقتْ بالعواتقِ
إذا ما دُعُوا لم يَسألوا مَن دعاهمُ ولم يُمسكوا فوقَ القلوبِ الخوافقِ
وطاروا إلى الجُرْدِ العِتاقِ فألجموا وشدُّوا على أوساطهم بالمناطقِ
أولئك آباء الغَريبِ وغاثَةُ الـــصَّريخِ ومأوى المُرْملين الدَّرادِقِ[١]
أحلُّوا حِياضَ الموت فوق جِباههم مكانَ النَّواصي من وجوه السَّوابقِ

ويروى : إذا استُلحِموا[٢] واذا ركبوا لم ينظروا عن شمالهم .

ويروى : اولئك أبناء العَزيف[٣] — ثم قال : أما إني ما أزعم ان أحداً بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة .

ابن ميّادة والحطيئة :

أخبرني الحسينُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغني أنه لما قال ابنُ مَيّادة :

تمشّى به ظُلمانه وجآذِرُهْ

قيل له : قد سبقكَ الحطيئةُ الى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أنَّ الحطيئةَ قال هذا قطّ ، والآن علمتُ والله أني شاعرٌ حين واطأتُ الحطيئةَ .

---

(١) الدرادق : الصبيان الصغار ، واحده دردق .

(٢) استلحموا : نشبوا في الحرب ودخلوا في غمارها .

(٣) العزيف : الصوت له دويّ ومنه عزيف الرعد لدويه وعزيف الريح لما يسمع من دويها وعزيف القوس تصويتها .

افسد شعره الهجاء :

قال حمّاد : قال أبي : وقال لي الاصمعيّ وقد أنشدني شيئاً من شعر الحُطيئة : أفسد مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .

سئل من اشعر الناس فاخرج لسانه يعني نفسه :

قال حمّاد : قال أبي : وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنه قال : لقيت الحطيئةَ بذات عِرقٍ[1] فقلت له : يا أبا مُليكة ، مَن أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنه لسانُ الحية ثم قال : هذا اذا طَمِع .

سمع الحطيئة شعر حسّان :

ونسختُ من كتاب أحمدَ بن سعيد الدِمشقيّ قال حدّثنا الزُبَير قال حدّثني يحيي بن محمد بن طَلحة وكان قد قاربَ ثمانين سنة قال :

أخبرني بعضُ أشياخنا أن اعرابياً وقف على حسّانَ بنِ ثابت وهو يُنشِدُ ، فقال له حسّان : كيف تَسمعُ يا أعرابيّ ؟ قال : ما أسمع بأساً . قال حسّان : أما تسمعون إلى الأعرابيّ ! ما كنيتكَ أيها الرجل ؟ قال : أبو مُليكة . قال : ما كنتَ قطُ أهونَ عليّ منك حين اكتنيتَ بامرأة ، فما اسمُكَ ؟ قال : الحطيئة ، فأطرق حسّان ثم قال له : امضِ بسلام .

البخيل الذي يطرد الضيوف :

أخبرني الُحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن المدائني قال :

مرّ ابنُ الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته ، فقال : السلامُ عليكم ؛ فقال : قلتَ ما لا يُنكَر ؛ قال : إني خرجتُ من أهلي بغير زاد ؛ فقال : ما ضَمِنتُ لأهلك قِراكَ ؛ قال : أفتأذن لي أن آتيَ ظلّ بيتك فأتفيّأ به ؟ قال : دونكَ الجبلَ يفيء عليك ؛ قال : أنا ابنُ الحمامة ؛ قال : انصرف وكن ابنَ أيّ طائر شئت .

(١) ذات عرق : مهلّ أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

وأخبرنا بهذا الخبر اليزيدي عن الخزاز عن المدائني فحكى ما ذكرناه من قول الحطيئة عن أبي الأسود الدؤلي .

وأخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائني قالا :

أتى رجلٌ الحطيئةَ وهو في غنم له فقال له : يا صاحبَ الغنم، فرفعَ الحطيئةُ العصا وقال : إنها عَجْراء[1] من سَلَم فقال الرجل : إني ضيف ؛ فقال : للضِيفانِ أعددتُها، فانصرف عنه . قال إسحاق : وقال غيرهما : إن الرجل قال له : السلام عليكم، فقال له : عَجْراء من سَلَم ؛ فقال : السلام عليكم ؛ فقال : أعددتُها للطُرّاق ؛ فأعاد السلام فقال لهُ : إن شئتَ قمتُ بها اليك ؛ فانصرف الرجلُ عنه .

انا حسب موضوع :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يَزيد قال : زعم الجاحظُ أن الحطيئة كان يقول : إنما أنا حسَبٌ موضوعٌ ؛ فسمع عمرو بن عُبيد رجلا يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صِدّيقةَ ، فقال عمرو : كذب تَرّحه[2] الله إنما ذلك التقوى .

عندما تهاجى مع ضيفه :

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعي : لم ينزل ضيفٌ قطُّ بالحُطيئة إلا هجاه، فنزل به رجلٌ من بني أسد لم يسمِّه الأصمعيّ، وذكر أبو عُبيدة أنه صَخر بنُ أعيَى الأسديّ أحدُ بني أعيى بن طَريف بن عمرو ابن قُعَيْنٍ، فسقاه شَرْبةً من لبنٍ، فلما شربها قال :

لما رأيتُ أنَّ مَنْ يبتغي القِرى ... وأنَّ ابنَ أعيى لا محالةَ فاضحي
شَدَدْتُ حيازيمَ ابنِ أعيى بشربةٍ ... على ظمأٍ سَدّتْ أصول الجوانحِ

وروى الأصمعي شَدَّت بالشين المعجمة .

(١) العجراء : العصا التي فيها عقد . والسلم : شجر معروف .

(٢) ترّحه : أحزنه .

ولم أكُ مثلَ الكاهليِّ وعِرسه بَغى الوُدَّ من مَطروفةِ العينِ طامحِ
غدا باغياً يَبغي رضاها وودَّها وغابت له غيبَ امرىءٍ غيرِ ناصحِ
دَعت ربَّها ألّا يَزالَ بفاقةٍ ولا يغتدي إلا على حدِّ بارحِ

قال فأجابه صخرُ بنُ أعيى فقال :

ألا قَبَّحَ اللهُ الحُطيئةَ إنه على كلِّ ضيف ضافه هو سالحُ
دُفِعتُ اليه وهو يَخنُقُ كلبَه ألا كلُّ كلبٍ لا أبا لكَ نابحُ
بكيتَ على مَذْقٍ[1] خبيثٍ قَرَيْتَه ألا كلُّ عَبْسيٍّ على الزاد شائحُ[2]

قال أبو عبيدةَ وهجا الحُطيئةُ أيضاً رجلاً من أضيافه فقال :

وسلَّمَ مرَّتينِ فقلتُ مهلاً كفتكَ المرَّةُ الأولى السَّلاما
ونَقْنَقَ[3] بطنُه ودعا رؤاساً[4] لِما قد نال من شِبع وناما

فقد ناقة فقال شعرا :

أخبرني أبو خليفةَ عن محمد بن سَلّام عن يونس أن الحُطيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أمامةُ وابنته مُلَيكةُ ، فنزل منزلاً وسرحَ ذَوْداً له ثلاثاً ، فلما قام للرَّواح فقدَ إحداها فقال :

أذئبُ القفرِ أم ذئب أنيسٌ أصاب البَكرَ[5] أم حدثُ الليالي
ونحنُ ثلاثةٌ وثلاثُ ذَوْدٍ[6] لقد جارَ الزمانُ على عِيالي

لا يذهب العرف بين الله والناس :

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع والحُسين بن يحيي قالا حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال

(١) مذق : بمعنى ممذوق ، يقال : لبن مذق أي مخلوط بالماء .
(٢) شائح : حذر .
(٣) نقنق : قرقر .
(٤) رؤاس : من بني كلاب ، يقول : حين شبع أشر ونادى : يا لبني رؤاس .
(٥) البكر من الابل بمنزلة الفتيّ من الناس ، يقال على الذكر والانثى . والبكر أيضاً : الناقة التي ولدت بطناً واحداً .
(٦) الذود : الثلاث من الابل الى العشر ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها .

قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العربُ بيتاً قطْ أصدق من بيت الحُطيئة :

مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَهُ[1] لا يَذهَبُ العُرفُ بين اللهِ والنّاسِ

فقيل له : فقولُ طَرَفَة :

سَتُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزَوِّدِ

فقال : من يأتيك بها ممن زَوّدتَ أكثر، وليس بيتٌ مما قالته الشعراء إلا وفيه مَطعَنٌ إلا قولَ الحُطيئة :

لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والنّاسِ

قال إسحاق قال المدائني قال سَلمُ بن قُتَيبة : ما أعلم قافيةً تستغني عن صدرها وتدلّ عليه وان لم يُنشَدْ مثلَ قول الحُطيئة :

لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

الأصمعي يكتب له :

أخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيدٍ قال حدثنا الرّياشيّ قال سمعتُ الأصمعيّ يقول : كتبتُ للحطيئة في ليلةٍ أربعينَ قصيدةً .

لا يذهب العرف مكتوب في التوراة :

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبيدة قال :

بلغني أنّ هذا البيت في التوراة ، ذكره غير واحد عن أُبيّ بن كَعب . يعني قولَ الحُطيئة :

لا يذهب العرف بين الله والناس

(١) جوازيه : جمع جازية اسم مصدر للجزاء، كالعافية.

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيوبَ بن عثمانَ الدِّمشقيّ عن عثمانَ ابن أبي عائشة قال: سمعَ كعبُ الحبرُ رجلًا يُنشِدُ بيتَ الحطيئة:

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَه   لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ

فقال: والذي نفسي بيده إنَّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة. قال إسحاق قال العُمَريّ: والذي صحّ عندنا في التوراة «لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والعبادِ».

علموا شعره الاطفال:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عدْنان: لما حضَرتْ عبيدالله ابن شدّاد الوفاةُ دعا ابنَه محمداً فأوصاه وقال له: يا بنيّ أرى داعِيَ الموتِ لا يُقلِعُ، وبِحقٍّ أنَّ مَنْ مضى لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزِعُ. يا بنيّ، لِيكُن أوْلى الأمورِ بك تقوى الله في السرّ والعلانية، والشكرَ لله، وصدقَ الحديث والنيّة، فإنّ للشكر مزيداً، والتقوى خيرُ زادٍ، كما قال الحطيئة:

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ   ولكنَّ التقيّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزاد ذخرا   وعند الله للأتقى مزيدُ
وما لا بدّ أن يأتي قريبٌ   ولكنّ الذي يمضي بعيدُ

مدحه في ابي موسى الأشعري:

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال أخبرني أبو عبيدةَ عن يونس قال: قَدِمَ حمّادٌ الراويةُ البصرةَ على بِلال بن أبي بُرْدة وهو عليها؛ فقال له: ما أطرفتني شيئاً يا حمّاد؛ قال: بلى، ثم عاد اليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأشعَريّ يمدحه:

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن جُشَمٍ   ومن تَميم ومن حاء ومن حامِ

مُسْتَحْقِباتٍ(١) رَواياها(٢) جَحافِلَها(٣) يَسْمو بها أَشْعَرِيٌّ طَرْفُه سامي

فقال له بلال: وَيْحكَ! أيمدحُ الحطيئةُ أبا موسى الأشعريَّ وأنا أروي شعرَ الحطيئةِ كلَّه فلا أعرفُها! ولكن أَشِعْها تذهَبْ في الناس.

وذكر المدائني أنّ الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى، وأنها صحيحة. قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده:

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو:

فما رضيتَهمُ حتى رَفَدْتَهمُ بوائلٍ رهطِ ذي الجَدَّينِ بِسْطامِ(٤)

فوصله أبو موسى؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك؛ فكتب اليه: إني اشتريت عِرْضي منه بها؛ فكتب إليه عمر: إن كان هذا هكذا وإنما فديتَ عرضكَ من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنت. ولما وَلِيَ بلالُ بن أبي بُرْدَةَ أنشده إياها حمّادٌ الراويةُ فوصله أيضاً.

كذب الحطيئة:

ونسخت من كتاب لحمّاد بن إسحاق حدّثني به أبي وأخبرني به عمّي عن الكُراني عن الرِّياشيّ قال حدّثني محمدُ بن الطُّفَيل عن أبي بكر بن عَيّاش عن الحارس بن عبد الرحمن عن مكحول قال:

---

(١) مستحقبات: من استحقب الشيء اذا احتمله من خلف.

(٢) الروايا: الابل التي تحمل ازوادهم واثقالهم.

(٣) جحافلها: جمع جحفلة. وهي من الخيل والحمير والبغال والحافر بمنزلة الشفة للانسان والمشفر للبعير.

(٤) بسطام هو بسطام بن قيس بن مسعود ويسمى ذا الجدين. والاصرام: البيوت المجتمعة، يقال للقطعة منها صرم.

سبَق رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم على فرس له فَجثا على ركبتيه وقال: «إنه لبَحْر[١]»؛ قال عمر: كذَب الحُطيئةُ حيث يقول:

وإنّ جيادَ الخيـل لا تستفزُّنا ولاجاعلاتُ الرَّيطِ[٢] فوق المعاصمِ

لو ترَك هذا أحدٌ لتركه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

رقة قلب الحطيئة:

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عُبيدة أن الحُطيئة أراد سفراً فأتته امرأته وقد قُدِّمتْ راحلتُه ليركب، فقالت:

أذكرْ تحنُّننا اليـكَ وشوقَنا وأذكرْ بناتِك إنهنَّ صِغارُ

فقال: حُطُّوا، لا رحلتُ لسفرٍ أبداً.

الجنّي صاحب الحطيئة:

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ومحمد بن الحسن بن دُرَيد قالا حدّثنا عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ عن عمه عن أبيه قال:

قال رجلٌ ضِفتُ[٣] قوماً في سفر وقد ضلَلْتُ الطريقَ، فجاءوني بطعام أجدُ طعمَه في فمي وثِقلَه في بطني، ثم قال شيخ منهم لشابٍّ: أنشدْ عمَّك؛ فأنشدني:

عفا من سُلَيمى مُسْحُلانُ فحامِرُهْ تمشّى بـه ظِلْمانُه وجآذِرُهْ

فقلت له: أليس هذا للحُطيئة؟ فقال: بلى، وأنا صاحبُه من الجن.

---

(١) أي واسع الجري.
(٢) الريط: جمع ريطة وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد، أو كل ثوب لين رقيق.
(٣) اي نزلت عليهم ضيفاً.

جودة شعره :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

قال ابن عيينة : سمعت ابن شبرمة يقول : أنا والله أعلم بجيّد الشعر، لقد أحسن الحطيئة حيث يقول :

أولئك قوم إن بنَوْا احسنوا البُنى   وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا
وإن كانتِ النّعماء فيهم جزَوْا بها   وإن أنعموا لا كدّروها ولا كدُّوا
وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ   من الدهر رُدُّوا فضلَ أحلامكم ردُّوا

قال : وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت : ما واحد البنى ؟ قال : بِنْية ؛ فقال له : أتُجمع فِعْلة على فُعَل ؟ قال : نعمْ مثل رِشوة ورُشًى ورِحبوة وُحبي .

الغناء رقية الزنا :

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباريّ قال حدّثنا ابن الأعرابيّ عن المفضَّل :

أن الحطيئة أقحمته السنة[1] ، فنزل ببني مُقلّد بن يربوع ، فمشى بعضهم الى بعض وقالوا : إن هذا الرجل لا يَسلَم أحدٌ من لسانه ، فتعالَوْا حتى نسأله عما يحبّ فنفعلَه وعما يكره فنجتنبه ؛ فأتوه فقالوا له : يا أبا مُلَيكة ، إنك اخترتَنا على سائر العرب . ووجب حقُّكَ علينا ، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعله وبما تحبّ أن ننتهيَ عنه ؛ فقال : لا تُكثروا زيارتي فتُمِلُّوني ، ولا تقطعوها فتوحِشوني ، ولا تجعلوا فِناء بيتي مجلساً لكم ، ولا تُسمِعوا بناتي غناء شُبأنِكم ، فإن الغناء رُقية الزنا . قال : فأقام عندهم . وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أُمّكم الطلاقُ ، لئن تغنّى

(١) اقحمته : أوقعته في شدة ومشقة . والسنة : الجدب .

احد منكم والحطيئةُ مقيمٌ بين أظهُرنا لأضربنَّه ضربةً بسيفي أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزل مقيماً فيا يرضى حتى انجلتْ عنه السَّنةُ ، فارتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مُقلَّدٍ فحمِدتُهم ... إذ ليس كلُّ أخي جوارٍ يُحْمَدُ
أيامَ مَنْ يُرِدِ الصنيعةَ يَصْطنعْ ... فينا ومن يُرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَدُ

مع الزبرقان :

فأما خبره مع الزِّبرقان بن بَدْر والسببُ في هجائه إياه ، فأخبرني به أبو خَليفة عن محمد بن سَلَّام ولم يتجاوزْه به ، وأخبرني الُحسين بن يحيي عن حمَّاد عن أبيه عن محمد بن سَلَّام عن يونس ، وأخبرني محمد بن الَحسن بن دُريد عن أبي حاتم عن ابي عُبيدة ، وأخبرني اليَزيديّ عن عمه عبيد الله عن ابي حَبيب عن ابن الأعرابيّ وقد جمعتُ رواياتِهم وضممتُ بعضها الى بعض :

أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان ولّى الزِّبرقانَ بن بَدرٍ بن امرئ القيس ابن خَلَف بن بَهْدَلة بن عَوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تَميم عَملاً ، وذكر مثلَ ذلك الاصمعيُ ، وقال لي الزبرقان : القمر ، والزبرقان : الرجل الخفيف اللحية . قال : وأقرَّه أبو بكر رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم على عمله ، ثم قدم على عمر في سنة مُجْدِبة ليؤديَ صدقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئة بقَرقَرى(١) ومعه ابناه أوسٌ وسَوادةُ وبناته وامرأتُه ؛ فقال له الزِّبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراقَ ، فقد حطَمتْنا هذه السنةُ ؛ قال : وتصنع ماذا ؟ قال وددتُ أن أصادف بها رجلا يكفيني مَؤونةَ عيالي وأُصفيه(٢) مَدحي أبداً ؛ فقال له الزبرقان : قد أصبتَه ، فهل لك فيه يُوسعك لبناً وتمراً ويجاورك أحسنَ جِوار واكرَمَه ؟ فقال له الحطيئة : هذا وأبيك العيشُ ، وما كنتُ أرجو هذا كلَّه ؛ قال : فقد أصبتَه ؛ قال : عندَ مَن ؟ قال : عندي ؛ قال : ومن أنت ؟

(١) قرقرى : ارض باليامة فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة .
(٢) أصفيه : أخلصه .

قال : الزّبرقان بن بدر ؛ قال وأين محلُّك ؟ قال : اركبْ هذه الإبلَ ، واستقبلْ مَطلِعَ الشمس ، وَسَلْ عن القمر حتى تأتيَ منزلي . قال يونسُ : وكان اسمُ الزّبرقان الُحصَينَ بن بدر ، وإنما سميَ الزّبرقان لحسنِه ، شُبِّه بالقمر . وقيل : بل لبس عمامةً مُزبرَقة[١] بالزّعفران فسمّيَ الزّبرقانَ لذلك . وقال أبو عُبيدة في خبره : فقال له : سِرْ إلى أمّ شَذْرة وهي أمّ الزّبرقان وهي ايضاً عمة الفرزدق ، وكتب اليها أن أحسِني اليه ، وأكثري له من التمر واللبن . وقال آخرون : بل وكَله الى زوجته . فلحِق الحطيئةُ بزوجته على رواية ابن سَلّام ، وهي بنت صَعصَعة بن ناجيةَ الُمجاشِعيّةُ ، واسمها هُنَيدة ، وعلى رواية ابي عُبيدة : أنها أُمّه ، وذلك في عامٍ صَعبٍ مُجْدِب ، فأكرمته المرأةُ وأحسنت اليه ؛ فبلغ ذلك بَغيضَ بن عامر ابن شَمّاس بن لَأْيِ بن جعفر وهو أنفُ الناقة بن قُرَيع بن عَوف بن سعد بن زيد مَناة بن تَميم ، وبلغ اخوته وبني عمه فاغتنموها . وفي خبر اليزيديّ عن عمه قال ابن حبيبَ عن ابن الاعرابيّ : وكانوا يغضَبون من أنفِ الناقة ، وإنما سمّيَ جعفرٌ أنفَ الناقة لان أباه قُرَيعاً نحر ناقةً فقسمها بين نسائه ، فبعثتْ جعفراً هذا أمّه ، وهي الشَّموس من وائل ثم من سعد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يَبقَ من الناقة إلا رأسُها وعنقُها ، فقال : شأنكَ بهذا ، فأدخل يده في أنفها وجرّ ما أعطاه ، فسمّيَ أنفَ الناقة . وكان ذلك كاللّقب لهم حتى مدحهم الحطيئةُ ، فقال :

قوم هم الانفُ والاذنابُ غيرُهمُ ومن يسوّي بأنفِ الناقة الذَنَبا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً ، وكانوا ينازعون الزّبرقان الشرفَ – يعني بَغيضاً وإخوته وأهله – وكانوا أشرفَ من الزّبرقان ، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه . وقال أبو عُبيدة في خبره : كان الحطيئةُ دميماً سيّئَ الخلق ، لا تأخذه العينُ ، ومعه عِيال كذلك ، فلما رأت أمُّ شَذْرةَ حالَه هان عليها وقصّرت[٢] به ، ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة الى ما تصنع به أمُّ شَذرة ، فأرسلوا اليه : أن ائتنا ،

(١) مزبرقة : مصبوغة . يقال : زبرق ثوبه اذا صبغه بحمرة او صفرة .

(٢) قصرت به : لم تبلغه ما يرضيه ، لم تكرمه .

فأبى عليهم وقال: إن من شأن النساء التقصيرَ والغفلة، ولستُ بالذي أحمل على صاحبها ذَنْبَها. فلما ألحَّ عليه بنو أنف الناقة، وكان رسولهم اليه شَمَّاس بنَ لأْيِ وعَلْقَمةَ بن هَوْذة وبَغيض بن شَمَّاس والمُخَبَّلَ الشاعر، قال لهم: لستُ بحامل على الرجل ذنبَ غيره، فإن تُرِكت وجُفيت تحولتُ اليكم؛ فأطمعوه ووعدوه وعداً عظيماً. وقال ابن سَلَّام في خبره: فلما لم يُجبهم دسُّوا إلى هُنَيدة زوجةِ الزِّبرقان أنّ الزبرقان إنما يريد أن يتزوّج ابنته مُلَيكة؛ وكانت جميلةً كاملةً، فظهرت من المرأة للحطيئة جَفوَة وهي في ذاك تُداريه. ثم ارادوا النُّجعة[1]، قال أبو عُبيدة: فقالت له أمُّ شَذرة — وقال ابن سَلَّام: فقالت له هُنَيدة —: قد حضَرت النُّجعةُ فاركبْ أنتَ وأهلك هذا الظَّهرَ إلى مكان كذا وكذا، ثم اردُدْه الينا حتى نَلحقك فإنه لا يَسعُنا جميعاً؛ فأرسل اليها: بل تقدَّمي أنتِ فأنت أحقُّ بذلك؛ ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردّها اليه وتركته يومين أو ثلاثةً، وألحّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له: قد تُركت بضَيْعة. وكان أشدهم في ذلك قولاً بَغيضَ بن شَمَّاس وعَلقمة بن هَوْذة، وكان الزِّبرقان قد قال في عَلقمة:

لي إبنُ عمٍّ لا يزا ... لُ يَعيبُني ويُعينُ عائبْ
وأُعينُه في النائبا ... ت ولا يُعين على النوائبْ
تَسري عَقارِبُه إلـ ... ـيَّ ولا تَدِبُّ له عقاربْ
لاهِ[2] ابنُ عَمِّك لا يَخا ... فُ المُخزِيات من العواقبْ

قال: فكان عَلقمة ممتلئاً غيظاً عليه. فلما ألحّوا على الحطيئة أجابهم وقال: أما الآن فنعم، أنا صائرٌ معكم. فتحمَّل معهم، فضربوا له قُبَّةً، وربطوا بكلّ طُنُب من أطنابها جُلَّةً[3] هَجَرِيَّة، وأراحوا[4] عليه إبلَهم، وأكثروا له من التمر

(١) النجعة: طلب الكلأ في موضعه.
(٢) لاه: بمعنى لله.
(٣) الجلة: وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيها.
(٤) إراحة الابل: ردّها في العشيّ.

واللبن، وأعطوه لِقاحاً[١] وكُسوةً . قال : فلما قدِم الزّبرقان سأل عنه فأخبر بقصته، فنادى في بني بَهْدلةَ بن عَوف، وهم لأمّ دون قُرَيع، أمّهم السَّفعاء بنت غَنم ابن قُتيبة من باهِلة. فركب الزّبرقان فرسه، وأخذ رمحه، وسار حتى وقف على نادي بني شمّاس القُرَيعيّين، فقال: رُدُّوا عليّ جاري؛ فقالوا: ما هو لك بجار وقد أطّرحتَه وضيّعتَه؛ فألمّ[٢] أن يكونَ بين الحيّيْن حربٌ، فحضرَهم اهل الحِجا من قومهم، فلاموا بَغيضاً وقالوا: ارْدُدْ على الرجل جارَه؛ فقال لستُ مُخرِجَه وقد آويتُه، وهو رجلٌ حرٌّ مالكٌ لأمره، فخيّروه فإن اختارني لم أُخرِجْه، وإن اختاره لم أُكرِهه. فخيّروا الحطيئةَ فاختار بَغيضاً ورَهطَه؛ فجاء الزبرقانُ ووقف عليه وقال له: أبا مُلَيكة، أفارقتَ جِواري عن سُخط وذَمّ؟ قال: لا؛ فانصرف وتركه. هذه رواية ابن سلّام، واما ابو عُبيدة فإنه ذكر أنه كان بين الزّبرقان ومن معه من القُرَيعيّين تلاحٍ[٣] وتَشاحّ. وزعم غيرهما أن الزّبرقان استعدى عمرَ بنَ الخطّاب على بغيض، فحكم عمرُ بأن يُخرَجَ الحطيئةُ حتى يُقام في موضعٍ خالٍ بين الحيّيْن وحدَه ويُخلّى سبيله، ويكون جار أيّهما اختار ففُعِل ذلك به، فاختار القُرَيعيّين. قال: وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يَهجُوَ الزّبرقان، وهم يحضّونه على ذلك ويُحرّضونه فيأبى ويقول: لا ذنبَ للرجل عندي؛ حتى أرسل الزبرقان الى رجل من النَّمِر بنِ قاسِط يقال له دِثار بن شَيْبان، فهجا بَغيضاً فقال:

أرى إبلي بجَوف الماء حَلّتْ ... وأعوزها به الماءُ الرِّواءُ
وقد وَرَدَتْ مِياهَ بني قُرَيعٍ ... فما وصلوا القرابةَ مذ أساءوا
تُحَلّأ[٤] يومَ وِرْد الناس إبْلي ... وتَصدُرُ وهي مُحْنِقةٌ[٥] ظِماءُ
ألم أكُ جارَ شمّاس بنِ لأْيٍ ... فأسلمني وقد نزل البَلاءُ

(١) اللقاح: جمع لقوح وهي الناقة الحلوب.
(٢) ألمّ: قرب، يقال: ألمّ أن يذهب بصره أي قرب ان يذهب.
(٣) تلاح: تنازع.
(٤) تحلأ: تمنع، يقال: حلاه عن الماء تحليئاً وتحلئة: طرده ومنعه.
(٥) محنقة: ضامرة.

فقلتُ تحوَّلي يا أمَّ بَكرٍ ... إلى حيثُ المكارمُ والعَلاء
وجدنا بيتَ بَهدلةَ بنِ عوفٍ ... تعالى سَمْكُه ودَحا[1] الفِناء
وما أضحى لشَمّاسِ بنِ لأيٍ ... قَديمٌ في الفَعالِ[2] ولا رَباء[3]
سِوى أن الحطيئةَ قال قولًا ... فهذا من مقالتِه جَزاء

فحينئذٍ قال الحطيئة يَهجو الزّبرقان ويناضل عن بَغيضٍ قصيدته التي يقول فيها :

والله ما مَعشرٌ لامُوا امرأً جُنُباً ... في آلِ لأيِ بن شمّاس بأكياسِ
ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبا لكمُ ... في بائسٍ جاء يَحدُو آخرَ الناسِ
لقد مَرَيتُكُمُ[4] لو أن دِرّتَكم[5] ... يوماً يَجيءُ بها مَسحي وإبساسي
وقد مدحتُكمُ عمداً لأرشدَكم ... كيما يكون لكم مَتحي وإمراسي
لما بدا ليَ منكم غيبُ أنفسِكم ... ولم يكن لِجراحي فيكم آسي
أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالِكمُ ... ولن يُرى طارداً للحُرِّ كاليأسِ
جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ منزلِه ... وغادرُوه مقيماً بينَ أرماسِ
مَلُّوا قِراه وهرّتْه كلابُهمُ ... وجَرَّحوه بأنيابٍ وأضراسِ
دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها ... واقعُدْ فإنكَ أنت الطاعمُ الكاسي
مَن يَفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازِيَه ... لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناسِ
ما كان ذنبيَ أن فَلّتْ مَعاوِلَكم ... من آلِ لأيٍ صَفاةٌ أصلُها راسي
قد ناضلوكَ فسَلُّوا من كَنائنِهم ... مجداً تَليداً ونَبلًا غيرَ أنكاسِ[6]

الجُنُب : الغريب . والإبساس : أن يُسكِّنها عند الحلب . والماتح : المستقي

(١) دحا الفناء : طال واتسع .
(٢) الفعال بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه .
(٣) الرباء بالفتح : الطول والمنة والفضل .
(٤) مريتكم من مرى الناقة يمريها أي مسح ضرعها .
(٥) الدرة : اللبن .
(٦) أنكاس : جمع نكس وهو أضعف السهام .

الذي يجذِب الدلوَ من فوقُ . والامراسُ : ان يقــع الحبلُ في جانب البَـكَرة فيُخرَجه – فاستَعْدى عليه الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب ، فرفعه عمر اليه واستَنْشده فأنشده ؛ فقال عمر لحسَّان : أتُراه هجاه ؟ قال : نعمْ وسلَح عليه ، فحَبسه عمر .

دع المكارم لا ترحل لبغيتها :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نَصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبة قال حدّثني أحمد بن مُعاوية عن أبي عبد الرحمن الطائيّ عن عبد الله ابن عَيَّاش عن الشَّعْبيّ قال :

شهدتُ زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاثَةَ التَّيميّ ، فقال : إنه هجاني ؛ قال : وما قال لك ؟ قال قال :

وكيف أرجّي ثَرْوَهــا ونماءها   وقد سار فيها خُصْيةُ الكلبِ عامرُ

فقال أبو علاثة : ليس هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال قلتُ :

وإني لأرجو ثَروَها ونماءها   وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عامرُ

قال زيادٌ : قاتل الله الشاعرَ ، ينقلُ لسانَه كيف شاء ، والله لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانَك ! فقام قَيس بن فهد الأنصاريّ فقال : أصلح الله الأميرَ ، ما أدري مَن الرجلُ ، فإن شئتَ حدثتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه – قال : وكان زيادٌ يعجبه الحديثُ عن عمرَ رضي الله عنه – قال : هاتِه ، قال شهدتُــه وأتاه الزِّبْرِقان بن بدر بالحطيئة فقال : إنه هجاني ؛ قال وما قال لك ؟ قال قال لي :

دَعِ المكارمَ لا ترحــلْ لبُغيتها   واقعدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

فقال عمر : ما أسمعُ هجاء ولكنّها معاتبةٌ ؛ فقال الزبرقان : أو ما تبلــغُ مروءتي إلّا أن آكلَ وألبَس ! فقال عمر : عليّ بحسان ، فجيء به فسأله : فقال : لم يَهْجُه ولكن سلَح عليه – قال ويقال : إنه سأل لَبيداً عن ذلــك فقال : ما

يسرُّني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه وأن لي حُمُرَ النَّعم – فأمر به عمرُ فجُعِل في نَقِيرٍ[١] في بئر ثم أُلقِيَ عليه شيء، فقال :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ[٢] زُغْبِ الحواصِلِ لا ماء ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسبَهم في قعرِ مُظلِمةٍ فاغفر عليكَ سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمامُ الذي من بعدِ صاحبِه ألقى اليكَ مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
لم يُؤثِروكَ بها إذ قدَّموك لها لكن لأنفسِهم كانت بكَ الأَثَرُ

فأخرجه وقال له : إياك وهجاء الناس ؛ قال : إذن يموت عِيالي جوعاً ، هذا مكسَبي ومنه مَعاشي ؛ قال : فإياك والمُقْذِعَ من القول ؛ قال وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقولَ : فلان خيرٌ من فلان، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ قال : فأنت والله أهجى مني . ثم قال : والله لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانك، ولكن أذهبْ فأنت له، خُذه يا زبرقان ؛ فألقى الزبرقانُ في عنقه عمامةً فاقتاده بها ؛ وعارضته غَطَفانُ فقالوا له : يا أبا شَذْرَة، إخوتُكَ وبنو عمِك، هَبْه لنا ؛ فوَهبه لهم . فقال زيادٌ لعامر بن مَسْعود : قد سمعتَ ما رُوِيَ عن عمر، وإنما هي السُّنَن ، فاذهبْ به فهو لك : فألقى في عُنُقه حبلًا أو عمامة، وعارضته بَكْرُ بنُ وائل فقالوا له : أخوالك وجيرانُك ؛ فوَهبه لهم .

الحطيئة وعمر :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرنا أبو حاتم عن ابي عُبيدة :

أن الحطيئة لما حبَسه عمر وهو أولُ ما قاله :

أعوذُ بجَدِّك إني امرؤٌ سقتْني الأعادي اليكَ السِّجالا
فإنك خيرٌ من الزبرقان أشدُّ نكالًا وأرجى نَوالا

---

(١) النقير : ما نقر من حجر أو خشب ونحوهما .
(٢) واد بالحجاز .

تَحَنَّنْ عليَّ هَداكَ المليكُ   فإنَّ لكلِّ مقامٍ مَقالا
ولا تأخُذَنِّي بقول الوُشاة   فإن لكلِّ زمانٍ رِجالا
فإن كان ما زَعموا صادقاً   فسِيقَتْ اليكَ نسائي رِجالا[1]
حَواسِرَ لا يشتكينَ الوَجا[2]   يُخَفِّضْنَ آلاً ويرفَعْنَ آلا

فلم يلتفت عمرُ إليه حتى قال أبياتَه التي أوّلها:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العَلاء ومحمد بن العبّاس اليَزيديّ وعمرُ بن عبد العزيز ابن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهاشميّ قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ قال حدّثني عبد الله بن مُصْعَب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسْلَم عن أبيه قال:

أرسل عمر الى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن فأنشده قولَه:

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرَخٍ   زغبِ الحواصِلِ لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبَهم في قعر مظلمةٍ   فاغفر عليكَ سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمامُ الذي من بعد صاحبه   ألقى اليك مقاليدَ النُّهى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها   لكن لأنفسهم كانت بك الأثَرُ
فامْنُنْ على صِبيةٍ بالرملِ مسكنُهم   بين الأباطحِ تَغشاهم بها القِرَرُ[3]
أهلي فِداؤكَ كم بيني وبينهمُ   من عَرْض داويَةٍ[4] تَعمى بها الخُبَرُ

— قال فبكى حين قال:

(١) جمع رجلة: أي راجلة.

(٢) الوجا: الحفا.

(٣) القرر: جمع قرّة بالكسر وهي البرد.

(٤) الداوية والدويّة: الفلاة الواسعة.

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ

فقال عمرو بن العاص : ما أظلّتِ الخضراء ولا أقلّت الغبراء أعدلَ من رجل يبكي على تركه الحطيئةَ – فقال عمر : عليَّ بالكرسيّ ، فأتي به ، فجلس عليه ثم قال : أشيروا عليّ في الشاعر ، فإنه يقول الهجرَ وينسبُ بالحُرَم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم ، ما أراني إلا قاطعاً لسانه ، ثم قال : عليَّ بالطَّست ، فأتي بها ، ثم قال : عليَّ بالمِخصَف[١] ، عليَّ بالسِّكِّين ، لا بل عليَّ بالموسى ، فهو أوحى[٢] ؛ فقالوا لا يعود يا أميرَ المؤمنين ، فأشاروا اليه أن قُلْ لا أعود ؛ فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ؛ فقال له : النَّجاء . قال : فلمّا ولّى قال له عمر : يا حُطيئة ، كأني بك عند فتًى من قريش ، قد بسط لك نُمرُقة[٣] وكسرَ لك أخرى وقال : غنِّنا يا حُطيئة ، فطفِقتَ تغنّيه بأعراض الناس . قال ابن أسلم : فما انقضت الدنيا حتى رأيتُ الحطيئة عند عُبيد الله بن عُمَر قد بسَط له نُمرُقةً وكسر له أخرى وقال : غنّنا يا حُطيئة ، فجعل يغنّيه ، فقلتُ له : يا حُطيئة ، أتذكُر قولَ عمر ؟ ففزع وقال : يرحم الله ذلك المرء ، أما إنه لو كان حيّاً ما فعلتُ . قال : وقلت لعُبيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل .

الحطيئة يبيع اعراض المسلمين :

وروي عن عبدالله بن المُبارَك أنّ عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراضَ المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال الحطيئةُ في ذلك :

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تَدَعْ   شتماً يضرُّ ولا مديحاً ينفعُ
وحميتني عِرضَ اللئيم فلم يَخَفْ   ذمّي وأصبح آمناً لا يَفزَعُ

(١) المخصف : مخرز الاسكافي .
(٢) أوحى : أسرع .
(٣) النمرقة : الوسادة .

الحطيئة وابن عوف :

أخبرني الحسين بن يحيي عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن نافع بن أبي نُعَيم :

أن عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمرَ بن الخطاب وكلّمه في أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن . قال حماد وأخبرني أبي عن أبي عُبيدة أن عمر رضي الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النَّمري الذي كان الزِّبرقان حمله على هجاء بَغيض :

دَعاني الأثبجانِ[1] أبنا بَغيضٍ ... وأهلي بالعَلاةِ[2] فمنَّياني
وقالوا سِرْ بأهلك فأتِنَا ... إلى حَبٍّ وأنعامٍ سِمانِ
فسرتُ اليهمُ عشرين شهراً ... وأربعةً فذلك حِجَّتانِ
فلما أن أتيتُ ابنَيْ بغيضٍ ... وأسلمني بدائي الداعيانِ
يَبيتُ الذئبُ والعَثواءُ[3] ضيفاً[4] ... لنا بالليل بئس الضائفانِ
أُمارسُ منهما ليلاً طويلاً ... أُهَجهِجُ[5] عن بَنيّ ويَغرُوانِ
تقولُ حَليلتي لما اشتكينا ... سيدرِكُنا بنو القرْمِ الهِجانِ[6]
سيُدْرِكُنا بنو القمر بن بَدْرٍ ... سراجِ الليلِ للشمس الحَصانِ
فقلتُ أدْعي وأدْعوَ إن أندى ... لصوتٍ أن ينادِيَ داعِيانِ
فمن يَكُ سائلاً عني فإني ... أنا النَّمري جارُ الزِّبرقانِ
طَريدُ عَشيرةٍ وطَريدُ حربٍ ... بما اجترمتْ يَدي وجَنى لساني

(١) الأثبجان : مثنى أثبج وهو الاحدب .
(٢) العلاة : جبل في ديار النمر بن قاسط .
(٣) العثواء : الضبع .
(٤) الضيف : يكون للواحد والجمع كعدل وخصم .
(٥) يقال : هجهج السبع وهجهج به اذا صاح به وزجره ليكف .
(٦) الهجان : الرجل الحسيب .

كأنّي إذ نزلتُ به طريداً ... نزلتُ على الممنَّع من أبانِ[١]
أتيتُ الزِّبرقانَ فلم يُضِعْني ... وضيَّعني بِتِرْيَمَ[٢] مَنْ دعاني

بنو قريع والحطيئة :

أخبرني الُحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيهِ عن أبي عُبيدة قال :

لم يزل الحطيئةُ في بني قُرَيع يمدحهم حتى إذا أَحْيَوْا[٣] قال لبغيض : فِ لي بما كنتَ تضمَّنتَ ؛ فأتى بَغيضٌ عَلقمةَ بن هَوْذة فقال له : قد جاء الله بالحيا ، ففِ لي بما قلتَ -- وكان قد ضمِن له مائةَ بعير -- وأبرِئني مما تضمَّنته عهدتي ؛ فقال : نعم ، سَلْ في بني قُرَيع فما فضَل بعد عطائهم أن يُتِمَّ مائةً أتممتُه ، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً ، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعيرَ والبعيرين ؛ قال : فأتمّها علقمةُ له مائةً وراعيين فـدُفِعتْ اليه . فلم يزل يمدحهم وهو مقيمٌ بينهم حتى قال كلمتَه السينيَّة وأستعدى الزبرقانُ عليه عمرَ رضي الله عنه . فلما رحل عنهم قال :

لا يُبْعِدِ اللهُ إذ ودَّعتُ أرضَهمُ ... أخي بَغيضاً ولكن غيرُه بَعدا
لا يبعد الله من يُعْطي الجزيلَ ومن ... يَحْبو الجليلَ وما أكْدى ولا نَكِدا
ومن تُلاقيه بالمعروف مبتهجاً ... إذا أجرَهَدَّ[٤] صَفا المذمومِ أو صلَدا
لاقيتَه ثَلِجاً[٥] تَنْدى أنامله ... إن يُعطِك اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا
إنّي لرافِدُه وُدّي ومَنصَرَتي ... وحافظٌ غيبَه إن غاب أو شهدا

---

(١) أبان : جبل . والممنع : العالي الذي يمتنع من أن يبلغه أحد .

(٢) تريم بكسر أوّله وفتح الياء : اسم واد بين المضايق ووادي ينبع .

(٣) أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .

(٤) يقال : اجرهدّت الارض اذا لم يوجد فيها نبات ولا مرعى . والصفا : جمع صفاة وهي الصخرة الملساء .

(٦) ثلجاً : فرحاً مبتهجاً .

رأي النبي في الهجاء :

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن موسى قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دأب عن عبد الله بن عيّاش المنتوف قال :

بينا ابن عباس جالسٌ في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفّ بصرُه وحولَه ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابيٌّ يَخطِر وعليه مِطرَفٌ وجُبّةٌ وعِمامةُ خزٍّ ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام ، فقال : يابن عمّ رسول الله ، أفتِني ؛ قال : في ماذا ؟ قال أتخاف عليّ جُناحاً إن ظلمني رجل فظلمتُه وشتمني فشتمتُه وقصّر بي فقصّرتُ به ؟ فقال : العفو خير ، ومن انتصر فلا جناح عليه ؛ فقال : يابنَ عمّ رسول الله — صلى الله عليه وسلم ـ أرأيت امرأً أتاني فوعدني وغرّني ومنّاني ثم أخلفني واستخفّ بحُرْمتي أيسعُني أن أهجوَه ؟ قال : لا يصلح الهجاء ، لانه لا بدّ لك من أن تهجوَ غيره من عشيرته فتظلمَ من لم يظلِمْكَ ، وتشتُم من لم يشتُمك ، وتَبغي على من لم يَبغ عليك ، والبغي مَرتَعٌ وخيم ، وفي العفو ما قد علمتَ من الفضل ؛ قال : صدقت وبَرِرْتَ ؛ فلم يَنشَبْ أن أقبل عبد الرحمن بن سَيحان المُحاربيّ حليفُ قريش ، فلما رأى الأعرابيّ أجلّه وأعظمه وألطف في مسئلته ، وقال : قرّب الله دارك يا أبا مُلَيكة ، فقال ابن عباس : أجرْوَل ؟ قال : جرول ؛ فإذا هو الحطيئة ، فقال ابن عباس : لله أنت ! أيّ مِرْدًى[1] قِذافٍ ، وذائدٍ عن عشيرةٍ ، ومثنٍ بعارفة تُؤتاها أنت يا أبا مُليكة ! والله لو كنتَ عرَكتَ[2] بجنبك بعض ما كرِهتَ من أمر الزِّبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلِمْك ، وشتمتَ من لم يشتُمك ؛ قال : إني والله بهم يا أبا العباس لعالم ؛ قال ما أنت بأعلمَ بهم من غيرك ؛ قال : بَلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

(١) المردى : حجر يرمى .

(٢) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله .

أنا ابنُ بَجْدتِهم[1] علماً وتجربةً | فَسَلْ بسعدٍ تجدْني أعلَم الناسِ
سعدُ بن زيدٍ كثيرٌ إن عددتَهمُ | ورأسُ سعدِ بن زيدٍ آلُ شمّاسِ
والزِّبرقـانُ ذُنابـاهم[2] وشرّهمُ | ليس الذُّنابى أبا العباس كالراسِ

فقال ابن عباس : أقسمتُ عليك ألّا تقول إلا خيراً ، قال : أفعل . ثم قال ابن عباس : يا أبا مُلَيكة ، من أشعرُ الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ؛ قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه | يَفِرْهُ ومن لا يَتّقِ الشتمَ يُشتَمِ

وما بدونه الذي يقول :

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّـه | على شَعَثٍ ، أيُّ الرجال المهذّبُ

ولكنّ الضراعةَ أفسدْته كما أفسدتْ جَرْوَلا – يعني نفسَه – والله يابن عمّ رسول الله لولا الطمع والجَشَع لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأما الباقون فلا تَشُكّ أني أشعرهم وأصرَدُهم[3] سهماً إذا رميتُ .

رأي عمر بن يمنع ماءه عن غيره :

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : رُوي لنا عن أبي عُبَيدة والهيثم بن عَديّ وغيرهما :

أنّ عبد الله بن أبي ربيعة لما قدِمَ من البحرين نزل على الزِّبرقان بن بدر بمائه خَلّاه وهو الماء الذي يقال له بُنيان ، فنزل على بني أنف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وَشيع ، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا : لو كانت إبلُنا منّا قريبةً لنحرنا لك ؛ فراح من عندهم يتغنّى فيهم بقوله :

(١) البجدة : دخلة الامر وباطنه . ومن الامثال « انا ابن بجدتها » يقال للعالم بالشيء المتقن له .
(٢) ذناباهم : ذنبهم .
(٣) أصردهم : أنفذهم .

وما الزِّبرقان يومَ يمنع ماءه بمُحْتَسِبِ التقوى ولا متوكِّلِ
مقيمٌ على بُنيانَ يمنع ماءه وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظمآنَ مُرمِلِ

قال: فركب الزِّبرقان إلى عمرَ رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال: إنه هجاني يا أمير المؤمنين؛ فسأل عمرُ عن ذلك عبدَ الله؛ فقال له: يا أمير المؤمنين، إني نزلت على مائه فحلأني عنه؛ فقال عمر رضوان الله عليه: يا زبرقانُ، أتمنع ماءك من ابن السبيل! قال: يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماء حفر آبائي مجاريَه ومستقره وحفرتُه أنا بيدي! فقال عمر: والذي نفسي بيده، لئن بلغني أنك منعتَ ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتَني بنجد أبداً! فقال بعضُ بني أنف الناقة يُعيِّر الزِّبرقان ما فعله:

أتدري مَنْ منعتَ ورودَ حوضٍ سَليل خَضارمٍ منعوا البِطاحا
أزادَ الركبِ تمنع أم هِشاماً وذا الرُّمحين أمنعهم سلاحا
همُ مَنعوا الاباطحَ دون فِهرٍ ومَنْ بالخَيف والبُدْنَ اللِّقاحا
بضربٍ دونَ بَيضتِهم[1] طِلَخْفٍ[2] إذ الملهوفُ لاذ بهم وصاحا
وما تَدري بأيِّهمُ تُلاقي صدورَ المَشرَفيَّةِ والرِّماحا

وصية الحطيئة عند موته:

وللحطيئة وصيةٌ ظريفة يأتي كلُّ فريق من الرواة ببعضها، وقد جمعتُ ما وقع إليَّ منها في موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها.

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعلبٌ قال حدّثنا عُيَينة بن المِنهال عن الاصمعيّ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتَيبة، ونسختُها من كتاب

(١) بيضتهم: حوزتهم وساحتهم.

(٢) طلخف: شديد.

محمد بن الليث عن محمد بن عبد الله العبْديّ عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبيه ، وأخبرني الُحسين بن يحيي عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الُخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسَّان دَماذ عن أبي عُبيدة قالوا :

لما حضرتِ الحطيئةَ الوفاةُ اجتمع اليه قومُه فقالوا : يا أبا مُليكة : أوصِ فقال : ويلٌ للشِعْر من راوية السوء ؛ قالوا : اوصِ رحمك الله يا حُطيء ؛ قال : من الذي يقول :

إذا أنبَضَ[1] الرامون عنها تَرَنَّمَتْ ترنُّمَ ثَكْلى أوجعَتْها الجنائزُ ؟

قالوا : الشَّمّاخ ؛ قال : أبلغوا غَطَفانَ أنه أشعرُ العرب ؛ قالوا: وَيْحك ! أهذه وصيَّة ! اوصِ بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهلَ ضابئ[2] أنه شاعرٌ حيث يقول :

لِكلِّ جديدٍ لَذَّةٌ غيرَ أنني رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذِ

قالوا : أوصِ ويحك بما ينفعك ! قال : أبلغوا أهلَ امرىء القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول :

فَيا لكَ من لَيْلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْل شُدَّتْ بيَذْبُلِ[3]

قالوا : اتَّقِ الله ودَعْ عنك هذا ؛ قال : ابلغوا الانصارَ أنّ صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول :

يُغشَوْنَ حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم لا يَسألون عن السَّواد الُمقبِلِ

قالوا : هذا لا يُغني عنك شيئاً ، فقل غيرَ ما أنتَ فيه ؛ فقال :

---

(١) أنبض القوس وأنضبها : جذب وترها لتصوّت .

(٢) هو ضابىء بن الحارث البرجيّ ثم اليربوعيّ الشاعر من بني تميم .

(٣) مغار الفتل : محكمه ، وهو اسم مفعول من أغار الحبل إغارة وغارة : شدّ فتله . ويذبل : جبل لباهلة .

الشِعْرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ به إلى الحضيضِ قَدَمُهْ يريد أن يعربه فَيُعْجِمُهْ

قالوا : هذا مثلُ الذي كنتَ فيه ؛ فقال :

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ(١) على الخصمِ ألَدّْ
فوَرَدَتْ(٢) نفسي وما كادتْ تَرِدْ

قالوا : يا أبا مُلَيكة، ألكَ حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكن أجزَع على المديح الجيّد يُمدَح به من ليس له أهلاً . قالوا : فمن اشعرُ الناس ؟ فأومأ بيده الى فِيهِ وقال : هذا الجُحَير إذا طمِعَ في خير (يعني فَمَه) واستعبرَ باكياً ؛ فقالوا له : قل لا إله إلا الله ؛ فقال :

قالتْ وفيها حَيدَةٌ(٣) وذُعرُ عَوذٌ بِرَبّي مِنكُمُ وحُجْرُ(٤)

فقالوا له : ما تقول في عَبيدك وإمائك ؟ فقال : هم عَبيدٌ قِنٌ ما عاقبَ الليلُ النهارَ ؛ قالوا : فأوصِ للفقراء بشيء ؛ قال : أوصيهم بالإلحاحِ في المسئلة فإنها تجارةٌ لا تبورُ ، وأُستُ(٥) المسؤولِ أضيقُ .

قالوا : فما تقولُ في مالك ؟ قال : للأُنثى من ولَدي مثلُ حظّ الذكر ؛ قالوا : ليس هكذا قضى الله جلّ وعزّ لهنّ ؛ قال : لكني هكذا قضَيْتُ .

قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كُلوا أموالهم وانكحوا أُمهاتهم ؛ قالوا : فهل شيء تعهدُ فيه غيرُ هذا ؟ قال : نعمْ، تحملونني على أتانٍ وتتركونني راكبها

---

(١) الغرب : الحدّ ومنه غرب السيف : حدّه .

(٢) يقال : ورد فلان بلد كذا وماء كذا اذا أشرف عليه وان لم يدخله. ولعله يريد من الورود الاشراف على الموت .

(٣) حيدة : من حاد عن الشيء اذا صدّ عنه أو نفر خوفاً منه .

(٤) حجر ، أي دفع ومنع ، والعرب تقول عند الامر تنكره : حجراً له بالفم ، أي دفعا .

(٥) هذا كناية عن العجز ، يقال للرجل يستضعف : استك أضيق من أن تفعل كذا .

حتى أموتَ فإنّ الكريم لا يموتُ على فراشه ، والاتانُ مَركبٌ لم يمت عليه كريمٌ قط ؛ فحملوه على أتانٍ وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا أحدٌ ألأمُ من حُطَيَّهْ هجا بَنيهِ وهجا المُرَيَّهْ
من لؤمهِ ماتَ على فُرَيَّهْ

والفُرَيَّة : الاتان .

ما غني من شعره :

ذكر ما غنّيَ فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئة بَغيضاً وقومه وهجا الزبرقان وقومه

منها :

صوت

ألا طَرَقَتنا بعدَ ما هَجَعوا هِندُ وقد حُزْنَ غَوْراً واستبانَ لنا نَجدُ
وإنّ التي نَكَّبْتُها[1] عن مَعاشرٍ عَلَيَّ غِضابٍ أنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

الغناء لعلُّوَيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهذه القصيدة التي يقول فيها :

أتتْ آلَ شَمّاسِ بنِ لأيٍ وإنما أتاهم بها الاحلامُ والحَسَبُ العِدُّ[2]
فإنّ الشقيَّ مَن تُعادي صدورُهم وذو الجَدِّ مَن لاذوا اليه ومَن وَدُّوا
يَسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها فإن غَضِبوا جاءَ الحَفيظةُ والجِدُّ
أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكمُ مِن اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوا أحسنوا البُنى وإن عاهدوا أوْفَوا وإن عَقَدُوا شَدُّوا

---

(١) نكب الشيء : نحّاه ، مال به .

(٢) العد : القديم .

وإن كانت النُّعمى عليهم جَزَوْا بها   وإن أنعموا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا
وإن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ   من الدهرِ رُدُّوا فَضْلَ أحلامكم رَدُّوا
مَطاعينُ في الهيجا مَكاشيفُ للدُّجى   بَنى لهمُ آباؤهم وبَنى الجدُّ

ومنها :

صوت

وأدماءَ حُرْجُوجٍ[١] تَعالَلْتُ[٢] مَوْهِناً   بسَوْطِيَ فارْمَدَّتْ نَجاءَ الخَفَيْدَدِ
إذا آنَسَتْ وقْعاً من السَّوْط عارضَتْ   به الجَوْرَ حتى يستقيمَ ضُحَى الغَدِ
وتَشربُ بالقَعْبِ[٣] الصغيرِ وإن تُقَدْ   بِمشْفَرِها يوماً الى الحَوْض تَنْقَدِ

المَوْهِن : وقتٌ من الليل بعد مُضيّ صدرٍ منه. وارمدّت : نجت، والارمداد : النَّجاء[٤]. والخَفَيْدَد[٥] : الظليم .

الغناء لابن مُحرز خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مَجرى البِنْصر عن إسحاق. وذكر الهشاميّ : أنّ فيه لإبراهيمَ خفيفَ رَمَلٍ آخر، وهو في جامع ابراهيم غير مُجنَّس . وفيه خفيف ثقيل مجهول، وذكر حَبَشٌ : أنه لمَعْبَد؛ ويُشبِه أن يكون ليحيى المكيّ .

الحطيئة اشعر الناس :

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن المنذِر عن ابن عَباية عن محمد بن مسلم الجَوْسَق عن رجل من كعب قال :

---

(١) حرجوج : الناقة .
(٢) تعالت : استخرجت بقية سيرها .
(٣) القدح الضخم الغليظ الجافي .
(٤) النجاء : السرعة في السير .
(٥) الخفيدد : الخفيف .

جئتُ سوق الظَّهر[١] فإذا بكُثيِّر، واذا الناسُ مُتقَصِّفون[٢] عليه، فتخلَّصتُ حتى دَنَوتُ منه فقلت: أبا صخر؛ قال: ما تشاء؟ قلتُ: مَنْ أشعرُ الناس؟ قال: الذي يقول:

وآثرتُ إدلاجي على ليلِ حُرَّةٍ هَضيمِ الحشا حُسّانَةِ[٣] المُتَجَرَّدِ
تُفرِّق بالمِدْرى أثيثاً[٤] نباتُه على واضح الذِّفرى أسيلِ المُقلَّدِ[٥]

قال: قلتُ: هذا الحُطيئة؟ قال: هو ذاك.

الحطيئة وعمر ايضاً:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن مُجاهد عن هشام بن عُروة:

أنّ عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه أُنشِد قولَ الحطيئة:

مَتى تأتِه تَعشو[٦] إلى ضَوْءِ نارِه تَجِدْ خَيْرَ نار عندها خَيرُ مُوقِدِ

فقال عمر: كَذَب، بل تلك نارُ موسى نبيِّ الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن ابيه عن الهَيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية.

أنّ رجلاً دَخل على الحطيئة، وهو مُضطجع على فراشه وإلى جانبه سَوْداء قد

(١) الظهر: الابل.
(٢) متقصفون: مزدحمون.
(٣) حسانة: شديدة الحسن.
(٤) أي شعراً كثيفاً.
(٥) الذفرى: عظم خلف الاذن. والاسيل: الطويل. والمقلد: العنق.
(٦) تعشو: تقصد في الظلام.

أخرجتْ رِجْلَها من تحت الكساء، فقال له: ويحك! أفي رجلك خُفٌّ؟ قال: لا والله ولكنها رِجلُ سوداء، أتدري مَنْ هي؟ قال: لا؛ قال: هي والله التي اقول فيها:

وآثرتُ إدلاجي على ليلِ حُرَّةٍ

– وذكر البيتين – والله لو رأيتَها يابن أخي لَمَا شَرِبتَ الماء من يدها؛ قال: فجعلتْ تَسبُّهُ أقبحَ سَبٍّ وهو يضحك.

ومنها:

صوت

ما كان ذنبُ بَغيضٍ لا أبا لَكُمُ   في بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقاً شُزُبا[١]
طافتْ أُمامةُ بالرُّكبان آونــةً   يا حُسْنَها من خيالٍ زارَ مُنْتَقِبا
إذ تَستَبيكَ بمصقولٍ عوارِضُهُ[٢]   حَمْشِ[٣] اللِّثات تَرى في مائهِ شَنَبا
قد أخلقتْ عهدَها من بعد جِدَّته   وكَذَّبتْ حُبَّ مَلهوفٍ وما كَذَبا

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة.

ومنها:

صوت

جَزى الله خيراً – والجزاءُ بكفِّه –   بأحسنِ ما يَجزي الرجالَ بغيضا
فلو شاء إذ جئناه صَــدَّ فلم يُلَمْ   وصادَفَ مَنْأًى[٤] في البلاد عريضا

الغناء للهُذَليّ ثقيل اوّل بالبنصر عن الهشاميّ.

---

(١) شزبا: جمع شازبة وهي الضامرة.
(٢) العوارض: الثنايا: وهي ما يظهر عند الضحك. وقيل: هي اربع أسنان تلي الانياب ثم الاضراس تلي العوارض وقيل: العوارض ما يبدو عند الضحك.
(٣) حمش اللثات: دقيقها في حسن.
(٤) المنأى: اسم مكان من النأي وهو البعد.

اخبار ابن عائشة ونسبه

نسبه :

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر، ولم يكن يُعرَف له أبٌ فكان ينسب الى أمه ، ويلقبه مَن عاداه أو اراد سبَّه « بنَ عاهة الدار » . وكان هو يَزْعم أنّ اسم أبيه جعفر ؛ وليس يُعرَف ذلك . وعائشة أمّه مولاة لكَثير بن الصَّلت الكِندي حليف قُرَيش . وقيل : إنها مَولاة لآل المطَّلب بن ابي وَداعة السَّهْمي ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلّام . وحكى ابنُ الكلبيّ القولَ الاول ، وقال إسحاق : هو الصحيح ، يعني قول ابن الكلبيّ . وقال إسحاق فيما رواه لنا الحُسَين ابن يحيي عن حمّاد عن ابيه : إنّ محمد بن مَعْن الغِفاريّ ذكر له عن أبي السائب المخزوميّ أنّ ابن عائشة مَولى المُطَّلب بن أبي وَداعة السَّهْميّ وإنه كان لغير رَشْدَة[1] ، فأدركتُ المَشْيَخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا : أحسنَ ابنُ المرأة . قال إسحاق وقال عِمْران بن هند الأرْقَميّ : بل كان مَولًى لكَثير بن الصَّلت .

منسوب لأمه :

قال إسحاق : قال عُبَيد الله بن محمد بن عائشة : قال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، ألِغَيَّةٍ أنتَ ؟ قال : كانت أمّي يا امير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاماً ، فكانت إذا دخلت الى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة ؛ فغلبتْ على نَسَبي .

---

(١) لغير رشدة : لغير نكاح صحيح . يقال : فلان ولد لرشدة ، أي لنكاح صحيح . وضدّه غية ، فيقال : ولد لغية ، أي لزنية .

كان يفتن الناس :

قال إسحاق : وكان ابنُ عائشة يَفتن كلّ من سمعه ، وكان فِتيان من المدينة قد فسَدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته . وقد أخذ عن مَعبد ومالك ولم يَموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما .

احسن المغنين :

وقد قيل : إنه كان ضارباً ولم يكن بالجيّد الضرب ؛ وقيل : بل كان مُرتجلاً لم يضرب قط .

وابتداؤه بالغناء كان يُضرَب به المثل ، فيقال للابتداء الحسَن كائناً ما كان من قراءة قرآن ، أو إنشاد شِعر ، أو غِناء يُبدأ به فيستحسن : كأنه ابتداء ابنِ عائشة . قال إسحاق : وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون : ابنُ عائشة أحسنُ الناس ابتداء ، وأنا اقول : إنه أحسن الناس ابتداء وتوسُّطاً وقطعاً بعد أبي عَبّاد مَعبد ، وقد سمعتُ مَن يقول : إنّ ابنَ عائشة مثله ؛ وأمّا أنا فلا أجسُر على ان اقول ذلك .

وكان ابنُ عائشة غير جيّد اليدين فكان أكثرُ ما يُغنّي مُرتجلاً . وكان أطيبَ الناس صوتاً .

قال إسحاق وحدّثني محمد بن سلّام قال قال لي جرير : لا تخدعنّ عن أبي جعفر محمد بن عائشة ، فلولا صَلَفٌ كان فيه لمَا كان بعدَ أبي عَبّاد مثله .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه عن جدّه قال : ثلاثةٌ من المغنّين كانوا أحسنَ الناس حُلوقاً : ابنُ عائشة وابن تَيْزَن وابنُ أبي الكَنَات .

ابن عائشة مزامير داود:

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني مُصعَب الزُّبيريّ عن أبيه قال:

رأى ابنُ أبي عتيق حلقَ ابن عائشة مخدّشاً فقال: مَنْ فعل هذا بكَ؟ قال: فلان، فمضى فنزعَ ثيابه وجلس للرجل على بابه، فلمّا خرج أخذ بتلبيبه[1] وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له: ما لكَ تضربُني! أيّ شيء صنعتُ! وهو لا يجيبه حتى بلغ منه؛ ثم خلّاه وأقبل على مَن حضر فقال: هذا أراد أن يكسر مزامير داود: شدّ على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه.

احسن الناس ابتداء:

قال إسحاق في خبره: وحدّثني أبي عن سياطٍ عن يونسَ الكاتبِ قال: ما عرفنا بالمدينة أحسنَ ابتداء من ابن عائشة إذا غنّى، ولو كان آخرُ غنائه مثلَ أوّله لقدّمتُه على ابن سُريج. قال إبراهيم: هو كذاك عندي، و قال إسحاق مثلَ قولها. قال: وقال يونس: كان ابنُ عائشة يضرب بالعود ولم يكن مُجيداً وكان غناؤه أحسنَ من ضربه، فكان لا يكاد يمسّ العودَ إلّا أن تجتمع جماعةٌ من الضُّرّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويُغنّي، فناهيكَ به حسناً!.

نديم الملوك والخلفاء:

أخبرني الحُسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان أنه ذكر يوماً المغنّين بالمدينة، فقال: لم يكن بها أحدٌ بعدَ طُوَيس أعلمَ من ابن عائشة ولا أظرفَ مجلساً ولا أكثرَ طيباً؛ وكان يصلُح أن يكون نديمَ خليفة

---

(١) جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه عند صدره وقبض عليه يجره.

أو سَمِيرَ ملك . قال إسحاق : فأذكرني هذا القولُ قولَ جميلة له : وأنتَ يا أبا جعفر فمَ الخلفاء تصلح ان تكون .

اخلاقه :

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال حدّثني جرير قال : كان ابنُ عائشة تائهاً سيِّىءُ الخُلُق ، فإن قال له إنسانٌ : تَغَنَّ ، قال : ألِمِثْلي يقال : هذا ! وإن قال له إنسان وقد ابتدأ بغناء : أحسنتَ ، قال : ألمثلي يقال احسنت ! ثم يسكتُ ، فكان قليلاً ما يُنْتَفَع به . فسالَ العَقِيقُ مَرَّةً فدخل عَرْصَةَ سعيدِ بنِ العاصي الماءُ حتى ملأها ، فخرج الناسُ إليها وخرج ابنُ عائشة فيمن خَرَج ، فجلسَ على قَرْنِ البئر ، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بنُ الحسن بنِ عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، على بَغلة وخَلْفَه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين ، فقال لهما : امضِيا رُوَيداً حتى تَقِفا بأصل القَرْن الذي عليه ابنُ عائشة ، فخرجا حتى فعلا ذلك . ثم ناداه الحسنُ : كيف أصبحتَ يا ابنَ عائشة ؟ قال : بخيرٍ ، فداك أبي وأمي ، قال : انظر من إلى جَنْبك ، فنظر فإذا العبدان ، فقال له : أتعرفهما ؟ قال : نعمْ ، قال : فهما حُرّان لئن لم تغنِّني مائةَ صوت لآمُرَنَّهما بطَرْحك في البئر ، وهما حُرّان لئن لم يفعلا لأقطعنَّ أيديهما ، فاندفع ابنُ عائشة فكان أوّلُ ما ابتدأ به صوتاً له وهو :

ألا لله درُّكَ من فتى قومٍ إذا رَهِبوا

ثم لم يسكت حتى غنَّى مائة صوت ، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر مما سمعوا في ذلك اليوم ، وكان آخر ما غنّى :

صوت

قل للمنازل بالظَّهْرانِ[1] قد حانا أن تنطقي فتبيني القولَ تِبْيانا

(١) الظهران : وادٍ قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ تضاف الى هذا الوادي فيقال مرّ الظهران .

قال جرير: فما رُئي يومٌ أحسنُ منه، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثلَه، وما بلغني أن أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء، ولا انصرف أحد لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ. ولقد تبادر الناسُ من المدينة وما حولَها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه، فيقال: إنه ما رُئي جمعٌ في ذلك الموضع مثلُ ذلكَ الجمع، ولقد رفَع الناس أصواتَهم يقولون له: أحسنتَ والله، أحسنتَ والله، ثم انصرفوا حولَه يَزُفّونه إلى المدينة زَفّاً.

نسبة ما في هذا الخبر من الاغاني

منها:

صوت

ألا لله دركَ مَـنْ فتى قومٍ إذا رَهِبوا
وقالوا مَنْ فتًى للحر ب يَرْقُبنا ويَرْتقبُ
فكنتَ فتاهمُ فيهـا إذا تُدعى لها تَثِبُ
ذكرتُ أخي فعاوَدَني رُداعُ(١) السُّقْمِ والوَصَبُ
كما يعتـاد ذاتَ البَـوِّ بعد سُلُوّها الطَّرَبُ(٢)
على عَبْدِ بن زُهرةَ بِـتُّ طولَ الليل أنتحبُ

الشعر لأبي العِيال الهُذَليّ. والغناء لمَعْبد، وله فيه لَحْنان، أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالخِنْصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق يُبدأ فيه بقوله:

ذكرتُ أخي فعاودني رداعُ السقم والوصبُ

والآخر خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عَمْرو بن بانة. وفيه لابن عائشة خفيفُ

(١) الرداع: النكس.
(٢) الطرب هنا: الحزن.

رَمَلٍ آخرُ، وقيل بل هو لَحْن معبد. وذكر حمّاد بن إسحاق أنّ خفيفَ الرَّمل لمالك.
البَوْ: جلد يُحشى تِبناً ويجفّف لكيلا تخبُثَ رائحتُه، ويُدنَى إلى الناقة التي قد نُحِر فصيلُها أو مات لتَشَمّه فتَدِرّ عليه.

ومنها:

صوت

قل للمنازل بالظَّهْرانِ قد حانا أن تنطقي فتُبيني القولَ تِبيانا
قالت ومن أنت قل لي قلتُ ذو شَغَفٍ هِجْتِ له من دَواعي الحبِّ أحزانا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن عائشة خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش.

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير:

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثني عبد الرحمن بن سليمان عن عليّ ابن الجَهْم الشاعر قال حدّثني رجل:

أن ابن عائشة كان واقفاً بالموسم متحيّراً، فمرّ به بعضُ أصحابه فقال له: ما يُقيمك ها هنا؟ فقال: إني أعرفُ رجلاً لو تكلّم لحبَس الناسَ ها هنا فلم يذهب أحد ولم يجيء؛ فقال له الرجل: ومن ذاك؟ قال أنا، ثم اندفع يغنّي:

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيزي نَوًى مشمولةً فمتى اللقاءُ

قال: فحُبِس الناس، واضطربت المحاملُ، ومدّتِ الإبلُ أعناقَها، وكادت الفتنةُ أن تقع. فأُتي به هشام بن عبد الملك، فقال له: يا عدوّ الله، أردتَ أن تَفتِن الناسَ! قال: فأمسك عنه وكان تَيّاهاً، فقال له هشام: أرْفُقْ بتِيهك، فقال: حقٌّ لمن كانت هذه مَقْدِرته على القلوب أن يكون تَيّاهاً، فضحكَ منه وخلّى سبيلَه.

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه ابن عائشة

صوت

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيزي نَوًى مشمولةً فمتى اللقاءُ
بنفسي مَنْ تذكُّره سَقامٌ أعانيه ومَطلَبُه عَناءُ

السانح: ما أقبل من شِمالك يريد يمينَك، والبارح ضدّه. وقال أبو عبيدة: سمعت يونسَ بن حبيب يسأل رُؤْبَةَ عن السانح والبارح، فقال: السانح: ما ولّاك ميامنَه، والبارح: ما ولّاك مَشائِمَهُ. وقوله: أَجيزي أي انفُذي. قال الأصمعيّ: يقال: أَجزْتُ الوادي إذا قطعتَه وخلّفته، وجُزْتُه أي سِرْتُ فيه فتجاوزْتُه، وجاوزْتُه مثله: قال أوْس بن مَغْراء:

ولا يَريمونَ في التعريف موقفَهم حتى يقالَ أَجيزوا آلَ صوفانا

ومشمولةٌ[١]: سريعة الانكشاف. أخذه من السحابة المشمولة، وهي التي تصيبها الشَّمال فتكشِفُها، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب، واستعارها هاهنا في النّوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم، وأجرى ذلك مُجري الذمّ للسانح لأنه يُتشاءم به. البيت الأوّل من الشعر لزُهير بن أبي سُلمى، والثاني مُحْدَث ألحقه المغنّون به لا أعرف قائله. والغناء لابن عائشة، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر.

الوليد يقبل على ابن عائشة ويترك معبدًا:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إسحاق وأخبرني به محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عَديّ عن حمّاد الراوية قال:

---

(١) فسره في اللسان في مادة سنح وشمل بأنه أخذ بها ذات الشمال .

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أمّا بعد، فإذا قرأتَ كتابي هذا فسَرِّح إليّ حمّاداً الراويةَ على ما أحبَّ من دوابّ البريد، واعطِه عشرة آلاف درهم يتهيأ بها . قال: فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبَذه إليّ ، فقلتُ : السمعُ والطاعةُ ؛ فقال : يا دُكَين ، مُرْ شجرةَ يعطِيه عشرَةَ آلاف درهم ، فأخذتُها . فلما كان اليومُ الذي أردتُ الخروجَ فيه أتيتُ يوسفَ بن عمر ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفتَه من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائك ؛ فقلت : أصلح الله الأمير « إنّ العَوانَ[1] لا تُعَلَّمُ الخِمْرةَ » وسيبلغُكَ قولي وثنائي. فخرجتُ حتى انتهيتُ الى الوليد وهو بالبَخراء[2] ، فاستأذنتُ عليه فأذِنَ لي : فإذا هو على سرير ممهّد ، وعليه ثوبان أصفران : إزارٌ ورِداء يقيئانِ الزَّعفران قيئاً، واذا عنده مَعْبدٌ ومالك بن أبي السَّمح وأبو كاملٍ مولاه ، فتركني حتى سَكن جأشي ، ثم قال أنشدني :

أمِنَ المنونِ وريْبها تتوجّعُ

فأنشدتُه حتى أتيتُ على آخرها ؛ فقال لساقيه : يا سَبْرة أسقِه ، فسقاني ثلاثة أكؤس خَثَّرْنَ[3] ما بين الذُّؤابة والنعل . ثم قال يا مالك ، غنِّني :

ألا هل هاجَكَ الاظعا نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلَحا

ففعل . ثم قال له : غنِّني :

جلا أميّةُ عني كلَّ مظلمةٍ سَهلُ الحجابِ وأوفى بالذي وَعدا

(١) العوان من النساء : التي قد كان لها زوج ، وقيل هي النصف في سنها أو هي الثيب . والخمرة : الهيئة من الاختمار أي لبس الخمار . وهذا مثل يضرب للمجرّب الذي يعرف أمره ولا يحتاج الى ان يعلم كيف يفعل .

(٢) هي أرض بالشام كما في معجم ما استعجم للبكري . وقال ياقوت في معجم البلدان : هي ماءة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز ، وذكر قصة يستفاد منها أن الوليد بن يزيد قتل وهو نازل بالبخراء .

(٣) خثرن : جعلته خاثراً فاتراً منكسراً .

ففعل . ثم قال له : غنّني :

أتنسى إذ تُودِّعنا سُلَيمى بفَرْعِ بَشامَةٍ[١] سُقيَ البَشامُ

ففعل . ثم قال : يا سبرة ، او يا ابا سبرة ، اسقني بزُبِّ فِرْعون ؛ فأتاه بقدح مغوَجٍّ فسقاه به عشرين ، ثم اتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجلُ الذي طلبت بالباب ؛ قال : أدخله ، فدخل شابٌّ لم أرَ شابًا أحسنَ وجهاً منه ، في رِجله بعضُ القَدَعِ[٢] ؛ فقال : يا سبرة اسقه ، فسقاه كأساً ؛ ثم قال له : غنّني :

وهْيَ إذ ذاكَ عليها مِئزَرٌ ولها بيتُ جوارٍ من لُعَبْ

فغنّاه فنبذ اليه الثوبين . ثم قال له : غنّني :

طاف الخيالُ فمرْحبا ألفًا برؤية زينَبا

فغضب معبد وقال : يا امير المؤمنين ، إنا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنك تركتنا بمزجُر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبيّ ! فقال : والله يا ابا عَبّاد ، ما جهلتُ قدرَك ولا سنَّك ، ولكنَّ هذا الغلام طرحني في مثل الطَّناجير[٣] من حرارة غنائه . قال حمّاد الراوية : فسألتُ عن الغلام فقيل لي هو ابنُ عائشة .

---

(١) بشامة : واحدة البشام ، وهو شجر طيب الريح والطعم يستاك بـه ، والمعنى أنها أشارت بسواكها تودّعه ولم تتكلم خيفة الرقباء .

(٢) القدع : عوج وميل في المفاصل خلقة أو داء ، وأكثر ما يكون في الرسغ من اليد والقدم .

(٣) الطناجير : جمع طنجير ، والطنجير ذكره صاحب القاموس ولم يبين معناه ، وانما قال : إنه معرّب فارسيّته باتيله ، ويؤخذ من كلام شارحه أنه يقال على القدر من النحاس حيث قال : والطنجير كناية عن الجبان والثيم ، هكذا تستعمله العرب في زماننا وكأنهم يعنون بـه الحضريّ الملازم أكله في قدور النحاس وصحونه . وفي أقرب الموارد : والطنجرة : قدر من نحاس دخيلة والطنجير وعاء يعمل فيه الخبيص ، معرّب . وفي احدى النسخ : « الطياجين » جمع طيجن وهو الطاجن (المقلى) وهو بالفارسية تابه .

نسبة ما في هذا الخبر من الاغاني

صوت

جلا أميَّةُ عني كل مظلِمَةٍ   سَهلُ الحجابِ وأوْفى بالذي وَعدا
إذا حللتُ بأرضٍ لا أراكَ بها   ضاقتْ عليّ ولم أعرف بها احدا

الغناء لابن عبَّاد الكاتبِ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر عن إسحاقَ . وذكر عمرو بن بانةَ أنه لعمرَ الواديّ . وذكر حَبشٌ أن فيه لمالك لحناً من خفيفِ الثقيلِ الاول بالوسطى .

ومنها :

صوت

أَتنسى إذ تودِّعُنا سُلَيْمى   بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البَشامُ
متى كان الِخيامُ بذي طُلوحٍ[1]   سُقيتِ الغيثَ أيتها الِخيامُ
أتَمْضونَ[2] الِخيامَ ولم نُسلِّمِ   كلامُكم عليّ إذاً حرامُ
بنفسي مَنْ تَجنُّبُه عزيزٌ   عليّ ومَن زيارتُه لِمامُ

---

(١) ذو طلوح : موضع بين اليمامة ومكة كما في القاموس وشرحه . وقال ياقوت في معجمه : هو اسم موضع للضباب اليوم في شاكلة حمى ضريّة وهو في حزن بني يربوع بين الكوفة وفيد ، ثم أنشد بيت جرير هذا .

(٢) جاء هذا البيت في ديوان جرير الذي هو رواية محمد بن حبيب تابعاً لبيت قبله والبيتان هكذا :

أقول لصحبتي لما ارتحلنا   ودمع العين منهمر سجام
أتمضون الرسوم ولا تحيا   كلامكم عليّ اذا حرام

وجاء في التعليق على هذا البيت من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية ، أي تتركون يقال : مضيت فلانا اذا جاوزته ولم تسلم عليه وكذلك مضيت المنزل . وجاء هذا الشطر في بعض كتب الشواهد من علم النحو هكذا : « تمرون الديار ولم تعوجوا » ونقل المبرد عن عمارة بن بلال بن جرير أنه قال : إنما قال جدي : « مررتم بالديار ولم تعوجوا » .

ومن أمسي وأصبح لا أراه ويَطرُقني إذا رقَدَ النِيامُ

الشعر لجرير . والغناء لابن سُرَيج ، وله في هذه الابيات ثلاثةُ ألحان : أحدها في الاول والرابع ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . والآخر في الثاني ثم الاول ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ، والآخرُ في الثالث وما بعده رمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحبشٍ . وللدَّلالِ في الثاني والثالث ثاني ثقيلٍ بالسَّبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكيّ . وللغريض في الاول والثاني والثالث خفيفُ رمَلٍ بالبنصر عن عمرو . وفيها لمالك ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ . ولابن جامعٍ في الاول والثاني والرابع والخامس هزَجٌ عن الهشاميّ . وفيها لابن جُندَبٍ خفيفُ ثقيلٍ بالبِنصر .

ومنها الصوت الذي أوّله في الخبر :

وهي إذ ذاك عليها مِئزَرٌ

وأوّله :

صوت

عهدَتني ناشئاً ذا غِرَّة رَجِلَ[١] الجُمّةِ ذا بَطنٍ أقبّ[٢]
أتبَعُ الوِلدانَ[٣] أرخي مِئزَري إبنَ عَشرٍ ذا قُرَيطٍ من ذهبْ
وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ ولها بيتُ جوارٍ من لُعَبْ

الشعر لامرئ القيس ، ويقال : إنه أوّلُ شعرٍ شُبِّب فيه بالنساء . والغناء لابن

(١) رجل الجمة ، أي أنّ جمته ما بين السبوطة والجعودة . والجمة : شعر الرأس الساقط على المنكبين . وفي صفته صلى الله عليه وسلم : كان شعره رجلاً . أي لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما .

(٢) أقبّ : ضامر .

(٣) الولدان (بكسر الواو) : جمع وليد وهو الغلام والجارية اذا استوصفا قبل ان يحتلما .

عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن الهشاميّ ودَنانير[١] وحمّاد بن إسحاق. وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر ذكر حمّاد في أخبار جميلة أنه لها، وذكر حَبش والهشاميّ أنه لابن سُريج، وقيل إنه لغيرهما.

ومنها:

صوت

ألا هل هاجكَ الاظعا ... نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلَحا
نعمْ ولوَشْكَ بَينِهمُ ... جرى لكَ طائرٌ سُنُحا
أخذنَ الماءَ من رَكَكٍ ... وضوءُ الفجر قد وضحا
يَقُلْنَ مَقيلُنا قرْنٌ ... نُباكرُ ماءَه صُبُحا
تبعتُهمُ بطرفِ العيـ ... ـن حتى قيل لي افتضَحا
يودّع بعضُنا بعضاً ... وكلٌّ بالهوى جُرِحا
فمن يفرَحْ ببنيهمُ ... فغيري إذ غدَوْا فرحا

الشعر ترويه الرواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزُّبير بن بكّار فإنه رواه عن عمه وأهله لجعفر بن الزُّبير بن العوّام، وقد ذكر خبره في هذا مع اخباره المذكورة في آخر الكتاب. ورواه الزُّبير إذ جاوزْن مَن طَلحا وقال: ليس على وجه الارض موضعٌ يقال له: مُطَّلح. والغناء لمالك وله فيه لحنانِ: ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لمعبد ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق. وفيه لابن سُريج في الخامس — وهو تَبِعتُهمُ بطرف العين إلى آخر الابيات — ثقيلٌ أوّلُ مُطلق في مجرى البنصر عن إسحاقَ. وفيها للغريض ثاني ثقيلٍ بالوُسطى عن الهشاميّ، قال: وهو الذي فيه استهلالٌ. وذكر ابن المكيّ أن الثقيلَ الثانيَ لمالكٍ، وخفيفَ الثقيلِ للغريض.

---

(١) دنانير معروفة برواية الغناء، وقد ذكرت في مواضع كثيرة من الاغاني.

ومنها :

صوت

طرَقَ الخيالُ فرحبا ألفًا برؤية زينبا
أنَّى اهتديتَ لِفتيَةٍ سلكوا السَّليلَ(١) فعُلَيبا(٢)

غناء ابن عائشة يطلق الناس من مسجد رسول الله :

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن سَلاّم قال حدّثني جَريرٌ قال :

أخذ بعضُ وُلاة المدينة المغنّين والمخنّثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جعفر مولًى لابن عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ يُقرِئُ الناس القرآن ، وكان ابن عائشة يلازمه ، فخلا لابن عائشة يوماً الموضعُ مع أبي جعفر فقرأ له فطرَّب ورجَّع ، فسمع الشيخ صوتاً لم يسمع مثله قطُّ ، فقال له : يابنَ أخي ، أفسدتَ نفسك وضيَّعتها ، فلو أنك لزمت المسجدَ وتعلّمتَ القرآنَ لأَمْتَ(٣) للناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ، ولأصبتَ بذلك من الولاة خيراً ، فوالله ما دخل أذني قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك ؛ فقال ابن عائشة : فكيف لو سمعتَ يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صُنع له ! قال : وما هو ؟ قال : انطلقْ معي حتى

---

(١) السليل : اسم لوادٍ بعينه، كما نقله ياقوت عن العمرانيّ . وذكر صاحب القاموس للسليل معاني منها أنه واد واسع غامض ينبت السلم .

(٢) عليب : وادٍ لهذيل بتهامة ، وقيل : قرية بين مكة وتبالة . قال الزمخشريّ فيما حكاه عنه العمرانيّ : أظن أن قوماً كانوا في هذا الموضع نزولا ، فقال بعضهم لابيه : عل يا أب ، فسمي به المكان . وقال المرزوقيّ : كأنه فعيل من العلب وهو الاثر ، والوادي لا يخلو من انخفاض وحزن .

(٣) وفي رواية : «لأممت الناس» .

أسمعكه ، فخرج معه إلى مِيضأةٍ(١) ببَقيعِ(٢) الغَرْقَد عند دار المُغيرة بن شُعْبة ، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كلّ يوم ، فاندفع ابنُ عائشة يغنّي :

ألآنَ أبصرت الهدى وعلا المَشيبُ مَفارِقي

فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ ، وقال : يابْنَ أخي ، هذا حَسَنٌ وأنا أشتهي أن أسمعه ، ولكن لا أطلبه ولا أمشي اليه؛ قال ابن عائشة : فعليّ ان أُسمِعَكه ؛ فكان يَرْصُده ، فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة في أثَرِه حتى يقفَ خلفَ جِدار الميضَأة بحيث يسمع غناءه ، فيغنّيه أصواتاً حتى يفرُغ أبو جعفر من وضوئه ، فلم يزل يفعل ذلك حتى أطلِقوا من لزوم المسجد .

نسبة هذا الصوت

صوت

طَرَق الخيالُ المُعتري وَهْناً فؤادَ العاشقِ
طَيفٌ ألمّ فهاجني للبَينِ أمّ مُساحِقِ
ألآنَ أبصرتُ الهدى وعلا المَشيبُ مفارقي
وتركتُ أمرَ غوايتي وسلكتُ قصدَ طرائقي
ولقد رضيتُ بعيشنا إذ نحن بين حدائقِ
وركائبٌ تَهوي بنا بين الدُّروبِ فدابِقِ(٣)

الشعر للوَليد بن يَزيد ، ويقال إنه لابن رُهَيمة . والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالبنصر عن عَمْرو ، وذكره يونس ايضاً له في كتابه . وفيه لأبي زَكّارٍ الأعمى

(١) الميضأة (بالقصر وقد تمد) : مطهرة كبيرة يتوضأ منها .
(٢) بقيع الغرقد : مقبرة اهل المدينة المنوّرة .
(٣) دابق بكسر الباء — ويروى بفتحها — : قرية على اربعة فراسخ من حلب بها قبة سليمان ابن عبد الملك بن مروان ، وقد كان سليمان عسكر بها وعزم الا يرجع حتى يفتح القسطنطينية او تؤدي الجزية ، فمات ودفن بها .

خفيفُ رملٍ بالوُسطى عن عمرو والهشاميّ . وذكر أبن خُرْداذْبه أنه لأبي زكّار الأعمى وهو قديم، وأنه وَجد ذلك في كتاب يونس . وفيه لحَكَم الوادي لحن في كتاب يونس غيرُ مجنّس، ولا أدري أيّها هو . وفي هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ متنازَعٌ فيه نُسِب الى معبد والى مالك، ولم اجده لهما عن ثقة، وأظنّهُ لَحنَ حَكَم .

يوم البغيبغة :

أخبرني محمد بن يَزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجي والُحسَين بن يحيى الأعور المِرْداسِي قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن ابيه عن محمد بن سَلّام عن أبيه قال :

كان الحَسَن بن الحسن مُكرِماً لابن عائشةَ مُحبّاً له، وكان ابن عائشة منقطعاً اليه، وكان من أتيه خَلق الله وأشدِه ذَهاباً بنفسه، فسأله الحسن أن يخرُج معه الى البُغَيبغة[1] فامتنع ابنُ عائشة من ذلك ؛ فأقسم عليه فأبى ؛ فدعا بغِلمانٍ له حُبْشان وقال : نُفِيتُ من ابي لئن لم تَسِرْ معي طائعاً لتسيرَنَّ كارهاً، ونُفيتُ من أبي لئن لم يُنفذوا أمري فيك لأقطعنَّ أيديَهم . فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنه لا بد من الذهاب، فقال له : بأبي أنت وأمّي، أنا أمضي معك طائعاً لا كارهاً . فأمر الحسنُ بإصلاح ما يُحتاج اليه وركِب، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا، حتى صارا إلى البُغَيْبغة فنزلا الشِعْبَ[2]، وجاءهم ما أعدّوا فأكلوا ؛ ثم أمرَ الحسنُ بأمره وقال يا محمد ؛ فقال له : لبَّيْكَ يا سيدي ؛ قال : غنِّني ؛ فاندفع فغنّاه :

---

(١) البغيبغة : ضيعة بالمدينة كانت لآل جعفر ذي الجناحين رضي الله عنه، قاله الخليل . ونقل الليث والازهريّ أنها عين غزيرة الماء كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم . كذا في القاموس وشرحه مادة « بغبغ » . وذكر المبرد في الكامل ص ٥٥٦ طبع اوروبا أن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه وقف عين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء اهل المدينة وابن السبيل، لسنتين من خلافته، وأورد نص ما كتبه الامام عليّ في وقف هذين الموضعين .

(٢) وهو مسيل الماء في بطن من الارض له حرفان مشرفان وعرضه بطحة رجل اذا انبطح .

صوت

يدعو النبيَّ بعمِّـه فيُجيبُه يا خيرَ من يدعو النبيَّ مجالا
ذهب الرجالُ فلا أحِسُّ رجالا وأرى الإقامةَ بالعراق ضلالا
وأرى المرجِّيَ للعراق وأهله ظمآنَ هاجرةٍ يؤمِّل آلا[١]
وطَرِبتُ إذ ذكر المدينةَ ذاكرٌ يومَ الخميس فهاج لي بلبالا[٢]
فظَلِلتُ أنظر في السماء كأنني أبغي بناحيـة السماء هلالا

— الشعر لابن المَولى من قصيدة طويلة قالها وقد قدم الى العراق لبعض أمره فطال مُقامه بها واشتاق إلى بلده . وقد ذُكِر خبره في موضعه من هذا الكتاب . والغناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حمّاد والهشاميّ وحَبَش . وقال الهشامي خاصّةً : فيه لحنٌ لقَراريطَ — فقال له الحسن : أحسنتَ والله يابن عائشة ! فقال ابن عائشة :والله لا غنَّيتُك في يومي هذا شيئاً ؛ فقال الحسن : فوالله لا برِحتَ البُغَيبِغَة ثلاثة أيام ! فاغتمّ ابن عائشة ليمينه وندم وعلم أنه لا حيلة له إلا المُقام ، فأقاموا . فلمّا كان اليوم الثاني قال له الحسن : هاتِ ما عندكَ فقد برّتْ يمينُك ، وكانوا جلوساً على شيء مرتفع ، فنظروا الى ناقة تَقدُم جماعةَ إبل ، فاندفع ابن عائشة فغنّى :

تمرُّ كجندلةِ[٣] المَنجنيـــقِ يُرمى بها السورُ يومَ القتالِ
فإذا تُخطرِفُ من قُلَّـةٍ ومن حَدَبٍ وإكامٍ توالي
ومن سيرِهـا العَنَقُ المُسبَطِـرُّ والعَجْرَفيَّة بعد الكَلالِ

(١) الآل : السراب ، وقيل : الآل من الضحى الى زوال الشمس . والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر .

(٢) البلبال : شدّة الهم .

(٣) جندلة : صخرة عظيمة والمنجنيق آلة حربية كانوا يرمون بها الحجارة .

فقال له الحسن : وَيْلَكَ يا محمد ! لقد أحسنت الصنعة ؛ فسكت ابن عائشة ؛ ثم قال له : غنِّني ، فغنَّاه :

إذا ما انتشيتُ طَرَحتُ اللِّجا   مَ في شِدْقِ مُنجرِدٍ(١) سَلْهَبِ
يبُذُّ(٢) الجِيادَ بتقريبِهِ(٣)   ويأوي إلى حُضُرٍ مُلْهِبِ(٤)
كُمَيْتٌ كأنَّ على مَتْنِهِ   سبائكَ من قِطَعِ المُذْهَبِ(٥)
كأنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنجبيلَ   يُعَلُّ على ريقها الأطيبِ

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد ، فقال له ابن عائشة : لكنك ، بأبي أنت وأمي ، قد ألجمتني بحجر فما أطيق الكلام . فأقاموا باقيَ يومهم يتحدَّثون ؛ فلما كان اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيامك يا محمد ؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه إن غنَّاك إلَّا صوتاً واحداً حتى تنصرف ، وعليه وعليه إن حلفت ألَّا أُبِرَّ قسمك ولو في ذَهاب روحه ! فقال له الحسن : فلك الأمان على محبَّتك ؛ فاندفع فغنَّاه :

صوت

أنعم اللهُ لي بذا الوجهِ عيناً   وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حينَ قالت لا تذكرنَّ حديثي   يابن عمي أقسمتُ قلتُ أجلْ لا
لا أخون الصديقَ في السرّ حتى   يُنقلَ البحرُ بالغرابيل نقلا

قال : ثم انصرف القوم ، فما رأى الحسن بنُ الحسنِ ابنَ عائشة بعدها .

---

(١) المنجرد من الجياد : القصير الشعر . والسلهب : الطويل .

(٢) يبذ : يغلب ويسبق .

(٣) التقريب : أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا . ويقال : قرَّب الفرس تقريباً اذا عدا عدْواً دون الاسراع .

(٤) الحضر (بالضم وحرك هنا للضرورة) : العدو . وملهب : مثير الهب لشدّته . والهب : الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار .

(٥) المذهب : كل ما طلي بالذهب . ويستعمل المذهب وصفا للفرس ، فيقال : كميت مذهب ، أي تعلو حمرته صفرة .

نسبة الغناء في الشعر الذي غنى به ابن عائشة ذلك اليوم :

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الاصوات

منها :

صوت

تمرّ كجَنْدلة المَنْجنيـــقِ يُرْمى بها السورُ يوم القتالِ
فماذا تُخَطْرِف من قُلَّــة ومن حَدَبٍ وإكامٍ توالي
ومن سيرها العَنَقُ المُسْبِطِـــرُّ والعَجْرفِيَّةُ بعد الكلالِ
ألا يا لَقومٍ لِطَيْــف الخيا لِ أرّق من نازحٍ ذي دَلالِ
يُثَنّي التحيَّة بعـد السلا مِ ثمّ يُفَـدّي بعمٍّ وخالِ
خيالٌ لسَلْمى فقد عـاد لي بنُكْسٍ من الحبّ بعد اندمالِ

أمّا الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنه قال : يمر بالياء لأنه وصف به حماراً وحْشِياً ، ولكنّ المُغنّين جميعاً يغنونه بالتاء على لفظ المؤنث ، وقد وَصف في هذه القصيدةِ الناقة ولم يذكر من صفتها إلّا قوله :

ومن سيرها العَنَقُ المُسْبطر

ولكنّ المغنّين أخذوا من صفة العَيرِ شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً خلطوها وغنّوا فيها . وقوله :

فماذا تُخَطْرِف من قُلَّة

يعني أنه يمرّ بالمَوْضع المُرتفع فيَطفِره[1] . وروى الأصمعيّ :

فماذا تَخَطَّرَفَ من حالقٍ ومن قُلّة وحجابٍ وجالِ

---

(١) يطفره : يثبه ، يقال : طفر الحائط أي وثبه الى ما وراءه .

فالحالق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض . والجال : حَرْفُ[١] الشيء ، يقال له : جالٌ وجُولٌ . والعَنَق المُسبطِرّ : المُسترسِل السهل . والعجرفية : التعسف والإسراع . يقول : إذا كَلّتْ وتعبَتْ تعجْرفتْ في السير من بقيّة نفسها وشدّتها . وروى الأصمعيّ فيها :

خيالٌ لجَعْدةَ قد هاج لي نُكاساً من الحبّ بعد اندمالِ

يقال نُكْس ونُكاس بمعنى واحد وهو عَودُ المرض بعد الصحة . والاندمال : الإفاقة من العِلّة ، واندمال الجُرْح : بُرْؤه . فأمّا الأبيات التي يصف بها الناقةَ فقوله :

فسلّ الهمومَ بعَيْرَانَةٍ[٢] مُواشِكةِ[٣] الرَّجع بعد انتقالِ
ذَمُولٍ[٤] تَزِفُّ زفيفَ الظّليم شمّرَ[٥] بالنّعفِ وَسْط الرِّئالِ[٦]
وتَرْمَدُّ[٧] هَمْلَجَةً[٨] زَعْزعاً[٩] كما انخرط الحبلُ فوق المَحالِ[١٠]

(١) ولعله محرف عن جرف وهو ما أكلته السيول أو جانب النهر الذي يسقط كل ساعة جزء منه .

(٢) العيرانة : الناقة الناجية في نشاط .

(٣) مواشكة الرجع : سريعته ، والرجع : ردّ يديها في السير . وقوله : بعد انتقال ، رواية في البيت وقد اجتمعت عليها جميع النسخ . وفي أشعار الهذليين «بعد النقال» وقال شارحها : النقال والمناقلة : ضرب من السير .

(٤) الذمول : وصف الناقة ، من الذميل وهو ضرب من سير الابل ، قيل : هو السير اللين ، وقيل : هو فوق العنق . قال ابو عبيد : اذا ارتفع السير عن العنق قليلاً فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم ، والزفيف : الاسراع ومقاربة الخطو .

(٥) شمر : جدّ مسرعاً ، والنعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي .

(٦) الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام .

(٧) ترمدّ : تسرع في العدو ، يقال : ارمدّ اذا مضى على وجهه وأسرع .

(٨) الهملجة كالهملاج : حسن سير الدابة في سرعة .

(٩) زعزعا : شديداً ، يقال : سير زعزع أي شديد .

(١٠) المحال والمحالة : البكرة العظيمة التي يستقى عليها ، وانما سميت محالة لأنها تدور فتنقل من حالة الى حالة .

ومن سيرها العَنَق المُسْبَطِرُ والعَجْرفيّةُ بعد الكَلالِ
كأني ورحلي إذا رُعتُها على جَمَزَى[1] جازىء بالرمالِ

وأمّا صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأتُن:

فظلّ[2] يُسوِّف[2] أبوالها ويوفي[3] زيازيَ حُدْبَ التِلالِ[4]
فطافَ بتعشيره[5] وانتحى جوائلَها[6] وهو كالمُستجالِ
تَهادى حوافرُها جَندَلاً[7] زواهقَ[8] ضربَ قُلاتٍ بِقالِ[9]
رَمى بالجراميز[10] عُرضَ الوَجين[11] وارمدّ في الجري بعد انفتالِ
بشأوٍ[12] له كضَريم الحريق أوشِقّةِ[13] البرق في عُرض خالِ[14]
يمرّ كجَندلة المَنْجنيق يُرمى بها السورُ يوم القتالِ
فماذا تَخطرف من حالقٍ ومن حَدَبٍ وحجابٍ وجالِ

(١) جمزى: وثاب سريع، وهو وصف لحمار وحش شبه به ناقته. جازىء: مكتف بالرطب عن الماء.

(٢) يسوّف: يشمّ.

(٣) يوفي: يشرف ويعلو، وعير ميفاء على الاكام اذا كان من عادته ان يوفي عليها ويعلوها.

(٤) زيازي: جمع زيزاة وهي الأرض الغليظة. وحدب التلال: صعابها، جمع حدباء وهي الصعبة.

(٥) التعشير: النهيق، يقال: عشر الحمار اذا تابع النهيق عشر نهقات، فهو معشر، ثم قيل للنهيق: تعشير. وانتحى: اعتمد وقصد.

(٦) فسره أبو سعيد السكري بقوله: وانتحى أي اعتمد جوائلها أي ما جال منها حين حمل كالمستجال المستخف استجاله شيء فجال؛ ثم قال: والمستجال كأنما أصاب فزعاً فاستجال.

(٧) معنى تهادى الحوافر الجندل: أن تقذفه هذه الى هذه أي ترمي به اليد الى الرجل والرجل الى اليد.

(٨) زواهق: سابقات متقدّمات.

(٩) تشبيه بحال لعبة من العاب العرب؛ والقلات: جمع قلة وهي الخشبة الصغيرة التي تنصب وقدرها ذراع، وهذه الخشبة تضرب بعود كبير يقال له: القال والمقلى.

(١٠) جراميز الوحش: قوائمه وجسده.

(١١) الوجين: الغليظ من الأرض.

(١٢) الشأو: الشوط.

(١٣) شقة البرق: لمح منه.

(١٤) الخال: السحاب المتهيىء للمطر.

الشعر لأمية بن أبي عائذ الهذليّ. والغناء لابن عائشة. ولحن ابن عائشة مشكوك فيه: أي الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو، فيقال: إنه خفيفُ الرمل، ويقال: إنه هو الثقيل الاول، ويقال: إنه الرَّمل. فأمّا خفيف الرمل فهو بالخنصر في مَجرى الوُسطى، وذكره إسحاق في موضع فتوقّف عنه ولم ينسبه، ونسبه في موضع آخر الى ابن أبي يَزَن المكيّ. ونسبه عمرو بن بانةَ إلى مَعبد وقال: فيه خفيفُ رَمَل آخر لمالك. وذكره يونس في أماني ابن أبي يَزَن المكيّ ونسبه ولم يُجنِّسه. وذكر ابن خُرْداذْبه والهِشاميّ انّ فيه لهشام بن المُرِّيّة لحناً من الثقيل الأوّل، ورأيت ذلك أيضاً في بعض الكتب بخطّ عليّ بن يحيى المنجم كما ذكرا. وذكر إسحاق أنّ الرَمَل مطلق في مَجرى الوسطى وأنّه لابن عائشة. وذكر أحمد ابن المكيّ أنّه لأبيه، وذكر غيره أنه غَلَطٌ وأنّ لحن أبيه هو الثقيل الأوّل والرَمَل لابن عائشة. وقال حَبش: فيه لابن سُرَيج هَزَج خفيفٌ بالوُسطى.

ومنها، — وقد مضى تفسيره في الخبر واقتُصِر على البيت الاوّل منه — :

صوت

إذا ما انتشيتُ طرَحتُ اللّجا مَ في شَدْق مُنْجَرِدٍ سَلْهَبِ

الشعر للنابغة الجَعْديّ. والغِناء لابن عائشة: خفيف ثقيل بالوسطى عن الهِشاميّ وحمّاد.

ومنها الصوت الذي أوّلهُ:

أنعمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عيناً

وقد جُمع مع سائر ما يُغنّى فيه من القصيدة، وهو:

أَثْلَ جُودي على المتيَّم أَثْلا لا تَزيدي فؤادَه أَثْلَ خَبْلا
أَثْلَ إنّي والراقصاتِ[1] بجَمْعٍ[2] يتبارَيْن في الأزِمّة فُتْلا[3]

(١) أي المسرعات في سيرها يقال: رقص البعير يرقص رقصاً اذا أسرع في سيره.
(٢) يعني مجمع المزدلفة بذلك لاجتماع الناس فيها.
(٣) الفتل جمع فتلاء، وهي الناقة التي في ذراعيها فتل وهو اندماج في مرفق الناقة.

سابحاتٍ يَقطعنَ من عرفاتٍ بين أيدي المَطيّ حَزْناً وسهلا
والأكفّ المطهّراتِ على الرُّكـ ـنِ لشُعْثٍ[1] سعَوْا إلى البيت رَجْلا[2]
لا أخون الصديق في السرّ حتى يُنقلَ البحر بالغرابيل نَقْلا
أو تمورَ الجبالُ مَوْرَ سحابٍ مُرْتَقٍ قد وعى من الماء ثِقْلا
أنعم الله لي بذا الوجهِ عيناً وبهِ مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لا تُفشِيَنّ حديثي يابن عمي أقسمتُ قلتُ أجلْ لا
فأتّقِي الله واقبلي العذر مني وتجافَيْ عن بعض ما كان زَلّا
إن أكن سؤتُكم به فلكِ العُتْـ ـبى لدينا وحقّ ذاك وقَلّا
لم أرحّب بأن سَخِطتِ ولكن مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ شخصاً رأيتُهُ ليلة البد رِ عليهِ انتنى الجمالُ وحَلّا
جعل الله كلّ أنثى فِداءً لكِ بل خدّها لرجليكِ نعلا
وجهُكِ الوجهُ لو سألتِ بهِ المز نَ من الحسن والجمال استهلّا

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ. والغناء لمعبد في الأربعة الأبيات الأُوَل: خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانـة. ولابن مُحرِز في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق. ولابن سريـج في الأوّل والثاني والخامس ثقيل أوّل، وآخرُ بالبنصر أوّله استهلال. وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيفُ ثقيلٍ بالوُسطى. ولدَحْمان في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيفُ ثقيل أوّل بالبِنْصر. ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشرَ لحن من كتاب يونُس ولم يقع إليّ من يُجنّسه. ولابن سريج فيها بعينها رَمَل بالوُسطى عن الهشاميّ. وفيها أيضاً للغَريض خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر. ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يُجنّسه.

---

(١) شعث: جمع أشعث وهو متلبّد الشعر مغبرّه.
(٢) رجلا اسم جمع لراجل وهو خلاف الراكب.

غنى الوليد بن يزيد فطوب وقبل كل اعضائه :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني محمد بن سلّام، وأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيي قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد ابن سلّام عن أبيه عن شيخ من تَنُوخ، ولم يقل عمر بن شَبَّة في خبره : محمد بن سلّام عن أبيه ، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ قال :

كنتُ صاحبَ سِتر الوليد بن يَزيد ، فرأيت ابن عائشة عنده وقد غنّاه :

صوت

إني رأيتُ صَبيحــةَ النَّفْرِ   حُوراً نَفَيْنَ عزيمةَ الصبرِ
مثلَ الكواكبِ في مطالعها   بعد العشاء أطفْنَ بالبــدرِ
وخرجتُ أبغي الأَجرَ مُحتسباً   فرَجعتُ مَوْفوراً من الوِزْرِ

— قال إسحاق في خبره : والشعر لرجل من قريش ، والغناء لمالك . هكذا في خبر إسحاق . وما وجدتهُ ذَكَره لمالك في جامع أغانيه . ووجدتهُ في غِناء ابن سريج خفيفَ رَمَل بالوسطى عن الهشاميّ — قال : فطرِب الوليد حتى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، اسقِنا بالسماء الرابعة ، وكان الغِناء يعمَل فيه عملًا ضلّ عنه مَن بعدَه ، ثم قال : أحسنتَ والله يا أميري ! أعِدْ بحقّ عبد شمس ، فأعاد ؛ ثم قال : أحسنتَ والله يا اميري ! أعد بحقّ أميّة فأعاد ؛ ثم قال : أعد بحق فلان ، أعد بحق فلان ، حتى بلغ من الملوك نفسَه ، فقال : أعد بحياتي ؛ فأعاد . قال : فقام اليه فأكبّ عليه فلم يبق عُضواً من أعضائه إلّا قبّله وأهوى إلى هَنِهِ ؛ فجعل ابن عائشة يضمّ فَخِذيه عليه ؛ فقال : والله العظيم لا تَرِيم[1] حتى أُقبّله ، فأبداه له فقبّل رأسه ،

(١) لا تريم : لا تبرح .

ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقيَ مجرّداً الى أن أتَوْه بمثلها ، ووهب لهُ الف دينار وحمله على بغلة وقال : أركبها – بأبي أنتَ – وانصرف ، فقد تركتَني على مثل المَقْلى من حرارة غِنائك ؛ فركبها على بِساطه وانصرف .

محتاج يفضل صوت ابن عائشة على المال :

وأخبرني اسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني محمد بن الحسن النَّخَعيّ قال حدّثني محمد بن الحارث بن كُلَيب بن زيد الرَّبعيّ قال :

خرج ابن عائشةَ المدنيّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه :

أبعدَكَ مَعْقِلًا أرجو وحِصْناً قَدَ اَعْيتني المَعاقلُ والحُصونُ

– وهي اربعة أبيات، هكذا في الخبر، ولم يَذْكر غيرَ هذا البيت منها – قال فأطربه فأمر له بثلاثين الفَ درهم وبمثل كارةِ[1] القَصّار كُسوةً . فبينا ابنُ عائشة يسير إذ نظر اليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغناء ويشرب النبيذ ، فدنا من غلامه وقال : مَن هذا الراكبُ ؟ قال : ابن عائشة المغني ؛ فدنا منه وقال : جُعِلتُ فداءك ، أنت أبن عائشةَ أمِّ المؤمنين ؟ قال : لا ، أنا مَوْلًى لقريش وعائشةُ أمي وحسبُك هذا فلا عليك أن تكثر ؛ قال : وما هذا الذي اراه بين يديك من المال والكُسوة ؟ قال : غنّيت أميرَ المؤمنين صَوتاً فأطربته فكفَر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكسوة ؛ قال : جُعِلت فداءك ، فهل تمنُّ عليّ بأن تُسمعني ما أسمعتَه إياه ؟ فقال له : ويلك ! أمثلي يُكلَّم بمثل هذا في الطريق ! قال فما أصنع ؟ قال الحَقْني بالباب . وحرّك أبنُ عائشةَ بغلةً شَقراء كانت تحته لينقطع عنه ؛ فعدا معه حتى وافَيا البابَ كفَرَسَيْ رِهانٍ ، ودخل أبن عائشةَ فمكث طويلًا طمعاً في أن يضجر فينصرفَ ، فلم يفعل ؛ فلمّا

(١) كارة القصار : الثياب التي يجمعها ويحملها ، وسُميت كارةً لان القصار يكوّر الثياب في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

أعياه قال لغلامه : أدخِله ؛ فلما دخل قال له : ويلك ! من أين صَبَّك الله عليّ ! قال : أنا رجل من أهل وادي القرى أشتهي هذا الغناء ؛ فقال له : هل لك فيما هو أنفعُ لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك ؛ فقال له : جُعِلتُ فداءك ، والله إنّ لي لبُنَيَّةً ما في أذنها — علم الله — حَلقة من الوَرِق فضلاً عن الذهب ، وإنّ لي لزوجةً ما عليها — يشهد الله — قميصُ ، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخَلَّة[1] والفقر اللذَين عرَفتَهما وأضعفتَ لي ذلك ، لكان الصوتُ أعجبَ إليّ — وكان ابن عائشة تائهاً لا يغني إلا الخليفةِ أو لذي قدرٍ جليل من إخوانه — فتعجب ابن عائشة منه ورحمه ، ودعا بالدَّواة[2] وكان يغني مُرتجلاً ، فغنّاه الصوتَ فطرب له طرباً شديداً ، وجعل يحرّك رأسه حتى ظنّ أن عُنُقه سينقصف ، ثم خرج من عنده ولم يَرْزَأه شيئاً ، وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد فسأل ابنَ عائشة عنه ، فجعل يَغيبُ عن الحديث . ثم جدّ الوليد به فصدَقه عنه ، وأمر بطلب الرجل فطلب حتى أُحضِرَ ، ووصله صِلة سنيَّة ، وجعله في ندمائه ووكّله بالسَّقي ، فلم يزل معه حتى مات .

يؤتي الحكمة من يشاء :

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثني عمر بن أبي خَليفة قال :

كان الشَّعبيّ مع أبي في اعلى الدار ، فسمعنا تحتنا غِناء حسناً ، فقال له أبي : هل ترى شيئاً ؟ قال : لا ، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السنّ يَتغنّى :

قالتْ عُبَيدُ تجرُّماً[3] في القول فعلَ المازحِ

فما سمعتُ غِناء كان أحسن منه ، فإذا هو ابن عائشة ، فجعل الشَّعبيّ يتعجب من غِنائه ويقول : يُؤتي الحكمَةَ من يشاء .

---

(١) الخلة : الحاجة والخصاصة .

(٢) لعلها محرفة عن الاداة : آلة من آلات الغناء ، أو لعله دعا بدواة لينقر عليها في توقيعه .

(٣) أي تجنيا يقال : تجرّم عليه أي آدّعى عليه ذنبا لم يفعله .

نسبة هذا الصوت

صوت

قالتْ عُبيدُ تَجرُّماً في القول فعلَ المازحِ
أنجِزْ بعَمْرك وعدَنا فأظنّ حبَّك فاضحي
فأجبتُها لو تعلميـنَ بما تُجِنّ جوانحي
فيما أرى لَرَحِمْتِني من حَمْل حُبٍّ فادحِ
ما في البرية لي هوًى فاسمعْ مَقالة ناصحِ
أشكو اليه جَفاءكم إلّا سلام مُصافحي

زعم حَبش أن الغناء لابن عائشة خفيفُ ثقيل بالبنصر .

كان يغضب اذا سئل ان يغني :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض أهل المدينة قال : حدّثني مَن رأى ابنَ عائشةَ حاجاً وقد دعاه فِتيةٌ من بني هاشم فأجابهم ، قال : وكنت فيهم ، فلما دخلنا جعلوا صدرَ المجلس لابن عائشة فجلس فتحدّثوا حتى حضَر الطعام ، فلما طعِموا دعا بشراب فشربوا ، وكان ابن عائشة اذا سئل أن يغني أبى ذلك وغضب ، فإذا تحدّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غُنيَ فيه ابتدأ هو فغنّاه ، فكان مَن فَطِن له يفعلُ ذلك به ، فقال رجل منهم : حدّثني اليوم رجل من الاعراب ممن كان يصاحب جَميلًا بحديث عجيب ، فقال القوم : وما هو ؟ فقال : حدّثني أن جميلًا بينا هو يُحدّثه كما كان يحدّثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يَرى ، فثار نافراً ، مُقشعرّ الشعر ، مُتغيّر اللّون ، إلى ناقة له مجتمعةٍ(١) قريبة من الارض ، مُوثّقة(٢) الخَلق ؛ فشدّ عليها رَحْله ثم

(١) أي شديدة قوية .

(٢) ناقة موثقة الخلق : أي محكمة قوية وفي باقي الاصول «مؤنقة» أي معجبة ان رآها لحسن منظرها . تقول : آنقني الشيء إيناقاً أي أعجبني .

أتاها بمحلب فيه لبنٌ فشربته ، ثم ثنّى فشربتْ حتى رَويتْ ، ثم قال : أشدُد أداة رَحلك وأشرب وأسق جملكَ ، فإني ذاهب بك الى بعض مَذاهبي ، فغعلتُ ، فجال[١] في ظهر ناقته وركبتُ ناقتي ، فسِرنا بياضَ يومنا وسَوادَ ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرنا يوَمنا لا والله ما نزلنا إلا للصلاة ؛ فلما كان اليوم الثالث دَفعنا إلى نسوة فمال اليهنّ فوَجدنا الرجالَ خلوفاً[٢]، وإذا قِدْرُ لِبَإٍ[٣] وقد جُهدتُ جوعاً وعطشاً ، فلما رأيتُ القِدرَ اقتحمتُ[٤] عن بعيري وتركتهم جانباً ، ثم أدخلت رأسي في القِدر ما يَثنيني حَرُّها حتى رَويتُ ، فذهبتُ أُخرجُ رأسي من القدر فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسُوَةٌ ، فضحكنَ مني وغَسلْنَ ما اصابني . وأُتي جميلٌ بقِرًى فوالله ما التفتَ اليه ؛ فبينا هو يحدّثهنّ إذا رواعي الإبل ، وقد كان السلطانُ أحلّ لهم دَمه إن وجدوه في بلادهم ، وجاء الناس فقلْنَ : وَيحك ! انجُ وتقدّم ، فوالله ما اكبرهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يَرمونه ويَطردونه ، فإذا غشَوْهُ قاتلهم ورمى فيهم ، وقام بي جملي ، فقال لي : يَسّرْ لنفسك مَركباً خلفي ، فأردَفني خلفه ، لا والله ما انكسر ولا انخلّ عن فرصته حتى رجع الى اهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستّة ايام وما التفتَ إلى الطعام وقال في ذلك :

إنّ المنازلَ هيجتْ أطرابي وأستَعجمتْ آياتُها بجوابي

وهي قصيدة طويلة . وقال ايضاً :

وأحسنُ أيامي وأبهج عِيشتي إذا هِيجَ بي يَوماً وهُنّ قُعودُ

قال فقال أبن عائشة : أفلا أُغني لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله ، فاندفع فغنّاه ، فما سمع السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك ، وبقيَ أصحابنا يتعجبون من الحديث وحُسنه والغناء وطيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إنّا مستأذنوك ، فإن أذنتَ

---

(١) جاء وذهب على ظهر ناقته ليطمئن عليها ويستقر .
(٢) خلوفاً : غائبين عن الحيّ .
(٣) اللبأ : أوّل اللبن في النتاج .
(٤) أي بادرت بالنزول عنه .

لنا سألناك ، وإن كرهتَ تركناك ؛ فقال : سَلوا ؛ فقالوا : نحبّ أن تُغنّينا في مجلسنا هذا ما نَشِطْتَ هذا الصوتَ فقط ؛ فقال لهم : نعم ونعمةَ عينٍ وكرامة ، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسبة هذا الغناء

صوت

إنّ المنازلَ هيّجتْ أطرابي | وأستعجمتْ آياتُها بجوابي
قَفْرٌ تلوحُ بذي اللُّجَين كأنها | أنضاءُ[1] وَشْمٍ أو سُطورُ كتابِ
لمّا وقفتُ بها القَلوصَ تبادرتْ | مني الدموعُ لفُرقةِ الأحبابِ
وذكرتُ عصراً يا بُثينةُ شاقني | إذ فاتني وذكرتُ شَرخَ شبابي[2]

الشعر لجميل . والغناء للهُذَليّ ثاني ثقيل بإطلاق الوَتَر في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني عمي قال حدّثني عبدُ الله بن أبي سَعد قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال حدّثني عمرو بن أبي الكنَّات الحكميّ قال حدّثني يونس الكاتب قال :

كنّا يوماً مُتنزهينَ بالعقيق أنا وجماعةٌ من قُريش ، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني لَيث وهو مُتوكئٌ على يده ، فلما رأى جماعتَنا وسمعني أُغنّي جاءنا فسلّم وجلس الينا وتحدّث معنا ، وكانت الجماعة تعرف

---

(١) الانضاء : جمع نضو وأصله البعير المهزول او المهزول من جميع الدواب ويطلق على ما بقي من الرسم لقتله وأخذه في الذهاب ، كما أطلق على ما بقي من النبات في قول الشاعر :

ترعى أناض من حرير الحمض

فأناض هنا جمع أنضاء الذي هو جمع نضو .

(٢) شرخ الشباب : أوّله ونضارته وقوّته .

سوءِ خُلقِهِ وغَضَبَه إذا سئل أن يُغنّيَ، فأقبلَ بعضهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثَيِّر وجميل وغيرهما من الشعراء، يَستَجرُّون بذلك أن يَطرَبَ فيُغنّيَ، فلم يجدوا عنده ما ارادوا فقلتُ لهم أنا: لقد حدّثني اليومَ بعضُ الأعراب حديثاً يأكل الاحاديث، فإن شئتم حدّثتكم إياه؛ قالوا: هاتِ؛ قلتُ: حدّثني هذا الرجلُ أنه مرّ بناحية الرَّبَذَة[1] فإذا صِبيانٌ يتغاطسون في غديرٍ، وإذا شابٌّ جميلٌ منهوكُ الجسم عليه أثرُ العِلّة، والنحولُ في جسمه بَيّنٌ، وهو جالسٌ ينظر اليهم، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام وقال: من أين وَضَحَ[2] الراكب؟ قلتُ: مِنَ الحِمى؛ قال: ومتى عَهْدُكَ به؟ قلتُ: رائحاً؛ قال: وأين كان مَبيتُك؟ قلتُ: ببني فلان؛ فقال: أوّهْ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفّسَ الصُّعَداء تَنَفُّساً قلتُ إنه قد خرّقَ حِجابَ قلبه؛ ثم أنشأ يقول:

صوت

سَقى بلداً أمستْ سُلَيمى تَحُلُّهُ ... مِنَ المُزْنِ ما يُرْوى به ويُسيمُ[3]
وإن لم أكُنْ من قاطِنيهِ فإنّه ... يَحُلُّ به شخصٌ عليّ كَريمُ
ألا حَبّذا مَنْ ليسَ يَعْدِلُ قُربَه ... لَدَيّ وإن شَطّ المَزارُ نَعيمُ
ومَنْ لامَني فيهِ حَميمٌ وصاحبٌ ... فَرُدَّ بغَيظٍ صاحبٌ وحَميمُ

ثم سَكن كالمَغْشيّ عليه، فصِحتُ بالصِّبية، فأتوا بماء فصَبَبْتُه على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول:

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشوعي ... وأنفاسي تَزَيَّنَ بالخُشوعِ
ولي عَينٌ أضرَّ بها التفاتي ... إلى الأجزاع مُطلقةَ الدموعِ

---

(١) الربذة: قرية على ثلاثة اميال من المدينة وبها قبر أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه.

(٢) أي من اين بدا وطلع.

(٣) يقال: سامت الابل اذا رعت وأسامها صاحبها، أي أرعاها، ولعله يريد بقوله: «ويسيم» أن يكون صالحاً للاسامة بما يكون فيه من خصب وكلاء.

إلى الخلوات يأنسُ فيكِ قلبي كما أنِسَ الغريبُ إلى الجميعِ

فقلتُ له : ألا أنزلُ فأساعدَك ، أو أكرُّ عودي على بدني إلى الحمى في حاجة إن كانت لك حاجةٌ او رسالة ؟ فقال : جُزيتَ خيراً وصَحِبَتْكَ السلامةُ ! امض لِطِيَّتِك[١] ، فلو أني علمتُ أنك تُغني عني شيئاً لكنتَ موضعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسئلة ، ولكنك أدركتني في صُبابةٍ من حياتي يسيرةٍ ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمسي لَيلَتَهُ إلّا ميّتاً ؛ فقال القوم : ما أعجبَ هذا الحديث ! وأندفع ابنُ عائشة فتغنّى في الشعرين جميعاً وطَربَ وشَربَ بقية يومه ، ولم يزل يُغنّينا إلى أن انصرفنا .

فأما نسبة هذين الصوتين فإنّ في الأوّل منهما لحناً من خفيف الرَّمل الثقيل المطلق في مجرى الوُسطى ، نَسَبه يحيى المكيّ إلى مَعْبَد ، وذكر الهشاميّ أنه مَنحول . وفي هذا الخبر : أنّ ابنَ عائشةَ غنّاه ، وهو يُغنّي في البيت الأوّل والثاني من الأبيات . وفيه للضَّيْزَنيّ الملقب بنُبَيكة لحنٌ جيّد من الثقيل الأوّل . وكان نُبَيكة هذا من حُذّاق المغنّين وكبارهم ، وقد خَدَمَ المُعتمد ثم شخص إلى مصر فخدم خُمارَوَيْه بنَ أحمد ، ثم قَدِمَ بغداد في أيام المقتدر ، ورأيناه وشاهدناه ، وكانت في يده صُبابة قويّةٌ من إفضال ابن طُولون وأستغنى بها حتى مات ، وله صنعةٌ جيّدةٌ قد ذكرتُ ما وقع إليّ منها في المجرّد[٢] . وذكرتُ مما وقعَ إليّ له في هذا الكتاب لحناً جيّداً في شعر سَعْد ذلفاء ، وهو :

ولمّا وَقَفنا دُونَ سَرْحَةِ مالِكٍ

في موضعه من أخباره .

وأمّا الشعرُ الثاني الذي ذكرتُ في هذا الخبر الماضي : أنّ ابنَ عائشة غنّاه فما

(١) أي لوجهتك ، يقال : مضى لطيته ، أي لوجهه الذي يريده ولنيته التي انتواها .

(٢) اسم كتاب لابي الفرج الاصبهاني .

رأيتُ له نِسبةً في كتاب ولا سمعتُ فيه صنعةً من أحد ، ولعله مما أنطوى عني أو لم يَشتهر فسقط عن الناس .

كان على سطح فرأى نسوة فمشى اليهن فسقط فمات :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزّيات عن حمّاد عن أبيه عن يعقوب بن طَلْحة اللَّيْثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال :

أقبل ابنُ عائشة من الشام حتى نَزلَ قَصرَ ذي خُشُبٍ[1] ومعه مالٌ وطيبٌ وكُساً[2] فشَرِبَ فيه ، ثم تَطرَّقوا[3] إلى ظَهر القَصر فصَعِدوا ، ثم نظر فإذا بِنسْوَةٍ يَتَمَشَّيْنَ في ناحية الوادي ، فقال لاصحابه : هل لكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلَبِسَ مُلاءةً[4] مَدلوكة ، ثم قام على شُرْفَةٍ[5] من شُرُفات القصر فتغنّى :

وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تَلاقَيْنا
تَعالَيْنَ فقد طابَ لنا العَيْشُ تَعالَيْنا

فأَقبلنَ اليه فطرِبَ واستدارَ حتى سَقط من السطح ؛ وهذا الخبرُ يُذكر على شرحه في خبر وفاته .

كان يعشق شعر الحطيئة :

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن محمد بن سلّام عن جَرير أبي الحُصَين قال :

---

(١) ذو خشب : وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة في طريق الشام .
(٢) كسا بالضم : جمع كسوة .
(٣) تطرقوا : ابتغوا اليه طريقاً .
(٤) الملاءة : الملحفة ، ومدلوكة : مصقولة رقيقة .
(٥) الشرفة : ما يبنى على الحائط منفصلاً بعضه عن بعض على هيئة معروفة .

كان ابنُ عائشة اذا غنّى في صَوتٍ له من شعر الحطيئة وهو :

عَفا من سُلَيمى مُسْحُلانُ فحامِرُهْ

نظر الى أعطافه في كلّ رنّة، فسئل يوماً – وقد دَبّ فيه الشرابُ – عن ذلك، فقال : أنا عاشقٌ لهذا الصوت، وعاشقٌ لحديثه، وعاشقٌ لغريبه، وعاشقٌ لقول الحطيئة، إن الغناء رُقيةٌ من رُقى النَّيك، ويعجبني فهمُ الحطيئة بالغناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غِناء، وكيف لا أعجَبُ به ومَحلّه مني هذا المحلّ ! وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلّا غنّاه، فمن فَطِنَ له أكثر سؤاله إياه. وكان جرير يقول : إنه أحسنُ صوتٍ له وأرقُّهُ وأجوده.

وفاة ابن عائشة

توفي في خلافة الوليد بن يزيد :

وتُوُفِّيَ ابنُ عائشة فيما قيل في أيام هِشام بن عبد الملك، وقيل في أيام الوليد. وما أظنّ الصحيح إلّا أنه تُوفّي في أيام الوليد، لأنه أقدمهُ اليه. وذكر مَن زعم انه توفّي في خلافة هشام : أنه إنّما وَفَد على الوليد وهو وليّ عهد.

يقال ان ابن يزيد رماه من السطح :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

ذكر عِمرانُ بن هند : أنّ الغَمْر بن يزيد خرج الى الشام، فلما نَزَل قصرَ ذي خُشُب شرب على سطحه، فغنّى ابنُ عائشة صوتاً طربَ له الغَمْر، فقال : أرْدُدْه، فأبى، وكان لا يَرُدُّ(١) صوتاً لسوء خُلُقه، فأمَرَ بهِ فطُرِحَ من أعلى السطح فمات. ويقال : بل قام من الليل وهو سكران ليَبُول فسقط من السطح فمات.

(١) وفي بعض النسخ «يردّد» وهو من الترديد الذي هو كثرة الردّ.

حكايات اخرى :

قال إسحاق فحدّثني المدائنيّ قال حدّثني بعض اهل المدينة قال : أقبل أبن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَه وأحسنَ اليه فجاء بما لم يأتِ بهِ أحدٌ من عنده، فلما قَرُب من المدينة نزل بذي خُشب على اربعة فراسخ من المدينة، وكان واليها إبراهيمُ بن هشام بن اسماعيل المخزوميّ، ولّاه هشامٌ وهو خاله، وكان في قصر هناك، فقيل له : أصلحَ اللهُ الأميرَ، هذا أبن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد، فلو سألتهُ أن يقيم عندنا اليومَ فيُطرِبَنا وينصرفَ من غَدٍ! فدعا بهِ فسأله المُقامَ عنده فأجابهُ الى ذلك، فلما أخذوا في شُربهم أخرج المخزوميّ جواريَهُ، فنظر إلى أبن عائشة وهو يَغمِز جاريةً منهنّ، فقال لخادمه : إذا خرج أبن عائشة يريد حاجته فارْمِ بهِ، وكانوا يشربون فوقَ سطحٍ ليس له إفريز ولا شُرُفات، وهو يُشرِف على بُستان، فلما قام ليبول رَمى بهِ الخادمُ من فوق السطح فمات، فقبرُهُ معروف هناك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه وأخبرني بهِ الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثي عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال :

أقبل أبن عائشة من الشام حتى نزل بقصر ذي خُشب ومعه مال وطيبٌ وكُساً، فشرب فيه، ثم تطرّقوا(١) إلى ظهر القصر فصعدوا، ثم نظر فإذا بنسوة يتمشّين في ناحية الوادي، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنّ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ؟ فنهض فلبس مُلاءة مدلوكةً، ثم قام على شُرفة من شُرَف القصر فتغنّى في شعر أبن أذَينة :

وقد قالت لأتراب لها زُهرٍ تَلاقَينا

(١) أي ابتغوا اليه طريقاً .

تعالَيْنَ فقد طـاب لنا العيشُ تعالَيْنا

فأقبلنَ اليه، وطَرِب فاستدار فسقط فمات. قال: وقال قوم: بل قَـدِم المدينةَ فمات بها.

بكى عليه اشعب فاضحك الناس:

قال ولما مات قال أشْعَبُ: قد قلتُ لكم، ولكنّه لا يُغني حَذَرٌ من قَدَر: زوِّجوا ابنَ عائشة رُبَيحة الشَّمَّاسِيَّة تخرُج لكم بينهما مزاميرُ داود فلم تفعلوا، وجعل يَبكي والناس يضحكون منهُ.

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه ابن عائشة

صوت

سُلَيمى أزْمعتْ بَينا فأين بقولها أيْنَـا
وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تلاقَيْنـا
تعالَيْنَ فقد طـاب لنا العيشُ تعالَيْنـا
وغـاب البَرَمُ[1] الليلـة والعينُ فلا عَيْنـا
فأقبلنَ اليهـا مسـرعاتٍ يَتهادَيْنـا
الى مثلِ مَهاةِ الرمـلِ تكسُو المجلسَ الزَّيْنا
إلى خَوْدٍ منعَّمـةٍ حَفَفْنَ بها وفدَّيْنـا
تمنَّيْـنَ مُناهن فكُنَّا ما تمنَّيْنـا

الشعر لعُروة بن أذَيْنة. والغناء لابن عائشة لحنانِ أحدُهما رَمَلٌ مطلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق، والآخرُ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حبش.

(١) البرم: الثقيل.

من بالمدينة يكره الغناء ؟

أخبرني الحسَين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن سَعْد يحلف للرشيد وقد سأله عمّن بالمدينة يكره الغناء ، فقال : من قنّعه[1] الله بخِزْيه مالكُ بن أنس ، ثم حلف له إنهُ سمع مالكاً يُغنّي :

سُلَيمى أزمعتْ بيناً فأين بقولهـا أينا

في عُرْسِ رجلٍ عن أهل المدينة يكنى أبا حنظلة .

وما نيل المطالب بالتمني :

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبَّةَ قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال :

مَرَّ ابن عائشة بابن أُذَينةَ فقال له : قل أبياتاً هَزَجاً أُغنِّ فيها ؛ فقال له : اجلسْ فجلس ؛ فقال :

سليمى أزمعت بينا

الأبيات . قال أبو غسّان : فحُدِّثْتُ أن ابن عائشة رواها ، ثم ضحك لما سمع قوله :

تمنّـينَ مُناهنّ فكنّا ما تمنّينا

ثم قال له : يا أبا عامر ، تمنّيْنَكَ لمّا أقبل بَخَرُكَ ، وأدبر ذَفَرُك[2] ، ووهنت قواك ! فجعل يشتُمه . هذا لفظ إسماعيل بن يونس .

---

(١) قنعه : غطاه ، ومنه الحديث «أتاه رجل مقنع بالحديد» أي مغطى بالسلاح .

(٢) الذفر : خبث الريح . قال ابن الاعرابي : الذفر : النتن ولا يقال في شيء من الطيب ذفر إلا المسك . وخص اللحياني به رائحة الابطين المنتنين . وقيل : ان الذفر يقع على الطيب والكريه ، ويفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به . والمراد هنا الرائحة الطيبة .

أخبرني الجوهري وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال فحدّثني حمّاد الخشبي قال:

ذُكِر ابن أُذَينة عند عمر بن عبد العزيز، فقال: نِعْم الرجلُ أبو عامر، على انه الذي يقول:

وقد قالت لأتراب لها زُهْرٍ تلاقَينا

اهذا ولي عهد المسلمين!

أخبرني محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيّوبَ القُرَشيّ قال:

كان هِشام بن عبد الملك مُكرِماً للوليد بن يزيد، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّباً للوليد، وكان، فيما يقال، زِنديقاً، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه، فاتخذ نُدماء وشرب وتهتّك، فأراد هشامٌ قطعهم عنه، فولّاه المَوْسِمَ في سنة عشرٍ ومائة، فرأى الناسُ منه تهاوناً واستخفافاً بدينه، وأمرَ مولاه عيسى فصلّى بالناس، وبعث الى المغنّين فغنّوْه وفيهم ابن عائشة فغنّاه:

سُلَيمى أجمعتْ بَينا

فنعَرَ[1] الوليدُ نَعْرةً أذِنَ[2] لها أهلُ مكة. وأمر لابن عائشة بألف دينار، وخلَع عليه عدّة خِلَع، وحمله[3]. فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناسُ، وأمر للمغنّين بدون ذلك، فتكلم أهلُ الحجاز وقالوا: أهذا وليّ عهدِ المسلمين! وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خَلعه، وأراد على ذلك فأبى؛ وتنكّر هشام للوليد، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط، وبعث هشام بالوليد وخاصّته ومَواليه،

(١) نعر: صاح وصوّت بخيشومه.
(٢) أذن أي استمع.
(٣) حمله: أعطى له ما يركبه.

فنزل بالأزرق بين أرض بَلْقَيْن وفَزارة على ماء يقال له الأغْدَق، حتى مات هشام .

غناؤه في صوت من المائة الصوت المختارة :

ومما في المائة الصوت المختارة من أغاني ابن عائشة

صوت

من رواية عليّ بن يحيى :

حَنَّتْ الى بَرْقٍ فقلتُ لها قِري ... بعضَ الحنينِ فإن شَجْوَكِ شائقي
بأبي الوليدُ وأمِّ نفسي كلَّما ... بدت النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ
أثْوَى فأكرمَ في الثَّواء وقُضِيتْ ... حاجاتُنا من عند أرْوَعَ باسِقِ
لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحـةٌ ... كانت حديثاً[1] للشراب العاتِقِ

ويروى : بالشراب العاتق . عروضه من الكامل . حنّت، يعني ناقته . وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو :

فإلى الوليد اليومَ حنَّت ناقتي ... تَهْوي بمُغْبَرِّ المُتُون سَمالِقِ[2]

وبعده « حنّت إلى برق . . . » . وقوله : « قِري » من الوُقار، كأنها لمّا حنّت أسرعت ونازعت الى الوطن أو المقصد، فقال يخاطبها : قِري . وذَرَّ قرنُ الشارق : طلع قرن الشمس؛ يريد بأبي الوليدُ وأمي في كل ليل ونهار ابداً . وأثْوَى : أنزل . والثَّواء : الإقامة ؛ قال الأعشى :

لقد كان في حول ثَوَاء ثويته ... تُقَضَّى لُباناتٌ ويَسأمُ سائمُ

(١) يريد أنها كانت الى عهد قريب معدّة للشراب .

(٢) السمالق : جمع سَمْلَق وهي الارض المستوية الجرداء التي لا شجر بها . وانما وصف مغبر المتون وهو مفرد بالسمالق وهو جمع لانه اراد مغبرات المتون فوضع الواحد موضع الجمع ووصفه بالجمع، ويجوز أن يكون أراد سملقاً فجعله سمالق كأن كل جزء منه سملق .

والباسق: الطويل؛ قال الله عزّ وجلّ: (والنَّخْلَ بَاسِقاتٍ) أي طِوالًا.
ويروى:

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ

الشعر لعبد الرحمن بن أرْطاةَ المُحاربيّ. والغناء لابن عائشة. ولحنه المختار ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر عن إسحاق. وفيه للهُذَليّ لحنٌ آخر من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ وابن المكيّ. فأوّلُ لحن الهذليّ استهلالُ في:

حنت إلى برق فقلت لها قِرِي

وأوّل لحن ابن عائشة:

بأبي الوليــدُ وأمِّ نفسي كلّما بدت النجومُ وذَرَّ قرنُ الشارقِ

اخبار ابن ارطاة ونسبه

نسبه :

هو عبد الرحمن بنُ أرْطاة، وقيل: عبد الرحمن بنُ سَيْحانَ بنِ أرطاة بنِ سَيْحان بنِ عمرو بنِ نُجيد بنِ سَعْد بنِ لاحِب بن ربيعة بن شُكْم بن عبد الله بن عَوْف بن زيد بن بكر بن عُمَير بن علي بن جَسْر بن محارب بن خَصَفَة بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار. وأمّ جَسْر بن مُحارب كأس بنت لُكَيْز بن أفصى بن عبد القيس، وأمّ عليّ بن جسر ماوِيّة بنت عليّ بن بكر بن وائل، هذه رواية أبي عمرو الشيبانيّ أخبرني بها عمي والصُّوليّ عن الخَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه، قال: وشُكْم بن عبد الله أوّل مُحاربيّ سادَ قومَه وأبذّهم رأساً بنفسه، وكانوا جيراناً في هَوازنَ؛ وآلُ سَيْحان حلفاء حَرْبِ بنِ أميّة بنِ عبدِ شمس بن عبدِ مناف، وبمنزلةِ بعضهم عندهم خاصّة وعند سائر بني أميّة عامّة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بنِ عِمْران قال:

بنو سَيْحان من بني جَسْر بن مُحارب، وبنو عبد مناف تُقَوّي حِلْفَهم، وهم عندي أعِزّاؤهم وليسوا بأحلافهم.

أخبرني أحمد بن عبَيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان قال:

لما قتل هشامُ بن الوليد أبا أزْيَهر، بعث قُرَيش أرْطاةَ بن سَيْحان حَليفَ حَرْب بن أميّة الى الشَّراة[1] يُحذِّر مَنْ بها من تجّار قُرَيش، وخرجَ حاجزُ الأزديّ ليُخبِرَ قومَه، فسبقَه أرطاةُ، وقال في ذلك وقد حذّرهم فنجَوْا:

---

(١) الشراة: صقع بالشام بين دمشق والمدينة المنوّرة.

مثلُ الحليفِ يشُدُّ عُرْوتَه   يَثْني العِناجَ[1] لها مع الكَرَبِ[2]
زَلَمٌ[3] إذا يَسَرُوا[4] بـه يُسُرٌ   ومناضِـلٌ يَحْمي عن الحَسَبِ
هل تَشْكُوَنْ فِهْرٌ وتاجرُهـا   دَأْبَ السُّرى بالليل والخَبَبِ
حتى جَلَوْتُ لهم يَقينَهُمُ   ببيـان لا ألْسٍ[5] ولا كَذِبِ

شاعر اسلامي ليس من الفحول :

وكان عبد الرحمن شاعراً مُقلًّا إسلامياً ليس من الفحول المشهورين ولكنّه كان يقول في الشراب والغزَل والفخر ومدح احلافه من بني أميّة ، وهو أحدُ المعاقرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مـع بني أميّة كواحدٍ منهم إلا أنّ اختصاصه بآل ابي سُفيان وآل عثمان خاصّة كان اكثرَ ، وخُصوصُه بالوليد بن عثمان ومُؤانَسته إياه أزيدُ من خصوصه بسائرهم ، لأنهما كانا يَتنادمان على الشّراب .

وهذه الابيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان ، وقيل : بـل في الوليد بن عُتبَة . وخبرُه في ذلك يُذكر بعد هذا .

(١) قال في اللسان : العاج : خيط أو سير يشدّ في أسفل الدلو ثم يشدّ في عروتها أو في عرقوتها ، (وعرقوتا الدلو : خشبتان تعرضان عليها كالصليب) . وقيل العناج : عروة في اسفل الغرب من باطن تشدّ بوثاق الى أعلى الكرب فاذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع في البئر ، وكل ذلك اذا كانت الدلو خفيفة واذا كان في دلو ثقيلة حبل أو بطان يشدّ تحتها ثم يشدّ الى العراقي فيكون عوناً للوذم فاذا انقطعت الاوذام أمسكها العناج . قال الحطيئة يمدح قوماً عقـدوا لجارهم عهداً فوفوا به ولم يخفروه :

قوم اذا عقـدوا عقداً لجارهم   شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

(٢) الكرب : الحبل الذي يشدّ على الدلو بعد المنين وهو الحبل الاول فإذا انقطع المنين بقي الكرب . وقال ابن سيدة : الكرب الحبل يشدّ على عراقي الدلو ثم يثنى ثم يثلث .

(٣) الزلم (بالتحريك ، وبضم ففتح) : أصله القدح الذي لا ريش فيه ، ويقال على القدح يستقسم به في الجاهلية ، ويشبه به الرجل القصير الخفيف الظريف والغلام الشديد الخفيف ، ومنه :
بات يقاسيها غلام كالزلم

(٤) يسروا : لعبوا الميسر .

(٥) الالس : الخيانة والكذب .

كيف كانوا يداوون المخمور :

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال قال عُتبة بن المنهال المُهَلّبي حدثني غير واحد من اهل الحجاز قالوا :

كان ابن سيحان حليفاً لقريش ينزل بالمدينة ، وكان نديماً للوليد بن عثمان ، فأصابه ذات يوم خُمار[١] فذهب لسانُه وسكنت أطرافه وصرخ أهله عليه ، فأقبل الوليد اليه فزعاً ، فلما رآه قال : أخي مخمور وربِّ الكعبة ، ثم أمر غلاماً له فأتاه بشراب من منزله في إداوة فأمر به فأُسخن ثم سقاه إياه وقيّأه ؛ وصنع له حِساء[٢] وجعل على رأسه دُهناً وجعل رجليه في ماء سُخن ، فما لبث أن انطلق[٣] وذهب ما كان به . ومات الوليدُ بعد ذلك . فبينا ابنُ سيحان يوماً جالسٌ وبعضُ متاعه يُنقَلُ من بيت إلى بيت ، إذ مرّت الخادم بإداوة[٤] الوليد التي كان داواهُ بما فيها من الشراب وقد يَبست وتقبّضت ، فانتحب وقال :

لا تَبعَدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ   كانتْ حديثاً للشرابِ العاتِقِ

وذكر باقي الابيات .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا أحمد بن معاوية عن الواقدي قال حدثنا عبد الله بن أبي عُبيدة عن ابيه قال :

كان الوليد بن عثمان بن عفّان يشرب مع الوليد بن عُتبة بن أبي سُفيان وابن سيحان وكان يُخمَر[٥] فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خِيفَ عليه وشقّ النساء عليه الجيوب ، فدُعِيَ له ابنُ سيحان ، فلما رآه قال : أخرِجنَ عني وعن أخي ،

(١) الخمار : ما يصيب الرجل من ألم الخمر وصداعها وأذاها .
(٢) الحساء : طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن وقد يحلى ويكون رقيقاً يحسى .
(٣) أي مشى بطنه . ولم نجد في كتب اللغة إلا استطلق بطنه وأطلقه الدواء .
(٤) اداوة : إناء من جلد .
(٥) يخمر : يصاب بالخمار .

مخرجن ، فقال له : الصَّبوحَ أبا عبد الله ، فجلس مُفيقاً ؛ فذلك حيثُ يقول ابنُ سَيحان :

بأبي الوليدُ وأمِّ نفسي كلَّما بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قَرنُ الشارقِ
أثوى فأكرمَ في الثَّواء وقُضِيَتْ حاجاتُنا من عند أروعَ باسقِ
كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ وفضائلٍ معدودةٍ وخلائقِ
وسماحةٍ للمُعتفين[1] إذا اعتَفَوا في ماله حقًّا وقولٍ صادقِ
لا تبعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانتْ حديثاً للشرابِ العاتقِ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان الوليدُ بنُ عثمان يُكنى أبا الجهم ، وكان لابن سَيحان صديقاً ونديماً، وكان صاحبَ شراب ، فمرض فعادَهُ الوليد وقال : ما تشتهي؟ قال : شراباً ، فبعث فجاءه بشراب في إداوة . ثم ذكر باقي الخبر نحو الذي قبله .

كان من ندماء الوليد بن عثمان ومادحيه :

أخبرني محمدُ بن خلف وكيعٌ قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيوب ابن عَباية قال :

كان الوليدُ بنُ عثمان ذا غَلّة في الحجاز يخرُجُ اليها في زمان التَّمر بنفرٍ من قومه يجنون له ويُعاونونه، فكان إذا حضر خروجهم دفعَ اليهم نفقاتٍ لأهليهم إلى رجعتهم ، فخرج بهم مرّةً كما كان يخرُج وفيهم ابنُ سَيحان ، فأتى ابن سَيحان كتابٌ من أهله يسألونه القدوم لحاجةٍ لا بدَّ منها ، فاستأذنه فأذِنَ له ، فقال له ابنُ سَيحان : زوّدوني من شرابكم هذا ، فزوّدوه إداوةً ملأها له من شرابهم ، فكان يشربها في طريقه حتى قَدِمَ على أهله ، فألقاها في جانب بيته

(١) جمع معتف وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق .

فارغةٌ، فمكث زماناً لا يذكرها، ثم كَنَسوا البيتَ فرآها مُلقاةً في الكُناسة فقال :

لا تَبعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ ... كانتْ حديثاً للشرابِ العاتِقِ
إن تُصبحي لا شيءَ فيكِ فربّما ... أُترِعتِ من كأسٍ تَلَذُّ لذائقِ
بأبي الوليدُ وأمّ نفسي كلّما ... بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قرنُ الشارقِ
كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ ... وشمائلٍ مَيمونةٍ وخلائقِ
وكرامةٍ للمُعتَفينَ إذا اعْتَفَوْا ... في ماله حقّاً وقولٍ صادقِ
أثوى فأكرمَ في الثّواء وقُضِيَتْ ... حاجاتُنا من عندِ أروعَ باسِقِ
لمّا أتيناه أتينا ماجدَ الـ ... أخلاقِ سبّاقاً لقرمٍ(١) سابقِ
قال الوليدُ يَدي لكم رهنٌ بما ... حاولتُمُ من صامتٍ أو ناطقِ
فإلى الوليدِ اليومَ حنّتْ ناقتي ... تَهوي بمُغبَرِّ المتُونِ سَمالِقِ
حنّتْ إلى بَرقٍ فقلتُ لها قِري ... بَعضَ الحنينِ فإنّ شجوكِ شائقي

عندما ضرب ثمانين سوطاً:

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن عبد الله التّميمي الأصبهانيّ المعروف بالحزَنبَل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشّيباني عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي ، قالا جميعاً :

كان عبد الرحمن بن سَيحان قد غاظ مروانَ بنَ الحكم أيّام كان معاويةُ يُعاقِبُ بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحرَمَين ، وأنكر عليه أشياء بَلغتْه فغاظتْهُ : مِن مدحه سعيدا وانقطاعه اليه وسروره بولايته ، فرصَدَهُ حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحدّ ثمانين سوطاً . وقدِمَ البريدُ من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها ، حتى انتهى به الحديثُ إلى ابن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحدّ ثمانين ؛ فغضب معاوية

---

(١) القرم : السيد .

وقال: واللهِ لو كان حليفَ أبي العاص لما ضربه ولكنه ضربه لانه حليفُ حَرْبٍ، أليس هو الذي يقول:

وإني آمرؤٌ حِلفٌ إلى أفضل الوَرى عَديداً إذا ارْفَضَّتْ[1] عَصا المُتحلَّفِ[2]

كذِبَ واللهِ مروان، لا يَضربه في نبيذِ أهلِ المدينة وشكّهم وحُمقهم، ثم قال لكاتبه: أكتب الى مروان: فَليُبْطِل الحدّ عن ابن سيحان، وليَخطُب بذلك على المنبر، وليَقُل إنه كان ضرَبه على شُبهة ثم بانَ له أنه لم يشرَب مُسكراً، وليُعطِه ألفيْ درهم. فلما ورد الكتابُ على مروان عَظُم ذلك عليه، ودعا بابنه عبد الملك فقرَأه عليه وشاوره فيه؛ فقال له عبد الملك: راجِعْه ولا تُكذِّب نَفسَك، ولا تُبطِلْ حُكمَك؛ فقال مروان: أنا اعلم بمعاوية إذا عَزَم على شيء او أراده، لا والله لا أراجِعُه. فلما كان يومُ الجمعة وفرغ من الخطبة قال: وابنُ سيحان فإنا كشفنا أمرَه فإذا هو لم يشرب مُسكراً، وإذا نحن قد عجّلنا عليه، وقد أبطلتُ عنه الحدّ. ثم نزل فأرسل اليه بألفي درهم.

رئي سكران فشنعوا به وجلدوه:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال:

كان عبد الرحمن بن سيحان المُحاربيّ شاعراً، وكان حلوَ الاحاديث، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها، وكان على ذلك يُصيب من الشراب، فكان كلُّ مَن قدِم من وُلاة بني أميّة وأحداثهم ممن يُصيب الشراب يدعوه وينادمه، فلما وَلِيَ الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيان وعُزل مَروان وَجد[3]

---

(١) ارفضت: انشقت وتفرقت. والعصا يراد بها الجماعة، يقال: شق فلان عصا المسلمين إذا فرّق جماعتهم.

(٢) المتحلف: مصدر ميمي بمعنى المحالفة.

(٣) وجد موجدة: غضب.

مروانُ في نفسه وكان قد سَبَعَه[١]، فحقد ذلك عليه مروان وأضطغنه، وكان الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى أبن سيحان فيشرب معه، وأبن سيحان لا يظنّ أنّ مَروان يفعل به الذي فعله، وقد كان مدحه أبن سيحان ووَصله مروان، ولكنّ مروان أراد فضيحة الوليد، فرصده ليلةً في المسجد، وكان أبن سيحان يخرج في السَّحَر من عند الوليد ثَمِلا فيمرّ في المقصورة من المسجد حتى يخرجَ في زُقاقِ عاصِم، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلي، وكذلك عبد الله بن حَنْظَلة وغيرهما من القرّاء يَبيتون في المسجد يتهجّدون، فلمّا خرج أبن سَيحان ثَمِلا من دار الوليد أخذه مروان وأعوانُه، ثم دعا له محمدَ بنَ عمرو وعبد الله بن حَنْظَلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها، فدفعه إلى صاحب شُرطَته فحبسه؛ فلمّا أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلم أنّ مروان إنما أراد أن يفضحه، وأنه لو لقِيَ أبن سيحان ثَمِلا خارجاً من عند غيره لم يعرض له، فقال الوليد: لا يُبرِئني من هذا عند أهل المدينة إلا ضربُ ابن سيحان، فأمر صاحبَ شُرطَته فضربه الحدَّ ثم أرسله، فجلس أبن سيحان في بيته لا يخرُج حياءً من الناس، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له: ما يُجلسك في بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس؛ قال: اخرج أيها الرجل، وكان عبد الرحمن قد حمل له معه كُسْوة، فقال له: ٱلبَسْها ورُحْ معنا الى المسجد فهذا أحرى أن يُكذِّب به مُكذِّب، ثم تَرَحّلُ إلى أمير المؤمنين فتخبرُه بما صنع بك الوليد فإنه يَصِلُك ويُبطل هذا الحدَّ عنك؛ فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسطاً لهم حتى دخل المسجدَ فصلّى ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمن الى الأُسطُوانة[٢] فقائل يقول: لم يُضرب، وقائل يقول: أنا رأيته يُضرَب، وقائل يقول: عُزِّرَ أسواطاً.

حب معاوية له:

فمكث أياماً ثم رحل الى معاوية فدخل الى يزيد فشرب معه، وكلّم يزيد

---

(١) سبعه: طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح.

(٢) الأسطوانة: السارية والعمود.

أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصّته وما صنعه به مروان، فقال: قبّح الله الوليد ما أضعفَ عقله! أما استحيا من ضربك فيما شرب! واما مروان فإني كنتُ لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودّتك له، ولكنه أراد أن يضع الوليد عندي ولم يصب، وقد صيّر نفسه في حدّ كنّا نتزّهد عنه.

ابطاله الحد عنه:

صار شُرَطيا! ثم قال لكاتبه: اكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله معاوية أمير المؤمنين الى الوليد بن عُتبة. أمّا بعد، فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تَشربُ منه، ما زدتَ على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تَشرَبه مما حُرّم عليك، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان، وطُفْ به في حِلَق المسجد وأخبرهم أنّ صاحب شُرَطك تعدّى عليه وظلمه، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطل ذلك عنه، أليس ابنُ سيحان الذي يقول:

وإني امرُؤٌ أنمى إلى أفضل الورى ... عديداً إذا ارفَضّتْ عصا المُتحلّفِ
إلى نَضَدٍ[1] من عبد شمس كأنهم ... هِضابُ أجا[2] أركانها لم تَقَصّفِ
ميامينُ يَرْضَونَ الكِفايَة إن كُفُوا ... ويَكفون ما وُلّوا بغير تكلّفِ
غَطارِفةٌ[3] ساسوا البلاد فأحْسَنوا ... سياستها حتى أقرّت لمُرْدِفِ[4]
فمن يكُ منهم مُوسِراً يُفْشِ فضلَه ... ومن يكُ منهم مُعْسِراً يَتَعَفّفِ
وإن تُبْسَطِ النُّعمى لهم يَبْسُطوا بها ... أكُفّاً سِباطاً[5] نفعها غيرُ مُقْرَفِ[6]

(١) النضد: الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف.

(٢) أجا أصله أجأ بالهمز فأبدل الهمزة فقلبها حرف علة للضرورة كما في قوله: مثل خناذيذ أجا وصخره. وأجأ أحد جبلي طيء، والآخر يقال له سلمى.

(٣) جمع غطريف، والغطريف: السيد الشريف السخيّ الكثير الخير.

(٤) اسم فاعل من أردف بمعنى تبع.

(٥) سباطاً جمع سبط وهو السمح، يقال: فلان سبط الكفين أي سمحها قال حسان:

رب خال لي لو أبصرته ... سبط الكفين في اليوم الخصر

(٦) غير مقرف أي غير مشوب بما يشينه.

وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجّوا وتُلفِهِم قليلي التشكي عندها والتكلُّفِ
إذا أنصرفوا للحقّ يوماً تصرّفوا إذا الجـاهل الحيران لم يتصرَّفِ
سَمَوْا فعـلَوْا فوق البرية كلِّها ببُنيان عالٍ من مُنيفٍ ومُشرِفِ

قال : وكتب له بأن يُعطى أربعمائة شاةٍ وثلاثين لِقْحَة[١] مما يُوطِنُ السَّيالة[٢] وأعطاه هو خمسمائة دينار ؛ وأعطاه يزيدُ مائتي دينار . ثم قدِم بكتاب مُعاوية الى الوليد ، فطاف به في المسجد، وابطَل ذلك الحدّ عنه ، وأعطاه ما كتب به له مُعاوية . وكتب مُعاوية إلى مَرْوان يلومه فيما فعله بأبن سَيحان، وما أراده بذلك . ودعا الوليدُ عبدَ الرحمن بن سَيحان الى أن يعود للشرب معه ؛ فقال : والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً .

معاوية وأرطاة ايضاً :

أخبرني أحمد بن عبـد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أبو مسلم الغِفاريّ قال حدّثني موسى بن عبد العزيز قال :

أخذ أبنُ سَيحانَ الجَسْريّ – هكذا قال وهو غلط – في شراب في إمارة مرْوان، وكان حليفاً لأبي سُفيان بن حَرْب ، فضربه مَرْوان ثمانين سَوطاً على رؤوس الناس ، فكتب إلى مُعاوية يشكوه، فكتب اليه مُعاوية : أمّا بعـد فإنك أخذت حليف حَرْب فضربته ثمانين على رؤوس الناس ، والله لتُبطِلَنَّها عنه ، أو لأُقيدَنّه منك ؛ فقال مَرْوان لأبنهِ عبد الملك : ما ترَى ؟ قال أرى والله ألّا تفعل ؛ قال : ويْحك ! أنا اعلم بعزمات مُعاوية منك ، فصعِد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس، إنا كنا ضربنا أبنَ سَيْحان بشهادة رجل من الحَرَس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضاً ، فأشهدوا أني قد أبطلتُ ذلك الحدّ عنه .

---

(١) لقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٢) السيالة : ارض يطؤها طريق الحاج، قيل هي أوّل مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة. قال ابن الكلبي : مرّ تبع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة وواديها يسيل فسماها « السيالة » .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز ابن عِمْران قال :

ضَرب مَروانُ عبدَ الرحمن بنَ سَيحان في الخمر ثمانين سَوْطاً ، فكتب اليه مُعاوية : أمّا بعد ، فإنك ضربتَ عبد الرحمن في نبيذ أهل الشام الذي يَستعملونه وليس بحرام ، وإنما ضربتَه حيث كان حِلفُه الى أبي سُفيان بن حرب ، وأيْمُ الله لو كان حليفاً للحَكَم ما ضربتَه ، فأبطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرب مَن أخذَ معه : أخاك عبدَ الرحمن بنَ الحَكَم ؛ فأبطل مَرْوانُ عنه الحدّ ؛ فقال ابنُ سَيْحان في ذلك يذكر حِلفه :

إنّي امرؤٌ عَقْدي إلى أفضل الورى عَديداً إذا ارْفَضّتْ عصا المُتَخلّفِ

وقال الطُّوسيّ : كان عبدُ الرحمن بنُ الحَكَم أخو مَروان يشرب مع ابن سَيْحان، فلمّا ضرَبه مَرْوانُ الحدّ كتب اليه مُعاوية : والله لتُبطِلَنّه عنه أو لأبعثنّ إلى أخيك مَن يضرب ظهرَه بالسَّوْط في السُّوق، أليس ابن سيحان الذي يقول :

سَموْتُ بحِلفي للطِّوال من الرُّبى ولم تَلقَني قِنّاً لدى مَبْرَك الجُرْبِ
إذا ما حَليف الذُّل أقْفا(١) شخصَه ودَبَّ كما دبّ الحَسيرُ(٢) على نَقْبِ(٣)
وهَصْتُ(٤) الحصى لا أخْنسَ(٥) الأنفِ قابعاً(٦) إذا أنا راخى لي خِناقي بنو حَرْبِ

---

(١) أقفا : صغر وذلل .

(٢) الحسير : المعيى .

(٣) النقب : رقة الاخفاف وهو من باب فرح يقال : نقب خف البعير نقباً اذا حفي حتى يتخرق فرسنه، وتسكين القاف هنا لضرورة الوزن .

(٤) وهصت : دققت وكسرت .

(٥) لا أخنس من الخنس وهو انخفاض القصبة وعرض الارنبة .

(٦) أي مستخفياً، من القبوع وهو أن يدخل الإنسان رأسه في قميصه . ويسمى القنفذ القبع لأنه يقبع رأسه بين شوكه أي يخبؤه ، ويقال : فلان يقبع قبوع القنفذ اذا توارى .

كان مع سعيد بن عثمان حين قتله وهرب عنه ثم رثاه :

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء وأحمد بن سُليمان الطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصعَب وغيره قالوا :

قدِم سعيد بن عثمانَ المدينةَ فقتله غِلمانٌ جاء بهم من الصُّغْد[١]، وكان معه عبد الرحمن بن أرْطاةَ بن سَيْحان حَليفُ بني حرب بن أمية ، فهرَب عنه لما قتلوه، فقال خالد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط يرثي سعيدَ بن عثمان – وعثمانُ أخوه لأمه – :

يا عينُ جُودي بدمع منك تَهْتانا وأبكي سعيدَ بنَ عثمانَ بن عَفّانا
إنّ أبنَ زينَةَ لم تصدق مودّتُه وفرّ عنه أبنُ أرطاةَ بنِ سَيحانا

فقال أبن سَيحانَ يعتذر من ذلك :

يقول رجالٌ قد دعاك فلم تُجِبْ وذلك من تِلقاء مثلِك رائـعُ
فإن كان نادى دعوةً فسمعتُها فشَلَّتْ يدي وأَستكّ[٢] مني المسامعُ
وإلا فكانت بالذي قـال باطلًا ودارتْ عليهِ الدائراتُ القوارعُ
يلومونني أن كنتُ في الدار حاسراً وقد فرّ عنه خالدٌ وهو دارعُ[٣]

فقال بعض الشعراء يجيبه :

فإنك لم تسمعْ ولكن رأيتَهُ بعينيك إذ مَجْراك في الدار واسعُ
وأسلمتَهُ للصُّغْد تَدمى كُلومُـه وفارقتَهُ والصوتُ في الدار شائعُ
وما كان فيهـا خالدٌ بمعذِرٍ[٤] سواء عليه صَمّ أو هو سامعُ

(١) الصغد : ناحية كثيرة المياه نضرة الأشجار مؤنقة الرياض تمتد مسيرة خمسة ايام لا تقع الشمس على كثير من اراضيها ولا تبين القرى من خلال اشجارها وقصبتها «سمرقند» .
(٢) أي صمت وضاقت، ومنه قول النابغة :
أتاني أبيت اللعن أنـك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع
(٣) الدارع : لابس الدرع .
(٤) المعذر : الذي لم يثبت له عذر .

فلا زلتُما في غُلِّ سوءٍ بعبرةٍ وداراتْ عليكم بالشماتِ القوارعُ

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال:

لما قُتل سعيدُ بن عثمان بن عفّان قالت أمّهُ: أشتهي أن يرثيَه شاعرٌ كما في نفسي حتى أعطيَهُ ما يَحْتكِم؛ فقال ابن سَيحان:

إن كنتِ باكيةً فتًى فأبكي هَبِلْتِ[1] على سعيدِ:
فارقَ أهلَكَ بغتةً وجلَبْتَ حَتفَكَ من بَعيدِ
أذري دموعَكِ والدِما ءَ على الشَّهيدِ ابن الشهيدِ

فقالت: هكذا كنت أشتهي ان يقال فيه، ووصلتِ ابن سَيحان. وكانت تندُبُهُ بهذا الشعر.

وقال أبو عمرو في روايته التي ذكرتُها عن عمي عن الخزنبل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال:

جلس ابنُ سَيحان وخالدُ بن عُقْبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدّثان، فجرى ذكره فبكيا جميعاً عليه، فقال ابن سيحان يرثيه:

ألا إنّ خيرَ الناس إن كنتَ سائلًا سعيدُ بنُ عثمانَ القتيلُ بلا ذَحْلِ[2]
تداعت عليهِ عُصْبةٌ فارسيّةٌ فأضحى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلي

وقال خالد بن عُقْبة:

ألا إنّ خيرَ الناس نفساً ووالداً سعيدُ بن عثمانٍ قتيلُ الأعاجمِ
بكتْ عينُ من لم يَبكِهِ وَسْطَ يَثْربٍ مَدى الدهرِ منه بالدموع السَّواجمِ
فإن تكن الأيامُ أرْدتْ صروفُها سعيداً فمَنْ هذا عليها بسالمِ

(١) هبلت: ثكلت، يقال هبلته أمه هبلاً أي ثكلته.

(٢) الذحل: الثأر.

قال الحَزَنْبَلُ: أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سَيحان قال عمي وأنشدني السُكَّريّ عن ابن حبيبَ والطُّوسيّ له:

صوت

رحِمَ اللهُ صاحِبيَّ أَبَنيِ الحا رِث إذ يَنْهَيانني أن أَبوحا
بالتي تيَّمتْ فؤادي وأن أذْ رِي دموعي على ردائي سُفوحاً[١]
في مَغاني منازلٍ من حبيبٍ باشرتْ بعده قِطاراً[٢] وريحا
ولقد قلتُ للفؤاد ولكن كان قِدْماً إلى هواه جَموحاً
قلتُ أَقصِرْ عن بعض حُبِّك أرْوى إن بعض الحِبابِ[٣] كان فُضوحاً
فعصاني، فليس يسمعُ قولاً من حمامٍ على الأراكِ، جُنوحاً
أمَ يحيي تقبَّل اللهُ يحيي بقَبول كما تقبَّلَ نُوحاً
أمَّ يحيي لولا طِلابُكِ قد سِحْـتُ مع الوحشِ أو لَبِسْتُ المُسوحاً[٤]
ولقد قلت لا أُحدِّث سِراً سرَّ أخرى ما دمتُ أمشي صحيحاً

الغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أولَ بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس. وفيه للغَريض ثقيلٌ أولُ عن الهشاميّ. وفيه لزُريق رَمَل.

قال أبو عمرو: وابنُ سَيحان الذي يقول:

ألا هل هاجَك الأظعا نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلحاً

عندما هجا بني مطيع:

والناس يَرْوُونه لعمرَ بن أبي ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعاً. وقال أبو

(١) سفح الدمع سفوحاً: صبه.
(٢) قطاراً: جمع قطر وهو المطر.
(٣) الحباب: المحابة والموادّ والحبّ، قال أبو ذؤيب:
فقلت لقلبي يا لك الخير إنما يدليك للخير الجديد حبابها
(٤) المسوح: جمع مسح وهو الكساء من الشعر.

عمرو في خبره : كان ابنُ سيحان يحدّث قال : كنتُ آلفُ من قريش أهلَ بيتين سوى من كنت منقطعاً اليه من بني أمية : بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وبني مُطيع ، فلما ضربني مروانُ الحدَّ جئتُ فجلست الى بني مُطيع كما كنت أجلس ، فلما رأوني عرفتُ الكراهةَ في وجوههم ، والله ما أقبلوا عليّ بحديثهم ولا وسّعوا لي ، فانصرفتُ ورُحت إلى بني عبد الرحمن ، فلما رأوني أقبلوا بوجوههم عليَّ وحيّوا ورحّبوا وسهّلوا ووسّعوا ، ورفعوني إلى حيثُ لم أكنْ أجلس ، وأقبلوا عليّ بوجوههم يحدّثونني وقالوا : لعلّك خشعْتَ للذي لحقك ، أما والله لقد علم الناسُ أنك مظلوم ، وظلّموا[1] مروانَ في فعله ، ورأوا أنه قد أساء وأخطأ في شأنك ، وقالوا : ما ضرّكَ ذلك ولا نقصك ولا زادك إلا خيراً ، ولم يزالوا حتى بسطوني ، فقلتُ أمدحهم وأذمّ بني مُطيع .

لقد حرّمتُ وُدَّ بني مُطيعٍ   حَرامَ الدُّهنِ للرجل الحَرامِ[2]
وإن جنَفَ[3] الزمانُ مددتُ حبلاً   مَتيناً من حِبالِ بني هِشامِ
رَطيبٌ عودُهم أبداً وريقٌ   إذا ما اغبرَّ عِيدانُ اللئامِ

عندما لامته امرأته على مبيته خارج المنزل :

وقال أبو عمرو في خبره : كان عبد الرحمن بن سَيحان يُنادِم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سَكرانُ فيُحَدَّ ، فقالت له امرأته : قد صرتَ لا تبيت في منزلك وأظنك قد تزوّجتَ ، وإلا فما مَبيتُك عن أهلك ! فقال لها :

لا تَعذَميني نَديماً ماجِداً أَنِفاً   لا قائلاً قاذِفاً خَلقاً ببُهتانِ
أغرَّ راووقُهُ[4] مَلآنُ صافيةً   تَنفي القَذى عن جَبينٍ غيرِ خَزيانِ

(١) ظلّموه : نسبوه الى الظلم .
(٢) الحرام : المحرم بحج أو عمرة .
(٣) جنف : جار ومال .
(٤) الراووق : ناجود الشراب الذي يروّق به فيصفى . والشراب يتروّق منه من غير عصر .

سَبيئةٌ(١) من قُرى بَيْروتَ صافية ... عَذْراء أو سُبِئَتْ من أرض بَيْسانِ(٢)
إنا لنَشرُبها حتى تَميلَ بنا ... كما تَمايلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ(٣)

كان يقول لمن يشرب الزبيب اشرب الخمر فالوزر واحد :

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصِم بن الحَدَثانِ قال :

كان ابن سَيحان صاحبَ شَراب، فدخل على ابن عمّ له يقال له الحارث بن سَريع فوجده يشرب نبيذ زبيبٍ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر، وقال له : يابن سَريع، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنك أحمق، وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشرب أجوَده فإن الوِزْر واحد، ثم قال :

دَعِ ابنَ سَريع شُربَ ما مات مرةً ... وخُذْها سُلافاً حيةً مُزّةَ الطعْمِ
تَدَعْك على مُلكِ ابن ساسانَ قادراً ... إذا حرّمت قرّاؤنا حَلَبَ الكرْمِ
فشتّان بين الحيّ والمَيْتِ فاعتزِمْ ... على مُزّةٍ صَفراء راوُوقُها يَهمي
فإنّ سَريعاً كان أوصى بحبّها ... بَنيهِ وعمّي جاوز اللهُ عن عمّي
ويا رُبّ يومٍ قد شهدتُ بني أبي ... عليها الى أن غاب تاليةُ(٤) النّجمِ
حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ ... تُدار عليهم بالصغيرِ وبالضّخْمِ
فماتوا وعاشوا والمُدامة بينهم ... مُشَعْشَعَةٌ(٥) كالنجم تُوصَف بالوَهْمِ

(١) سبيئة أي مسبوءة من قولهم : سبأ الخمر أي اشتراها ليشربها كما في الصحاح أو اشتراها ليحملها الى بلد آخر كما في غيره .
(٢) بيسان : مدينة بالأردن وهي بين حوران وفلسطين، قال ياقوت في معجم البلدان : واليها فيما أحسب ينسب الخمر .
(٣) الوسنان : النائم الذي ليس بمستغرق في النوم .
(٤) توالي كل شيء آخره وتاليات النجوم أخراها .
(٥) مشعشعة : ممزوجة، يقال : شعشع الشراب : مزجه بالماء .

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال:

كان أبن سَيحان حَليفَ حَرْب بن أمية ينادِم الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيط ويشرب معه الخمر، وهو القائل:

إصبَحْ(١) نَديمَكَ من صَهْباء صافيةٍ ... حتى يروح كريماً ناعمَ البـالِ
وأشرَبْ هُديتَ أبا وَهْبٍ مُجاهَرَةً ... وأختَلْ فإنك من قوم أولي خالِ(٢)
أنتَ الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمدَتْ ... أيدي الرجال بما تَحويهِ من مالِ
لولا رجاؤكَ قد شَمَّرَتْ مُرتحلاً ... عَنساً(٣) تُعاقِبُ تَخويداً(٤) بإرقالِ(٥)
لما تَواصَوا بقتـلي قمتُ مُعترماً ... حتى حَمَيْتُ من الأعداء أوصالي
عمّ الوليدُ بمعروفٍ عشيرَتـه ... والأبعدون حَظوا منه بإفضالِ

بات الوليد يعاطيني مشعشعة:

قال وكان أبن سَيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بيّنة، فتآمر به القومُ ومنع منه أبن خال له منهم؛ وخاف الوَليد بن عُقْبة أن يرجع الى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقَه وينقطع عنه، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبهم. فلم يزل عند الوليد حتى عُزِل وهو نَديمُه وصفيُّه. وهو القائل في الوليد — وفيه غناء —:

(١) أي أسقه صبوحاً، قال طرفة:
متى تأتني أصبحك كأساً روية
(٢) الخال: الخيلاء، والكبر.
(٣) العنس في الأصل: الصخرة، ويقال على الناقة القوية تشبيهاً لها بالصخرة لصلابتها.
(٤) التخويد: ضرب من السير، يقال: خوّد البعير: أسرع وزج بقوائمه، وقيل: هو ان يهتز كأنه يضطرب.
(٥) الإرقال: ضرب من السير فوق الخبب.

صوت

بَاتَ الوَلِيدُ يُعاطيني مُشَعْشَعَةً حتى هَوَيْتُ صَريعاً بين أصحابي

في الغناء، بات الكريم يعاطيني.

لا أستطيع نهوضاً إن هَمَمْتُ به وما أُنَهْنَهُ[1] من حَبْوٍ وتَشرابِ
حتى إذا الصبحُ لاحتْ لي جوانبُهُ ولَّيْتُ أسحبُ نحوَ القومِ أثوابي
كأنني من حُمَيًّا كأسِهِ جَمَلٌ صَحَّتْ قوائمُهُ من بعد أوْصابِ

ويروى:

كأنني من حُمَيًّا كأسِهِ ظَلِعٌ

الغناء ليَحْيى المكيّ – ورُوِي ضَلعٌ[2] – خَفيفُ ثَقيلٍ بالبنصر عن الهشاميّ وبَذْل. قال قالت بَذْل: وفيه لحنٌ آخرُ ليحيى؛ ولم تذكر طريقته.

قصة تبرئه لسعيد ابن العاص من الشرب وما قاله في ذلك:

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني أبو قُهَيرة قال:

دخل عبد الرحمن بن أرْطاة على سَعيد بن العاص وهو أميرُ المدينة؛ فقال له: ألستَ القائل:

إنّا لنشرَبُها حتى تَميلَ بنا كما تَمايلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبد الرحمن: مَعاذَ الله أن أشرَبَها وأنعتها، ولكنّي الذي أقول:

سَموْتُ بحِلْني للطِّوال مِنَ الذُّرى ولم تَلْقَني كالنَّسْرِ في ملتقَى جَذْبِ

(١) نهنه عن الشيء: زجره وكفه.
(٢) الضلع وصف من الضلع وهو كالظلع بالظاء: الميل في المشي.

أجارتنا إن الخطوبَ تَنوبُ وإني مُقيمٌ ما أقام عَسيبُ

والبيت الثالث لشاعر من شعراء الجاهلية ، وتمثل به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عَقيل بن أبي طالب ، فنقله ابن ميَّادة نقلًا . ونرجع إلى باقي شعر ابن ميادة :

جَرى بأَنبِتاتِ الحَبل من أمّ جحدرٍ ظباءٌ وطيرٌ بالفراق نَعوبُ
نظرتُ فلم أعتَفْ وعافتْ فبيَّنَت لها الطيرُ قبلي واللبيبُ لبيبُ
فقالت حرامٌ أن نُرى بعد هذه جميعَينِ إلا أن يُلِمَّ غريبُ
أجارَتنا صبراً فيا رُبَّ هالكٍ تَقطَّعُ من وَجدٍ عليه قلوبُ

رحل الى الشام ليراها فردته :

قال : ثم انحدرتُ في طلبها ، وطمِعتُ في كلمتها : « إلا أن نجتمع في بلد غير هذا البلد » . قال : فجئت فدُرتُ الشامَ زماناً فتلقّاني زوجها فقال : ما لك لا تغسل ثيابَك هذه ! أرسلْ الى الدار تُغسَل ، فأرسلتُ بها ؛ ثم إني وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب ، فقالت أمّ جحدر لجاريتها : إذا جاء فأعلميني ؛ فلما جئتُ إذا أمّ جحدرٍ وراء الباب فقالت : وَيحَكَ يا رمّاح ! قد كنت أحسب أن لك عقلًا ! أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسُنا عنه ؟ انصرفْ إلى عشيرتك فإني أستحيي لك من هذا المُقام ؛ فانصرفتُ وأنا أقول :

صوت

عسى إن حَجَجْنا أن نرى أمّ جَحْدَرٍ ويجمعَنا من نَخلَتَينِ[1] طريقُ
وتَصْطَكَّ أعضادُ المَطِيِّ وبيننا حديثٌ مُسَرٌّ دونَ كل رَفيقِ[2]

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثاني ذكر الهشاميّ أنه للحَجَبيّ .

(١) النخلتان : واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله ، ويقال لها النخلة اليمانية والنخلة الشامية .
(٢) في هذين البيتين إقواء وهو اختلاف حركة الروي .

شعره فيها :

وقال حين خرج الى الشام – هذه رواية ابن شَبيب – :

ألا حيِّيا رَسماً بذي العشِّ مُقفِرا ... وربعاً بذي المَمْدورِ مستعجِماً قَفرَا
فأعجبُ دارٍ دارُها غيرَ أنني ... إذا ما أتيتُ الدار تَرجِعُني صِفرًا[1]
عشيةَ أثني بالرِّداء على الحشى ... كأنَّ الحشى من دونه أُسعِرَتْ جَمرَا
يَميلُ بنا شَحطُ النوى ثم نلتقي ... عِدادَ الثُّريّا[2] صادفتْ ليلةً بَدرَا
وبالغَمرِ قد جازتْ وجاز مطيُّها ... فأسقى الغَوادي بَطنَ نَيأنَ فالغَمرَا
خليليّ من غَيظِ بن مُرّةَ بلّغا ... رسائلَ مني لا تَزيدكُما وِقرَا
ألا ليت شعري هل إلى أمّ جحدرٍ ... سَبيلٌ، فأما الصبرُ عنها فلا صَبرَا
فإن يكُ نَذرٌ راجعاً أمّ جحدرٍ ... عليّ لقد أوذَمتُ[3] في عُنُقي نَذرَا
وإني لأستنشي[4] الحديثَ من اجلِها ... لأسمعَ منها وهي نازحةٌ ذِكرَا
وإني لأستحيي من الله أن أرى ... إذا غدَرَ الخُلّانُ أنوي لها غَدرَا

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن مَيّادة وهو يضحك منذُ أنشدني إلى أن سكت :

---

(١) الصفر (مثلث الصاد) : الشيء الخالي ، يقال : بيت صفر من المتاع أي خال ، ورجل صفر اليدين أي ليس فيها شيء . وهو مأخوذ من الصفير وهو الصوت الخالي عن الحروف .

(٢) العرب تقول : ما يأتينا فلان الا عداد القمر الثريا وإلا قران القمر الثريا أي ما يأتينا في السنة إلا مرة واحدة ، أنشد أبو الهيثم لأسيد بن الحلاحل :

إذا ما قارن القمر الثريا ... لثالثة فقد ذهب الشتاء

قال ابو الهيثم : وإنما يقارن القمر الثريا ليلة ثالثة من الهلال وذلك اوّل الربيع وآخر الشتاء . وقيل هي ليلة في كل شهر تلتقي فيها الثريا والقمر .

(٣) أوذمت : أوجبت ، يقال : أوذم على نفسه حجا او سفراً أي أوجبه .

(٤) استنشي الحديث : أتعرّفه وأبحث عنه ، ومنه المستنشية الكاهنة ، لانها كانت تستنشي الاخبار أي تبحث عنها .

ألم ترَ أنّ الصاردِيّةَ(١) جاورتْ ليالِيَ بالمَنْدور غيرَ كثيرِ
ثلاثاً فلمّا أن أصابتْ فؤادَه بسَهْمَيْنِ من كُحْلٍ دعتْ بهَجيرِ
بأصْهَبَ(٢) يَرمي للزِّمام برأسه كأنّ على ذِفْراه(٣) نَضْخَ(٤) عَبيرِ
جلتْ إذ جلت عن أهل نجدٍ حميدةً جَلاءَ غنيٍّ لا جلاءَ فقيرِ
وقالت وما زادتْ على أن تبسّمتْ عَذيرَكَ(٥) من ذي شَيبةٍ وعَذيري
عَدمتُ الهوى ما يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِداً(٦) لقلبي بسهمٍ في اليدين طَريرِ(٧)
وقد كان قلبي مات للوَجْد مَوْتَةً فقد هَمَّ قلبي بعدَها بنُشورِ

قال : فقلت : ما أضحكَكَ ؟ فقال : كذب ابنُ مَيّادة ، والله ما جَلتْ إلا على حمار وهو يذكر بعيراً ويَصِفُه وأنها جَلَتْ جلاءَ غنيّ لا جلاءَ فقيرٍ ، فأنطقه الشيطان بهذا كلّه كما سمعت .

أخبرني الحَرَميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني موسى بن زُهير قال : مكثتْ أمّ جَحدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجُها عنها ومات ولدُها منه فقدِمتْ نجداً على إخوتها وقد مات أبوها .

كيف روى خبره مع ام جحدر :

أخبرني سيّار بن نجيح المُزنيّ قال : لقيتُ ابنَ ميّادة وهو يبكي فقلت له :

---

(١) الصاردية : نسبة الى بني صارد وهم حيّ من بني مرّة بن عوف بن غطفان ، ومنهم الشاعر حلس بن قراد الصاردي .

(٢) الصهبة في لون الابل : ان يعلو الشعر حمرة واصوله سود فاذا دهن خيل اليك انه أسود. وقيل : هي أن يحمرّ الشعر كله .

(٣) الذفرى : الموضع الذي يعرق من البعير خلف الاذن .

(٤) يقال : نضخت الثوب نضخاً (من بابي طرب ونفع) اذا بللته ، كالنضح بالحاء . وقد اختلف في ايهما أكثر، والاكثر أن النضخ بالمعجمة أقل من النضح بالمهملة . وفرق الاصمعيّ بينهما فقال في النضخ: إنه لا يتصرف فلا يرد منه فعل ولا فاعل فلا يقال الا أصابني نضخ من كذا .

(٥) يقال : عذيرك من فلان بالنصب أي هات من يعذرك منه اذا جازيته بصنعه .

(٦) مقصداً : مصيباً قاتلا ، تقول : أقصدت الرجل اذا رميته أو طعنته بسهم فلم تخطىء مقاتله .

(٧) السهم الطرير : المحدّد .

وَيحَكَ! مالك؟ قال: أخرجتني أمُّ جحدر وآلتْ يميناً ألا تكلّمني، فانطلِق فاشفعْ لي عندها؛ فخرجتُ حتى غشيتُ رِواقَ بيتها فوجدتُها وهي تدمُكُ[١] جريراً لها بين الصَّلايَةِ[٢] والمُدُقّ تريد أن تخطِم به بعيراً تحجّ عليه؛ فقالت: إن كنت جئت شفيعاً لابن ميّادة فبيتي حرامٌ عليك أن تلتيَ فيه قدمَك. قال: فخجِتْ، ولا والله ما كلّمته ولا رآها ولا رأته. قال موسى قال سيّار: فقلت له: اذكرْ لي يوماً رأيته منها؛ فقال لي: أما والله لأخبرنّك يا سيّار بذلك: بعثتُ اليها عجوزاً منهم فقلتُ: هل تَرَيْنَ من رجالٍ؟ فقالت: لا والله، ما رأيتُ من رجل؛ فألقيتُ رَحْلي على ناقتي ثم أرسلتُها حتى أنختُها بين أطنابِ بيتهم؛ ثم جعلتُ أقيّد الناقة، فما كان إلا ذاك حتى دخلتُ وقد ألقتْ لي فراشاً مرقوماً مطموماً، وطرحتْ لي وسادتين على عجُز الفِراش وأخريين على مقدّمه؛ قال: ثم تحدّثنا ساعةً وكأنما تُلغِتُني بحديثها الرُّبّ[٣] من حلاوته، ثم إذا هي تَصُبُّ في عُسٍّ[٤] مخضوبٍ بالحِناء والزعفران من ألبان اللِّقاح، فأخذتُ منها ذلك العُسَّ وكأنه قناةٌ فراوحتُه بين يديّ، ما ألقمتُه فمي ولا دَرَيتُ أنه معي حتى قالت لي عجوز: ألا تصلّي يابنَ ميّادة لا صلّى الله عليك فقد أظلّك صدر النهار! ولا أحسَب إلا أنني في أوّل البُكرة؛ قال: فكان ذلك اليومُ آخرَ يومٍ كلّمتُها فيه حتى زوّجها أبوها؛ وهو أظرفُ ما كان بيني وبينها.

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حَكم ابن طلحة الفَزاريّ ثم المنظوريّ قال:

قال ابن ميّادة: إني لأعلم أقصر يومٍ مرّ بي من الدهر، قيل له: وأيُّ يوم هو يا أبا الشّرَحبيل؟ قال: يومٌ جئتُ فيه أمّ جحدرٍ باكراً فجلستُ بفِناء بيتها

---

(١) تدمك: ترقق وتلين. والجرير: حبل من أدم ملين يخطم به البعير.

(٢) الصلاية: كل حجر عريض يدق عليه عطر أو حنظل.

(٣) الرب بالضم: دبس الرطب اذا طبخ.

(٤) العس القدح الضخم يروي الثلاثة والاربعة والعدّة. وفي الحديث أنه «كان يغتسل في عس حزر ثمانية أرطال أو تسعة».

فدعت لي بعُسٍّ من لبن فأتيتُ به وهي تحدّثني ، فوضعتُه على يدي وكرهتُ أن أقطع حديثَها إن شربتُ ، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر اليها حتى فاتتني صلاةُ الظهر وما شربت .

قال الزبير : وحدّثني أبو مسلمة موهوب بن رَشيد بمثل هذا ، وزاد في خبره : وقال ابن ميّادة فيها أيضاً :

ألم ترَ أن الصاردِيَّةَ جاورتْ ... ليالِيَ بالممْدور غيرَ كثيرِ
ثلاثاً فلما أن أصابتْ فؤادَه ... بسهمَيْن من كحل دعتْ بهجيرِ
بأحمرَ ذَيّالِ العَسيبِ مفرَّجٍ[1] ... كأنّ على ذِفراه نَضخَ عَبيرِ
حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... زفيفَ القَطا يقطعنَ بطنَ هَبيرِ[2]
لقد كاد حبُّ الصاردِيّةِ بعد ما ... علا في سَواد الرأسِ نَبذُ قَتيرِ[3]
يكون سَفاهاً أو يكون ضمانةً[4] ... على ما مضى من نعمةٍ وعُصورِ
عدِمتُ الهوى لا يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِداً ... لقلبي بسهمٍ في الفؤاد طريرِ
وقد كان قلبي مات للحبّ موتةً ... فقد هَمَّ قلبي بعدها بنُشورِ
جَلَتْ إذ جلتْ عن أهلِ نَجدٍ حميدةً ... جلاءَ غنيٍّ لا جلاءَ فقيرِ

ومما يغنى فيه من أشعار ابن ميّادة في النَّسيب بأمّ جحدر قوله :

صوت

ألا يا لَقَومي لِلهوى والتذكُّرِ ... وعينٍ قَذَى إنسانِها أمُّ جحدرِ[5]

---

(١) الذيال : طويل الذيل . والعسيب : عظم الذنب ، وقيل منبت الشعر منه . والمفرج : ما بان مرفقه عن إبطه .

(٢) الهبير : رمل زرود في طريق مكة .

(٣) القتير : المشيب . وأصل القتير رؤوس مسامير حلق الدروع تلوح فيها ، شبه بها الشيب اذا نقب في سواد الشعر . ونبذ القتير : الشيء القليل منه ، يقال : في اللحية نبذ من شيب ، أي قليل .

(٤) الضمانة : البلاء .

(٥) لعل المراد أنّ أم جحدر سبب جريان دموعه كما أنّ القذى يقع في العين فتسيل دموعها .

فلم تَرَ عيني مثلَ قلبيَ لم يَطِرْ ولا كضلوعٍ فوقَه لم تُكسَّرِ

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

جاءه سيار في حالة فرأى جاريته وسمع شعره فيها :

أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا حكيم ابن طلحة الفزاريّ عن رجل من كلبٍ قال :

جنيتُ جنايةً فغرِمتُ فيها ، فنهضتُ إلى أخوالي بني مُرّة فاستعنتهم فأعانوني، فأتيتُ سيّار بن نجيح أحدَ بني سلمى بنِ ظالم فأعانني، ثم قال : انهضْ بنا الى الرمّاح ابن أبرد — يعني ابن ميّادة — حتى يُعينك ، فدفعنا[1] إلى بيتين له ، فسألنا عنه فقيل : ذهبَ أمس ؛ فقال سيّار : ذهب الى أمَةٍ لبني سُهيل ، فخرجنا في طلبه فوقعنا عليه في قَرارةٍ[2] بيضاء بين حَرّتين[3] ، وفي القرارة غنمٌ من الضأن سودٌ وبيضٌ ، وإذا حمارٌ مُقيّد مع الغنم واذا به معها ، فجلسنا فإذا شابّة حلوة صفراء في دُرّاعةٍ مُورّسةٍ[4] ، فسلّمنا وجلسنا ؛ فقال : أنشديهم مما قلتُ فيكِ شيئاً ؛ فأنشدتنا :

يُمنّونني منكِ اللقاء وإنني لأعلمُ لا ألقاكِ من دون قابلِ
إلى ذاك ما حارتْ أمورُكِ وانجلتْ غيايةُ[5] حُبّيكِ انجلاء المخايلِ[6]

---

(١) دفع الى كذا : انتهى اليه .

(٢) القرارة : المطمئن من الارض . وقال ابو حنيفة : القرارة : كل مطمئن آندفع اليه الماء فاستقرّ فيه .

(٣) الحرّة : الارض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .

(٤) مورّسة : مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر يكون باليمن .

(٥) الغياية : كل ما أظلك من سحاب أو غبرة أو نحوها . وفي الاصول : « غيابة » .

(٦) المخايل : جمع مخيلة وهي السحابة التي اذا رأيتها حسبتها ماطرة .

إذا حلّ أهلي بالجناب[1] وأهلها ... بحيث التقى الغلّان[2] من ذي أرائلِ
أقلْ خلّةٌ بانتْ وأدبر وصلُها ... تقطّع منها باقياتُ الحبائلِ
وحالتْ شهورُ الصيفِ بيني وبينها ... ورفعُ الأعادي كلَّ حقٍّ وباطلِ
أقول لعذّاليَّ لما تقابلا ... عليَّ بلومٍ مثلِ طعنِ المعابلِ[3]
فلا تكثرنْ عنها السؤالَ فإنها ... مُصَلصِلةٌ[4] من بعض تلك الصلاصِلِ[5]
من الصُّفرِ لا ورهاءُ[6] سمجٌ[7] دلالُها ... وليستْ من السُّودِ القِصارِ الحَوائلِ[8]
ولكنّها ريحانةٌ طاب نَشرُها ... وردتُ عليها بالضُّحى والأصائلِ

ثم قال لها: قومي فاطّرحي عنكِ درّاعتكِ، فقالت: لا حتى يقول لي سيّار ابن نجيح ذلك، فأبى سيّار؛ فقال له ابن ميّادة: لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما فقال لها فقامتْ فطرحتْها، فما رأيتُ أحلى منها. فقال له سيّار: فما لك يا أبا الشَّرَحبيل لا تشتريها؟ فقال: إذن يفسُد حبُّها.

ابن ميادة وابن الجعد الخضري:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثتني مُغيرةُ بنتُ أبي عديّ بن عبد الجبّار بن منظور بن زبّان بن سيّار الفزاريّة قالت أخبرني أبي قال:

---

(١) الجناب بكسر الجيم: أرض لغطفان كما نقل ابو حاتم عن الاصمعي، وقيل أرض بين فزارة وكلب، وقيل أرض لفزارة وعذرة. ويدل على أن لعذرة فيه شركة قول جميل لبثينة: ما رأيت عبد الله بن عمرو بن عثمان يمرّ على البلاط إلا غرت عليك وأنت بالجناب. وكان عبد الله هذا فائق الجمال.

(٢) الغلان بالضم: منابت الطلح، وهي اودية غامضة في الأرض ذات شجر واحدها غال وغليل.

(٣) المعابل جمع معبلة، والمعبلة: نصل طويل عريض، وفي باقي الاصول «المعاول».

(٤) مصلصلة: مصوّتة.

(٥) قال الليث: الصلصل: طائر تسميه العجم الفاختة، ويقال: بل هو الذي يشبهها. وقال الأزهري: الصلصلة والعكرمة والسعدانة: الحمامة.

(٦) ورهاء: خرقاء بالعمل، من الوره وهو الحمق.

(٧) السمج: الذي لا ملاحة فيه.

(٨) الحوائل: جمع حائلة وهي المتغيرة اللون، يقال: رجل حائل اللون اذا كان اسود متغيراً وحال لونه أي اسودّ.

جمعني وأبنَ ميادة وصخرَ بن الجعْد الخضريّ مجلسٌ، فأنشدنا ابن ميادة قوله:

يُمَنُّونَني منكِ اللقاء وإنني ... لأعلمُ لا ألقاكِ من دون قابلِ

فأقبل عليه صخر فقال له: المحبّ المكِبُّ يرجو الفائتَ ويَغُمّ الطيرَ، وأراك حسَنَ العَزاء يا أبا الشَّرْحبيل؛ فأعرض عنه ابنُ ميادة. قال أبو عديّ فقلت:

صادَفَ درْءُ[1] السَّيل سيلاً يَدْرَءُه ... بهَضْبةٍ تَرُدُّه وتدفَعُهْ

— ويروى: دَرْءُ السيل سيلٌ — فقال لي: يا أبا عديّ، والله لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين وقد قال أخو عُذرة:

هو العبدُ أقصى همّه أن تَسُبَّه ... وكان سِبابُ الحرّ أقصى مدى العَبْدِ

قال الزبير: قوله يغمّ الطيرَ يقول: إذا رأى طيراً لم يزْجُرْها مخافةَ أن يقع ما يكره. قال: فلم يُحِرْ إليه صخر بن الجعْد جواباً. يعني بقوله: «لا أتلطخ بالخُضر مرّتين» مُهاجاته الحكَم الخُضريّ، وكانا تهاجيا زماناً ثم كفّ ابنُ ميادة وسأله الصلحَ فصالَحه الحكم.

ابن ميادة والخضري:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني أبو مَسْلَمةَ موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبيّ ثم الخَوْلانيّ قال:

كان أوّل ما بدأ الهجاء بين ابن ميادة وحكم بن معْمر الخُضريّ أن ابنَ ميادة مرّ بالحكم بن معمر وهو يُنشد في مصلَّى النبيّ صلى الله عليه وسلم في جماعة من الناس قوله:

(١) يقال: درأ السيل درءاً اذا اندفع.

لمن الديارُ كأنها لم تُعمَرِ   بين الكِناسِ[١] وبين بُرْقِ[٢] مُحَجَّرِ[٣]

حتى انتهى الى قوله:

يا صاحبيَّ ألم تَشيا بارقاً   نُضحَ الصُّرادُ[٤] به فهَضْبُ المَنحرِ[٥]
قد بتُّ أرقُبُه وبات مُصعِداً   نَهْضَ المقيَّدِ في الدَّهاسِ المُوقَرِ[٦]

فقال ابن ميادة: ارفعْ اليَّ رأسك أيها المنشد، فرفع حكم اليه رأسه؛ فقال له: من أنت؟ قال: أنا حكم بن مَعمر الخُضريّ؛ قال: فوالله ما أنت في بيتِ حسبٍ، ولا في أُرُومةِ شِعْر؛ فقال له حكم: وماذا عِبْت من شعري؟ قال عِبْتُ أنك أدهستَ وأوقرتَ؛ قال له حكم: ومن أنت؟ قال: أنا ابن ميادة؛ قال: ويحك! فلم رغبتَ عن أبيك وانتسبتَ إلى أمك؟ قبّح الله والدين خيرُهما ميادة، أما والله لو وجدتَ في أبيك خيراً ما انتسبتَ إلى أمك راعيةِ الضأن. وأما إدهاسي وإيقاري فإني لم آتِ خيرَ إلّا مُمتاراً لا مُتحاملاً[٧]، وما عدوتَ أن حكيتَ حالك وحال قومك، فلو سكتَّ عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك. فلم يفترقا إلّا عن هِجاء.

---

(١) الكناس: موضع من بلاد غني. وقال البكريّ في معجم ما استعجم: هو موضع ينسب اليه رمل الكناس في بلاد عبد الله بن كلاب.

(٢) البُرَق بضم ففتح (وسكنت الراء هنا للضرورة): جمع برقة وهي أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل. قال ابن شميل: الغالب على حجارتها البياض وفيها حجارة سود وحمر وترابها ابيض واعفر وهو يبرق بلون حجارتها. ويحتمل ان يراد بالبرق واحده وهي البرقة فان برقة قد يذكرها الشاعر بلفظ بُرْق.

(٣) محجر (بكسر الجيم المشدّدة وروي بفتحها): اسم لمواضع كثيرة ذكرها ياقوت في اسم المحجر.

(٤) اسم موضع «المزاد».

(٥) هضب المنحر: هضاب حمر في ارض بني ثعلبة.

(٦) الدهاس: المكان السهل اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين لا ينبت شجراً وتغيب فيه القوائم ويثقل فيه المشي. والموقر: المثقل وهو صفة للمقيد.

(٧) يقال: تحامل أي تكلف الحمل بالأجرة، ومنه الحديث: «كان اذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا الى السوق فتحامل». أي تكلف الحمل بالأجرة ليكسب ما يتصدق به.

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ قال حدّثني عُمَير بن ضَمْرة الخُضريّ قال :

أوّلُ ما هاج الهجاء بين ابن ميّادة وبين حَكَم بن مَعمر بن قَنْبَر بن جحاش بن سلَمَة بن ثعلبة بن مالك بن طَريف بن مُحارب – قال : والخُضر ولد مالك بن طريف، سُمّوا بذلك لأن مالكاً كان شديد الأُدْمَة، وكذلك خرج ولدُه فسُمّوا الخُضر – أن حَكماً نزل بسُمَير بن سلمة بن عَوسجة بن أنس بن يزيد ابن مُعاوية بن ساعدةَ بن عمرو وهو خُصَيلة بن مُرّة. فأقبل ابنُ ميّادة إلى حكم ليعرض عليه شعره وليسمعَ من شعره، وكان حَكَم أسنّهما، فأنشدا جميعاً جماعة القوم، ثم قال ابن ميّادة : والله لقد أعجبني بيتان قلتَهما يا حَكم ؛ قال : أو ما أعجبك من شعري إلا بيتان ! فقال : والله لقد اعجباني، يردّد ذلك مراراً لا يزيده عليه ؛ فقال له حكم : فأيُّ بيتَين هما ؟ قال : حين تُساهم بين ثوبَيها وتقول :

فوالله ما أدري أزيدتْ ملاحةً وحُسناً على النِّسوان أم ليس لي عقلُ
تَساهم ثوباها[1] ففي الدِّرعِ[2] غادَةٌ[3] وفي المِرْطِ[4] لفّاوانِ رِدفُهُما عَبْلُ

فقال له حكم : أوَ ما أعجبك غيرُ هذين البيتين ؟ فقال له ابن ميّادة : قد أعجباني، فقال : أوَ ما في شعري ما أعجبك غيرُهما ؟ فقال : لقد أعجباني ؛ فقال له حكم : فإني سوف أعيب عليك قولك :

ولا برح المَنْدور ريّان مُخصباً وجِيدَ[5] أعالي شِعْبه وأسافلُهْ

فأستسقيتَ لأعلاه وأسفله وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه ؛ فقال :

---

(١) تساهم ثوباها : تقارعا وتقاسما .

(٢) الدرع : الثوب الصغير تلبسه الجارية في بيتها .

(٣) الغادة : الفتاة الناعمة اللينة .

(٤) المرط : كساء يؤتزر به، ولفاوان : تثنية لفاء وهي الفخذ الضخمة .

(٥) جيد : سقي مطراً جوداً أي غزيراً .

وأيّ شيء تريد! تركتُه لا يزال ريّان مُخصباً. وتهاترا فغضب حكم فارتحل ناقته وهدرَ[1] ثم قال:

فإنه يومُ قَريضٍ ورَجَزْ

فقال رجل من بني مُرّة لابن ميادة: اهدرْ كما هدر يا رمّاح، فقال: إنما يَغِطُ[2] البكر. ثم قال الرمّاح:

فإنّــه يومُ قَريضٍ ورَجزْ   مَن كان منكم ناكِراً فقد نَكَزْ
وبيّنَ الطِّرْفُ النّجيب فبَرَزْ

قال الزُّبير: يريد بقوله ناكراً: غائضاً قد نزف. قال الزُّبير: وسمعت رجلاً من أهل البادية يَنزع على إبلٍ له كثيرة من قَليب ويرتجز:

قد نَكَزَتْ أنْ لم تكن خَسيفاً[3]   أو يكنِ البحرُ لها حَليفاً

فضلت أم جحدر ابن ميادة على الحكم وعلس فهجواها:

قال الزُّبير قال الجُمَحيّ قال عُمير بن ضَمْرة: فهذا أوّل ما هاج التهاجيَ بينهما. قال الزُّبير قال الجُمَحيّ: وحدّثني عبد الرحمن بن ضَبْعان المُحاربيّ قال: كان ابن ميّادة وحكَم الخُضْريّ وعَمَلّس بن عقيل بن عُلَّفة مُتجاورين مُتحالّين، وكانوا جميعاً يتحدّثون إلى أم جَحْدَر بنت حسّان المُرّيّة، وكانت أمّها مَوْلاة، ففضّلت ابن ميّادة على الحكم وعَمَلّس فغضبا. وكان ابن ميّادة قال في أم جَحْدَر:

ألا ليتَ شِعْري هل إلى أمّ جَحْدَرٍ   سبيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صبرا
ويا ليتَ شِعري هل يَحُلّنّ أهلُها   وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطنِ اللِّوى خُضْرا

---

(١) هدر الفحل: صوّت في غير شقشقة. وفي الصحاح: ردّد صوته في حنجرته.

(٢) يغط: يهدر في شقشقته. والبكر: الفتيّ من الابل.

(٣) الخسيف: البئر التي تحفر في الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة.

وقال فيها :

إذا رَكَدتْ شمسُ النهار ووضّعتْ[١] طنافِسَها ولِيْنها الأَعْيُنَ الخُزْرا

الأبيات ؛ فقال عَمَلَّس بن عقيل وحَكَم الخُضْريّ يهجوانها – وهي تُنسب الى حكم – :

لا عُوفِيتْ في قبرها أمّ جَحْدَرٍ ولا لَقِيَتْ إلّا الكلاليبَ[٢] والجَمْرا
كما حادثتْ عبداً لئيماً وخِلْتُـه مِن الزاد إلّا حَشْوَ رَيْطاته صِفْرا
فيا ليتَ شِعري هل رأت أمُّ جَحْدَرٍ أَكُشَّكَ[٣] أو ذاقت مَغابِنَك[٤] القُشْرا[٥]
وهل أبصرتْ أرْساغ[٦] أَبْرَدَ أو رأت قفا أمّ رَمّاح إذا ما استقت دَفْرا[٧]
وبالغَمْر قد صَرَّت[٨] لِقاحاً وحادثتْ عبيداً فسَلْ عن ذاك نَيَّان فالغَمْرا

وقال عَمَلَّس بن عقيل بن عُلَّفَة ويقال : بل قالها عُلَّفَة بن عقيل :

فلا تَضعا عنهـا الطنافسَ إنّما يُقَصِّرُ بالمِرْماة[٩] مَن لم يكن صقْرا

وزاد يحيي بن عليّ مع هذا البيت عن حمّاد عن أبيه عن جرير بن رِباط وأبي داود قال : يُعرِّض بقوله : « مَن لم يكن صَقرا » بأبن ميّادة أي إنه هَجين ليس

---

(١) وضعت طنافسها : نضضتها ونظمتها .

(٢) الكلاليب : جمع كلوب وكلاب، وهو هنا الحديدة المعطوفة كالخطاف .

(٣) لم يهتد المحققون الى تحقيق هذه الكلمة ، وقد بحثوا عن هذا الشعر في الأمالي والكامل والمفضليات وشرح الحماسة فلم يجدوه ويقول شراح طبعة دار الكتب ولعلها « كثيثك » . وهو الشعر الكثيف .

(٤) المغابن : الآباط والأرفاغ وهي بواطن الأفخاذ، واحدها مغبن .

(٥) القشر : جمع أقشر وهو الشديد الحمرة أو الابرص .

(٦) الأرساغ : جمع رسغ وهو مفصل ما بين الكف والذراع وقيل مجتمع الساقين والقدمين وقيل هو مفصل ما بين الساعد والكف والساق والقدم .

(٧) دفراً : دفعاً، يقال : دفرته في قفاه دفراً أي دفعته .

(٨) تقول صررت الناقة أي شددت عليها الصرار وهو خيط يشدّ فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها.

(٩) المرماة : سهم يتعلم به الرامي .

من أبوين متشابهين كما الصقر. وبعده بيت آخر من رواية يحيي ولم يَرْوه الزُّبير معه :

مُنَعَّمَةٌ لم تَلْقَ بؤساً وشِقْوةً ... بنجدٍ ولم يَكْشِف هجينٌ لها سِتْرا

قالوا جميعاً : فقال ابن ميادة يهجو عُلَفة :

أعُلَفَ إنّ الصقر ليس بُمذْلِجٍ ... ولكنّه بالليل مُتَّخِذٌ وَكْرا
ومُفْتَرِشٌ بين الجناحين سَلْحَهُ ... إذا الليل ألقى فوق خُرْطومهِ كِسْرا[١]
فإنْ يكُ صقراً بعد ليلة أمّه ... وليلة جِحافٍ فأُفٍّ له صقرا
تَشُدّ بكفَّيها على جِذْل أيرِه ... إذا هي خافت من مَطِيَّتها نَفْرا

يريد أنّ أمّ عُلَفة من بني أنمار، وكان أبوه عَقيل بن عُلَفة ضربها ، فأرسلت الى رجل من بني أنمار يقال له جِحاف، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها . وقال يحيي بن عليّ خاصّة في خبره عن حمّاد عن أبيه عن ابي داود : إنّ جِحاف بن إياد كان رجلاً من بني قِتال بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة ، وكان يتحدّث الى امرأة عَقيل بن عُلَفة — وهي أم ابنه عُلَفة بن عقيل — ويُتَّهم بها ، وهي امرأة من بني أنمار بن بَغيض بن رَيْث بن غطفان يقال لها سُلافة، وكانت من أحسن الناس وجهاً، وكان عقيل من أغيَر الناس ، فربَطها بين أربعة أوْتاد ودهنها بإهالة[٢]، وجعلها في قرية[٣] نَمل ، فمرّ بها جحاف بن إياد فسمع أنينها، فأتاها فاحتملها حتى طرحها بِفَدَك، فاستعدَتْ واليها على عَقيل . وقام عَقيل من جوف الليل فأوقد عُشْوة[٤] ونظرها فلم يجدها ووجد أثر جحاف فعرفه وتبعه حتى صبَّح القرية، وخَنَس[٥] جحاف عنها ؛ فأتى الوالي فقال : إنّ هذه رأتني قد كَبِرتُ وذهب بصري فاجترأتْ عليّ ، وكان

(١) الكسر في الأصل : الشقة السفلى من الخباء، ويراد هنا أن الليل غطاه وستره .
(٢) الإهالة : الشحم المذاب .
(٣) قرية النمل : مجمعه النمل من التراب .
(٤) العشوة (بالضم والكسر) : النار يستضاء بها، قال أبو زيد : ابغونا عشوة أي ناراً نستضيء بها.
(٥) خنسه عنها: نحاه أبعده .

عقيل رجلاً مَهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صِهْر بني مَروْان . قال : فعيّر ابن ميّادة عُلَفة بن عقيل بأمر جحّاف هذا في قوله :

فإن يكُ صقراً بعد ليلة أمّه   وليلة جحّاف فأفٍّ له صقرا

قال : ولجّ[١] الهجاء بينهما . وقال فيه ابن ميّادة وفي حكم الخضريّ وقد عاونَ عُلَفة :

لقد ركب الخُضريُّ مِنّي وتَربُه   على مَركب من نابيات المَراكبِ

وقال لعُلَفة :

يابن عَقيل لا تكن كَذوباً   أأن شَربتَ الحزْرَ[٢] والحليبا
من شَوْل[٣] زيد وشَممْتَ الطِّيبا   جهلاً تجنّيتَ ليَ الذنوبا

قال : ثم لم يُلبِثه ابن ميّادة أن غلبه، وهاج التهاجي بينه وبين حكم الخُضريّ وانقطع عنه عُلَفة مفضوحاً . قال : وماتت أم جحدر التي كان يَنسب بها ابن ميّادة على تفيئة[٤] ما كان بينه وبين عُلَفة من المُهاجاة ، ونُعيتْ له فلم يُصدِّق حتى أتاه رجل من بني رَحْل يقال له عَمّار فنعاها له ؛ فقال :

ما كنتُ أحسب أنّ القوم قد صدقوا   حتى نعاها ليَ الرَّحليُّ عَمّارُ

وقال يرثيها :

خلتْ شُعَبُ المَنْدُور لستَ بواجدٍ   به غيرَ بالٍ من عِضاهٍ[٥] وحَرمَلِ

(١) لجّ : تمادى واستمر .

(٢) والحزر من اللبن : ما كان فوق الحامض .

(٣) الشول : النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليهـا سبعة اشهر او ثمانية من يوم نتاجها ، فلم يبق في ضروعها الا شول من اللبن أي بقية منه مقدار ثلث ما كانت تحلب حدثان نتاجها، واحدتها شائلة وهو جمع على غير قياس .

(٤) على تفيئة : على حين، يقال : أتيته على تفيئة ذلك أي على حينه وزمانه .

(٥) العضاه والحرمل : نوعان من الشجر .

تمنَّيتَ أنْ تَلقى بـه أمَّ جحدرٍ ... وماذا تمنّى من صدًى تحتَ جندلِ
فللموتُ خيرٌ من حياةٍ ذميمةٍ ... وللبُخلُ خيرٌ من عناء مُطوّلِ

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة ابن مرمىء، وذكره إسحاق أيضاً عن اصحابه :

أن ابن ميّادة وحكماً الخُضريّ تواعدا المدينةَ ليتواقفا[١] بها، فتواقفا بها وجاء نفرٌ من قريش — أمهاتُهم من مُرّة — الى ابن ميّادة فمنعوه من مواقفة حكم، وقالوا: أتتعرض له ولست بكُفئه فيشتمُ أمهاتنا واخوالنا وخالاتنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان! — قال: وكان حكم يَسجع سجعاً كثيراً — فقال: والله لئن واقفته لأسجعنَّ به قبل المُقارضة سجعاً أفضحهُ به فلم يلقَه. وذكر الزُّبير له سجعاً طويلاً غثًّا لا فائدة فيه، لأنه ليس برجز منظوم ولا كلامٍ فصيح ولا مسجّع سجعاً مؤتلفاً كائتلاف القوافي، إلا أن من أسلمه قوله: والله لـئن ساجعتني سِجاعاً، لتجدنّي شُجاعاً، للجار مُنّاعاً، ولأجدنّك هيّاعاً[٢]، للحسب مِضياعاً، ولئن باطشتُك بطاشا، لأدهشنّك إدهاشا، ولأدُقّنّ منك مُشاشا[٣]، حتى يجيء بولُك رَشاشا. وهذا من غثّ السَّجع ورذله، وإنما ذكرتُه ليُستدَلَّ به على ما هو دونـه مما ألغيتُ ذكره. قال: ورجز به فقال:

يا معـدِنَ اللؤم وأنت جبلُه ... وآخِرَ اللـؤم وأنت أوّلُهْ
جاريتَ سبّاقاً بعيداً مَهَلُه ... كان اذا جارى أباك يُفشِلُه[٤]
فكيف ترجوه وكيف تأمُلُه ... وأنت شرُّ رجلٍ وأنذلُهْ
ألأمُهُ في مأزقٍ وأجهلُهْ ... أدخله بيت المخازي مُدخِلُهْ

(١) التواقف كالمواقفة : ان يقف معك وتقف معه في حرب أو خصومة .

(٢) هو صيغة مبالغة من هاع يهيع هيعاً وهيوعاً اذا جبن وفزع : وقـد ورد في كتب اللغة من هذه المادة هائع وهاع .

(٣) المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين

(٤) يفشله : يجعله فشلاً أي ضعيفاً ناكلاً عن المجاراة .

فاللؤم سِرْبالٌ له يُسَرْبَلُـهُ ثوباً إذا أَنْهَجه[1] يُبَدِّلُـهْ

فأجابه حَكم :

يابْنَ التي جيرانَها كانت تَصُرّ[2] وتَتْبَعُ الشَّوْلَ وكانت تَمْتَصِرْ[3]

كيف اذا مارسْتَ حُراً تنتصرْ

ولها أراجيزُ كثيرةٌ طويلةٌ جداً أسقطتُها لكثرتها وقلة فائدتها .

نوع من المبارزة :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن إبراهيم قال :

أخبرني بعضُ من لقيت من الخُضر : أن حكماً الخضريّ خرج يريد لقاء ابن ميّادة بالرَّقم[4] من غير موعد فلم يلقَه ، إمّا لأنه تغيَّب عنه وإمّا لأنه لم يصادفه ، فقال حكم :

فَرَّ ابنُ ميّادةَ الرَّقطاء من حَكَمٍ بالصُّغرِ[5] مثلَ فِرارِ الأعقدِ[6] الدَّهِمِ
أصبحتَ في أُقُرٍ[7] تعلو أطاوِلَه تفِرُّ منّي وقد أصبحتُ بالرَّقَمِ

(١) أنهجه : أبلاه وأخلقه .

(٢) في احدى النسخ : «يابن التي حياتها كانت تصر» وصر الناقة ربط اخلافها لئلا يرضعها ولدها .

(٣) الامتصار : حلب الناقة أو الشاة بأطراف الأصابع الثلاث أو بالإبهام والسبابة .

(٤) الرقم : جبال دون مكة بديار غطفان واسم ماء عندها أيضاً ، كذا قال ياقوت في معجمه في اسم « رقم » . وقال البكريّ في معجم ما استعجم ص ٤٢ : الرقم موضع بالحجاز قريب من وادي القرى كانت فيه وقعة لغطفان على عامر .

(٥) الصغر كالصغار : الذل والهوان .

(٦) الأعقد يقال على التيس الذي في قرنه أو ذنبه التواء . ويقال : على الكلب والذئب لانعقاد ذنبها وكل ملتوى الذنب فهو أعقد . والدّهم لعله محرف عن (الزهم) وهو ذو الرائحة المنتنة .

(٧) أقر (بضمتين) : وادٍ لبني مرة .

وقال إسحاق في روايته عن أصحابه: قال ابن ميادة يهجو حكماً وينسب بأم جحدر:

يُمَنُّونَني منكِ اللقاء وإنني لأعلمُ لا ألقاكِ من دون قابلِ

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدماً، فذكرتُ ها هنا منها ما لم يمض وهو قوله!

فيا ليت رثَّ الوصل من أم جحدرٍ لنا بجديدٍ من أولاكَ البدائلِ
ولم يَبقَ مما كان بيني وبينها من الودِّ إلا مُخفيات الرسائلِ
وإني اذا استنبهتُ من حلوِ رقدةٍ رُميتُ بحبِّها كرَمي المُناضلِ

صوت

فما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولها وأدمُعها يُذرِينَ حشوَ المكاحلِ
تمتَّعْ بذا اليوم القصيرِ فإنه رَهينٌ بأيام الدهور الأطاولِ

الغناء في هذين البيتين لعليّ بن يحيى المنجّم، ولحنه من الثقيل الثاني.

وكنتُ امرءاً أرمي الزوائلَ[١] مرةً فأصبحتُ قد ودَّعتُ رميَ الزوائلِ
وعطَّلتُ قوسَ اللهو من سَرَعانها[٢] وعادتْ سِهامي بين رَثٍّ وناصِلِ[٣]

السَّرَعان وترٌ يعمل من عقب المتن[٤]، وهو اطول العقب.

إذا حلَّ بيتي بين بدرٍ ومازنٍ ومُرَّةَ نِلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلي

(١) الزوائل هنا: النساء على التشبيه بالوحش. ويقال: فلان يرمي الزوائل اذا كان طبا بإصباء النساء اليه.

(٢) وفي بعض النسخ الشرعات وهي: الأوتار، واحدها شرعة.

(٣) الناصل: السهم الذي خرج منه النصل.

(٤) العقب (بالتحريك): العصب الذي تعمل منه الأوتار، الواحدة عقبة. والعقب من كل شيء: عصب المتنين والساقين والوظيفين.

يعني بدر بن عمرو بن جُويّة بن لوذان بن ثعلبة بن عديّ بن فَزارة بن ذُبيان، ومرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان، ومرّة بن فزارة، ومازن بن فزارة . وهي طويلة .

قال أبو الفرج الأصبهانيّ : أخذ إسحاقُ الموصليّ معنى بيت ابن ميّادة في قوله : « نلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلي » فقال :

عطَستُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ　　يَدايَ الثريا قاعداً غير قائمِ

ولعَمري لئن كان استعار معناه لقد اضطّلع به وزاد فأحسن وأجاد .

وفي هذه القصيدة يقول :

فضّلنا قريشاً غير رَهْطِ محمدٍ　　وغيرَ بني مروان أهلِ الفضائلِ

عندما ضربه ابراهيم بن هشام :

قال يحيى بن عليّ وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيوب عن مُصْعَب، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مُصعب قال :

قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميّادة : أنت فضّلتَ قريشاً ! وجرّده فضربه أسواطاً .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال :

لما قال ابن ميّادة :

فضّلنا قُرَيشاً غير رهطِ محمد　　وغير بني مَرْوانَ أهلِ الفضائلِ

قال له الوليد بن يزيد : قدّمتَ آل محمد قبلنا؛ فقال : ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنّه يمكنُ غير ذلك . قال : فلما أفضت الخلافة الى بني هاشم وفد ابن ميّادة الى المنصور ومدحه؛ فقال له أبو جعفر لما دخل اليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال، فجعل المنصور يتعجّب .

ابن ميادة والحكم الخضري بعريجاء :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمحيّ قال : حدّثني العبّاس بن سَمُرَة بن عبّاد بن شَمّاخ بن سَمُرَة عن رَيحان بن سُوَيد الخُضريّ ، وكان راوية حَكَم بن مَعمر الخُضريّ ، قال :

تواعد حَكَمٌ وابنُ ميادة عُرَيجاء – وهي ماءة[1] – يتوافقان عليها، فخرج كلّ واحد منهما في نفرٍ من قومه ؛ وأقبل صَخر بن الجَعد الخُضريّ يَؤمّ[2] حَكَماً ، وهو يومئذ عدوّ لحَكَم لِما كان فرَط بينهما من الهجاء في أرْكوبٍ[2] من بني مازن ابن مالك بن طَريف بن خلف بن مُحارِب ؛ فلما لقيه قال له : يا حكَم ، أهؤلاء الذين[3] عرّضتَ للموت ! وهم وجوه قومك ! فوالله ما دماؤهم على بني مُرّة إلا كدماء جَداية[4] ؛ فعرَف حَكَم ان قول صخر هو الحقّ فردّ قومَه ، وقال لصخر : قد وعدني ابنُ ميّادة أن يوافقني غداً بعريجاء لأن أناشدَه ؛ فقال له صخر : أنا كثير الإبل – وكان حكم مُقِلّاً – فإذا وردتْ إبلي فارتجزْ ، فإن القوم لا يشجعون عليك وأنت وحدك ، فإن لقيتَ الرجل نحرَ وأطعم فانحرْ وأطعمْ وإن أتيت على مالي كلِّه . قال رَيحان راويتُه : فورد يومئذٍ عُرَيجاء ولم يلقَ رَمّاحاً ولم يواف لموعده ، وظلّ يُنشد يومئذٍ حتى أمسى ، ثم صرف وجوه إبل صخر وردّها . وبلغ الخبر ابنَ ميّادة ومُوافاةُ حكَم لموعده ، فأصبح على الماء وهو يرتجز ويقول :

أنا ابنُ مَيّادَة عَقّارُ الجُزُرْ كلِّ صَفيٍّ[5] ذاتِ نابٍ مُنفَطِرْ

صلحهما :

وظَلّ على الماء فنحر وأطعمَ . فلما بلغ حكماً ما صنع ابنُ ميّادة من نحره

---

(١) عريجاء : ماءة معروفة بحمى ضرية وقد أقطعها ابن ميادة المرّيّ من بني ذبيان .
(٢) الأركوب : كالركب والركبان .
(٣) في بعض النسخ : « أهؤلاء الذين عرّضت للموت من أجلهم وهم وجوه قومك الخ » .
(٤) الجداية : الظبية .
(٥) يقال : ناقة صفيّ أي غزيرة اللبن ، والجمع صفايا .

وإطعامه شقَّ عليه مَشقَّةً شديدةً . ثم إنهما بعدُ توافيا بحمى ضَريَّة . قال رَيحان ابن سُوَيد : وكان ذلك العامُ عامَ جدبٍ وسنةٍ إلّا بقيَّةَ كلإٍ بضريّة . قال : فسبقنا ابنَ ميادة يومئذٍ فنزلنا على مولاةٍ لعُكاشة بن مُصعب بن الزُّبير ذاتِ مالٍ ومنزلة من السلطان . قال : وكان حكم كرَماً على الوُلاة هناك يُتَّقى لسانُه . قال ريحان : فبينا نحن عند المولاة وقد حططنا براذعَ دوابّنا إذا راكبان قد أقبلا ، وإذا نحن برمّاح وأخيه ثوبان — ولم يكن لثوبان ضريب في الشجاعة والجمال — فأقبلا يتسايران ، فلما رآهما حكم عرفهما ، فقال : يا ريحانُ ، هذان ابنا أبرد ، فما رأيك ؟ أتكفيني ثوبان أم لا ؟ قال : فأقبلا نحونا ورمّاح يتضاحك حتى قبض على يد حكم وقال : مرحباً برجل سكتُّ عنه ولم يسكت عني ، وأصبحت الغداةَ أطلب سَلْمه يسوقني الذِّئب(١) والسنة ، وأرجو أن أرعى الحمى بجاهه وبركته ؛ ثم جلس الى جنب حكم وجاء ثوبان فقعد الى جنبي ؛ فقال له حكم : أما وربِّ المرسلين يا رمّاح لولا أبياتٌ جعلت تعتصم بهنّ وترجعُ اليهنّ — يعني أبيات ابن ظالم — لاَستوسقتَ(٢) كما استوسق من كان قبلك . قال رَيحان : وأخذا في حديثٍ أسمعَ بعضه ويخفي عليّ بعضه ، فظللنا عند المرأة وذُبح لنا وهما في ذلك يتحادثان ، مقبلٌ كلّ واحد منهما على صاحبه لا ينظران شَذْنا ، حتى كان العِشاء فشددنا للرّواح نؤمّ أهلنا ؛ فقال رمّاح لحكم : يا أبا مَنيع — وكانت كنية حكم — : قد قضيت حاجتك وحاجة من طلبتَ له من هذا العامل ، وإن لنا اليه حاجةً في أن يُرْعينا ؛ فقال له حكم : قد والله قضيتُ حاجتي منه وإني لأكره الرجوع اليه ، وما من حاجتك بُدٌّ ؛ ثم رجع معه إلى العامل ، فقال له بعد الحديث معه : إن هذا الرجلَ مَنْ قد عرفتَ ما بيني وبينه ، وقد سأل الصلحَ وأناب اليه ، فأحببتُ أن يكون ذلك على يدك وبحَضرك . قال : فدعا به عاملُ ضريّة وقال : هل لك حاجةٌ غير ذلك ؟ قال : لا والله ، ونسي حاجة رمّاح ، فأذكرته إياها ، فرجع فطلبها واعتذر

---

(١) في أساس البلاغة مادة ذأب : وأكلتهم الضبع وأكلتهم الذئب أي السنة ، وأصابتهم سنة ضبع وسنة ذئب على الوصف .

(٢) لاستوسقت : لأطعت وانقدت .

بالنسيان. فقال العامل لابن ميادة: ما حاجتك؟ فقال: تُوعيني عُرَيجاء، لا يَعْرِضُ لي فيها أحدٌ، فأرعاه إياها. فأقبل رماح على حكم فقال: جزاك الله خيراً يا أبا منيع، فوالله لقد كان ورائي من قومي مَنْ يتمنى أن يرعى عُريجاء بنصف ماله. قال فلمّا عزما على الانصراف ودّع كل واحد منهما صاحبه وانصرفا راضيَيْن. وانصرف ابنُ ميادة الى قومه فوجد بعضهم قد ركب الى ابن هشام فأستغضبه على حكم قوله:

وما ولدتْ مُرِّيَّةٌ ذاتَ ليلةٍ من الدهرِ إلا زاد لؤماً جَنينها

طرده السلطان فرحل الى الشام فمات هناك:

فأطرده[1] وأقسم: لئن ظفر به ليُسَرِّجَنَّهُ وليَحْمِلَنَّ عليه أحدَهم. فقال رماح — وساءه ما صنعوا —: عمدتُم الى رجل قد صلح ما بيني وبينه وأرعيتُ بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطراده! وبلغ الحكمَ الخبر فطار الى الشام فلم يبرحها حتى مات.

قال العباس بن سَمُرَة: مات بالشام غرقاً، وكان لا يُحسن العوم فمات في بعض أنهارها. قال: وهو وجهه[2] الذي مدح فيه أسودَ بن بلال المحاربيَّ ثم السُّوائيَّ في قصيدته التي يقول فيها:

وأستيقنتْ أن لا بَرَاحَ من السُّرى حتى تُناخَ بأسْوَدَ بنِ بلالِ
قَرْمٌ إذا نَزَلَ الوُفودُ ببابه سَمَتِ العيونُ إلى أشَمَّ طُوالِ

مناقضات حكم وابن ميادة:

ولحكم الخُضريّ وابن ميادة مُناقضاتٌ كثيرة وأراجيزُ طِوالٌ طويتُ ذكر اكثرها وألغيته، وذكرتُ منها لُمعاً من جيّد ما قالاه لئلا يخلوَ هذا الكتاب من

(١) أي امر بإخراجه وطرده.

(٢) أي رحلته وسفره.

ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعب سائره فيطول . فما قاله حكم في ابن ميادة قوله :

خليليّ عُوجا حَيّيا الدارَ بالجَفْرِ[١] … وقُولا لها سَقْياً لعَصْرِكِ من عَصْرِ
وماذا تُحَيّي من رُسومٍ تلاعبتْ … بها حَرْجَفٌ[٢] تَذْري بأذيالها الكُدْرِ

ومن جيّد قوله فيها يفتخر :

إذا يَبِسَت عِيدانُ قومٍ وجدتَنا … وعِيدانُنا تُغْشى على الورَق الخُضْرِ
إذا الناسُ جاءوا بالقروم أتيتُهم … بقَرْمٍ يُساوي رأسُه غُرّةَ البدرِ
لنا الغَوْرُ والأنجادُ والخَيْلُ والقَنا … عليكم وأيامُ المكارمِ والفخرِ

ومن جيّد هجائه قوله :

فيا مُرّ قد أخزاكِ في كلّ موطنٍ … من اللؤم خَلّاتٌ يَزِدْنَ على العَشْرِ
فمنهنّ أنّ العبدَ حامي ذِمارِكم … وبئس الحامي العبدُ عن حَوزةِ الثَّغْرِ
ومنهنّ أن لم تمسَحوا وجهَ سابقٍ … جَوادٍ ولم تأتوا حَصاناً على طُهْرِ
ومنهنّ أن الميْتَ يُدفَن منكمُ … فيَفْسُو على دُفّانه وهو في القبرِ
ومنهنّ أن الجارَ يسكُن وَسْطَكم … بريئاً فيُلْقَى بالخيانةِ والغدرِ
ومنهنّ أن عُذْتم بأرْقَطَ كَوْدَنٍ[٣] … وبئس المحامي أنت يا ضَرْطَةَ الجَفْرِ[٤]
ومنهنّ أنّ الشيخَ يوجَدُ منكمُ … يَدِبُّ الى الجاراتِ مُحْدَوْدِبَ الظَهرِ
تَبيتُ ضِبابُ[٥] الضِغْنِ تَخْشى احتراشَها[٦] … وإن هي أمستْ دونَها ساحلُ البحرِ

(١) الجفر : موضع بناحية ضرية من نواحي المدينة .
(٢) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
(٣) الكودن : البرذون الهجين . يريد انساناً كالبرذون .
(٤) الجفر : ولد المعزى اذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ في الرعي والمعزى يضرب بها في ذلك المثل فيقال : « أضرط من عنز » .
(٥) الضباب : الأحقاد ، يقال : في قلبه ضب ، أي غل داخل كالضب الممعن في جحره .
(٦) احترش الضب : أتى قفا جحره فقعقع بعصاه عليه واتلج طرفها في جحره فاذا سمع الصوت حسبه دابة تريد أن تدخل عليه فجاء يزحل على رجليه وعجزه مقاتلاً ويضرب بذنبه فناهزه الرجل (بادره) فأخذ بذنبه فضبّ عليه (شدّ القبض) فلم يقدر أن يفلت منه .

فأجابه ابن ميَّادَة بقصيدةٍ طويلة، منها قوله مجيباً عن هذه الخصال التي سبَّهم بها :

لقد سَبقتْ بالمخزيات مُحاربٌ ... وفازتْ بجلّاتٍ على قومها عَشْرِ
فمنهنَّ أن لم تَعقِروا ذاتَ ذِروْةٍ ... لحقٍّ إذا ما احتيجَ يوماً إلى العَقْرِ
ومنهنَّ أن لم تَمسَحوا عربيَّـةً ... من الخيل يوماً تحت جُلٍّ على مُهْرِ
ومنهنَّ أن لم تضربوا بسيوفكم ... جماجِمَ إلا فَيشَلَ[١] القُرَّحِ الحُمْرِ
ومنهنَّ أن كانت شيوخُ محارِبٍ ... كما قد علمتم لا تَرِيشُ ولا تَبْرِي[٢]
ومنهنَّ أخزى سوءةٍ لو ذكرتُها ... لكنتم عبيداً تَخدُمون بني وَبْرِ
ومنهنَّ أن الضأن كانت نساءكم ... إذا اخضرَّ أطرافُ الثُّمام[٣] من القَطْرِ
ومنهنَّ أن كانت عجوزُ مُحارِبٍ ... تُريغُ[٤] الصِبا تحت الصَّفيح من القَبْرِ
ومنهنَّ أنْ لو كان في البحر بعضُكمْ ... لخبَّثَ ضاحي[٥] جِلدِهِ حَوْمَةَ[٦] البحرِ

ومما قال ابن ميَّادَة في حَكَم قوله من قصيدة أوَّلها :

ألا حَيِّيا الأطلالَ طالتْ سِنينُها ... بحيثُ التقتْ رُبْدُ[٧] الجنابِ[٨] وعِينُها[٩]

ويقول فيها :

فلمّا أتاني ما تقولُ مُحـارِبٌ ... تغنَّتْ شياطيني وجُنَّ جُنونُها

---

(١) الفيشلة : طرف الذكر .
(٢) أي لا تضر ولا تدفع .
(٣) الثمام : نبت ضعيف .
(٤) تريغ : تطلب، يقال : ماذا تريغ ، أي ما تريد وما تطلب .
(٥) ضاحي جلده : ظاهره .
(٦) حومة البحر : أكثر موضع في البحر ماء واغزره .
(٧) ربد : جمع أربد او ربداء، وصف من الربد، وهو في النعام سواد مختلط، وقيل هو أن يكون لونها كله اسود . وعن اللحياني : ظليم اربد ونعامة ربداء ، اي لونها كلون الرماد .
(٨) الجناب : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى ، وقيل هو من منازل بني مازن . وقال نصر : الجناب من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد .
(٩) عين : جمع عيناء وهي واسعة العين .

أَلم تَرَ أنّ اللهَ غَشَّى مُحارباً ... إذا اجتمعَ الأقوامُ لوناً يَشينُها
تَرى بوجوه الخُضْرِ خُضْرِ مُحاربٍ ... طوابعَ لؤمٍ ليسَ ينفَتُّ[1] طِينُها
لقد ساهَمْتُناكُمْ[2] سُليمُ وعامرُ ... فَضِمْناهُمُ إنّا كذاكَ نَدينُها
فصارتْ لنا أهلُ الضَّئينِ[3] مُحارِبُ ... وصارَتْ لهم جَسْرُ[4] وذاكَ ثَمينُها
إذا أخذتْ خُضْريّةٌ قائمَ الرحى ... تَحرّكَ قُنباها[5] فطارَ طَحينُها
وما حَملتْ خُضْريّةٌ ذاتَ ليلةٍ ... من الدهرِ إلا ازدادَ لؤماً جَنينُها

فقال حَكمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته :

لأنتَ ابنُ أشبانيةٍ أدلجتْ بهِ ... إلى اللؤمِ مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنينُها
لجاءتْ برَوّاثٍ كأنّ جَبينَهُ ... إذا ما صَغا في خِرْقَتَيْها جَبينُها
فما حَملتْ مُرّيّةٌ قطُّ ليلةً ... من الدّهرِ إلا ازدادَ لؤماً جَنينُها
وما حَملتْ إلا لألأمِ مَنْ مَشى ... ولا ذُكِرتْ إلا بأمرٍ يَشينُها
تزوّجُ عثوانُ[6] الضَّئينَ وتَبتغي ... بها الدَّرَّ لا دَرّتْ بخيرٍ لَبونُها[7]
أظَنّتْ بنو عثوانَ أن لستُ شاتماً ... بِشَتْمي وبعضُ القومِ حَمقَى ظُنونُها
مَدانيسُ أبرامٌ[8] كأنّ لِحاهُمُ ... لِحَى مُجْتَهِباتٍ[9] طِوالٍ قُرونُها

قال الزُّبير : فحدّثني مَوْهوب بن رشيد قال : فسمع هذه القصيدة أحدُ بني

(١) الانفتات : الانكسار .
(٢) كذا في جميع الأصول، ولم يجد المحققون في كتب اللغة التي بأيدينا أن ساهم يتعدّى لمفعولين، وهو بمعنى قارع، من القرعة .
(٣) الضئين : الضأن وهو خلاف الماعز من الغنم واحده ضائن .
(٤) جسر : اسم حيّ .
(٥) تثنية قنب وهو البظر، والبظر : ما بين الاسكتين وهما جانبا الحياء .
(٦) يظهر من سياق الشعر أنها قبيلة ولم نعثر عليها .
(٧) اللبون : الكثيرة اللبن .
(٨) جمع برم وهو الثقيل الجافي .
(٩) هذا وصف للتيوس مأخوذ من الهباب وهو هياجها للسفاد ، يقال : هب التيس هباً وهباباً ، أي هاج .

قتّال بن مُرّة فقال: ما له أخزاه الله يهجو صِبْيتنا! قال وهم أجفى قوم غضباً لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به.

قال: وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه في نساء بني مُرّة اذ يقول:

وما حَمَلَتْ إلا لألأمِ مَنْ مَشى

فغضبَ ثم نَذَر دَمه؛ فهرب من الحجاز إلى الشام فمات بها.

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن ضَبْعان المُحضريّ قال:

لقيَ ابنُ ميّادة صَخرَ بنَ الجعد المُحضريّ فقال له: يا صخر، أعنتَ عليّ ابنَ عمك الحكم بنَ مَعْمَرٍ! فقال له صخر: لا والله يا أبا الشَّرَحْبيل ما أعنتُه عليك، ولكن خُيِّل اليك ما كان يُخَيَّل إليّ، ولقد هاجيتُه فكنتُ أظنّ أن شجر الوادي يُعينه عليّ.

ومن جَيِّد قول ابنِ ميّادة في حَكم قصيدتُه التي أوّلها:

صوت

لقد سَبقَتْكَ اليومَ عيناكَ سَبقَةً ... وأبكاكَ من عهد الشباب ملاعبُهْ
فوالله ما أدري أيَغلِبُني الهوى ... إذا جَدّ جِدُّ البَيْنِ أم أنا غالبُهْ
فإن أستطِعْ أغلِبْ وإن يَغلِبِ الهوى ... فمثلُ الذي لاقيتُ يُغلَبُ صاحبُهْ

— في هذه الأبيات غناء يُنسَبُ — يقول فيها في هجاء حَكَم:

لقد طالَ حَبْسُ الوَفْدِ وَفْدِ مُحاربٍ ... عن المجد لم يأذَنْ لهم بَعدُ حاجبُهْ
وقال لهم كُرُّوا فلستُ بآذنٍ ... لكم أبداً أو يُحصِيَ التُّربَ حاسِبُهْ

وهي قصيدة طويلة.

كان يحسد على مكانه من الوليد :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز المُرّيّ ثم الصارديّ عن أبيه :

— قال جلال : وقد رأيتُ ابنَ مَيادة في بيت أبي ، قال : قال لي ابنُ ميّادة : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مَوْلًى من مَوالي خَرَشةَ يقال له شُقران يَعيب ابنَ ميّادة ويَحسده على مكانه من الوليد ، فلما اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشُقران : يا شُقران ، ما عِلمُك في ابن ميّادة ؟ قال علمي فيه يا أميرَ المؤمنين أنه :

لئيمٌ يُباري فيه أبرَدُ نَهبَلا   لئيمٌ أتاه اللؤمُ من كلّ جانبِ

فقال الوليد : يابن ميّادة ، ما عِلمُك في شُقران ؟ قال : عِلمي يا أمير المؤمنين أنه عبدٌ لعجوز من خَرَشة كاتَبتْه على أربعين دِرهماً ووعدها — أو قال : وعدَته — أن تُجيزه بعشرين درهماً فقبّضتْه إياها ، فأغنِه عني يا أمير المؤمنين ، فليس له أصلٌ فأحتَفِرَه ، ولا فرعٌ فأهتَصِرَه ؛ فقال له الوليد : اجتَنِبْه يا شُقران فقد أبلغ اليك في الشَّتيمة ، فقصَر شُقرانُ صاغراً ، ثم أنشدتُه ، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري ، وأمر لي بمائة لِقْحةٍ وفَحلِها وراعيها وجاريةٍ بكرٍ وفرسٍ عتيق ، فاختلتُ ذلك اليومَ وقلتُ :

أعطيتَني مائةً صُفراً مَدامِعُها[١]   كالنخل زَيّنَ أعلى نَبْتِهِ الشُّرَبُ[٢]

ويروى :

كأنها النخلُ رَوّى نَبْتَها الشُّرَبُ

---

(١) مدامعها : مآقيها وهي أطراف العين . ولعل مسايل الدمع من الناقة تصفرّ اذا رعت ما يخضر من الشجر . وقد نقل صاحب اللسان في مادة «صفر» عن أبي حنيفة «ان الماشية تصفرّ اذا رعت ما يخضرّ من الشجر» .

(٢) جمع شربة وهي ما يحفر حول النخلة والشجرة كالحويض ويملأ ماء فتتروّى منه .

يَسوقُها يافـعٌ جَعدٌ مفارقُهُ مثلُ الغرابِ غذاه الصَّرُّ والحَلَبُ
وذا سَبيبٍ[١] صُهَيْبِيًّا له عُرُفٌ وهامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ نابُها صَخِبُ

لم يذكر الزُّبير في خبره غيرَ هذه الابيات الثلاثة، وهي من قصيدة للرمّاح طويلة يمدح فيها الوليدَ بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرتُ من مختارها ها هنا طرَفاً، وأولها:

هل تعرفُ الدارَ بالعَلياء غيَّرَها سافي الرِّياحِ ومُستَنٌّ[٢] له طُنُبُ
دارٌ لبيضاءَ مُسوَدٍّ مسائحها كأنها ظَبيَةٌ تَرعى وتَنتَصِبُ

المسائح: ما بين الأذُن الى الحاجب من الشَّعر. وتنتصب: تقفُ إذا ارتاعت منتصبةً تتوجّس[٣].

تحنو لأكحَلَ ألقتْهُ بِضَيْعَةٍ فقلبُها شَفَقاً من حَولِهِ يَجِبُ[٤]

يقول فيها:

يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعدَ هَجعَتِها وأملحَ الناسِ عيناً حينَ تَنتَقِبُ
ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حينَ أسألها ولستُ عندَ خَلاء اللهو أغتصبُ
في مِرفقَيْها إذا ما عُونقَتْ جَمَمٌ[٥] على الضَّجيعِ وفي أنيابهـا شَنَبُ
وليلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكبُها مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطُبُ[٦]
قد جُبْتُها جَوبَ ذي المِقراضِ[٧] مِمطَرَةً[٨] إذا استوى مُغْفَلاتُ[٩] البيدِ والحَدَبُ[١٠]

---

(١) السبيب هنا: شعر الذنب والناصية.
(٢) يقال: استن المطر: اي انصب.
(٣) تتوجس: تسمع وهي خائفة.
(٤) يجب: يخفق ويضطرب.
(٥) الجمم: كثرة اللحم.
(٦) العطب بضمة وبضمتين: القطن واحده عطبة، ويريد هنا ذبالة المصباح التي تتخذ من القطن
(٧) المقراض: المقص.
(٨) الممطرة: ثوب من صوف يلبس في المطر يتوقى به منه.
(٩) كتب مصحح اللسان على هذه الكلمة ما نصه: «قوله مغفلات كذا فيا بأيدينا من النسخ ولعله معقلات جمع معقلة بفتح فسكون فضم وهي التي تمسك الماء».
(١٠) الحدب: الغليظ المرتفع من الأرض.

بعَنْتَرِيس[١] كأن الدَّبْرَ[٢] يَلْسَعُهـا إذا تَرَنَّمَ حـادٍ خَلْفَها طَرِب
إلى الوليـد أبي العبَّاس[٣] ما عجِلتْ ودونَه المُعْطُ[٤] من لُبْنانَ[٥] والكُثُبُ

وبعد هذا البيت قوله :

أعطيتَني مائةً صُفراً مَدامعُها الخ .

لمَّا أتيتُكَ مِن نَجْـدٍ وساكِنِه نَفحتَ لي نَفحةً طارتْ بها العَرَبُ
إني أمرؤٌ أعتَفِي[٦] الحاجـات أطلُبُها كما أعتَفى سَنِقٌ يُلْـقى له العُشُبُ

السَّنِق : الذي قد شبع حتى بَشِمَ ، يقول : أطلب الحاجة بغير حِرْصٍ ولا كَلَبٍ ، كما يعتفي هذا البعير البَشِمُ من غير شَرَهٍ ولا شدّة طَلَب .

ولا أُلِحُّ عـلى الخُلاّنِ أسألُهم كما يُلِحّ بعظْم الغـارب[٧] القَتَبُ
ولا أُخادع نَدْماني[٨] لأَخْدَعَـه عن ماله حين يَستَرْخي به اللَّبَبُ[٩]
وأنت وأبناكَ لم يوجد لكم مَثَلٌ ثلاثة كلهم بالتـاج مُعْتَصِبُ
الطيِّبون إذا طـابَتْ نفوسُهمُ شُوسُ[١٠] الحواجبِ والأبصارِ إن غضِبوا

---

(١) العنتريس : الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم .

(٢) الدبر : الزنابير ، وقيل : النحل .

(٣) كنية الوليد بن يزيد وقد ورد في شعر بشار :

تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباس أحلام نائم

(٤) المعط : جمع معطاء وهي الارض التي لا نبات بها .

(٥) لبنان : جبل بالشام وفي معجم البلدان لياقوت في اسم لبنان هو جبل مطل على حمص يجيء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل وبدمشق سنير وبحلب وحماة وحمص لبنان .

(٦) أعتفي : أطلب .

(٧) الغارب : الكاهل أو ما بين الظهر أو السنام والعنق . والقتب معناها رحل البعير .

(٨) الندمان : المنادم على الشراب وربما توسع فيه فاستعمل لكل رفيق ومصاحب .

(٩) اللبب : البال ، والمراد أنه صار في رخاء وسعة ، يقال : استرخت به الحـال اذا صار في حال حسنة بعد ضيق وشدّة ، ويقال : فلان في بال رخيّ ولبب رخيّ أي في سعة وخصب وأمن ، وأصل اللبب ما يشدّ على صدر الدابة أو الناقة يمنع الرحل أو السرج من الاستئخار .

(١٠) شوس : جمع أشوس من الشوس وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً .

قِسني إلى شُعراء الناسِ كلِّهمِ وادعُ الرُّواةَ إذا ما غَبَّ[1] ما اجتلبوا[2]
إني وإن قال أقوامٌ مَديحهمُ فأحسنوه وما حابوا وما كذَبوا
أجري أمامهمُ جَرْيَ امرئٍ فَلَجٍ[3] عِنانُه حين يَجري ليسَ يَضطرِبُ

ابن ميادة وشقران :

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن - أظنّه المدائنيّ - قال أخبرني أبو صالح الفزاريّ قال :

أقبل شُقران مولى بني سَلامان بن سَعد هُذَيم أخي عُذْرة بن سعدا بن هذَيم ، قال : وهُذَيم عبدٌ حَبَشيّ كان حَضَنَ سعدا فغلَبَ عليه ، وهو ابن زيد ابن لَيْث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة من اليمامة ومعه تمر قد امتاره - فلقيَه ابنُ مَيادة فقال له : ما هذا معك ؟ قال : تمرٌ امترتُه لأهلي يقال له : زُبُّ رُبَاح[4] ، فقال له ابن ميادة يُمازحه :

كأنك لم تَقفُلْ لأهلك تمرةً إذا أنت لم تَقفُل بزُبِّ رُبَاحِ

فقال له شُقران :

فإن كان هذا زُبَّه فانطلق به إلى نِسوةٍ سُودِ الوُجوه قِباحِ

فغضب ابن ميادة وأمَضَّه[5] وأنحى عليه بالسوط فضربه ضَربات وانصرفَ مغضَبا ؛ فكان ذلك سَببَ الهجاء بينهما .

---

(١) غب : فسد .

(٢) اجتلاب الشعر : استمداده من آخر وقد فسر ابن الاعرابي قول الشاعر :

يا أيها الزاعم إني اجتلب

فقال : معناه اجتلب شعري من غيري أي أسوقه وأستمدّه .

(٣) الفلج : الظفر والفوز . والوصف منه فالج وفلج (بفتح الفاء وسكون اللام) وحرك ها هنا للضرورة .

(٤) نوع من تمور البصرة .

(٥) أمضه : آلمه وأوجعه .

قال حمّاد عن أبيه وحدّثني أبو عليّ الكلبيّ قال :

اجتمع ابن ميادة وشُقران مَولى بني سَلامان عند الوليد بن يزيد، فقال ابن ميادة : يا أميرَ المؤمنين ، أتجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمثلي في حَسبي ولا نَسبي ولا لساني ولا مَنصبي ! فقال شُقران :

لَعَمْري لئن كنتَ ابنَ شَيْخَيْ عَشيرتي هِرَقْلٍ وكِسرى ما أراني مُقصِّرا
وما أتمنّى أن أكون ابنَ نزوةٍ[1] نَزاها ابنُ[2] أرضٍ لم تجِدْ مُتمهّرا[3]
على[4] حائلٍ تَاوي الصِرارَ[5] بكفّها فجاءتْ بخَوّارٍ[6] إذا عُضّ جَرْجرا[7]

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُبير بن بَكّار وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المَدينيّ عن زُبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خَلّاد عن أبي أيوب بن عبد العزيز قال :

استأذن ابن ميّادة على الوليد بن يزيد وعنده شُقران مَولى قُضاعة فأدخله في صُندوق وأذِن لابن مَيّادة ؛ فلمّا دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هِجاء شُقران فجعل يُنشده ، ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقران وجعل يَهدِر كما يهدِر الفَحْلُ ويقول :

سأكعَمُ[8] عن قُضاعةَ كلبَ قيسٍ على حجرٍ فينْصِتُ للكِعامِ
أسيرُ أمامَ قيسٍ كلَّ يومٍ وما قيسٌ بسائرةٍ أمامي

(١) النزوة : الوثبة عند السفاد، يقال: نزا الذكر على الأنثى نزاء ونزواً اذا وثب عليها عند السفاد .
(٢) ابن الأرض : كناية عن الغريب والمسافر والضيف والفقير .
(٣) المراد هنا : لم تجد من يمهرها أو لم تجد مهراً .
(٤) الحائل : غير الحامل، يقال : حالت المرأة والناقة والنخلة وغيرهن اذا لم تحمل .
(٥) الصرار : خيط يشدّ فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها .
(٦) خوّار : ضعيف .
(٧) جرجر : صوّت .
(٨) الكعم : شدّ فم البعير لئلا يعض او يأكل وشدّ فم الكلب لئلا ينبح ، يقال : كعمه (من باب فتح) اذا شدّ فاه بالكعام . والكعام (وزان كتاب) : ما يعكم بـه . يريد أنه سيلقمه بحجر . وعكم مثل كعم معنى ووزنه كضرب .

وقال أيضاً وهو يسمع :

إني إذا الشعراء لاقى بعضُهم بعضاً ببَلقعةٍ يريد نِضالَها
وقَفوا لُمرتجِزِ الهدير[1] إذا دنتْ منه البِكارة[2] قطَعتْ أبوالها
فتركتُهم زُمَراً ترمَّز[3] باللِّحى منها عنافق[4] قد حلقتُ سِبالَها[5]

فقال له ابن ميادة : يا أمير المؤمنين اكفُف عني هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفِرَه، ولا فرعٌ فأهصِرَه؛ فقال الوليد : أشهد أنك قد جرجرت كما قال شُقران :

لجاءت بخوّار إذا عضّ جرجرا

تفاخره بشعره :

قال يحيى في خبره : واجتمع ابن مَيّادة وعقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد، وكان عِقالٌ شديد الرأي في اليمن، فغمز[6] عِقالٌ ابن مَيّادة واعتلاه؛ فقال ابن ميّادة :

فجرنا ينابيع الكلام وبحرَهُ فأصبحَ فيه ذو الروايةِ يَسبحُ
وما الشِعرُ إلا شعرُ قيس وخندفٍ وقولُ سِواهم كُلفةٌ وتملّحُ[7]

فقال عقالٌ يُجيبه :

ألا أبلغِ الرمّاح نقضَ مَقالةٍ بها خطِلَ الرمّاحُ أو كان يمزحُ

---

(١) الهدير : ترديد البعير صوته في حنجرته . والمرتجز : ما تسمع له صوتاً متتابعاً ، يقال : ارتجز الرعد اذا سمع له صوت متتابع .

(٢) والبكارة كالبكار : جمع بكرة وهي الفتية من الإبل .

(٣) ترمز : تتحرك .

(٤) العنافق : جمع عنفقة وهي الشعرات التي بين الذقن وطرف الشفة السفلى .

(٥) سبالها : جمع سبلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا ، وقيل : ما على الشارب من الشعر ، وقيل : مجتمع الشاربين .

(٦) غمزه : عابه وصغر من شأنه .

(٧) تملح : تكلف الملاحة ، يقال : فلان يتظرف ويتملح أي يتكلف الظرف والملاحة .

لئن كان في قيسٍ وخِنْدِفَ ألْسُنٌ ... طِوالٌ وشعرٌ سائرٌ ليس يُقْدَحُ[١]
لقـد خرّق الحيُّ اليانون قبلَهم ... بحورَ الكلام تُستقى وهي تَطْفَحُ
وهُمْ عَلّموا مَنْ بعــدهم فتعلّموا ... وهُمْ أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا
فللسابقين الفضــلُ لا يُجحدونه ... وليس لمخلوقٍ عليهم تَبجُّـحُ[٢]

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدّثني ابن ميّادة قال:

حنينه الى وطنه وحواره مع الوليد:

قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأبانٍ – وهو موضع كان الوليد يَنزِله في الربيع – :

لعَمــرُكَ إنّي نازلٌ بأبانٍ ... لصَوْءَرَ[٣] مشتاقٌ وإن كنتُ مُكرَما
أبيتُ كأني أرْمَدُ العين ساهرٌ ... إذا بات أصحابي من الليل نُوَّما

قال: فقال لي الوليد: يابن مَيّادة كأنّك غَرِضْتَ[٤] مِن قُربنا؛ فقلتُ: ما مِثلُك يا أمير المؤمنين يُغرَضُ من قربه، ولكن:

ألا ليتَ شِعري هل أبيتَنّ ليلةً ... بحرّةِ[٥] ليلَى حيث ربّتَني[٦] أهلي

---

(١) لعله بمعنى يعاب.

(٢) تبجح: افتخار وتعظم.

(٣) صوءر: ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة مما يلي الشام. ويوم صوءر من ايامهم المشهورة.

(٤) غرضت: ضجرت ومللت.

(٥) الحرة ارض ذات حجارة سود. وفي ديار العرب حرّات كثيرة، وأكثرها حوالي المدينة الى الشام، ومنها حرة ليلى هذه، وهي في ديار بني مرة بن عوف من غطفان، يطؤها الحـاج في طريقهم الى المدينة، وقال السكريّ: حرة ليلى معروفة في بلاد بني كلاب، وأورد قصة الوليد مع ابن ميادة وهذه الأبيات.

(٦) ربتني: فعل رباعيّ، يقال: ربت الصبيّ تربيتاً أي رباه تربية.

وهل أسمعن الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ[1] تَطالعُ من هَجْلٍ[2] خصيبٍ إلى هَجْلِ
بلادٌ بها نِيطتْ عليَّ تمائمي وقُطِعنَ عني حينَ أدركني عَقْلي
فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابسي فأيْسِرْ عليَّ الرزقَ وأجمع إذاً شملي

فقال : كَم الهَجْمة ؟ قلت : مائة ؛ فقال : قد صَدَرْتَ بها كلِّها عُشَراء[3] .
قال ابن ميادة : فذكرتُ وِلدانا لي بنجد إذا استطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا ، وإذا استسقَوْه سقاهم اللهُ وأنا ، وإذا استكسوْه كساهم اللهُ وأنا ، فقال : يابن مَيّادة ، وكم وِلدانُك ؟ فقلت : سبعةَ عشرَ ، منهم عشرةُ نَفَرٍ وسبعُ نِسوة ، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي ؛ فقال : يابن مَيّادة ، قد أطعمهم اللهُ وأميرُ المؤمنين ، وسقاهم الله وأميرُ المؤمنين ، وكساهم الله وأميرُ المؤمنين ؛ أمّا النساء فأربعُ حُلَلٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا الرجالُ فثلاثُ حُلَلٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا السَّقي فلا أرى مائة لِقْحة إلا ستُرويهم ، فإن لم تُروِهم زِدتُهم عينَين من الحجاز ؛ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، لسنا بأصحابِ عيون يأكلنا بها البَعوض ، وتأخذُنا بها الحُمّياتُ ؛ قال : فقد أخلفها اللهُ عليك ؛ كل عام لك فيه مثلُ ما أعطيتك العامَ : مائة لِقْحة وفَحْلها وجارية بِكر وفرس عتيق .

عارض ابن القتال وانتحل بيتا له :

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني شدّاد ابن عُقبة عن عبد السلام بن القتّال قال :

عارضني ابن ميادة فقال : أنشدني يابن القتّال ، فأنشدتُه :

---

(١) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، قيل أوّلها الأربعون فما زادت ، وقيل هي ما بين الثلاثين الى المائة .

(٢) الهجل : المطمئن من الأرض .

(٣) العشراء : الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وجمعها عشار ، وليس في الكلام فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء .

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بصحراء ما بين التّنوفة[١] والرّمل
وهل أزجرنّ العيس شاكية الوجى[٢] كما عسل[٣] السّرحان بالبلد المحْل
وهل أسمعنّ الدهر صوت حمامةٍ تغنّي حمامات على فننٍ[٤] جثلِ
وهل أشربنّ الدهر مُزنَ[٥] سحابةٍ على ثمدٍ[٦] الأفعاة[٧] حاضره أهلي
بلادٌ بها نيطت عليّ تمائمي وقُطِّعنَ عنّي حين أدركني عقلي

قال: فأتاني الرّواة بهذا البيت وقد أصطرفه[٨] ميّادة وحده.

عندما اجازه الوليد:

أخبرني حبيب بن نصر المُهلّبيّ قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق ابن إبراهيم قال حدّثني رجل من كلب وأخبرني يحيي بن عليّ بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن أبي عليّ الكلبيّ قال:

أمر الوليد بن يزيد لأبن ميّادة بمائة من الإبل من صدقات بني كلب، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوهـا له من الطرائد، وهي الغرائب، وأن يمسكوا التِّلاد[٩]؛ فقال ابن ميّادة:

(١) التنوفة: المفازة وقيل الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة.
(٢) الوجى: الحفا وقيل شدّته.
(٣) عسل: مضى مسرعاً وأضطرب في عدوه وهز رأسه، والسرحان: الذئب.
(٤) الفنن: الغصن، والجثل: الضخم الكثير الورق.
(٥) المزن: جمع مزنة وهي المطرة، وتقال على السحابة البيضاء أو السحابة ذات الماء.
(٦) الثمْد والثمَد: الماء القليل.
(٧) الموجود في أسماء الأماكن «أفعى» وقد ذكر في القاموس أنها هضبة لبني كلاب. وذكر البكريّ في معجم ما أستعجم ص ٧١٨ أنها ماءة في ناحية هضب الوراق لبني الطماح من بني أسد. وقد يرد هذا الاسم في الشعر بالتاء فيقال أفعاة. قال بعض الكلابيين:
هل تعرف الدار بذي النبات الى البريقات الى الأفعاة
قال الصاغاني: أدخل الهاء في الأفعاة لأنه رغب بها الى الهضبة.
(٨) لعل أصله استطرفه أي اختاره أو عدّه طريفاً.
(٩) التلاد: مال قديم ولد عندك او نتج.

أَلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّ الحَيَّ كلباً   أرادوا في عطيَّتِكَ ارتدادا
وقالوا إنّها صُهْبٌ[١] وَوُرْقٌ[٢]   وقد أعطيتَها دُهْماً[٣] جِعادا[٤]

فعلموا أنّ الشعر سيبلغ الوليدَ فيُغْضِبُه ؛ فقالوا له : انطلق فخذها صُفرا جِعادا .

شعره في رثاء الوليد :

وقال يحيى بن عليّ في روايته : لما قُتِل الوليد بن يزيد قال ابن ميّادة يرثيه :

ألا يا لَهْفَتَيَّ على وليدٍ   غداةَ أصابه القَدَرُ المُتاحُ[٥]
ألا أبكي الوليد فتى قُرَيْشٍ   وأسمحَها إذا عُدَّ السَّماحُ
وأجبرَها لذي عَظْمٍ مَهيضٍ[٦]   إذا ضنّت بدِرّتها اللِّقاحُ
لقد فعلَتْ بنو مَرْوانَ فعلاً   وأمراً ما يسوغ به القَراحُ[٧]

قال يحيى : وغنّى فيه عُمَرُ الوادي ولم يذكر طريقةَ غِنائه .

وغث قريش حيث كان سمين :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن زُهَير بن مُضرِّس الفَزاريّ عن أبيه قال :

---

(١) صهب : جمع أصهب أو صهباء ، والصهبة في الإبل : أن يكون في ظاهر الشعر حمرة وفي أصوله اسوداد .

(٢) ورق : جمع أورق أو ورقاء . والورقة : سواد في غبرة وقيل سواد في بياض . قال أبو نصر النعاميّ : هجر بحمراء ، وأسر بورقاء وصبح القوم على صهباء ، قيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأن الحمراء أصبر على الهواجر ، والورقاء أصبر على طول السرى ، والصهباء أشهر وأحسن حين ينظر اليها :

(٣) الدهم : جمع أدهم أو دهماء ، والدهمة : السواد .

(٤) جعاد : جمع جعدة من الجعودة وهي في الإبل التواء وبرها وتقبضه ونقيضها السبوطة وهي الانبساط والاسترسال .

(٥) المتاح : المقدّر ، يقال : أتاح الله له خيراً او شرّاً أي قدّره .

(٦) المهيض : المكسور يقال : هاض العظم يهيضه هيضاً فانهاض أي كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجبر فهو مهيض .

(٧) القراح : الماء الخالص الذي لم يخالطه شيء من سويق ولا غيره .

أخصبَ جَنابُ الحجاز الشاميّ فالتْ لذلك الخصب بنو فَزارة وبنو مُرَّة، فتحالُّوا[١] جميعاً به . قال : فبينا ذات يوم أنا وابن ميّادة جالسان على قارعة الطريق عِشاء إذا راكبان يُوجفان[٢] راحلتين حتى وقفا علينا ، فإذا أحدهما يجر الريح وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان معه مولًى له ، فنسبنا[٣] وانتسب لنا ، وقد كان ابن ميّادة يُعلِّلني[٤] بشعره ، فلما انقضى كلامُنا مع القرشيّ ومولاه استعدتُ ابنَ ميّادة ما كنّا فيه ، فأنشدني فخراً له يقول فيه :

وعلى المُلَيْحة[٥] من جَذيمةَ فِتيةٌ يتارضون[٦] تمارضَ الأُسدِ
وترى الملوكَ الغُرَّ تحت قِبابهم يمشون في الحَلَقات والقدِّ[٧]

قال : فقال له القرشيّ : كذبتَ ؛ قال ابن ميّادة : أفي هذا وحده ! أنا والله في غيره أكذبُ ؛ فقال له القرشيّ : إن كنتَ تريد في مديحك قريشا فقد كفَرتَ بربِّك ودفعتَ قوله ، ثم قرأ عليه : (لإيلافِ قُرَيشٍ) حتى أتى على آخرها ، ونهضَ هو ومولاه وركبا راحلتَيهما ؛ فلما فاتا أبصارنا قال ابن ميّادة :

سمينُ قريشٍ مانعٌ منك نفسهُ وغَثُّ قريشٍ حيث كان سمينُ

هجاؤه بني حميس :

أخبرنا يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه عن أبي الحارث المُرّيّ قال :

كان ابن ميّادة قد هاجى سِنان بن جابر أحد بني حُميس بن عامر بن جُهَيْنة ابن زيد بن لَيث بن سُود بن أسلم ؛ فقال ابن ميّادة له فيما قال من هجائه :

(١) تحالوا في كذا أي حلوا متجاورين، ومنه قيل الزوجة حليلة لأنها تحال زوجها في دار واحدة .
(٢) يوجفان : يحثان .
(٣) فنسبنا : سألنا أن ننتسب .
(٤) يعللني : يشغلني ويلهيني، يقال : علله بالحديث أو الطعام اذا شغله به .
(٥) هي موضع في بلاد بني تميم، وكان به يوم بين بني يربوع وبسطام بن قيس الشيباني . ومليحة . اسم جبل أيضاً في غربي سلمى أحد جبلي طيئ وبه آبار كثيرة وطلح .
(٦) التارض : أن يرى من نفسه المرض وليس به .
(٧) القدّ (بالكسر) : سيور تقدّ من جلد فطير غير مدبوغ يشدّ به الأسير .

لقد طالما عَلَّتَ حُجْراً وأهلَه ... بأعراضِ قيسٍ يا سنانُ بنَ جابرِ
أأهجو قُرَيشاً ثم تكرَه ريبتي ... ويَسرِقُني عِرضي حُميسُ بنُ عامرِ

قال : وقال فيهم أيضاً :

قِصارُ الخُطى فُرْقُ[1] الخُصى زُمُرُ اللِّحى[2] ... كأنَّهمُ ظِرْبَى[3] اهتَرَشْنَ على لَحمِ
ذكرتُ حمامَ القَيْظ لما رأيتُهم ... يَمْشُون[4] حَولي في ثيابهمُ الدُّسْمِ[5]
وتُبدي الحُمَيسِيّاتُ في كلِّ زينةٍ ... فُروجاً كآثارِ الصِغارِ من البَهْمِ

قال : ثم إنَّ ابنَ ميادة خرج يبغي إبلاً له حتى ورد جُباراً[6] — وهو ماء لحُميس بن عامر — فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنَّت ، فنشدها إبلَه فذكرتها له وقالت : ممن أنت ؟ قال : رَجُلٌ من سُلَيم بن منصور ؛ فأذِنَتْ له وقالت ادخل حتى نَقرِيَك وقد عَرَفَته وهو لا يدري ؛ فلمَّا قَرَتْه قال ابن ميادة : وَجدتُ ريحَ الطِّيب قد نفَح عليَّ من البيت ، فإذا بِنتٌ لها قد هَتَكَتِ السِّترَ ، ثم استقبلتني وعليها إزارٌ أحمرُ وهي مؤتَزِرةٌ به ، فأطلقته وقالت : انظر يا ابن ميادة الزانية ! أهذا كما نعتَّ ! فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلاً منها ؛ فقالت : أهذا كما قلت :

وتُبدي الحُمَيسِيّاتُ في كلِّ زينةٍ ... فُروجاً كآثارِ الصِغارِ من البَهْمِ

قال : قلتُ : لا والله يا سيِّدتي ، ما هكذا قلتُ ولكن قلت :

---

(١) جمع أفرق ، من الفرق وهو تباعد ما بين الخصيتين ويقال للشاة البعيدة ما بين الخصيتين فرقاء .

(٢) لعله يعني « مجتمعو اللحى » .

(٣) الظربى : جمع ظربان وهي دويبة كالهرة منتنة الرائحة . ويقال : إن أبا الطيب المتنبي لقي أبا عليّ الفارسيّ فقال له أبو عليّ : كم لنا من الجموع على فعلى (بالكسر) . فقال أبو الطيب بديهة : حجلى وظربى ولا ثالث لهما . فما زال أبو عليّ يبحث هل يستدرك عليه ثالثاً فلم يمكن إلا ذلك . واهترشن : تواثبن وتقاتلن .

(٤) يمشون لازم كيمشون .

(٥) الدسم : الوسخة .

(٦) جبار : ماء لبني حميس بن عامر بن ثعلبة بين المدينة وفيد .

وتبدي الُحمَيسِيَاتُ في كلِّ زينةٍ فُروجاً كآثارِ المُقَيسِرَةِ[١] الدُّهمِ

وأنصرف يتشبَّب بها ، فذلك حين يقول :

نَظَرْنا فهاجتنا على الشَّوق والهوى لِزينبَ نارٌ أُوقِدَتْ بِجُبارِ
كأنَّ سَناها لاحَ لي من خَصاصةٍ على غيرِ قَصدٍ والَمطِيُّ سَواري
حُمَيسِيَّةٌ بالرملتين مَحلُّها تَمُدُّ بحِلفٍ بيننا وجِوارِ

قال أبو داود : وكانت بنو حُمَيس حُلفاء لبني سَهم بن مُرَّة ، ثم للحُصَين بن الُحمام . وتَمُدّ وتَمُتّ واحد .

رجع الى الشعر

مُجاوِر من سهم بن مُرّة نِسوةً بمُجْتَمَع النقبين غيرَ عواري
نواعمَ أبكاراً كأنَّ عيونَها عيونُ ظِباء أو عيونُ صُوارِ[٢]
كأنّا نَراها وهي منّا قريبةٌ على مَتْن عَصْماء[٣] اليَدَيْنِ نَوارِ[٤]
تَتَبَّعُ من حِجْرٍ[٥] ذُرا مُتَمَنِّع لها مَعْقِلٌ في رأس كلِّ طَمارِ[٦]
يَدُور بها ذو أسهُم لا ينالها وذو كَلْبات كالقِسيِّ ضَواري[٧]
كأنَّ على المَتْنَيْنِ منها وَدِيَّةً[٨] سقَتْها السواقي من وَديّ دَوارِ

(١) المقيسرة : الإبل المسانّ ، يقال : هذه مقيسرة بني فلان، أي إبلهم المسانّ .

(٢) الصوار هنا : القطيع من البقر، ويقال أيضاً على وعاء المسك وقد جمع الشاعر بينهما بقوله :
إذا لاح الصوار ذكرت ليلى وأذكرها إذا نفح الصوار

(٣) العصماء : ما يكون في ذراعها بياض من الظباء والوعول .

(٤) نوار : نفور .

(٥) اسم لمواضع منها جبل في بلاد غطفان .

(٦) الطمار : اسم المكان المرتفع، يقال : انصب عليهم فلان من طمار أي من مكان عال .

(٧) وصف الكلبات، وهو جمع ضارية أي المتعوّدة الصيد ، يقال : ضري الكلب بالصيد ضراوة أي تعوّد وأضراه صاحبه أي عوده وأغراه به .

(٨) الودية : واحد الوديّ وهو فسيل النخل وصغاره، وهي هنا كناية عن الضفيرة من الشعر .

يَظَلّ سحيقُ المسك يقطُرُ حَوْلَها إذا الماشطاتُ احتفنه بمداري
وما رَوْضةٌ خضراء يضربها الندى بها قُنَّةٌ من حَنْوَةٍ وعَرارِ[1]
بأطيبَ من ريح القَرَنفُلِ ساطعاً بما التفَّ من دِرْعٍ لها وخِمارِ
وما ظبيةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمةً على غفلةٍ فاستسمعت لخُوارِ[2]
بأحسنَ منها يومَ قامَتْ فأتلعتْ[3] على شَرَكٍ[4] من رَوْعةٍ ونِفارِ
فليتَكِ يا حسناءُ يابنةَ مالكٍ يَبيعُ لنا منكِ المَوَدّةَ شاري[5]

ابن ميادة وزينب بنت مالك :

وأخبرني بهذا الخبر الحَرمِيّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني أبو حَرْملة مَنظورُ ابن أبي عَدِيّ الفَزاريّ ثم المَنظوريّ عن أبيه قال حدّثني رَمّاح بن أبرَد قال :

خرجتُ قافلاً من السَّلع[6] إلى نَجد حتى إذا كنتُ ببعض أهضام[7] الحرّة (هكذا[8] في نُسختي ، وأظنّه هِضاب الحَرّة) رُفِع لي بيتٌ كالطِّراف[9] العظيم ، وإذا بفِنائه غنمٌ لم تَسرَحْ ، فقلت : بيت من بيوت بني مُرّة وبي من العَيْمة[10] إلى اللبن ما ليس بأحد ، فقلت : آتيهم فأُسلِّم عليهم وأشرب من لبنهم ، فلما كنت غيرَ بعيد

---

(١) القنة : الجبل الصغير . والحنوة : نبات سهليّ طيّب الريح . والعرار : بهار ناعم أصفر طيب الريح .

(٢) الخوار : صوت البقر والغنم والظباء .

(٣) أتلعت : مدّت عنقها متطاولة .

(٤) الشرك : حبالة الصائد .

(٥) شاري أي بائع ، يقال : شراه إذا باعه .

(٦) عرف باسم « سلع » جبل بقرب المدينة .

(٧) الأهضام : جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المطمئن من الارض .

(٨) هذه العبارة المحصورة بين قوسين واردة في أغلب النسخ ما عدا نسخة ح . والظاهر أنها ليست من كلام أبي الفرج وإنما هي حاشية وجدت على بعض نسخ الاغاني فأدخلها الناسخ في أصل الكتاب لأن صاحب الأغاني روى هذا الخبر عن الحرميّ ولم يذكر أنه نقلها من كتاب .

(٩) الطراف بيت من أدم ليس له كفاء (سترة تكون في مؤخر البيت من أعلاه الى أسفله) وفي بعض النسخ : « الظرب » والظرب ككتف : الرابية أو الجبل المنبسط .

(١٠) العيمة : شهوة اللبن ، يقال : عام الرجل الى اللبن يعام ويعيم عيماً وعيمة إذا اشتهاه .

سلّمت فردّتْ عليّ أمرأةٌ بَرْزَةٌ[١] بفناء البيت ، وحيّت ورحّبت وأستنزلتني فنزلتُ ، فدعتْ بلبن ولِبَأٍ[٢] ورِسلٍ من رِسل تلك الغنم ، ثم قالت : هَيا فلانةُ ألبَسي شَفًّا[٣] وأخرُجي ، فخرجتْ عليّ جاريةٌ كأنها شمعة ما رأيتُ في الخلق لها نظيراً قبلُ ولا بعدُ ، فإذا شَفُّها ذاك ليس يُواري منها شيئاً وقد نَبا عن رَكَبِها[٤] ما وقع عليه من الثوب فكأنه قَعبٌ[٥] مُكفأ ، ثم قالت : يأبن ميّادة الخبيثة ، أأنت القائل :

وتُبدي الحُمَيسيّات في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثارِ الصِغارِ مِن البَهْمِ ؟

فقلت : لا والله – جعلني الله فِداك يا سيّدتي – مـا قلت هذا قط ، وإنما قلت :

وتُبدي الحُمَيسيّاتُ في كلّ زينةٍ ... فُروجاً كآثار المُقيّرة الدُّهمِ

قال : وكان يقال للجارية الحُمَيسيّة : زينب بنت مالـك ، وفيها قال أبن ميّادة قصيدته :

أَلِمّا فَزورا اليومَ خيرَ مَزارِ

اعطاه الوليد جارية فقال شعرا :

أخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء، قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدّثني موهوب بن رشيد الكِلابيّ قال :

(١) البرزة : المرأة المتجاهرة تبرز للناس ويجلس اليها القوم وهي مع ذلك عفيفة عاقلة .

(٢) اللبأ : أوّل اللبن عند النتاج . والرسل : اللبن .

(٣) الشف من الثياب : الرقيق، يقال : شف الثوب عن المرأة يشف شفوفاً وشفيفاً فهو شفّ أي رق حتى يرى ما خلفه .

(٤) الركب : ظاهر الفرج، وقيل : هو الفرج نفسه .

(٥) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافي ، وقيل قدح من خشب مقعر . والمكفأ : المقلوب يقال أكفأ الشيء أي كبه وقلبه ككفأه .

أعطى الوليد بن يزيد ابنَ ميّادة جاريةً طَبَرِيّةً[١] أعجميّة لا تُفصح، حسناء جميلةً كاملةً لولا العُجمة، فعشِقها وقال فيها:

جزاكَ الله خيراً من أميرٍ   فقد أعطيتَ مِبراداً سَخوناً
بأهلي ما ألذَّكِ عند نفسي   لوَ انّكِ بالكلام تُعَرِّبينا
كأنكِ ظبيةٌ مَضَغَتْ أراكاً   بوادي الجِزْعِ حين تُبَغِّمينا[٢]

ملاحاة ابن ميادة:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إسحاق بن شُعَيب بن إبراهيم ابن محمد بن طَلْحَة قال:

ورَدتُ على بني فَزارة ساعياً[٣]، فأتاني ابنُ ميّادة مُسَلِّماً عليّ، وجاءتني بنو فَزارة ومعها رجلٌ من بني جعفر بن كلاب كان لهم جاراً وكان مُخطَّطاً[٤] مَوْسوماً بجمال، فلما رأيتُه أعجبني، فأقبلتُ على بني فزارة وقلتُ لهم: أي أخوالي هذا؟ فوالله إنه ليَسُرّني أن أرى فيكم مثله؛ فقالوا: هذا - أمتَعَ الله بك - رجلٌ من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جارٌ. قال: فأصغى إليّ ابن ميّادة، وكان قريباً مني، وقال: لا يغرّنك - بأبي أنت - ما ترى من جسمه فإنه أجوفُ لا عقلَ له؛ فسمِعه الجعفريُّ فقال: أفيَّ تقع يابن ميّادة وأنت لا تَقري ضيفك؟ فقال له ابن ميّادة: إن لم أقره قراه ابن عمي وأنت لا تَقري ولا ابنُ عمك. قال ابن عمران: فضحكت مما شهد به ابن ميّادة على نفسه.

كان بخيلا لا يكرم اضيافه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن

(١) نسبة الى طبرستان من بلاد الفرس وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم.
(٢) التبغم: ترخيم الصوت.
(٣) ساعياً: جابياً صدقاتهم.
(٤) مخططاً: جيلاً.

المُعَلَّى بن نوح الفزاريّ قال حدّثني خـال لي كان شريفاً من سادات بَني فَزارة قال :

ضِفتُ ابن ميَّادة فأكرمني وتحفَّى[١] بي وفَرَّغ لي بيتاً فكنتُ فيه ليس معي أحد ، ثم جاءني بقدَح ضخم من لبن إبله فشربته ثم ولّى ، فلم يَنشَب أن جاءني بآخرَ فتناولتُ منه شيئاً يسيراً ، فما لبثتُ حتى عاد بآخر فقلتُ : حَسبُك يا رمّاح فلا حاجةَ لي بشيء ؛ فقال : اشرَب بأبي أنت ، فوالله لربّما بات الضيفُ عندنا مدحوراً[٢] .

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمي مُصْعَب عن جدّي عبدِ الله ابن مُصعَب قال :

أتينا ابن ميَّادة نتلقّى منه الشعرَ ؛ فقال لنا : هل لكم في فضل شَنّةٍ[٣] ؟ فظنناها تمراً ، فقلنا له : هاتِ ، لنبسطه بذلك ، فإذا شَنَّةٌ فيها فضلةٌ من خمر قد شُرِب بعضها وبقي بعضٌ ، فلما رأيناها قمنا وتركناه .

وليمة يضرب فيها الناس بالسياط :

أخبرنا الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكثيريّ قال حدّثني نعمة الغِفاريّ قال :

قدِم ابن ميَّادة المدينة فدُعي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمة حرساً يضْربون الزّلالين[٤] بالسِّياط يمنعونهم من الدخول ، فرجع وهو يقول :

(١) تحفى بي أي بالغ في برّي والسؤال عن حالي .

(٢) مدحوراً : مطروداً .

(٣) الشنة : الخلق من كل آنية صنعت من جلد ، ويقال للسقاء شنّ ، وللقربة شنّ .

(٤) الزلالون : الطفيليون نقل ابن برّي عن ابن خالويه أن من اسماء الطفيلي الزلال .

ولمّا رأيتُ الأصبحيّة(١) قنّعتْ(٢) مفارقَ شُمْطٍ حيث تُلوى العمائمُ
تركتُ دفاعَ الباب عمّا وراءه وقلتُ صحيحٌ من نجا وهو سالمُ

من تركت عند نسائك:

أخبرني يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال:

قال الوليد بن يزيد لابن ميّادة في بعض وِفاداته عليه: مَن تركت عند نسائك؟ قال: رَقيبين لا يُخالفاني طَرْفة عين: الجوع والعريْ. وهذا القول والجواب يُروى أنّ عمرَ بنَ عبد العزيز وعقيل بن عُلّفة تَراجعاهما، وقد ذُكرا في أخبار عقيل.

مدحه لأبي جعفر المنصور:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمي مُصعب وأخبرني محمد بن مزيد قال: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبير وأخبرنا يحيى بن عليّ قال: حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ عن مُصعب:

أنّ ابن ميّادة مدَح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها:

طلعتْ علينا العِيسُ بالرَّمّاحِ

ثم خرج من عند أهله يُريده، فمرّ على إبله فحُلِبت له ناقةٌ من إبله، وراح عليه راعيه بلبنها فشرِبه ثم مسَحَ على بطنه ثم قال: سبحان الله! إنّ هذا لهو الشَّرَه! يكفيني ابن بَكْرة وأنا شيخ كبير، ثم أخرج واغترب في طلب المال! ثم رجَع فلم يخرج. وهذه القصيدة من جيّد شعر ابن ميّادة، أوّلها:

---

(١) الأصبحية: السياط نسبة إلى ذي أصبح ملك من ملوك حمير.

(٢) قنعت أي علت الرؤوس، يقال: قنع فلان رأس الجبل أي علاه، وقنعت فلاناً بالسيف والسوط أي علوته به.

وكواعبٍ قد قلنَ يوم تواعُدٍ قولَ المجدّ وهنّ كالمُزّاحِ
يا ليتنا في غير أمرٍ فادحٍ طلَعتْ علينا العيسُ بالرَّمّاحِ
بَينا كذاك رأينني متعصِّباً بالخزّ فوق جُلالةٍ سِرْداحِ[1]
فيهنّ صفراء المعاصِم طفْلَةٌ[2] بيضاء مثلُ غريضةِ[3] التُّفّاحِ
فنظرن من خَلَل الحِجال بأعينٍ مَرْضى مُخالطُها السَّقامُ صِحاحِ
وارتشنَ[4] حين أردْنَ أن يرمينَني نَبْلاً بلا ريشٍ ولا بقِداحِ

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم :

فلئنْ بَقيتُ لأَلحقنّ بأبحُرٍ يَنمينَ لا قُطْعٍ[5] ولا أَنْزاحِ[6]
ولآتينّ بَني عليٍّ[7] إنّهمْ مَن يأتهم يتلقَّ بالإفلاحِ
قومٌ إذا جُلِب الثناء إليهمُ بِيعَ الثناء هناك بالأَرباحِ
ولأَجلِسَنّ إلى الخليفة إنّه رَحْبُ الفِناء بواسع نَجّاحِ

وهي قصيدة طويلة .

نزل مطر شديد وصواعق فانشد :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن أيّوب بن سلَمة قال : اعتمرتُ[8] في رجب سنة خمس ومائة ، فصادفني ابن ميّادة بمكة وقدِمها مُعتمراً ،

---

(١) الجلالة : الناقة العظيمة . والسرداح : الناقة الطويلة ، وقيل : الكثيرة اللحم .

(٢) الطفلة (بالفتح) : الجارية الرقيقة البشرة الناعمة .

(٣) الغريضة : الطرية .

(٤) ارتشن نبلاً : اتخذن لها ريشاً .

(٥) لا قطع : جمع أقطع وهو الذي انقطع ماؤه .

(٦) أنزاح : جمع نزح وهو ما نزح أكثر مائه ، وهو أيضاً الماء الكدر .

(٧) كتب في هامش إحدى النسخ على هذا البيت (يعني علي بن عبد الله بن العباس ا هـ) وهو أصغر أولاد عبد الله بن عباس ولكنه تقدمهم لظرفه ونبله وقد أنزله عبد الملك بن مروان الحميمة ببلاد الشام فلبث فيها حتى مات .

(٨) اعتمرت : حججت .

فأصابنا مطر شديد تهدّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق، فجلس إليّ ابن ميّادة الغدَ من ذلك اليوم، فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغيث فيقولون: صَعِق فلان وانهدم منزل فلان؛ فقال ابن ميّادة: هذا العَيْث[1] لا الغَيْث؛ فقلت: فما الغيث عندك؟ فقال:

سحائبُ لا مِن صَيِّبٍ ذي صَواعِقٍ ... ولا مُحرِقاتٍ ماؤُهنّ حَميمُ
إذا ما هبطْنَ الأرض قد مات عودُها ... بكَيْنَ بها حتى يَعيش هَشيمُ

كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني موسى بن زُهير عن أبيه قال:

جلست أنا وعيسى بن عُمَيلة وابن ميّادة ذات يوم، فأنشدنا ابن ميّادة شعره مَليّاً، ثم أنشدنا قوله:

ألا ليتَ شِعري هل أبيتنّ ليلةً ... بحَرّةِ ليلى حيث ربّتني أهلي
بلادٌ بها نِيطتْ عليّ تمائمي ... وقُطِّعن عنّي حين أدركني عقلي
وهل أسمعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ ... تَطالَع من هَجْلٍ خَصيبٍ إلى هَجْلِ
صُهَيْبيَّةٍ صفراءَ تُلْقي رِباعها ... بمُنعَرَج الصَّمّانِ[2] والجَرَع[3] السهلِ

تلقي رِباعها: تطرَح أولادها. وواحد الرِباع رُبَع.

وهل أجمعنّ الدهرَ كفّيّ جُمعةً ... بمَهضومةِ الكَشْحَيْن ذاتِ شَوًى[4] عَبْلِ

---

(١) العيث بالعين المهملة: الفساد.

(٢) الصمان: أرض غليظة دون الجبل، ويطلق على جبل بتقاد ثلاث ليال وليس له ارتفاع بين البصرة ومكة، يخرج المسافر من البصرة الى مكة فيسير الى كاظمة ثلاثاً ثم الى الدوّ ثلاثاً ثم الى الصمان ثلاثاً ثم الى الدهناء ثلاثاً.

(٣) الجرع: الرملة السهلة المستوية.

(٤) الشوى: الأطراف: اليدان والرجلان والرأس. والعبل: الضخم.

مُحلّلةٍ لي لا حراماً أتيتُها   من الطيبات حين تَرْكُضُ في الحِجل[١]
تَميلُ إذا مالَ الضجيع بعِطفِها   كما مالَ دِعْصٌ[٢] من ذُرا عَقِدِ[٣] الرمل

فقال له عيسى بن عُمَيلة : فأين قولك يا أبا الشُّرَحبيل :

لقد حَرَّمت أمي عليَّ عَدِمتُها   كرائمَ قومي ثمَّ قِلّةُ ماليا

فقلت له : فاعطف إذن إلى أمة بني سُهيل فهي أعندُ وأنكدُ ، وقد كنت أظن أن ميادة قد ضربت جاشك[٤] على اليأس من الحرائر ، وأنا أداعبه وأضاحكه؛ فضحك وقال :

ألم ترَ قوماً يَنكِحون بمالِهمْ   ولو خَطَبَتْ أنسابُهم لم تُزَوَّجِ

أخبرني الحرمي قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمي مُصعب وغيرُه :

أنّ حُسينة اليسارِيّة كانت جميلة — وآلُ يَسار من موالي عُثمان رضوان الله عليه يسكنون تَياء ، ولهم هناك عدد وجَلَد ، وقد انتسبوا في كلب إلى يَسار ابن أبي هند فقبِلهم بنو كلب — قال : وكانت عند رجل من قومها يقال له : عيسى بن إبراهيم بن يَسار ، وكان ابن ميادة يزورها ؛ وفيها يقول :

ستأتينا حُسَيْنَةُ حيث شِئنا   وإن رَغِمتْ أنوفُ بني يَسار

قال : فدخل عليها زوجها يوماً فوَجد ابنَ ميادة عندها ، فهمّ به هو وأهلُها ؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حُسينة حتى أفلت ابنُ ميادة ؛ فقال في ذلك :

---

(١) الحجل بفتح الحاء المهملة وكسرها : الخلخال .

(٢) الدعص (بالكسر) : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب منه المجتمع ، جمعه دعص (كعنب) وأدعاص ودعصة (كعنبة) .

(٣) العقد : المتراكم من الرمل .

(٤) قال في اللسان (مادة جأش) : «وقال مجاهد في قوله تعالى : (يأيتها النفس المطمئنة) : هي التي أيقنت أن الله ربها وضربت بذلك جأشاً . قال الأزهري : معناه : قرت يقيناً واطمأنت كما يضرب البعير بصدره الأرض» . والمعنى هنا : أنها جعلت قلبه على يأس من الاقتران بالحرائر لانحطاط نسبها .

لقد ظلّتْ تُعاوِنُني عليهمْ صَموتُ الحِجْل كاظمةُ السِّوارِ[1]
وقد غادرتُ عيسى وهو كلبٌ يُقطِّع سَلحه خَلف الجِدارِ

أخبرني يحيي بن عليّ بن يحيي قال حدثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدثني عبد الله بن خالد بن دُفَيف التغلبيّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن نُمَيْرة العدويّ عن أبي العلاء بن وَثّاب قال :

زار سليمان بن عبد الملك ومدحه :

قَدِمَ ابنُ ميّادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسمر عنده في الليل ، فقال عبد الواحد لأصحابه : إني أهُمّ أن أتزوّج ، فابغوني أيِّماً ؛ فقال له ابن ميّادة : أنا أدُلُّك ، أصلحك الله أيها الأمير ؛ قال : على مَن يا أبا الشُّرَحبيل ؟ قال : قدِمتُ عليك أيها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمن فيه الجنةُ وأهلُها ، فوالله لبَينا أنا أمشي فيه إذْ قادتني رائحة عِطر رجل حتى وَقَفَتْ بي عليه ، فلمّا وقع بَصري عليه استلهاني حُسنه فما أقلعتُ عنه حتى تكلّم ، فخلته لمّا تكلّم يتلو زبوراً أو يدرس إنجيلا أو يقرأ قرآناً حتى سكت ، فلولا معرفتي بالأمير لشككتُ أنه هو ، ثم خرج من مُصلّاه إلى داره ، فسألت : مَن هو ؟ فأُخبرت أنه للحَيَّيْن وبين الخليفتين ، وأنْ قد نالته ولادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لها نور ساطع من غُرّته وذؤابته ، فنعم المُنْكِحُ ونعم حَشو الرَّحل وابنُ العشيرة ، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد وجاب ذكره البلاد . فلمّا قضى ابن ميّادة كلامه قال عبد الواحد ومَن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحُسين ، فقال ابنُ ميّادة :

لهم نَبْوَةٌ[2] لم يُعطِها اللهُ غيرَهم وكلُّ قضاء الله فهو مُقَسَّم

(١) كاظمة : من كظم أي صمت ، والسوار من حليّ اليدين معروف . والمعنى أنّ خلخالها وسوارها لا يسمع لهما صوت لامتلائها بمعصمها وساقها .

(٢) النبوة : ما ارتفع من الأرض ، وهي هنا كناية عن العلوّ والارتفاع .

قال يحيى بن عليّ : ومما مدح به عبدَ الواحد لمّا قَدِم عليه قوله :

مَن كان أخطأه الربيعُ فإنما نُصِرَ[١] الحجازُ بغَيْثِ عبدِ الواحدِ
إنّ المدينةَ أصبحتْ معمورةً بمُتَوَّجٍ حُلوِ الشمائلِ ماجدِ
ولقد بَلَغتَ بغيرِ أمرٍ تَكَلُّفٍ أعلى الحظوظِ برَغمِ أنفِ الحاسدِ
وملكتَ ما بين العراق ويَثْرِبٍ مُلكاً أجار لمسلم ومُعاهدِ
مالَيْهما ودَمَيْهما من بعد ما غَشّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ الماردِ

امر من مر واحلى من عسل :

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني سعيد بن زيد السُّلَمي قال :

إنّا لَنُزُولٌ أنا وأصحابٌ لي قبل الفِطر بثلاثِ ليالٍ على ماء لنا، فإذا راكبٌ يسير على جملٍ مُلتفٌ بثوب والسماء تغسله حتى أناخ إلى أَجَمٍ[٢] عرَفْته، فلما رأيناه لثقاً[٣] قمنا اليه فوضعنا رحله وقيّدنا جمله، فلمّا أقلعت السماء عنّا وهو معنا قاعدٌ قام غلمةٌ منّا يرتجزون والرّجل لم ينتسب لنا ولا عرفناه، فارتجز أحدهم فقال :

أنا ابنُ مَيَّادةَ لَبّاسُ الحُلَلْ أَمَرُّ من مُرٍّ وأَحلى من عَسَلْ

حتى قال له الرجل : يابن أخي، أتدري من قال هذا الشعر ؟ قال : نعم، ابن ميادة قال : فأنا هو ابن ميادَة الرَّمّاح بن أبرَدَ، وبات يُعَلّلنا من شعره، ويقطعُ عنّا الليلَ بنشيده، وسَرَينا راحلين فصبّحنا مكة فقضينا نُسُكَنا، ولقيه رجلان من قومه من بني مرّة فعرفها وعرفاه وأفطرنا بمكة، فلما انصرفنا من المسجد يوم الفطر إذا نحن بفارسين مُسوّدَين وراجلَين مع المرّيّين يقولون : أين ابنُ ميادَة ؟

(١) نصر : سقى، يقال : نصر الغيث الارض نصراً، أي غاثها وسقاها وأعانها على الخصب والنبات، وقد أورد صاحب اللسان هذا المعنى واستشهد عليه بهذا البيت .

(٢) أجم جمع أجة وهي الشجر الكثير الملتف .

(٣) اللثق : المبتل، يقال : لثق الطائر من باب تعب فهو لثق إذا ابتلّ ريشه .

فقلنا : ها هو وقد برزنا من خيمة كنّا فيها ، فقلنا لابن ميادَة : أبرُزْ ؛ فلما نظر الى المرِّيين قال :

إحدى عَشيّاتِك يا شَميرجْ

– قال : وهذا رجزٌ لبعض بني سُلَيم يقوله لفرسه :

أقولُ والرّكبة فوق المِنسَج[١] إحدى عَشيّاتِــك يا شَميرجْ

ويروى : مشمرج .

ما أكثر الماضين :

فقال لابن ميادة : أجب الأميرَ عبدَ الصمد بن علـيّ وخذ معك من أصحابك مَن أحببتَ ؛ فخرج وخرج معه منّا أربعةُ نفرٍ أنا أحدُهم حتى وقفنا على باب دار النّدْوَة[٢] ، فدخل أحد المسوّدين ، ثم خرج فقــال : ادخل يا أبا شَجرة ، فدخلتُ على عبد الصمد بن عليّ فوجدتُه جالساً متوشّحاً بملحفةٍ مُورَّدة[٣] ؛ فقال لي : مَن أنت ؟ قلتُ : رجلٌ من بني سُلَيم ؛ فقال : ما لك تُصاحبُ المُرّي وقد قتلوا معاويةَ بن عمرو ! وقالت الخنساء :

ألا ما لِعيني ألا ما لهــا لقد أخضَلَ الدمعُ سِربالَها
فآليتُ آسى[٤] عـلى هالكٍ وأسألُ نائحــةً ما لَها
أبعدَ ابنِ عمرو مِنَ آلِ الشّريــد حلّت[٥] به الأرضُ أثقالَها

---

(١) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد ، وقيل : المنسج للفرس بمنزلة الكاهل من الانسان والحارك من البعير .

(٢) دار الندوة : دار أحدثها قصيّ بن كلاب بن مرة لما تملك مكة ، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصيّ ، ثم صارت الى حكيم بن حزام ، فاشتراها منه معاوية بن أبي سفيان بمائة ألف درهم وقيل لم تزل في أيدي بني عبد الدار حتى اشتراها معاوية بن عكرمة بن عامر من بني عبد الدار وجعلها دار الامارة ، وسميت دار الندوة لأنهم كانوا يندون فيها أي يجتمعون للمشاورة .

(٣) موردة : لونها ورد ، يقال : ورّدت الثوب أي جعلته ورداً . والورد في الألوان : حمرة تضرب الى صفرة حسنة .

(٤) يريد لا آسى ولا أسأل .

(٥) حلت به الأرض أثقالها : زينت موتاها ، وهو من التحلية . والأثقال : الموتى ، وقــد فسر بذلك قوله تعالى : (وأخرجت الأرض اثقالها) . أو حلت من حللت الشيء فانحل ، ومعناه أن اخاها معاوية بن عمرو كان ثقيلاً على الأرض لأنه كان هو وأصحابه ومن معه يركضون عـلى الأرض ويقاتلون عليها فلما مات انحل ذلك الثقل الذي كان عليها .

فإن تَـكُ مُرّةُ أوْدَتْ به فقـد كان يُكثِرُ تَقْتالَها

أتَرويها ؟ قلتُ : نعم أصلحَ الله الامير ، وما زال من المعركة حتى قتل به خُفافُ بن عمرو المعروف بأبن نُدْبة كَبشَ القوم مالـكَ بن حِمارِ الفزاريّ ثم الشَّمْخيّ ، أما سمع الامير قولَ خُفاف بن نُدبةَ في ذلك :

فإن تَكُ خَيلي قد أُصيب صَميمُها فعَمْداً عـلى عينٍ تَيَمَّمتُ مالـكَا
تيَمَّمْتُ كَبشَ(١) القوم حين رأيتُه وجانَبتُ شُبّانَ الرِّجال الصَّعالكَا
أقولُ له والرمحُ يأطِرُ(٢) مَتْنَـه تأمَّل خُفافـا إنني أنا ذلـكَا

وقد توسّط معاوية بن عمرو خيلَهم فأكثر فيهم القتلَ ، وقتل كبشَ القوم الذي أُصيب بأيديهم ؛ فقال : لله درُّكَ ! إذا ولدَتِ النساء فَلْيَلِدْنَ مثلك ! وأمر لي بألف درهم ، فدُفِعتْ إليّ وخلع عليّ . وأُدخل ابن ميّادة فسلّم عليه بالإمرة ؛ فقال له : لا سلّم اللهُ عليك يا ماصّ كذا(٣) من أمه ؛ فقال ابن ميّادة : ما أكثر الماصين ! فضحك عبدُ الصمد، ودعا بدفتر فيه قصيدةُ ابن ميّادة التي يقول فيها :

لنا المُلكُ إلا أنّ شيئاً تَعُـدُّه قريشٌ ولو شئنا لداخَتْ(٤) رِقابُها

ثم قال لابن ميّادة : أُعتِق ما أملِكُ إن غادرتَ منها شيئاً إن لم أبلغ غيظَك، فقال ابن ميّادة : أُعتِق ما أملك إن أنكرتُ منها بيتاً قلتُه أو أقررتُ ببيت لم أقله ؛ فقرأها عبدُ الصمد ثم قال له : أأنتَ قلتَ هذا ؟ قال نعم ؛ قال : أفكنتَ أمِنتَ يابن ميّادة أن يَنقضّ عليك بازٍ من قريش فيضربَ رأسك ! فقال : ما أكثر البازين ! أفكان ذلك البازي آمناً أن يلقاه بازٍ من قيس وهو يسير فيرميَه فتشولَ(٥) رِجْلاه ! فضحك عبد الصمد ثم دعا بكُسوة فكساهم .

(١) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم .
(٢) يأطر : يثني ويعطف .
(٣) تقول العرب في السب : يا ماص بظر أمه ، ولم يصرح به هنا لقبحه .
(٤) داخت : ذلت وخضعت .
(٥) تشول : ترتفع ، وهو كناية عن الموت .

قرشي يهجو الحسن بن علي :

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الصمد بن شَبيب قال قال أبو حُذافة السَّهْميّ :

سَبَّ رجلٌ من قُرَيش في أيام بني أميَّة بعضَ ولد الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فأغلظ له وهو ساكتٌ ، والناسُ يَعجبون من صبره عليه ، فلما أطال أقبل الحسنيّ عليه متمثِّلاً بقول ابن ميَّادة :

أظنَنْتَ سَفاهاً من سَفاهــة رأيها أنَ أهجُوَهــا لمَّا هَجَتْني مُحاربُ
فلا وأبيهـا إنني بعَشيرتي ونَفسيَ عن ذاك المَقامِ لراغِبُ

فقام القُرَشيّ خَجلاً وما ردّ عليه جواباً .

مدحه امير المؤمنين :

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلّام قال :

مدح ابن ميَّادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة ، فأخبرني مِسمَع بن عبد الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها اليه . قال فقال له : جزاكَ الله خيراً ! ممن أنتَ رحمك الله ؟ قلتُ : أحدُ بني مِسمع ؛ قال : ممن ؟ قلتُ : من قَيس بن ثعلبة ؛ قال : ممن ؟ عافاك الله ! قلتُ : من بكر بن وائــل ؛ قال : والله لو كنتُ سمعتُ ببكر بن وائل قط أو عرفتهم لمدحتُك ، ولكني ما سمعتُ ببكر قطّ ولا عرَفتهم ، ثم مدح جعفراً فقال :

لَعَمْرُكَ ما سيوفُ بني عليٍّ بنابيَةِ الظُّباةِ[1] ولا كِلالِ[2]

---

(١) الظباة : جمع ظبة وهي حدّ السيف والسنان والنصل .

(٢) قال ابن سيدة : يجوز أن يكون جمع كال كجائع وجياع ونائم ونيام أو جمع كليل كشديد وشداد وحديد وحداد .

هُمُ القومُ الأُلى وَرِثوا أباهُمْ ... تُراثَ محمدٍ غيرَ انتحالِ
وهم تركوا المقالَ لهم رفيعا ... وما تركوا عليهم من مَقالِ
حَذَوتُمْ قومَكم ما قد حَذَوتُمْ ... كما يُحْذى المثالُ على المثالِ
فرُدُّوا في جِراحكُمُ أساكمْ(١) ... فقد أبلغتمُ مُرَّ النَّكالِ

يُشير عليه بالعفوِ عن بني أميَّة ويُذكِّره بأرحامهم .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ عن سليمان المَدِيني عن محمد بن سلام ، قال يحيى قال أبو الحارث المُرّيّ فيما ذكره إسحاق من أخباره :

قال جعفر بن سليمان لابن ميادة : أتحبُّ أن أعطيَك مثلَ ما أعطاك ابنُ عمك رِياح بن عثمان ؟ فقال : لا ، أيها الأمير ، ولكن أعطني كما أعطاني ابنُ عمِّك الوليد بن يزيد .

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميادة : أأنت الذي تقول :

بَني أسدٍ إن تَغضَبوا ثمّ تَغضَبوا ... وتَغضَبْ قُرَيشٌ تُحْمِ قيساً غِضابُها

قال : لا والله ! ما هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال : قلتُ :

بَني أسدٍ إن تَغضَبوا ثمّ تَغضَبوا ... وتَعدِلْ قُرَيشٌ تُحْمِ قيساً غِضابُها

هجا بني أسد وبني تميم :

قال : صدقتَ هكذا قلتَ . وهذه القصيدةُ يَهجو بها ابنُ ميّادَة بني أسد وبني تميم ، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سليمان :

---

(١) الأسى : المداواة والعلاج .

وأحقرُ محقورٍ تميمٌ أخوكُمُ ... وإن غضِبَتْ يَرْبُوعُها[1] ورِبابُها[2]
ألا ما أبالي أن تُخَنْدِفَ[3] خِنْدِفٌ ... ولستُ أبالي أن يَطِنَّ[4] ذُبابُها
ولو أنَّ قَيساً قيسَ عَيلانَ أقسمتْ ... على الشمس لم يَطلُعْ عليكم حِجابُها
ولو حاربتْنا الجِنُّ لم نَرفعِ القَنا ... عن الجِنِّ حتى لا تَهِرَّ كِلابُها
لنا المُلكُ إلا أنَّ شيئاً تَعُدُّهُ ... قُرَيشٌ ولو شِئْنا لذَلَّتْ رِقابُها
وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيشٌ فقُلْ لها ... مَعاذَ الإلهِ أن أكونَ أهابُها
وإني لقوّالُ الجوابِ وإنني ... لَمُقتَجِرٌ[5] أشياءَ يُعيي جوابُها
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليكَ تقاصرتْ ... يداكَ وفاتَ الرِّجلَ منكَ رِكابُها

هو وابن أشول:

قال إسحاق في خبره فحدّثني جبر بن رباط بن عامر بن نصر قال: فقال سَماعة ابن أَشوَل النعاميّ يعارض ابنَ ميّادة:

لعلَّ ابنَ أشبانيَّةٍ عارضتْ بهِ ... رِعاءَ الشَّوِيّ[6] من مُريحٍ وعازبِ
يُسامي فروعاً من خُزيمةَ أحرزتْ ... عليه ثنايا المجد من كل جانبِ

فقال ابنُ ميّادة: مَن هذا؟ لقد أغلقَ عليَّ أغلقَ اللهُ عليه! قالوا: سَماعة بن

---

(١) يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو بن تميم أبو حيّ من تميم منهم متمم بن نويرة اليربوعيّ الصحابيّ. ويربوع بن غيظ بن مرّة أبو بطن من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، منهم الحارث ابن ظالم المرّيّ اليربوعيّ، نقله الجوهريّ.

(٢) الرباب قبائل، قال أبو عبيد: سموا بذلك لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه وهم تيم وعديّ وعكل، وقريب منه قول الأصمعيّ وقال ثعلب: سموا رباباً لأنهم تربّبوا أي تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة وهم: ضبة وثور وعكل وتيم وعديّ. وقد قيل أيضاً عكس ذلك وهو أنهم سموا بذلك لتفرقهم لأن الربة الفرقة ولذلك اذا نسبت الى الرباب قلت ربي بالضم ترده الى واحده.

(٣) تخندف: تهرول، يقال: خندف الرجل اذا هرول ومشى بسرعة.

(٤) يطنّ: يصوّت.

(٥) يقال: اقتجر الكلام اذا اخترقه من غير أن يسمعه فيتعلمه.

(٦) الشوي: اسم جمع للشاة، وقيل: هو جمع لها مثل كلب وكليب.

أشول ؛ فقال : سماعة يُسَمِّعُ[١] بي ، وأشولُ يَشولُ[٢] بي ، والله لا أهاجيه أبداً ، وسكت عنه .

ابن ميادة التي ... :

وقال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسديّ أحدُ بني حارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد يردّ على ابن ميادة ، وهي قصيدة طويلة ذكرتُ منها أبياتاً :

لقد كَذَبَ العبدُ ابنُ ميادة الذي   رَبا وهي وَسطَ الشَّولِ تدمى كِعابُها
شَرَنْبَثَة[٣] الأطرافِ لم يَقْنَ[٤] كَفُّها   خِضابٌ ولم تَشرَقْ بعطرٍ ثيابُها
أرماح إن تغضَبْ صناديدُ خِندِفٍ   يَهِجْ لك حرباً قَصْبُها[٥] واغتيابُها

ويروى « أعتيابها » من الغيبة و « أعتيابها » من العيب .

ولو أغضبَتْ قيسٌ قُرَيشاً لجدَّعتْ   مَسامعَ قيسٍ وهي خُضْعٌ رِقابُها
لقد جرّ رماحُ ابن واهصةِ[٦] الخُصى   على قومه حرباً عظيماً عذابُها
وقد علِمَ المساوحُ بالشؤم رأسُهُ   قُتَيبةُ أن لم تحمِ قيساً غِضابُها
ولم تَحمِها أيامَ قَتلِ ابنِ حازمٍ   وأيامَ قتلى كانَ خِزياً مُصابُها
ولا يومَ لاقينا نُميراً فَقُتِّلَتْ   نُميرٌ وفرّتْ كَعبُها وكلابُها
وإن تَدعُ قيساً لا تُجِبْكَ وحولَها   خيولُ تميمٍ سَعدُها وربابُها
ولو أنّ قيساً قيسَ عَيلانَ أصحرت[٧]   لأنواء غنمٍ غرّقتها شِعابُها

(١) أي يشهرني ويفضحني .

(٢) يشول بي : يرفع من ذكري ويشهرني .

(٣) أي غليظتها .

(٤) هو من قنا الشيء لغة في قنأ، أي صبغه، وقوله بعد « لم تشرق » الخ . أي لم تمتلىء ، يقال : شرق الجسد بالطيب، أي امتلأ .

(٥) قصبها : عيبها ، يقال : قصبه يقصبه قصباً ، أي عابه ووقع فيه .

(٦) من الوهس وهو الغمز أو شد خصي الكبش، ويعير الرجل فيقال له : يابن واهصة الخصى اذا كانت أمه راعية .

(٧) أصحرت : برزت الى الصحراء لا يواريها شيء .

ولو أنَّ قرنَ الشمسِ كان لمعشرٍ لكان لنا إشراقُها واحتجابُها
ولكنَّها لله يَملك أمرَها بقُدرته إصعادُها وانصبابُها
لَعَمْري لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبَلٍ لبئسَ شبابُ المرء كان شبابُها
ولم تدرِ حمراءُ العِجانِ[١] أَنَهْبَلٌ أبوهُ أمِ المُرِّيَّ تَبَّ تَبابُها
فإن يكُ رمّاحُ بنُ ميّادةَ التي يُصِنَّ[٢] إذا باتتْ بأرضٍ ترابُها
جَرى جَريَ موهونِ القوى قَصَّرتْ به لئيمةُ أعراقٍ إليه انتسابُها
فلن تَسبق المضمارَ في كلِّ مَوطنٍ من الخيلِ عندَ الجدِّ إلّا عِرابُها
ووالله لولا أنَّ قَيساً أذِلَّةٌ لئامٌ فلا يُرضى لحُرٍّ سِبابُها
لألحقتُها بالزَّنج ثم رَمَيْتُها بشنعاءَ يُعْيي القائلين جوابُها

ابن ميادة وابان :

أخبرني يحيى بن علي عن حمّاد عن أبيه قال :

وجدتُ في كتاب أبي عمرو الشَّيباني فعرضتُه على أبي داود فعرفه أو عامّتَه ، قال :

إنّا لجلوسٌ على الهجم[٣] في ظلِّ القصر عشيّةً ، إذ أقبلَ إلينا ثلاثةُ نفرٍ يَقودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عُيَينة بن حِصن وهو في جماعة من بني عُيَينة ، قال : فرأيتُ أجلَّةً ثلاثةً ما رأيتهم قطُّ ، فقلنا : مَن القوم ؟ فقال أحدهم : أنا ابن ميّادة وهذان من عشيرتي ؛ فقال أبان لأحد بَنيه : اذهبْ بهذه الناقة فأطلق عنها عند بيت أمّك ؛ فقال له ابنُ ميّادة : هذه يا أبا جعفر السّعلاة ، أفلا أنشِدُك ما قلتُ فيها ؟ قال : بلى فهات ؛ فقال :

(١) حمراء العجان : هو سب كان يجري على ألسنة العرب يسب به الأعجمي فيقال له : «يابن حمراء العجان» .

(٢) يصنّ : ينتن .

(٣) الهجم : ماء لبني فزارة ، ويقال : إنه من حفر عاد .

قَعَدْتُ على السَّعْلاة تنفُضُ مِسحَها[١] وتُجذَبُ مِثلَ الأيمِ في بُرَة الصُّفرِ
تُيَمِّم خـيرَ الناس ماء وحاضراً[٢] وتَحمِلُ حاجاتٍ تضمَّنها صدري
فإني على رَغْمِ الأعادي لقائلٌ وَجدتُ خِيارَ الناسِ حَيَّ بني بدرِ
لهم حاضرٌ بالهجم لم أرَ مثلهم من الناس حيّاً أهلَ بَدْوٍ ولا حَضرِ
وخيرُ مَعدٍّ مجلساً مجلسٌ لهم يَفيء عليه الظلُّ من جانب القصرِ
أخصُّ بها رَوْقَيْ عُيَينة إنــه كذاك ضحاحُ[٣] الماء يأوي الى الغَمرِ[٤]
فأنتم أحقُّ الناس أن تتخيّروا الـــمياه وأن تَرعَوا ذُرى البلد القَفرِ

قال: فكان أوّل قائم من القوم ركضةُ بن عليّ بن عُيَينة، وهو ابن عم أبان وعَبدة بنت أبان، وكانت إبلُه في العَطَن[٥] وهي أكرمُ نَعَمِ بني عُيَينة وأكثرُه فقال: ما سمعتُ كاليوم مَديحَ قومٍ قطّ، حُكمُكَ ماضٍ في هذه الإبل؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك، وقام آخر وآخر؛ فقال ابن ميّادة: يا بني عُيَينة، إني لم آتكم لتتبارى لي شياطينكم في أموالكم، إنما كان عليّ دَينٌ فأردتُ أن تُعطوني أبكُرا أبيعها في دَيني. فأقامَ عندَ أبان بن سعيدٍ خمسةَ عشرَ يوماً، ثم راح بتسع عشرة ناقة، فيها ناقةٌ لابن أبان عُشَراء أو رَباعيةٌ. قال يحيى في خبره: وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن سَعيد بن عُيَينة:

إني على الهجم يوماً إذ أقبلَ رجلٌ فجعل يُصَرِّفُ[٦] راحلتَه في الحياض فيردّه

(١) المسح: كساء من الشعر. والأيم: الحية. والبرة: الحلقة من صفر أو غيره تجعل في لحم أنف البعير.

(٢) الحاضر: الحي العظيم أو القوم، كما يطلق الحاج والسامر والجامل على جماعة الحجاج والسمار وجماعة الابل. وقال الأزهري: العرب تقول: حي حاضر بغير هاء اذا كانوا نازلين على ماء عد.

(٣) لم توجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بأيدينا وإنما الموجود «ضحضح» و«ضحضاح». ولعله «ضحال الماء تأوي» جمع ضحل وهو الماء القليل.

(٤) الغمر: الماء الكثير كالغمرة.

(٥) العطن للابل: كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض.

(٦) يصرف راحلته: يردّها ويصرفها من حوض الى آخر.

الرجل بعد الرجل، فدعوته فقلت : اشرَعْ[١] في هذا الحوض ؛ فلما شرَع فتى قال : مَن هذا الفتى ؟ فقيل : هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيَينة ؛ فقال :

بَنو الصالحينَ الصالحون ومَن يكن ... لآباء سَوْء يَلْقَهم حيثُ سَيَّرا[٢]
فما العود إلا نابتٌ في أرُومه[٣] ... أبى شَجرُ العِيدان أن يتغيَّرا

قال إسحاق : سألت أبا داود عن قوله :

كذاكَ ضحاحُ الماء يَجري الى الغَمْرِ

فقال : أراد أنَّ الأمرَ كلّه والسؤدد يصير اليه ، كما يصير الماء الى الغَمْرة حيث كانت .

ابن ميادة وايوب بن سلمة :

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المَدينيّ قال أخبرني مُصْعَب بن الزُّبير قال :

ضافَ ابن ميَّادة أيوبَ بن سَلمة فلم يَقْرِه ، وابن ميَّادة من أخوال أيوب بن سلمة ، فقال فيه :

ظَلِلْنا وُقوفاً عند باب ابن أختنا ... وظلّ عن المعروف والمجدِ في شُغلِ
صَفاً صَلَدٌ[٤] عنــد الندى ونَعامةٌ ... إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذها العُصْلِ[٥]

(١) شرعت الدواب في الماء (وزان منع) : دخلت فيه ، وشرع فلان في الماء : تناوله بكفيه أو دخل فيه، وشرع إبله : أوردها شريعة الماء .

(٢) سير : ذكر سير الاوائل، ويحتمل ان يكون بمعنى « سار » وشدّد الفعل للمبالغة وإن لم توجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بأيدينا .

(٣) الأروم : الأصل، كالأرومة .

(٤) الصلد : الصلب الأملس والأصل فيه سكون اللام وحرّك هنا للضرورة .

(٥) جمع أعصل أي بين العصل، والعصل في الناب اعوجاجه . قال أوس :

رأيت لها نابا من الشر أعصلا

قال أبو أيوب وأخبرني مُصعب قال :

حذار من قريش :

قدم ابنُ ميادة على رياح بن عثمان ، وقد وَلِيَ المدينةَ وهو جادٌّ في طلب محمد ابن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه ، فقال له : اتخذْ حرساً وجُنداً من غطفان واترك هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمك ، وحذارِ من قريش ؛ فاستخفَّ بقوله ولم يقبل رأيه ؛ فلما قُتِلَ رياحُ قال ابن ميادة :

أمرتكَ يا رياحُ بأمرِ حزمٍ   فقلتَ هشيمةٌ[1] من أهل نجدِ
وقلتُ له تحفَّظ من قُريشٍ   ورقِّـع كلَّ حاشيةٍ وبُردِ
فوجداً ما وَجدْتُ على رياحٍ   وما أغنيتُ شيئاً غيرَ وَجدي

ابن ميادة والنساء :

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال حدثني أكثم بن صيفي المُرّيّ ثم الصارديّ عن أبيه قال :

كان ابنُ ميادة رأى امرأة من بني جُشَم بن معاوية ثم من بني حرام يقال لها : أمّ الوليد ، وكانوا ساروا عليه ، فأُعجبَ بها وقال فيها :

ألا حبّذا أمُّ الوليدِ ومَربعٌ[2]   لنا ولهـا نَشتُو به ونَصيفُ

ويروى :

ألا حبّذا أمُّ الوليدِ ومَربعٌ[3]   لنا ولهـا بالمشتوى ومصيفُ
حَراميّةٌ أمّا مَـلاثُ إزارِها   فَوَعْثٌ[4] وأمّا خَصرُها فلطيفُ

---

(١) هشيمة : ضعفة ، وأصل الهشيم النبت اذا ولى وجف وتكسر فذرته الرياح يميناً وشمالا . والنجد : أعالي الأرض، عن الكامل للمبرد .

(٢) المربع هنا : المنزل .

(٣) المربع : هنا المكان يقام فيه وقت الربيع .

(٤) ملاث الإزار : موضع لوثه وعصبه ، وهو ما دون الخصر من الجسم . والوعث : السمين .

كأنَّ القُرونَ السُّودَ فوقَ مَقَذِّها[1] إذا زالَ عنها بُرْقعٌ ونَصيفُ[2]
بها زَرَجوناتٌ[3] بقفْر تنسَّمتْ لها الريحُ حتى بينهنَّ رَفيفُ[4]

قال: فلما سمع زَوْجها هذه الأبيات أتاها فحلف بطلاقها: لئن وَجدَ أبن ميادة عندها ليَدُقَّنَّ فَخِذَها، ثم أعرض عنها وأغترَّها[5]، حتى وجده يوماً عند بيتها فدقَّ فخذها، وأحتمل فرحل ورحل بها معه؛ فقال أبن ميادة:

أتانا عامَ سار بنو كلابٍ حَراميُّون ليسَ لهم حَرامُ
كأنَّ بيوتهم شجرٌ صِغارٌ بقيعانٍ تَقيلُ بها النَّعامُ
حَراميُّون لا يَقْرون ضَيْفاً ولا يَدْرون ما خُلُقُ الكرامِ[6]

قال: ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب، فأُعجِبَ بامرأة منهم يقال لها أمّ البختريّ، وكان يتحدّث اليها مدّة مُقامهم، ثم ارتحلوا فقال فيها:

أرقتُ لبَرْقٍ لا يُفَتِّرُ لامعُهْ بشُهْب الرُّبى والليلُ قد نام هاجعُهْ
أرقتُ له من بعد ما نام صُحْبَتي وأعجبني إيماضُه وتتابُعُهْ
يُضيء صَبيراً[7] من سَحابٍ كأنّه هِجانٌ أرنَّتْ للحنين نوازِعُهْ
هَنيئاً لأمّ البَخْتَريّ الرِّوى[8] بهِ وإن أنهجَ الحبلُ الذي النأيُ قاطعُهْ
لقد جَعَلَ المُستَبْضِعُ الغشَّ بيننا ليَصْرِمَ حَبْلينا تَجوز بضائعُهْ
فما سَرْحةٌ تَجري الجداولُ تحتها بمِطْرَدِ[9] القيعانِ عَذْبٍ ينابِعُهْ

---

(١) المقذ (بالفتح) : ما بين الاذنين من خلف ومنتهى قص الشعر من مؤخر الرأس .
(٢) النصيف : الخمار .
(٣) الزرجونة : شجرة العنب، وكل شجرة زرجونة، وهي فارسية معربة .
(٤) يقال : رف النبات رفيفاً اذا اهتز نضارة وحسناً . يقال : شجر رفيف اذا تندى .
(٥) معناه راقبها وطلب غرتها . وفي بعض النسخ : « واعتزلها » .
(٦) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ بالكسر والضم مع ما قبله .
(٧) الصبير من السحاب : البيضاء أو الكثيفة التي فوق السحاب او الذي يصير بعضه فوق بعض . والهجان من الابل : البيض .
(٨) الروى (بالكسر) : الارتواء والماء الكثير المروي . وأنهج الحبل : أخلق وبلي .
(٩) المطرد : الماء المتتابع السيلان .

بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذي الغَضا أتَرْعى جديدَ الحبلِ أمْ أنتَ قاطعُهْ

خطب امرأة فلم يزوجوه فقال :

أخبرني عمي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن إبراهيم قال : وذكر أبو الأشعث أنّ ابن ميادة خطب امرأة من بني سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البُهثة – وهم بطن يقال لهم البهثاء – فأبَوْا أن يزوّجوه وقالوا : أنت هَجِينٌ (١) أشرفُ منك ؛ فقال :

فلو طاوَعتْني آلُ سَلمى بن مالكٍ لأعطيتُ مَهْراً من مَسَرّةَ غاليا
وسِربٍ كسِربِ العِينِ من آل جَعفرٍ يُغادينَ بالكُحْل العُيونَ السواجيا
إذا ما هَبَطْنَ النِيلَ (٢) أو كُنّ دونه بسَرْوِ (٣) الحِمى ألقَيْنَ ثَمّ المراسيا

مات في صدر خلافة المنصور :

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابنُ ميادة في صَدْرٍ من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ اليه ولا مدحه، لِما بلغه من قلّة رغبته في مدائح الشعراء وقلّة ثوابه لهم .

(١) الهجين : الذي أبوه عربي وأمه غير محصنة .

(٢) هو بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر .

(٣) السرو : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . والسوف (بالفم) : جمع سوفة (بالفم ايضاً) وهي الارض بين الرمل والجلد . والحمى : موضع .

اخبار حنين الحيرى ونسبه

نسبه :

حنين بن بَلوَعَ الحِيريّ مختلف في نسبه ، فقيل : إنّه من العِبادِيّين من تميم ، وقيل : إنه مِن بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنه من قوم بَقوا من جَديس وطَسْم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعُدُّوا فيهم ، ويُكنى أبا كعب ، وكان شاعراً مُغنّياً فحلاً من فحول المُغنّين ، وله صنعة فاضلة متقدّمة ، وكان يسكن الحِيرَة ويُكري الجمالَ الى الشام وغيرها ، وكان نصرانياً . وهو القائل يصف الحيرة ومنزله بها .

صوت

أنا حُنَينٌ ومَنزلي النَّجَفُ[١] وما نَديمي إلّا الفَتى القَصِفُ[٢]
أَقرَعُ بالكأس ثَغرَ باطيةٍ[٣] مُترَعةٍ ، تارةً وأغترِفُ
من قهوة باكَرَ التِجارُ بها بيتَ يهودٍ قرارُها الخَزَفُ
والعيشُ غضٌّ ومنزلي خَصِبٌ لم تَغذُني شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

الغناء والشعر لِحُنَين ، ولحنُه خفيفُ رَمَل بالبنصر . وفيه لابن المكيّ خفيف ثقيل قديم . ولعَريبَ فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ .

الشاعر المغني :

أخبرنا وَكيع قال قال حمّاد حدّثني أبي عن أبي الخطّاب قال وحدّثني ابن

(١) النجف : موضع بظهر الكوفة ، والكوفة قريبة من الحيرة .
(٢) القصف : حليف اللهو واللعب . ولم ترد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بأيدينا .
(٣) الباطية : إناء الخمر .

كُناسة عن سليمان بن داود : مولًى ليحيى ، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن قَعْنَب بن المحرز الباهليّ عن المدائني قالوا جميعاً :

حجّ هشامُ بن عبد الملك وعَديلهُ[١] الأبرشُ الكلبيّ ، فوقف له حُنين بظهر الكوفة ومعه عُودُه وزامِرٌ له ، وعليه قُلَنسية[٢] طويلة ، فلما مرّ به هشام عَرض له ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقيل : حُنين ؛ فأمر به فحُمِل في محمِلٍ على جملٍ وعديله زامِرُه ، وسِيرَ به أمامه وهو يتغنى :

صوت

أمِنْ سَلمى بِظَهرِ الكو فَةِ الآياتُ والطَّلَلُ
يلوحُ كما تلوحُ على جفون الصَّيقلِ[٣] الخِلَلُ[٤]

— الصنعة في هذا الصوت لحُنين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه خفيفُ ثقيل ينسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره — قال : فأمر له هشام بمائتي دينار ، وللزامر بمائة . وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطّاب أنه غنّى هشاماً :

صوت

صاحِ هل أبصرتَ بالخَبْتَيْنِ من أسماءَ نارا
مَوْهِناً[٥] شُبَّت لعينيكَ ولم تُوقَدْ نهارا

---

(١) العديل : الذي يعادلك في المحمل .

(٢) القلنسية : القلنسوة (بفتح القاف) فإن ضمت القاف كسرت السين وقلبت الواو ياء .

(٣) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٤) الخلل : جمع خلة وهي بطانة يغشى بها جفن السيف بنقش بالذهب وغيره .

(٥) الوهن من الليل : نحو منتصفه أو بعد ساعة منه .

كَتَلالي الـبرقِ في المُزْ نِ إذا الـبَرْقُ اسْتطارا
أذكَرَتني الوصلَ من سُعْـدى وأيَّاماً قِصارا

— الشعر للأحوص، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. ونسبه ابن المكيّ إلى الغريض: وقال يونس: فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسها. وقال الهشاميّ: فيه لمالك خفيف رمل — فلم يزل هشام يستعيده حتى نزل من النجف، فأمر له بمائتي دينار.

انفاسي اقسمها بين الناس:

وقال أسحاق: قيل لحُنين: أنت تغني منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالًا ولا داراً ولا عَقاراً إلّا أتيتَ عليه! فقـال: بأبي أنتم، إنما هي أنفاسي أقسمها بين الناس، أفتلومونني أن أُغليَ بها الثمن!.

غنى في الموسم في ظل بيت ابي موسى الأشعري:

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ومُصعب بن الزُّبير عن بعض المكيّين، وأخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء وحبيب ابن نصر قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمي مُصعب قـال حدّثني شيخ من المكيّين يقال له شَريس قال:

إنّا لبالأبطح أيامَ الموسم نشتري ونبيع إذ أقبل شيخٌ أبيضُ الرأس واللحية على بغلة شهباء ما ندري أهو أشدّ بياضاً أم بغلته أم ثيابـه؛ فقال: أين بيت أبي موسى؟ فأشرنا له الى الحائط؛ فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبي موسى، ثم استقبلنا ببغلته ووجهه ثم اندفع يُغنّي:

صوت

أَسعِديني بدمعـةٍ أَسرابِ[1] من دموعٍ كثيرة التَّسكابِ
إِنَّ أَهلَ الحِصابِ[2] قد تركوني مُغْرَماً مُولَعاً بأهل الحِصابِ
فارقوني وقـد علمتُ يقيناً ما لِمَنْ ذاقَ مِيتةً من إِيابِ
سكنوا الجِزْعَ جِزعَ بيتِ أبي مو سى إلى النخل من صُفِيِّ السِّبابِ[3]
كم بذاكَ الحَجونِ من حيِّ صِدقٍ وكهولٍ أَعِفَّـةٍ وشبابِ
أهلُ بيتٍ تتايعوا[4] للمنـايا ما على الموت بعدهُم من عِتابِ
فلِيَ الوَيلُ بعـدَهم وعليهم صِرتُ فرداً وملَّني أَصحابي

— الشعر لكُثَيِّر بن كُثَيِّر بن المطّلب بن أبي وداعة السهميّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وفيـه لابن أبي دُباكِل الخزاعيّ ثاني ثقيلٌ بالوسطى عن ابن خُرْدَاذْبَه – قال : ثم صَرَفَ الرجل بغلته وذهب، فتبعناه حتى أدركناه، فسألناه مَن هو ؟ فقال : أنا حُنين بن بَلْوَع وأنا رجلٌ جمّالٌ أُكري الإبل ، ثم مضى .

كان غلاماً يحمل الفاكهة ويقدم باقات الزهور :

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبي عن المدائني ، قال : كان حُنين غُلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة ، وكان لطيفاً في عمل التحيّات[5] فكان

(١) أسراب : جمع سرب، والسرب : الماء السائل .

(٢) الحصاب (بكسر الحاء) موضع رمي الجمار بمنى .

(٣) صفي السباب : موضع بمكة ، وقال الزبير : إنه ماء بيـن دار سعيد الحرشيّ التي تناوح بيوت أبي القاسم بن عبد الواحد التي في أصلها المسجد الذي صلى عنده على أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور . والمراد بأبي موسى ابو موسى الأشعري :

(٤) قال في لسان العرب : التتايع : الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليـه ولا يكون في الخير، وقيل : التتايع في الشر كالتتابع في الخير .

(٥) التحيات : جمع تحية وهي ما يحيا به من نحو السلام ، ومن المحتمل أن يراد منه ما يقـدّم عند التحية من باقات الرياحين، وقد كان العرب في الجاهلية يفعلون ذلك في عيد لهم يقال له يوم السباسب قال النابغة :

« يحيون بالريحان يوم السباسب »

ويظهر أن هذه العادة ظلت الى العهد الاسلامي .

إذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقته وحُسن قَدّه وحلاوته وخفّة روحه استحلوه، وأقام عندهم وخفّ لهم، فكان يسمع الغناء ويشتهيه ويُصغي اليه ويستمعه ويُطيل الإصغاء اليه، فلا يكاد يُنتَفَعُ به في شيء إذا سمعه، حتى شدا منه أصواتاً فأسمعها الناس – وكان مطبوعاً حَسَنَ الصوت – واشتهوا غناءه والاستماع منه وعِشرَتَه، وشُهِرَ بالغناء ومَهَرَ فيه، وبلغ منه مبلغاً كبيراً، ثم رَحل إلى عُمر بن داود الواديّ وإلى حكم الواديّ، وأخذ منهما، وغنّى لنفسه في أشعار الناس، فأجاد الصَّنعة وأحكمها، ولم يكن بالعراق غيره فاستولى عليه في عصره. وقَدِم ابنُ محرز حينئذٍ الى الكوفة فبلغ خبره حُنيناً، وقد كان يعرفه، فخشي أن يعرفه الناس فيستحلوه ويستوليَ على البلد فيسقط هو، فقال له: كم مَنّتك نفسك من العراق؟ قال: ألف دينار؛ قال: فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخذها وانصرف واحلف لي أنك لا تعود الى العراق؛ فأخذها وانصرف.

خاف ان يفوقه ابن محرز بالعراق فرده عنه:

أخبرني عمي وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيوب المدائني عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال:

كان ابنُ محرز قَدِم الكوفةَ وبها بِشرُ بن مَروان، وقد بلغه أنه يشرَبُ الشراب ويسمع الغناء، فصادفه وقد خرج إلى البَصرة؛ وبلغ خبرُه حُنَينَ بنَ بَلوَع فتلطّف له حتى دعاه؛ فغنّاه ابنُ محرز لحنه – قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثاني من جيّد الأغاني –:

صوت

وَحُرُّ الزَّبَرجدِ في نَظمِهِ ... على واضِح اللِّيتِ[1] زان العُقودا

(١) الليت (بكسر اللام): صفحة العنق.

يُفَصِّلُ ياقوتُـهُ دُرَّهُ وكالجمرِ أبصرتَ فيهِ الفَريدا[١]

قال : فسمع شيئاً هاله وحيّره ، فقال له حُنين : كم مَنَّتك نفسُك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار ، فقال : هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتك في عودتك وبدأتك ودعِ العراق لي وامضِ مُصاحَباً حيث شئت — قال : وكان ابن مُحرز صغيرَ الهمّة لا يحبّ عشرةَ الملوك ولا يُؤثرُ على الخَلْوَة شيئاً — فأخذها وانصرف .

اهل حمص لا يستطعمون غناءه :

وقال حمّاد في خبره قال أبي حدّثني بعض أهل العلم بالغناء عن حُنَين قال :

خرجت الى حمص ألتمس الكسبَ بها وأرتاد مَنْ أستفيدُ منه شيئاً ، فسألت عن الفِتيان[٢] بها وأين يجتمعون ، فقيل لي : عليك بالحمّامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئتُ إلى أحدها فدخلتُه ، فإذا فيه جماعة منهم ، فأنِستُ وانبسطت ، وأخبرتُهم أني غريب ، ثم خرجوا وخرجتُ معهم ، فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أتينا بالطّعام فأكلنا ، وأتينا بالشراب فشربنا ، فقلتُ لهم : هل لكم في مُغَنٍّ يُغنّيكم ؟ قالوا : ومَنْ لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً فأتيتُ به ، فابتدأتُ في هنيّات[٣] أبي عبّاد مَعبد ، فكأنما غنّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لغنائي ولا سُرُّوا به ، فقلتُ : ثَقُلَ عليهم غناء مَعبد لكثرة عمله وشدّته وصعوبة مذهبه ، فأخذتُ في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيء ، وغنّيتُ

(١) الفريد : الدر اذا نظم وفصل بغيره .

(٢) الفتيان : طائفة يدينون بالفتوّة وخصال الرجولة وهم أشد الناس احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج ، فيخدمون بالنهار ويشترون بما يتجمع معهم الفواكه والطعام فان ورد في ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه وكان ذلك ضيافته لديهم وان لم يرد وارد اجتمعوا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا الى صناعاتهم بالغدو وقد كان الخليفة الناصر العباسي المتوفى سنة ٦٢٢ قد جعل نفسه رئيساً لهذه الطائفة وكتب سنة ٦٠٧ الى ملوك الاطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا كأس الفتوّة ويلبسوا سراويلها وأن ينتسبوا اليه برمي البندق .

(٣) الهنيات : الأراجيز .

خفائف ابن سُريح ، وأهزاجَ حكم ، والأغانيَ التي لي ، واجتهدتُ في أن يفهموا ، فلم يتحرك من القوم أحدٌ ، وجعلوا يقولون : ليت أبا مُنيه قد جاءنا ؛ فقلتُ في نفسي : أرى أني سأفتضح اليوم بأبي مُنيه فضيحةً لم يفتضح أحدٌ قطُّ مثلها . فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنيه ، وإذا هو شيخ عليه خفّان أحمران كأنه جمّال ، فوثبوا جميعاً إليه وسلّموا عليه وقالوا : يا أبا مُنيه أبطأتَ علينا ، وقدّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحاً ، وخنَستُ[1] أنا حتى صرتُ كلا شيء خوفاً منه ، فأخذ العودَ ثم اندفع يغنّي :

طَرِبَ البحر فاعبُري يا سفينهْ لا تَشُقّي على رجالِ المدينهْ

فأقبل القوم يصفّقون ويطرَبون ويشرَبون ، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء ؛ فقلت في نفسي : أنتم ها هنا ! لئن أصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدة . فلمّا أصبحتُ شددتُ رحلي على ناقتي واحتقبتُ[2] ركوةً من شراب ورحلت متوجهاً الى الحيرة ، وقلت :

ليت شعري متى تَخُبّ بي النا قةُ بين السَّدير والصِّنّينِ
مُحقِباً ركْوَةً وخُبزَ رُقاقٍ وبُقولا وقطعةً من نُونِ[3]
لستُ أبغي زاداً سواها من الشا م وحسبي عُلالةٌ[4] تكفيني
فإذا أُبتُ سالماً قلت سُحقاً وبعاداً لمعشرٍ فارقوني

عندما حرموا الغناء :

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرنا به وكيعٌ

(١) خنس الرجل من القوم خنوساً : تأخر واختفى .

(٢) احتقب ركوة : احتملها خلفه . والركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . وفي احدى النسخ : « زكرة » . والزكرة « بالضم » : زق صغير للشراب .

(٣) النون : الحوت .

(٤) العلالة بالضم : ما يتعلل به .

في عقب أخبارٍ رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال : وقال لي إسحاق ، فلا أدري أأَدْرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرسلاً، قال إسحاق وذكر ابن كُناسة :

أن خالدَ بنَ عبد الله القَسْريّ حرّم الغناء بالعراق في أيامه ، ثم أذن للناس يوماً في الدخول عليه فدخل اليه حُنَيْن ومعه عودٌ تحت ثيابه ، فقال : أصلح الله الأميرَ ، كانت لي صناعةٌ أعودُ بها على عِيالي فحرّمها الأميرُ فأضرّ ذلك بي وبهم ؛ فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هذا ؛ فقال له خالد : غَنِّ ؛ فحرّك أوتاره وغنّى :

صوت

أيها الشامتُ المُعَيِّرُ بالدهـــرِ أأنت المُـــبَرَّأُ الموفورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيّـــامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خَلَّدن أم مَنْ ذا عليه من أن يُضامَ خَفيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أذنتُ لك وحدك خاصّةً فلا تجالسنّ سفيهاً ولا مُعَربداً . فكان إذا دعي قال : أفيكم سفيهٌ أو معربد ؟ فإذا قيل له : لا ، دخل .

شعر هذا الصوت المذكور لعديّ بن زيد ، والغناء لحُنَيْن رمل بالوسطى عن عمرو . وقوله : المبرأ ، يعني المبرأ من المصائِب . والموفور : الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء ، يقال : وُفِرَ الرجل يوفر . ولديك بمعنى عندك هاهنا .

غنى بحضور الشعبي :

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحّاف الكوفيّ قال حدّثنا قَعنَب بن المُحرز الباهليّ قال أخبرنا الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش وعن مُجالد عن

الشعبيّ جميعاً ، وأخبرني محمد بن مَزْيد وحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم ابن عديّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشّعبيّ قال :

لما وليَ بِشرُ بن مَروان الكوفةَ كنتُ على مظالمه ، فأتيتُه عشيّةً وحاجبه أعيَن (صاحب حمّام أعيَن) جالس ، فقلتُ له : استأذن لي على الأمير ! فقال لي : يا أبا عمرو ، هو على حالٍ ما أظنك تصل اليه معها ؛ فقلت : أعلِمْه — وخلاك ذَمٌّ — فقد حدث أمر لا بدّ لي من إنهائه اليه — وكان لا يجلس بالعَشِيّ — فقال : لا ، ولكن أكتب حاجتك في رُقعة حتى أوصِلها اليه ؛ فكتبتُ رقعة ، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبيّ ممن يُحتَشَمُ منه فأذَنْ له فأذن لي فقال : أدخل ، فدخلت فإذا بشرُ بن مروان عليه غِلالةٌ[1] رقيقة صفراء ، ومُلاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِقال ، وعلى رأسه إكليل من رَيْحان ، وعلى يمينه عِكرمةُ بن ربعيّ ، وعلى يساره خالد بن عَتّاب بن ورْقاء ، وإذا بين يديه حُنَين بن بَلّوع معه عودُه ، فسلمت فردّ عليّ السلام ورحّب وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحالِ ؛ فقلت : أصلح الله الأمير ، عندي لك السترُ لكل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَجمُل ، والشكرُ على ما توليني ؛ فقال : كذاك الظنّ بك ، ثم التفتُّ إلى حُنَين وعودُه في حِجره وعليه قباء خُشك شَوي[2] — وقال إسحاق : خشكون[3] — ومُسْتُقة[4] حمراء وخُفّان مُكعّبان[5] ، فلم

---

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب .

(٢) كذا بالأصل . ونطقها بالفارسية : « خشك شقي » ومعناها : « القميص الخشن » .

(٣) كذا بالاصل وفي الفارسية مركبة من كلمتين : « خوش » بمعنى « زاهي » و « كو » بمعنى « اللون » أي قباء زاهي اللون ، ولعله المعنى المراد لأنه أنسب بالمقام .

(٤) قال الجواليقي : « وأصلها بالفارسية مشته فعرب » . والمستقة : فرو طويل الكم ، وقيل : هي الجبة الواسعة . وعن أنس أن ملك الروم أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها رسول الله فكأني أنظر الى يديها يذبذبان فبعث بها الى جعفر فقال : ابعث بها الى أخيك النجاشيّ . وأنشد :

اذا لبست مساتقها غنيّ فيا ويح المساتق ما لقينا

(٥) مكعبان : موشيان .

عليّ ؛ فقلت له : كيف أنت أبا كعب ؟ فقال : بخير أبا عمرو ؛ فقلت : أَحْزِقْ[١] الزِّيرَ[٢] وأرخِ البَمّ[٣] ففعل ؛ وضرب فأجاد ؛ فقال بشرٌ لأصحابه : تلوموني على أن آذنَ له في كل حال ! ثم أقبل عليّ فقال : أبا عمرو ، من أين وقع لك حَزْقُ الزير ؟ فقلت : ظننت أن الأمر هناك ؛ فقال : فإن الأمر كما ظننتَ هناك كلّه . ثم قال : فمن أين تعرف حُنينا ؟ فقلت : هذا بطّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه ! فضحك ، وغنّى حُنَين فأجاد ، فطربَ وأمرَ له بجائزة ، ثم ودَّعتُه وقتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وأنصرفتُ . وقد وجدت هذا الخبر بخط ابي سَعيد السُّكَّريّ يأثُرُه[٤] عن محمد بن عثمان المخزوميّ عن أبيه عن جدّه : أنه كان عند بشرَ بن مَرْوان يوم دخل عليه الشَّعبيّ هذا المَدْخل وأن حُنَين بن بَلْوَع غنّاه :

هُمُ كتموني سَيْرَهُمْ حين أزمعوا … وقالوا اتّعدنا للرَّواح وبَكَّروا

وهذا القول خطأ قبيح ، لأن هذا الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء لعَلّويه رمل بالوسطى ، وغُني للمأمون فيه فقال : سَخِروا من أبي الفضل أعزّه الله .

شيء من اوصاف الحيرة :

أخبرني الحسين بن يحيي قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي ، وقال أبو عُبيد الله الكاتب حدّثني سليمان بن بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال :

وكان بعضُ وُلاة الكوفة يذُمُّ الحيرَةَ في أيام بني أميَّةَ ، فقال له رجل من أهلها — وكان عاقلاً ظريفاً — : أتعيبُ بلدةً بها يُضرَبُ المَثَلُ في الجاهليّة والاسلام !

(١) احزق : اشدد .

(٢) الزير : أرفع أوتار العود ، وكانت أربعة في ذلك العهد .

(٣) البمّ : أغلظ اوتار العود .

(٤) يأثره : يرويه .

قال : وبماذا تُمدَح ؟ قال : بصحّة هوائها ، وطيب مائها ، ونُزهةِ ظاهرِها ، تَصلُح للخفِّ والظِّلف ، سَهلٌ وجبلٌ ، وباديةٌ وبُستان ، وبَرٌّ وبَحر ، مَحلُّ الملوك ومزارُهم ، ومَسكنهم ومَثواهم ، وقد قَدمْتَها – أصلحك الله – مُخِفّاً فرَجعتَ مُثقِلاً ووردْتَها مُقِلّاً فأصارتْك مُكثِراً ؛ قال : فكيف نعرفُ ما وَصفْتَها به من الفضل ؟ قال : بأن تصيرَ إليَّ ، ثم أدعُ ما شئتَ من لذّاتِ العَيْش ، فوالله لا أجوزُ بكَ الحيرة فيه ؛ قال : فاصنع لنا صَنيعا وأخرِجْ من قولك ؛ قال : أفعلُ ، فصنع لهم طَعاماً وأطعمهم من خُبزِها وسمكِها وما صِيدَ من وَحشِها : من ظِباء ونَعام وأرانبَ وحُبارى[١] ، وسقاهم ماءَها في قِلالها ؛ وخمرَها في آنيتها ، وأجلسهُم على رَقْمِها[٢] – وكان يُتّخذ بها من الفرُش أشياء طريفة – ولم يستخدم لهم حُرّاً ولا عَبداً إلّا من مُولَّديها ومولَّداتها من خدَمٍ ووصائفَ[٣] كأنهم اللؤلؤ ، لُغتُهم لُغةُ أهلها ، ثم غنّاهم حُنَين وأصحابُه في شِعر عَديِّ بن زيد شاعرهم وأعشى هَمدان لم يتجاوزهما ، وحيّاهم برياحينها ، ونَقّلهم[٤] على خمرِها ، وقد شَربوا بفواكهها ؛ ثم قال له : هل رأيتني أستعنتُ على شيء مما رأيتَ وأكلتَ وشربتَ وافترشتَ وشممتَ وسمعتَ بغيرِ ما في الحيرة ؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صفةَ بلدك ونَصرْتَه فأحسنتَ نُصرَتَه والخروجَ ممّا تَضمَّنتَه ، فبارك الله لكم في بلدكم .

مغنو الحيرة غير حنين :

قال إسحاق : ولم يكن بالحيرة مذكورٌ في الغناء سِوى حُنَين إلّا نَفَراً من

---

(١) الحبارى : طائر قال في كتاب الحيوان : إنه طويل العنق رماديّ اللون ، في منقاره بعض طول وهو يقع على الذكر والأنثى واحده وجمعه سواء وإن شئت قلت في الجمع حباريات، وهو ممنوع من الصرف معرفاً ومنكراً .

(٢) الرقم : ضرب مخطط من الوشي أو الخز .

(٣) جمع وصيفة وهي الجارية البالغة حد الخدمة ، والوصفاء : جمع وصيف وهو الغلام البالغ حد الخدمة أيضاً . وقد يقال الوصيف للخادم غلاماً كان أو جارية .

(٤) نقلهم : أطعمهم النقل ، والنقل : ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما .

السَّنْدَرِيِّين يقال لهم : عَبادِيس ، وزَيد بن الطُّلَيس ، وزيد بن كعب ، ومالك بن حُمّة ، وكانوا يغنُّون غناء الحيرة بين الهَزَج والنَّصب[1] وهو إلى النصب أقرب ولم يُدوَّن منه شيء لسقوطه وأنه ليس من أغاني الفحول . وما سمعنا نحن لأحد من هؤلاء خبرا إلا لمالك بن حُمّة ، أخبرني به عمّي عن عبد الله بن أبي سعد .

عاش مئة سنة وسبع سنين :

وقال وكيع في خبره عن إسحاق حدّثني أبو بشر الفَزاريّ قال حدّثني بشر بن الحسين بن سليمان بن سمرة بن جُندَب قال :

عاش حُنَين بن بَلوَع مائة سنة وسبع سنين، وكان يقال إنه من جَديس ؛ قال وقيل أيضاً : إنه من لَخْم ؛ وكان هو يزعم أنه عِباديّ وأخواله من بني الحارث ابن كعب .

جده المغني :

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسفُ بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال :

كنتُ مع الرشيد في السنة التي نَزَل فيها على عَونٍ العِباديّ ، فأتاني عَون بابن ابن حُنَين بن بَلوَع ، وهو شيخ ، فغنّاني عدّةَ أصوات لجدّه ، فما استحسنتها؛ لأنّ الشيخ كان مشوّه الخلق ، طَنّ[2] الغناء ، قليلَ الحلاوة ، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يَفرُغ منه ، فغنّاني صوتَ ابن سُرَيج :

فتركْنهُ جَزَرَ[3] السّباعِ يَنُشْنَهُ[4] ما بينَ قُلّـةِ رأسِه والمِعصَمِ

(١) النصب : غناء يشبه الحداء إلا أنه أرق .
(٢) طن الغناء : يدل السياق على أنه وصف من الطنين وهو صوت الشيء الصلب كالنحاس وغيره .
(٣) جزر السباع : اللحم الذي تأكله ، يقال : تركوهم جزراً بالتحريك إذا قتلوهم وقطعوهم إرباً إرباً وجعلوهم معرّضين للسباع والطير .
(٤) ينشنه : يتناولنه .

فما أذكر أني سمعتُه من أحد قطّ أحسنَ مما سمعتُه منه، فقلتُ له: لقد أحسنت في هذا الصوت، وما هو من أغاني جدِّك ولا من أغاني بلدك، وإني لأعجبُ من ذلك! فقال لي الشيخ: والصليبِ والقُربان ما صُنعَ هذا الصوتُ إلا في منزلنا وفي سِردابِ لجدّي، ولقد كاد أن يأتيَ على نفس عمّي؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال:

عندما ضافه ابن سريج:

حدّثني أبي أن عُبيد بن سُرَيج قدم الحيرةَ ومعه ثلثمائة دينار. فأتى بها منزلنا في ولاية بشر بن مَروان الكوفةَ، وقال: أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكة، بلغني طِيبُ الحِيرَة وجودَةُ خمرها وحُسنُ غِنائك في هذا الشعر:

حنَتْني حانياتُ الدهرِ حتى ... كأني خاتِـلٌ يدنو لصَيْدِ
قريبُ الخطوِ يحسَبُ مَنْ رآني ... ولستُ مُقيّداً أني بقَيْـدِ

خرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك وعندك ونتعاشر حتى تَنفَدَ وأنصرف إلى منزلي. فسأله جدّي عن اسمه ونسبه فغيّرهما وانتمى الى بني مخزوم، فأخذ جدّي المال منه وقال: موفَّرٌ مالُك عليك ولك عندنا كلّ ما يحتاجُ اليه مثلك ما نَشِطتَ للمُقام عندنا، فإذا دَعتك نفسُك إلى بلدك جهّزناك اليه ورَدَدْنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقتَهُ عليك أن جئتنا، وأسكنه داراً كان يَنفرد فيها، فمكث عندنا شهرين لا يعلم جدّي ولا أحدٌ من أهلنا أنه يُغني، حتى انصرف جدّي من دار بشر بن مَروان في يومٍ صائفٍ مع قيام الظَّهيرة. فصار إلى باب الدار التي كان أنزلَ ابنَ سُرَيج فيها فوجده مُغلَقاً فارتاب بذلك، ودقّ الباب فلم يُفتح له ولم يُجبه أحدٌ، فصار إلى منازل الحُرَم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه. ورأى ما بين الدار التي فيها الحُرَم ودار ابن سُرَيج مفتوحاً، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتُل ابنته؛ فلمّا دخلها رأى ابنتَه وجواريَه وقوفاً على باب السِّرداب وهُنّ يُومِئنَ اليه بالسكوت وتخفيف الوطء، فلم يلتفت إلى إشارتهنّ لِما تداخَلَهُ، إلى أن سمعَ تَرَنُّمَ ابنِ سُرَيج بهذا الصوت، فألقى السيف من يده وصاح به — وقد عرَفه من

غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحذق — : أبا يحيى ، جُعِلتُ فداءك ، أتيتنا بثلاثمائة دينار لتُنفقها عندنا في حيرتنا ! فوحقِ المسيح لا خرجتَ منها إلا ومعك ثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك . ثم دخل اليه فعانقه ورحّبَ به ولَقِيَهُ بخلاف ما كان يلقاه به ، وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره أنه صاغه في ذلك الوقتِ . فصار معه إلى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم أوّلَ مرّةٍ ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها ؛ فلمّا أراد الخروجَ ردّ عليه جدّي ماله وجهّزه ووصله بمقدار نفقته التي أنفقها من مكة الى الحيرة ، ورجع ابنُ سُرَيج الى أهله وقد أخذ جميعُ مَنْ كان في دارنا منه هذا الصوتَ .

غنى للناس فازدحموا عليه فسقط عليه سطح فمات :

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسّان بن محمد الحارثي قال حدّثنا عبد الله قال حدّثنا عُبيد بن حُنين الحيريّ قال :

كان المغنّون في عصر جدّي أربعة نفرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحده بالعراق ، والذين بالحجاز : ابنُ سُرَيج والغريض ومَعبد ، فكان يَبلُغهم أنّ جدّي حُنيناً قد غنّى في هذا الشعر :

هلّا بكَيتَ على الشبابِ الذاهبِ ... وكففتَ عن ذمّ المشيبِ الآئبِ
هذا وربّ مسوّفينَ سقيتُهمْ ... من خمرِ بابلَ لذّةً للشاربِ
بكروا عليّ بسُحرةٍ فصبحتُهمْ ... من ذاتِ كوبٍ مثلِ قعبِ الحالبِ
بزجاجةٍ مِلءِ اليدَيْنِ كأنها ... قِنديلُ فِصحٍ في كنيسةِ راهبِ

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جدّي وقالوا : ما في الدنيا أهلُ صناعة شر منّا ، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نزوره ولا نستزيره . فكتبوا اليه ووجّهوا اليه نفقةً وكتبوا يقولون : نحنُ ثلاثةٌ وأنت وحدك فأنت أولى بزيارتنا ، فشخص اليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلغهم خبره فخرجوا يتلقّونه ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر حشراً ولا جمعاً من يومئذٍ ، ودخلوا ، فلمّا صاروا في بعض الطريق قال

لهم معبد : صيروا إليَّ ؛ فقال له ابنُ سُرَيج : إن كان لك من الشرف والمُروءة مثلُ ما لمولاتي سكينة بنت الحسين عطفنا اليك ؛ فقال : ما لي من ذلك شيء ، وعدَلوا الى منزل سُكَينة . فلمّا دخلوا اليها أذِنَتْ للناس إذناً عامّاً فغَصّت الدار بهم وصَعدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها ، ثم إنهم سألوا جدّي حُنيناً أن يغنّيهم صوته الذي أوّله :

هلّا بكيتَ على الشباب الذاهبِ

فغنّاهم إيّاه بعد أن قال لهم : ابدءوا أنتم ؛ فقالوا : ما كنا لنتقدّمك ولا نُغنّي قبلك حتى نسمع هذا الصوت ؛ فغنّاهم إياه ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فازدحم الناس على السطح وكثروا ليسمعوه ، فسقط الرّواق على من تحته فسلموا جميعاً وأخرجوا أصحّاء ، ومات حُنين تحت الهدم ؛ فقالت سُكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حُنينٌ سرورنا ، انتظرناه مُدّةً طويلةً كأنّا والله كنّا نسوقه الى مَنيّتِه .

الغناء في الأصوات المتقدمة :

نسبة ما في الخبر الأول من الغناء

صوت

وتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِباعِ يَنُشْنَهُ ما بين قُلّة رأسِهِ والمِعْصَمِ
إن تُغدِفي دُوني القِناعَ فإنّني طَبٌّ بأخذ الفارس المُستَلئِمِ[١]

الشعر لعنترة بن شَدّاد العبسيّ ، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيل .

ومنها :

(١) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . والطب : الحاذق من الرجال الماهر بعمله . والمستلئم : لابس اللأمة، وهي الدرع .

صوت

حَنَتْني حانياتُ الدهر حتى كأني خاتِلٌ يَدنو لِصَيْدِ
قَريبُ الخطوِ يَحسَبُ مَنْ رآني ولَستُ مُقَيَّداً أني بقَيْدِ

الغناء لحُنَين الحِيري ثقيل أوّلُ . وفيهِ لابراهيم الموصلي ماخوري جميعاً عن أبن المكيّ ، ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم ونسبة الشعر الذي غنّاه حُنين في منزل سُكَينة — عليها السلام — يقال : إنه لعديّ بن زَيد ، وقيل : إنّ بعضه له وقد أضافه المغنّون اليه . ولحنه خفيفُ ثقيل مُطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت من المائة المختارة

راعَ الفؤادَ تَفرّقُ الأحبابِ يومَ الرحيل فهاج لي أطرابي[1]
فَظَلِلتُ مكتئباً أُكفكِفُ عَبْرَةً سَحّاً تَفيضُ كواشِلَ[2] الأسرابِ
لمّا تنادَوا للرَّحيل وقرّبوا بُزْلَ الجِمالِ لِطِيَّةٍ[3] وذَهابِ
كادَ الأسى يَقضي عليك صبابةً والوجهُ منك لِبَيْنِ إلفك كابي

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغَريض ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش : أنّ للغريض أيضاً فيه خفيفَ ثقيل بالوسطى . ولمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وهذه الابيات قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مَروان كانت حجّت في خلافته .

---

(١) راع الفؤاد : أفزعه . والأطراب : جمع طرب ، والطرب يطلق على الفرح والحزن والشوق ، والمراد هنا أحد المعنيين الأخيرين .

(٢) واشل : سائل ، من وشل الماء يشل (كوعد) إذا سال وقطر ، والأسراب : جمع سرب (بالتحريك) وهو الماء السائل من المزادة .

(٣) يقال : مضى فلان لطيته أي لوجهه ونيته التي انتواها .

ابن ابي ربيعة وبنت عبد الملك :

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال أخبرني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزُّبيري والمدائنيّ ومحمد بن سلّام والمُسيَّبي :

أنّ بنتاً لعبد الملك بن مروان حجّت، فكتب الحجّاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعّده إن ذكرها في شعره بكلّ مكروه؛ وكانت تحبّ أن يقول فيها شيئاً وتتعرّض لذلك، فلم يفعل خوفاً من الحجّاج . فلمّا قضت حجّها خرجت فمرّ بها رجلٌ فقالت له : من أين أنت ؟ قال : من أهل مكة ؛ قالت : عليك وعلى أهل بلدك لعنةُ الله ! قال : ولِمَ ذاك ؟ قالت : حججتُ فدخلتُ مكة ومعي من الجواري ما لم ترَ الأعينُ مثلهنّ ، فلم يستطع الفاسق ابن أبي ربيعة أن يُزوّدنا من شعره أبياتاً نلهو بها في الطريق في سفرنا ! قال : فإني لا أراه إلّا قد فعل ؛ قالت : فأْتنا بشيء إن كان قاله ولك بكل بيتٍ عشرةُ دنانيرَ : فمضى اليه فأخبره ؛ فقال : لقد فعلتُ ، ولكن أحبّ أن تكتُمَ عليّ ؛ قال : أفعل ؛ فأنشده :

راعَ الفؤادَ تفرّقُ الأحبابِ يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أطرابي

وهي طويلة . وأنشده :

هاجَ قلبي تذكُّرُ الأحبابِ واعترتني نوائبُ الأطرابِ[1]

وهي طويلة أيضاً ، يقول فيها :

أَقتُليني قتلًا سريعاً مُريحاً لا تكوني عليّ سَوْطَ عذابِ
شفَّ عنها مُحقَّق جنَدِيٌّ فهي كالشمس من خلال سحابِ

– ذكر حبشٌ : أنّ في هذه الثلاثة الأبيات للهُذَليّ ثانيَ ثقيل بالبنصر – قال : فعادَ اليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفعت اليه ما وعدته به :

(١) الأطراب هنا : الاحزان .

ذكر الغريض وأخباره

من هو الغريض :

الغَريض لقبٌ لُقِّبَ به ، لأنه كان طريّ الوجه نَضرًا غضّ الشباب حَسَن المنظر ، فلُقِّب بذلك . والغريض الطريّ من كل شيء . وقال ابن الكلبي : شُبِّه بالإغريض وهو الجُمَّار فسُمِّيَ به ، وثَقُل ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقيل له : الغريض . واسمه : عبد الملك ، وكنيته : أبو زيد .

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعيّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي غسّان عن جماعة من المكيّين :

أنه كان يكنّى أبا مَرْوان . وهو مَولى العَبلات ، وكان مُولَدًا من مُولَدي البربر . ووَلاؤه وَوَلاء يحيى قَيل وسُبَيَّة للثريّا (صاحبة عُمر بن أبي ربيعة) وأخواتها الرُّضيا وقُرَيبة وأمّ عثمان بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وقد مضت أخبارُهنّ في صدر الكتاب .

الاستاذ محمد تلميذه :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني محمد بن نصر الضُّبعيّ قال حدّثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مِسكين ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شَبَّة قال حدّثني أبو غَسَّان محمد بن يحيى ، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأزهر حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سلّام ، وقد جمعت رواياتهم في قصة الغريض ، قالوا :

كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدف ويُوقِع بالقضيب، وكان جميلًا وضيئًا، وكان يُصنِّع[١] نفسه ويُبرِّقها[٢]. وكان قبل أن يُغنّي خيّاطاً. وأخذ الغناء في أوّل أمره عن ابن سُريج لأنه كان يَخدُمُه. فلما رأى ابن سُرَيج طبعه وظَرْفه وحلاوة منطقه خَشيَ أن يأخذ غناءه فيغلبه عليه عند الناس ويفوقه بحُسن وجهه وجسده؛ فاعتلّ عليه، وشكاه الى مَوْلياته، وهنّ كنّ دفعنه اليه ليعلّمه الغناء، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده؛ فشكا ذلك الى مَوْلياته وعرّفهنّ غرض ابن سريج في تنحيته إيّاه عن نفسه، وأنه حسده على تقدّمه.

تعلم النوح وكان ينوح للنساء في المآتم:

فقلنَ له: هل لك في أن تسمع نَوْحنا على قَتلانا فتأخُذه وتُغنّي عليه؟ قال: نعم فافعلنَ، فأسمعنه المراثيَ فاحتذاها وخرّج غناء عليها كالمراثي، وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضرَب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كلّ من سمعه. ولمّا كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا اليه لما كان فيه من الشجا[٣] فكان ابن سريج لا يغنّي صوتاً إلّا عارضه[٤] الغريض فيه لحناً آخر. فلما رأى ابن سُريج موقع الغريض اشتدّ عليه وحسده، فغنّى الأرْمالَ والأهزاجَ فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض: يا أبا يحيي، قصّرتَ الغناء وحذفته؛ قال: نعم يا مخنّث حين جعلتَ تنوح على أمّك وأبيك.

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة قال: لما غضب ابن سُرَيج على الغريض فأقصاه وهجره لحق بجَوْراء وبَغُومَ – جاريتين نائحتين كانتا في شِعب ابن عامر بمكة، ولم يكن قبلها ولا بعدهما مثلها – فرأتاه يوماً يعصر عينيه ويبكي؛ فقالتا له:

---

(١) يصنّع نفسه: يقوم على تحسينها وتزيينها.

(٢) يبرقها: يزينها ويحسنها. يقال برّق منزله أي زينه وزوّقه. وفي بعض الأصول: «ويترفها» ومعناه يوسع عليها ويدللها ويعطيها شهواتها.

(٣) الشجا: الحزن.

(٤) أي ناقضه وباراه فيه بلحن آخر يغنيه.

ما لك تبكي؟ فذكر لها ما صنع به ابن سريج؛ فقالتا له: لا أرقأ الله دمعك! ألزُز رأسك[١] بين ما أخذته عنه وبين ما تأخذه منّا، فإن ضعت بعدها فأبعدك الله.

من الأربعة المشهورين:

قال إسحاق وحدثني أبو عبد الله الزُّبيري قال: رأيت جَريراً في مجلس من مجالس قريش فسمعتُه يقول: كان المغنّون بمكة أربعة، فسيد مبرز وتابع مسدد؛ فسألناه عن ذاك، فقال: كان السيّد أبو يحيى بن سُريج والتابعَ أبو يزيد الغريض[٢]. وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقال: كان الغريضُ أحذق أهل زمانه بمكة بالغناء بعد ابن سُريج، وما زال أصحابنا لا يُفرّقون بينهما لمقاربتهما في الغناء. قال الزُّبيريّ وقال بعض أهلي: لو حُكّمتُ بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرّقتُ بينهما، وإنما تفضيلي أبا يحيى بالسبق، فأمّا غيرُ ذلك فلا، لأنّ أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى، فكان كأنه هو؛ ولذلك قالت سُكَينة لما غنّى الغريض وابن سُريج:

عُوجي علينا ربّة الهودج

والله ما أفرّق بينكما، وما مَثَلكما عندي إلّا كمثل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدرى أيّ ذلك أحسن.

الغريض أشجى غناء وابن سريج احكم صنعة:

قال إسحاق: وسمعت جماعةً من البُصراء عند أبي يتذاكرونهما، فأجمعوا على أنّ الغريض أشجى غناء، وأنّ ابن سُريج أحكم صنعةً.

---

(١) أي أجمل رأسك بينها: تريدان بذلك أن يجمع بين ما أخذه عن ابن سريج وما سيأخذه عنها.

(٢) يلاحظ أنه لم يذكر هنا إلا اثنين.

غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن :

قال إسحاق وحدّثني أبو عبد الله الزُّبيريّ قال حدّثني بعض أهلي قال : حَجَجنا فلما كنّا بِجَمْع[1] سمعنا صوتاً لم نسمع أحسنَ منه ولا أشجى ، فأصغى الناس كلّهم اليه تعجباً من حسنه ، فسألتُ من هذا الرجل ؟ فقيل لي : الغريض ، فتتابع جماعةٌ من أهل مكة فقالوا : ما نعرفُ اليوم أحداً أحسن غناء من الغريض ، ويدلُّك على ذلك أنه يعترض بصوته الحاجّ وهم في حَجّهم فيُصغون اليه . فسألوا الغريض عن ذلك ، فقال : نعم ، فسألوه أن يُغنّيهم فأجابهم ، وخرج فوقف حيث لا يُرى ويُسْمع صوته فترنّم . ورجّع صوتَه وغنّى في شعر عمر بن أبي ربيعة :

أيُّها الرائحُ المُجِدّ ٱبتِكارَا قد قضى من تِهامةَ الأوْطارَا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك الصوت ، وتكلَّم الناسُ فقالوا : طائفةٌ من الجنّ حُجّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

أيُّها الرائحُ المجِدّ ٱبتِكارَا قد قضى مِن تِهامَةَ الأوْطارَا
مَنْ يكنْ قلبُه الغَداةَ خَلِيّاً ففؤادي بالخَيْفِ أمسى مُعارَا
ليت ذا الحجّ كان حَتماً علينا كلّ شهرَيْنِ حِجّةً[2] وٱعتِمارَا

عروضه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن مُحرز ، ولحنه من القَدْر الأوْسط من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لحن للغريض من رواية حمّاد عن أبيه .

(١) جمع : المزدلفة وهو مبيت الحاج ومجمع الصلاة اذا صدروا من عرفات ، وهو المشعر الحرام .
(٢) الحجة (بالكسر) : المرة من الحج وهو شاذ لأن قياس المرة على فعلة بفتح الفاء .

نفي الغريض وابن سريج ومعبد :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونُس قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال :

بلغني أنّ معبداً وابن سرَيج والغريض اجتمعوا بمكة ذات ليلة فقالوا : هلمّ نَبْكِ أهلَ مكة ، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْوِيّاً عن يونُسَ الكاتب : أنّ أميراً من أمراء مكة أمر بإخراج المغنّين من الحَرَم ، فلمّا كان في الليلة التي عزم بهم على النَّفْي في غَدِها اجتمعوا على أبي قُبَيْس — وكان معبد قد زارهم — فبدأ معبد فغنّى كذا رُوِي عن يونُس ولم يذكره الباقون.

صوت

أَتَرْتَبِيّ من أعلى مَعَدّ هُدِيتُمَا أَجِدّا البُكا إنّ التفرّق باكِرُ
فما مُكْثُنا دام الجميلُ عليكما بِثَهْلانَ[1] إلّا أنْ تُزَمّ الأباعِرُ

— عَروضه من الطويل . هكذا ذكره ولم ينسبه ولا جنّسه — قال : فتأوّه أهل مكة وأنّوا وتمخّطوا[2] . وأندفع الغريض يُغنّي :

أيّها الرائحُ المُجِدّ ابتكارا قد قضى مِن تِهامَةَ الأوطارا

فأرتفع البكاء والنحيب . وأندفع ابن سريج يغني :

جَدّدي الوصلَ يا قُرَيبُ وجُودي لمُحبٍّ فِراقُه قد أَلَمّا
ليس بين الحياة والموت إلّا أن يَرُدّوا جِمالَهُمْ فتُزَمّا

---

(١) ثهلان : جبل بنجد .

(٢) تمخطوا : اضطربوا .

فارتفع الصراخ من الدُّور بالوَيل والحَرَب[١] . قال يونس في خبره : واجتمع الناسُ إلى الأمير فاستعفَوْه من نفيهم فأعفاهم . وذكر الباقون أنّ الغريض ابتدأ بلحنه .

أيها الراكب المجدّ ابتكارا

وتلاه ابن سُرَيج في «جَدّدي الوصل» . قال : وارتفع الصراخ فلم يُسمع من معبد شيء ولم يقدِر على أن يُغنّيَ .

شطباء المغنية :

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعديّ قال :

حضَرتُ شَطْباءَ المُغنّية جاريةَ عليّ بن جعفر ذات يوم تغنّي :

ليس بين الرّحيل والبيْنِ إلّا   أن يَرُدّوا جِمالَهم فتُزَمّا

فطرب عليّ بن جعفر وصاح : سبحان الله العظيم ! ألا يُوكُون[٢] قِرْبة ! ألا يَشدّون محملًا ! ألا يُعلِّقون سُفرة[٣] ! ألا يُسلِّمون على جارٍ ! هذه والله العجلةُ .

نوح الغريض على الثريا :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونُس قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى قال زعم عُبيد بن يَعْلى قال :

---

(١) أي قيل وا ويلاه ووا حرباه . والحرب (بالتحريك) : أن يسلب الرجل ماله، ثم توسع فيه فعبر به عما يصيب المرء من مكروه .

(٢) أوكى القربة : شدّها بالوكاء وهو رباطها ، وفي الحديث : «أوكوا الأسقية» . أي شدّوا رؤوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شيء .

(٣) السفرة في الأصل : طعام يتخذه المسافر، ومنه حديث عائشة : صنعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر سفرة في جراب أي طعاماً ، ثم أطلق مجازاً على جلد مستدير يحمل فيه هذا الطعام . وتطلق السفرة أيضاً على ما يبسط ليؤكل عليه .

قال لي كَثير بن كثير السهميّ : لمّا ماتت الثّريّا أتاني الغريض فقال لي : قل لي شعراً أبكِ به عليها ؛ فقلت :

صوت

ألا يا عينُ ما لكِ تدمعينا أمِنْ رَمَدٍ بكيتِ فتكحلينا
أمَ أنتِ مريضةٌ تبكين شجواً فشجوكِ مثله أبكى العيونا

فناح به عليها . قال : وأخبرني مَن رآه بين عمودَيْ سريرها ينوح به . الغناء للغريض في هذين البيتين خفيفُ ثقيل بالوُسطى عن ابن المكيّ . وفيه ثقيل أوّل مجهول .

سكينة بنت الحسين تساوي بين المغنين :

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني محمد ابن سلّام وأخبرنا وَكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلّام عن جرير، ورواه حمّاد عن أبيه عن ابن سلّام عن جرير أيضاً :

أنّ سُكَينة بنت الحُسين عليه السلام حجّت فدخل اليها ابن سُريج والغريض وقد استعار ابن سُرَيج حُلّةً لامرأة من قُريش فلبسها ؛ فقال لها ابن سُرَيج : يا سيّدتي ، إني كنتُ صنعتُ صوتاً وحَسّنتُه وتنوّقتُ[1] فيه ، وخبأته لك في حريرة في دُرْجٍ مملوء مِسكاً فنازعَنيه هذا الفاسق – يعني الغريض – فأردنا أن نتحاكم اليك فيه ، فأيّنا قدّمتِه فيه تقدّم ؛ قالت : هاتِه ؛ فغنّاها :

عُوجي علينا ربّةَ الهَودَجِ إنّكِ إلّا تفعلي تَحْرَجي[2]

فقالت : هاته أنتَ يا غريض ؛ فغنّاها إياه ؛ فقالت لابن سُريج : أعِدْه ،

(١) تنوّق : تجوّد في الشيء وبالغ فيه .
(٢) تحرجي : تأثمي .

فأعاده ، وقالت : يا غريض، أَعِدْه ، فأعاده ؛ فقالت : ما أُشَبِّهُكُما إلّا بالجَدْيَيْن : الحارّ والبارد لا يُدْرَى أيّهما أطيب . وقال إسحاق في خبره . ما أشبّهكما إلّا باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدرى أيّهما أحسن .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجي علينا رَبَّةَ الهَودَجِ ... إنكِ إلّا تفعَلي تُحْرِجي
إنّي أُتِيحتْ لي يَمانِيَةٌ[1] ... إحدى بني الحارث من مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حَولًا كاملًا كُلَّه ... لا نلتقي إلا على مَنْهَجِ
في الحجّ إن حجّتْ وماذا مِنًى ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نالَ مُحِبّ لدى ... بَيْنِ حبيبٍ قولُه عَرِّجِ

عَروضه من السريع . والشعرُ للعَرْجيّ . والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش . ولإسحاق في الأوّل والثالث ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو . وللأبجر فيه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن ابن المكيّ . ولِعَلُّوَيْهِ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ . ولحكم خفيفُ رملٍ عنه أيضاً .

عطاء ابن رباح والغريض :

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن بِشر قال حدّثني

---

(١) يمانية (بتشديد الياء) نسبة الى اليمن ، والمشهور في النسبة الى اليمن : يمني ويمان بالتخفيف والألف عوض عن ياء النسب، قال سيبويه : وبعضهم يقول يمانيّ بالتشديد . ومما جاء بالتشديد قول أميّة بن خلف :

يمانياً يظل يشدّ كيراً ... وينفخ دائماً لهب الشواظ

إبراهيم بن المُنذر قال حدّثني حمزة بن عُتبة اللهبيّ عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال:

كنت مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجل فأنشده قول العرجيّ:

إنّي أُتيحتْ لي يمانِيَةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله:

في الحجِّ إن حجّتْ وماذا مِنًى   وأهله إنْ هي لم تَحْجُجِ

قال فقال عطاء: بمنًى والله وأهله خيرٌ كثيرٌ إذ غيّبها الله وإيّاه عن مشاعره.

سكران يتغنى:

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق قال: وَلِيَ قضاء مكة الأوقصُ المخزوميّ فما رأى الناس مثلَه في عفافه ونُبله، فإنه لنائم ليلة في جناحٍ[1] له إذ مرّ به سكرانُ يتغنى:

عُوجي علينا ربّة الهودَجِ

فأشرف عليه فقال: يا هذا شربتَ حراماً! وأيقظتَ نياماً! وغنّيتَ خطأً! خُذه عني! فأصلحه له وانصرف.

الأبجر المغني:

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق عن حمزة ابن عُتبة اللهبيّ قال:

مرّ الأبجر بعطاء وهو سكران فعذَله وقال: شهّرتَ نفسك بالغناء وأطرحتها وأنت ذو مُروءة، فقال: امرأته طالقٌ ثلاثاً إن برِحتَ أو أغنّيك صوتاً، فإن قلتَ لي: هو قبيحٌ تركتُه؛ فقال له عطاء: هاتِ ويحكَ! فقد أضررتَ بي، فغنّاه:

---

(١) أي في ناحية خاصة به من البيت.

في الحجّ إنْ حجّتْ وماذا مِنًى وأهلُــه إنْ هي لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء : الخيرُ والله كلّه هناك حجّتْ أو لم تحجّ ، فاذهب الآن راشداً فقد برّتْ يمينك .

ابن ابي عتيق والغريض :

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا محمــد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني المُغيرة بن محمد قال حدّثني هارون بنُ موسى الفرويّ قال حدّثني بعضُ المدنيّين قال :

خرج ابن أبي عتيق على نَجيب له من المدينة قد أوْقَرَه(١) من طُرَف المدينة المَشاربَ(٢) وغير ذلك ، فلقي فتًى من بني مخزوم مُقبلاً من بعض ضياعه ، فقال : يابن أخي ، أتصحبني ؟ قال : نعم ؛ قال المخزوميّ : فمضينا حتى إذا قربنا من مكة جَنَبْنَا عنها حتى جُزْناها فصرنا إلى قصر ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأذِن له ، فدخلنا فإذا رجلٌ جالسٌ كأنه عجوزٌ بربريّة مُختَضِبة ، لا أشكّ في ذلك ، وإذا هو الغريض وقد كبِر ، فقال له ابن أبي عتيق : تشوّقنا اليك ، وأهدى له ما كان معه ، ثم قال له : تُحبّ أنْ نسمع ؛ قال : أدْعُ فُلانة – جاريةً له – فجاءت فغنّتْ ، فقال : ما صنعتِ شيئاً ، ثم حلّ خِضابه وغنّى :

عُوجي علينا ربّةَ الهَوْدَجِ

فما سمعتُ أحسنَ منه قط ، فأقمنا عنده أياماً كثيرة وخَبّازُه قائمٌ وطعامه كثير . ثم قال له ابن أبي عتيق : إني أريد الشُّخوصَ ، فلم يبقَ بمكة تُحْفَةٌ عَدَنيّ ولا يَمانٍ ولا عودٌ إلا أوْقَر به راحلتَه . فلمّا ارتحلنا وبرزْنا صاح به الغريض : هيّاً هيّاً ، فرجعنا اليه ؛ فقال : ألم تَرْوُوا عن النبيّ صلّى الله عليــه وسلّم أنه قال : « يُحشَرُ من بَقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلة البدر » ! فقال له ابن

(١) أوقره : حمله .

(٢) المشارب : جمع مشربة (بالكسر) وهي إناء يشرب به .

أبي عتيق : بلى، فقال : هذه سِنٌّ لي انتزعت فأُحِبّ أن تَدفنها بالبقيع، فخرجنا والله أخسَرَ اثنين لم نَعتمر ولم ندخُل مكة، حاملين سِنّ الغريض حتى دفنَّاها بالبقيع.

جرى ناصح بالود بيني وبينها :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغريض مع قوم فغنَّاهم هذا الصوت :

جرى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها فقرَّبني يومَ الحِصاب إلى قَتْلي

فاشتد سرورُ القوم، وكان معهم غلام أعجبه، فطلب إليهم أن يُكلِّموا الغلامَ في الخلوَة معه ساعةً ففعلوا فانطلق مع الغلام حتى توارى بصخرة، فلما قضى حاجته أقبل الغلام إلى القوم، وأقبل الغريض يتناول حجراً حجراً يقرع به الصخرة، ففعل ذلك مراراً، فقالوا له : ما هذا يا غريض؟ قال : كأني بها قد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذَيْلها تشهد علينا بما كان منّا الى جانبها، فأردتُ أن أُجرِّح شهادتها عليّ ذلك اليوم.

نسبة هذا الصوت

صوت

جَرى ناصِحٌ بالودِّ بَيني وبينها فقرَّبني يومَ الحِصابِ الى قَتْلي
فقالتْ وأرخَتْ جانبَ السِّترِ إنما معي فتحدَّثْ غيرَ ذي رِقْبَةٍ أهلي
فقلتُ لها ما بي لهم من تَرَقُّبٍ ولكنَّ سِرّي ليس يَحْمِلُهُ مِثْلي

عَرُوضُهُ من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بإطلاق الوَتَر في مجرى البنصر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات. وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمالك، وفيه للغريض خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَش والهشاميّ وعليّ

ابن يحيى وحمّاد بن إسحاق . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش . ولابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى عنه .

شعر جميل وشعر عمر :

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المسيّبيّ والمدائنيّ وابن سلّام :

أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يعارض جميلًا ، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلها ، فيقال : إنّ عمر في الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جميل ، وإنّ جميلًا أشعرُ منه في اللاميّة . وقال الزّبير فيما أخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء عنه : من الناس من يُفضّل قصيدة جميل اللاميّة على قصيدة عمر ، وأنا لا أقول هذا ، لأنّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة ، فيها طوالع النّجد وخوالد المَهْد ، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة ملساء المتون ، مُستوية الأبيات ، آخذٌ بعضها بأذناب بعض ، ولو أنّ جميلًا خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأرْتِجَ عليه وعثر كلامُهُ بهِ .

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن تابتة مَولى هشام بن الوليد المخزوميّ وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة :

يا أبا الحارثِ قَلبي طـائرٌ فاستمِعْ قَولَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ

قال : شهدتُ عمر بن أبي ربيعة وجميلًا بالأبطح ، فأنشد جميلٌ قصيدتَه التي يقول فيها :

لقد فَرِحَ الواشُونَ أنْ صَرَمَتْ حَبْلي بُثَيْنَةُ أو أبْدَتْ لنـا جانبَ البُخْلِ

ثم قال: يا أبا الخطّاب، هل قلتَ في هذا الوزن شيئاً ؟ قال : نعم؛ فأنشده قوله:

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بَيني وبينها

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أبا الخطّاب، والله لا أقول مثلَ هذا سجيسَ[1] الليالي؛ والله ما خاطب النساء مخاطبتك أحدٌ! وقام مُشْمِرًا.

أخبرني الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال:

رأيتُ علماءنا جميعاً لا يشكّون في أنّ أحسن ما يُروى في تعظيم السرّ قولُ عمر:

ولكنّ سِرّي ليس يَحمله مثلي

قال الزُّبير: وحدّثني محمد بن إسماعيل قال حدّثني ابن أبي الزِّناد قال: إنما اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجناب[2].

الفرزدق وشعر عمر:

أخبرني محمد بن أحمد الطَّلّاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ:

أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة، فلمّا بلغ الى قوله:

فقُمْنَ وقد أفهَمْنَ ذا اللبِّ أنما فَعَلْنَ الذي يَفْعَلْنَ من ذاك مِن أجلي

صاحَ الفرزدق وقال: هذا والله الشعرُ الذي أرادته الشعراء، فأخطأَتْهُ وبَكَت الديارَ.

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني

سوى قصيدة جميل فإنّ لها أخباراً تُذكر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التي أوّلها:

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينها

---

(١) يقال: لا أفعل ذلك سجيس الليالي أي لا أفعله أبداً.

(٢) الجناب: موضع بعراض خيبر وسلاح ووادي القرى، وقيل هو من منازل بني مازن. وقال نصر: الجناب من ديار بني فزارة بين المدينة وفيد.

صوت

قِفِي البغلةَ الشهباءَ باللهِ سَلّمِي ... عُزَيْزَةُ ذاتَ الدَّلِّ والخُلُقِ الجَزْلِ
فلمّا تواقفْنا عرَفْتُ الذي بها ... كَمِثْلِ الذي بي حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
فقُلْنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا ... قريبٌ أَلَمّا تَسْأَمِي مَرْكَبَ البَغْلِ

عَرُوضه من الطويل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ثقيل أوّل بالوُسطى عن عمرو بن بانَة وعليّ بن يحيى، وقيل إنّه لمالك. ولابن مُحرِز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ. ولابن سُرَيج في الأوّل ثقيل والثاني خفيف آخر بالوُسطى وهو الذي فيه استهلال. ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبنصر. ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ.

ومنها:

صوت

يا أبا الحارثِ قَلْبي طائرٌ ... فأْستمِعْ قولَ رشيدٍ مؤتمَنْ
ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُكم ... غيرَ أن أقتُلَ نفسي أو أُجَنّْ
حَسَنُ الوجه نَقِيٌّ لونُهُ ... طيبُ النَّشْرِ لذيذُ المحتضَنْ

عروضه من الرَّمَل. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو، وقيل: إنه لابن عائشة. وذكر ابن المكيّ أنه للغريض في الثاني والثالث، وفيهما رَمَلٌ يقال إنه لأهل مكة، ويقال: إنه لعبد الله بن يُونس صاحب أَيْلَة[1]. وفيه ثقيلٌ أوّلُ ذكر حَبَشٌ أنه لابن سُرَيج، وذكر غيره أنه لمحمد ابن السِّنديّ المكيّ، وأنه غنّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه.

(١) أيلة بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي في أوّل الحجاز وآخر الشام. وقال أبو المنذر، سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد ابن يحيى قال:

كان ابن عائشة يُغنّي الهَزَج والخفيف؛ فقيل له: إنك لا تستطيع أن تُغنّيَ غناء شجياً ثقيلاً؛ فغنّى:

يا أبا الحارث قلبي طائرٌ

رجع الحديث الى أخبار الغريض

يتلقى غناءه عن الجن:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيوب بن عَباية عن مَوْلًى لآل الغريض قال:

حدّثني بعض مَوْلياتي وقد ذكرْن الغريض فترحّمن عليه وقُلن: جاءنا يوماً يحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عَرَفنا بعد ذلك حقيقته، وكان من أحسن الناس وجهاً صغيراً وكبيراً، وكنّا نلقى من الناس عَنَتاً بسببه، وكان ابن سُرَيج في جوارنا فدفعناه اليه فلَقِنَ[1] الغناء، وكان من أحسن الناس صوتاً ففتن أهلَ مكة بحسن وجهه مع حُسن صوته، فلمّا رأى ذلك ابن سُرَيج نحّاه عنه، وكانت بعضُ مَوْلياته تُعلّمه النِياحة فبرّز فيها، فجاءني يوماً فقال: نهتْني الجنّ أن أنوحَ وأسمعتني صوتاً عجيباً فقد ابتنيت عليه لحناً فاسمعيه مني، واندفع فغنّى بصوت عجيب في شعر المرّار الأسديّ:

حَلَفتُ لها باللهِ ما بَين ذي الغَضا وهضْبِ القَنانِ[2] من عوانٍ ولا بِكرِ
أحبُّ إلينا منكِ دَلًّا وما نرى به عند ليلى من ثوابٍ ولا أجرِ

---

(١) لقن الكلام من فلان: أخذه عنه مشافهة وفهمه.

(٢) القنان: جبل لبني أسد فيه ماء يدعى العسيلة.

فكذّبناه وقلنا : شيء فكّر فيه وأخرجه على هذا اللحن ، فكان في كل يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحةَ صوتاً من الجنّ بترجيع وتقطيع قد بَنيتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يَزَل على ذلك ونحن نُنكِر عليه؛ فإنا لكذلك ليلةً وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكة في جمع لنا سَهرنا فيه ليلتنا والغريض يُغنّينا بشعر عمر ابن أبي ربيعة :

أَمِن آلِ زَينبَ جدَّ البُكورُ   نَعَم فلأيِّ هواها تَصيرُ

إذ سمعنا في بعض الليل عَزيفاً[1] عجيباً وأصواتاً مختلفةً ذَعَرَتنا وأفزَعتنا ، فقال لنا الغريض : إن في هذه الأصوات صوتاً إذا غِبتُ سمعتُه، وأصبح فأبني عليه غنائي ؛ فأصغينا إليه فإذا نَغَمَتُهُ نغمةُ الغريض بعينها فصدّقناه تلك الليلة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها ... ... البيتان

عروضه من الطويل . غنّاه الغريض ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن حَبَش . قال : ولِعَلُّوَيهَ فيه ثقيل أوّل آخر بالبِنصَر .

ومنها :

صوت

أَمِنْ آلِ زينبَ جدَّ البُكورُ   نَعمْ فلأيِّ هواها تَصيرُ
أبالغَوْر أم أَنجَدتْ[2] دارُها   وكانت حَديثاً بعهدي تَغورُ

---

(١) عزف عزيفاً : صوّت، غنى .

(٢) أنجدت : ارتفعت .

نَظَرتُ بخَيْفِ مِنًى نظرةً إليها فكاد فؤادي يَطيرُ
هي الشمسُ تَسري بها بَغلةٌ وما خِلتُ شمساً بليلٍ تسيرُ
ألم تَرَ أنكَ مستشرفٌ وأنّ عدوّك حَولي حضورُ

عَروضه من المتقارب . الشعر للنُّمَيْريّ ، وقيل : إنه ليزيد بن معاوية . والغناء لسياط خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سُرَيج فيه خفيفُ ثقيل بالوسطى ؛ أوّله :

هي الشمسُ تَسري بها بَغلةٌ

وفيه للغريض ثاني ثقيل بالبِنصر عن الهشاميّ وحمّاد ، وذكر غيرهما أنه لابن جامع . وذكر حَبَشٌ أن فيها لابن مُحرز ثقيلاً أوّل بالبِنصر .

سكينة والغريض وعمر :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصعَب الزُّبيريّ :

اجتمع نِسوةٌ فذكَرْنَ عمرَ بن أبي ربيعة وشعرَه وظَرْفَه وحُسنَ مجلسه وحديثَهُ وتشوّقنَ إليه وتمنَّينه ؛ فقالت سُكينة : أنا لكُنّ به ، فبعثتْ إليه رسولاً ووعدته الصَّوْرَيْنِ[1] لليلة سمّتها ، فوافاها على رواحله ومعه الغريض ، فحدّثهنّ حتى وافى الفجرُ وحان انصرافهنّ ، فقال لهنّ : إني والله لمشتاقٌ إلى زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده ، ولكن لا أَخلِطُ بزيارتكنّ شيئاً ، ثم انصرف الى مكة وقال :

أَلِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا[2] قلّ الثَّواءُ لئنْ كان الرحيلُ غَدا

قال : وانصرف عمر بالغريض معه ، فلمّا كان بمكة قال عمر : يا غريض ، إني

---

(١) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع .
(٢) أفد بكسر الفاء : دنا وحضر .

أريد أن أخبرك بشيء يتعجّل لك نفعُهُ ويبقى لك ذكره ، فهل لك فيه ؟ قال : أفعل من ذلك ما شئتَ وما أنتَ أهله ؛ قال : إني قد قلتُ في هذه الليلة التي كنّا فيها شعراً فأمضِ به إلى النِسوَة فأنشدْهنّ ذلك وأخبرْهنّ أني وجّهتُ بك فيه قاصداً(١) ؛ قال : نعم . فحمَلَ الغريضُ الشعرَ ورجع الى المدينة فقصد سُكَينة وقال لها : جُعلتُ فداكِ يا سيّدتي ومولاتي ، إن أبا الخطّاب – أبقاه الله – وجّهني إليكِ قاصداً ، قالت : أوَ ليس في خيرٍ وسرور تركتَهُ ؟ قال : نعم ؛ قالت : وفيمَ وجّهك أبو الخطّاب حفظه الله ؟ قال : جُعلت فداكِ ، إن ابن أبي ربيعة حمّلني شعراً وأمرني أن أنشدكِ إياه ؛ قالت : فهاته ، قال فأنشدها :

ألِمِم بزينبَ إن البَيْنَ قد أفِدا قلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غدا

الشعرَ كلَّه ؛ قالت : فيا وَيْحَه ! فما كان عليه ألا يرحل في غده ! فوجّهتْ إلى النِسوة فجمعتهنّ وأنشدتهنّ الشعرَ ، وقالت للغريض : هل عملتَ فيه شيئاً ؟ قال : قد غنّيتُهُ ابنَ أبي ربيعة ؛ قالتْ : فهاته ، فغنّاه الغريض ؛ فقالت سُكَينة : أحسنتَ والله وأحسن ابنُ أبي ربيعة ، لولا أنّك سبقتَ فغنّيته عُمَرَ قبلنا لأحسنّا جائزتَك ، يا بُنانةُ ، أعطيهِ بكلّ بيت ألفَ درهم ، فأخرجتْ اليه بُنانةُ أربعة آلاف درهم فدفعتْها إليه ؛ وقالت سُكَينة : لو زادنا عُمَرُ لزدناك .

نسبة هذا الغناء

صوت

ألِمِمْ بزينبَ إنَّ البَيْنَ قد أفِدا قلَّ الثَّواءُ لئن كان الرَّحيلُ غدا
قد حلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدةً وما على الحُرِّ إلا الصَّبْرُ مجتهدا
لأختها ولأخرى من مَناصِفِها(٢) لقد وَجدتُ به فوقَ الذي وَجدا

(١) قاصداً : عامداً .

(٢) المناصف : جمع منصف (كمنبر ومقعد) وهو الخادم ، والأنثى بالهاء .

لَعَمْرُها ما أراني إن نَوًى[1] نَزَحتْ وهكـذا الحبُّ إلا مَيِّتاً كَمِدا

عَروضُه من البسيط . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج ، وله فيه لحنان : أحدهما رَمَلٌ بالسبّابة في مَجرى البِنصر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لحنٌ للغريض خفيفُ ثقيلٍ بالبِنصر عن الهشاميّ وحمّاد ، وذكر عمرو : أنه لمالك ، أوّله الرابع ثم الأوّل ، ومن الناس مَنْ يَنسب هذا إلى مَعبد ؛ وأوّله :

يا أمَّ طَلْحة إن البَيْنَ قد أفِدا

وذلك خطأ ، اللحنُ الذي عمله مَعبد غير هذا وهو :

صوت

يا أمَّ طلحةَ إنَّ البَيْنَ قد أفِدا قَلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غَدا
أمسى العِراقيّ لا يدري إذا بَرَزَتْ مَنْ ذا تطوَّفَ بالأركان أو سَجَدا

عَروضه من البسيط . الشعر للأحوَص ، ويقال : إنه لعمر أيضاً . والغناء لمَعبَد ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبِنصر عن عمرو والهشاميّ .

عائشة بنت طلحة والغريض :

أخبرني الحسين بن يحيي عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام قال :

حجّت عائشة بنت طَلحة بن عُبَيد الله فجاءتها الثُّرَيا وأخواتُها ونساء أهل مكة القُرشيّات وغيرهُنّ ، وكان الغريض فيمن جاء ، فدخل النِّسوةُ عليها فأمرت هنّ بكُسوة وألطاف[2] كانت قد أعدّتها لمَنْ يجيئها ، فجعلتْ تُخرج كلَّ واحدة

(١) النوى هنا : الدار وهي مؤنثة . ونزحت : بعدت .
(٢) الألطاف : جمع لطف (بالتحريك) وهو من طرف التحف ما ألطفت به أخاك ليعرف به برك .

ومعها جاريتُها ومعها ما أمرتْ لها به عائشة والغريضُ بالباب حتى خرج مَوْليَاتُه مع جواريهنّ الخِلَعُ والألطافُ؛ فقال الغريض: فأين نصيبي من عائشة؟ فقلن له: أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا؛ فقال: ما أنا ببارحٍ من بابها أو آخذَ بحظي منها فإنها كريمةٌ بنتُ كِرام، واندفع يغني بشعر جميل:

تذكَّرتُ ليلى فالفؤاد عَميدُ[1] وشطَّتْ نواها فالمَزارُ بعيدُ

فقالت: ويلكم! هذا مَولَى العَبَلات بالباب يُذكِّر بنفسه هاتوه، فدخل، فلمّا رأته ضحكت وقالت: لم أعلم بمكانك، ثم دعت له بأشياء أمرت له بها، ثم قالت له: إن أنت غنَّيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا (شيء سمّته له ذهب عن ابن سلّام) قال: فغنّاها في شعر كُثَيِّر:

وما زلتُ من ليلى لَدُن طَرّ[2] شاربي إلى اليوم أُخفي حبَّهـا وأُداجنُ
وأحمل في ليـلى لقومٍ ضَغينةً وتُحمل في ليـلى عليّ الضغائنُ

فقالت له: ما عدَوْت ما في نفسي، ووَصَلته فأجزلت. قال إسحاق: فقلتُ لأبي عبد الله: وهل علمتَ حديثَ هذين البيتين؟ ولم سألتَ الغريضَ ذلك؟ قال: نعم.

الشعبي عند مصعب بن الزبير وزوجه عائشة:

حدّثني أبي قال قال الشّعبيّ: دخلتُ المسجد فإذا أنا بمصعب بن الزُّبير على سَرير جالسٌ والناسُ عنـده، فسلّمتُ ثم ذهبت لأنصرف، فقال لي: ادْنُ، فدنوت حتى وضعتُ يدي على مرافقه[3]، ثم قال: إذا قمتُ فاتبعني، فجلس قليلاً ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طَلْحة فتبعتُه، فلمّا طعن[4] في الدار التفتَ إلي

(١) العميد: الشديد الحزن الذي هدّه العشق.
(٢) طرّ شارب الغلام من باب نصر فهو طارّ: طلع ونبت
(٣) جمع مرفق أو مرفقة وهي المخدة.
(٤) طعن في الدار: ذهب، سار.

فقال : ادخلْ ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجرته وتبعتُه ، فالتفتَ إليّ فقال : ادخل ، فدخلتُ معه ، فاذا حَجلة[1] ، وإنها لأوّل حَجلة رأيتُها لأميرٍ[2] ، فقمتُ ودخل الحجلة فسمعتُ حركة ، فكرهتُ الجلوسَ ولم يأمرني بالانصراف ، فإذا جارية قد خرجتْ فقالت : يا شعبيّ ، إنّ الأمير يأمرك ان تجلس ، فجلستُ على وِسادة ورُفع سَجف الحَجلة ، فإذا أنا بمصعب بن الزُّبير ، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة ، قال : فلم أرَ زوجاً قطُّ كان أجمل منهما : مصعب وعائشة ، فقال مصعب : يا شعبيّ ، هل تعرف هذه ؟ فقلت : نعم أصلح الله الأمير ؛ قال : ومَنْ هي ؟ قلت : سيدةُ نساء المسلمين عائشةُ بنت طلحة ؛ قال : لا ، ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر :

وما زلتُ من ليلى لَدُنْ طَرّ شاربي

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فَقُمْ ، فقمتُ . فلمّا كان العَشيُّ رُحتُ وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسلّمتُ ، فلمّا رآني قال لي : ادنُ ، فدنوت حتى وضعتُ يدي على مرافقه ، فأصغى[3] إليّ فقال : هل رأيت مثل ذلك لإنسان قطّ ؟ قلت : لا والله ؛ قال : أتدري لِمَ أدخلناك ؟ قلتُ : لا ؛ قال : لتُحدِّثَ بما رأيتَ . ثم التفت إلى عبد الله بن أبي فَرْوة فقال : أعطِه عشرةَ آلاف درهم وثلاثين ثوباً ، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفتُ به ، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة[4] القصّار ثياباً وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة .

عائشة بنت طلحة وازواجها :

قال : وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا

(١) الحجلة (بالتحريك) : مثل القبة ، وحجلة العروس : بيت يزين بالثياب والاسرة والستور .

(٢) ولاه أخوه عبد الله العراقين فتولاهما حتى سار اليه عبد الملك بن مروان ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدّمته فلقيه مصعب فقاتله حتى قتل .

(٣) أصغى : أمال رأسه .

(٤) الكارة من الثياب : ما يجمع ويشدّ ، وكارة القصار سميت بذلك لأنه يكور ثيابه في ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

عُذرتها[1] ثم هَلك، فتزوّجها مصعب فقُتل عنها، ثم تزوّجها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر فبَنى بها بالحيرة، ومُهِدت له يوم عرسه فُرُش لم يُرَ مثلُها: سَبعُ أذرع في عَرض أربع، فانصرف تلك الليلة عن سبع مَرّات؛ فلَقِيَتْه مَوْلاة لها حين أصبح فقالت: يا أبا حفص، كَمُلتَ في كل شيء حتى في هذا. فلمّا مات ناحت عليه وهي قائمةٌ، ولم تنح على أحد منهم قائمةً – وكانت العربُ إذا ناحتْ المرأةُ قائمةً على زوجها عُلم أنها لا تريد أن تتزوّج بعدَه – فقيل لها: يا عائشة، ما صنعتِ هذا بأحد من أزواجك! قالت: إنه كان فيه خِلال ثلاث لم تكن في أحد منهم: كان سيّد بني تَيم، وكان أقرب القوم بي قَرابة، وأردتُ ألّا أتزوّج بعده!!.

وأخبرني بخبر مصعب والشّعبيّ وعائشة أحمدُ بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيخ قال أخبرنا محمد بن الحَكم عن عَوانة قال:

خرج مصعب بن الزُّبير من دار الإمارة يريد دارَ موسى بن طَلحة، فمرّ بالمسجد فأخذ بيد الشّعبيّ. ثم ذكر باقيَ الحديث مثلَه، ولم يذكر شيئاً من حديث المُغتَين. قال ابن عمّار: وأخبرني به داود بن جميل بن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابيّ: قال ابن عمّار وأخبرني به أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ أن الشّعبيّ قال:

دخلتُ المسجد وفيه مصعب بن الزُّبير فاستدناني فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه، فأصغى إليّ وقال: إذا قمتُ فاتبعني. ثم ذكر باقيَ الحديث أيضاً مثل الذي تقدّمه.

نسبة هذا الصوت

صوت

وما زِلتُ من ليلى لَدُن طَرّ شاربي إلى اليوم أخفي حُبَّها وأداجنُ

(١) العذرة (بالضم): البكارة، يريد أنه أوّل من تزوّجها.

وأحمل في ليلى ضغائنَ معْشَرٍ وتُحمل في ليلى عليّ الضغائنُ

عروضه من الطويل . الشعر لكُثيّر بن عبد الرحمن . والغناء لَمعبد ثقيل أوّل بالبنصر عن حَبَش . وفيه لَحن للغريض .

انا سريجي :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان الغريض إذا غنى بيتين لكثيّر قال : أنا السُّرَيجيّ حقّاً ، ولم يكن يقول ذلك في شيء من غنائه وكان من جيّد غنائه . وقَدِمَ يزيدُ بن عبد الملك مكة فبعث إلى الغريض سِرًّا فأتاه فغنّاه بهذا اللحن :

وإنّي لأرعى قومَها من جَلالها وإن أظهروا غِشا نصحت لهم جَهدي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها صديقاً ولم أحمل على قومها حِقدي

فأشير إلى الغريض أن اسكتْ ؛ وفطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يُغنّيني بما يُريد ، فأعاد عليه الصوتَ مراراً ، ثم قال : زِدْني مما عندك فغنّاه بشعر عمرو ابن شَأس الأسدي :

فوانَدمي على الشباب ووانَدَمْ ندمتُ وبان اليومَ منّي بغير ذمّ
أرادتْ عرارا[1] بالهوان ومن يُرِدْ عرارا لعَمْري بالهوان فقد ظَلَمْ

قال : فطرب يزيد وأمر له بجائزة سنيّة . قال إسحاق : فحدّثت أبا عبد الله هذا الحديث ، وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً ، فقال أبو عبد الله : كان قدوم يزيد مكة وبعثُه إلى الغريض سِرًّا قبل أن يُستخلَف ؛ فقلت له : فلِم أشير إلى الغريض أن يسكتَ حين غنّاه بشعر كثيّر :

وإنّي لأرعى قومَها من جَلالها

(١) عرار : هو عرار بن شأس .

وما السببُ في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله : أنا أُحدِّثكه :

عندما تتدخل المرأة في شؤون زوجها :

حدّثني أبي قال : كان عبد الملك بن مروان من أشدّ الناس حُبًّا لعاتكة امرأته ، وهي ابنة يزيد بن معاوية وأمّها أمّ كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز ، وهي أمّ يزيد بن عبد الملك ، فغضبت مرّة على عبد الملك ، وكان بينهما باب لحجبته وأغلقتْ ذلك الباب ، فشقّ غضبُها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصّته يقال له : عمر بن بِلال الأسديّ ، فقال له : ما لي عندك إن رَضِيَت ؟ قال : حُكمُك . فأتى عمرُ بابها وجعل يَتباكى ، وأرسل اليها بالسلام ، فخرجتْ اليه حاضنتها ومواليها وجَواريها فقُلن : ما لك ؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها فقد علمتْ مكاني من أمير المؤمنين معاويةَ ومن أبيها بعدَه ، قلن : وما لك ؟ قال : ابناي لم يكن لي غيرُهما فقتل أحدُهما صاحبه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلٌ الآخر به ، فقلتُ : أنا الوليّ وقد عفوتُ ؛ قال : لا أعوّد الناسَ هذه العادةَ ، فرجوتُ أن يُنجيَ الله ابني هذا على يدها ؛ فدخلنَ عليها فذكرنَ ذلك لها ؛ فقالت : وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلن إذاً والله يُقتَل ، فلم يزَلن حتى دعتْ بثيابها فأجمَرَتْها[1] ثم خرجت نحوَ الباب ، فأقبل حُديج الخصيّ قال يا أمير المؤمنين : هذه عاتكة قد أقبلتْ ؛ قال : ويلك ! ما تقول ؟ قال : قد والله طلعتْ ! فأقبلتْ وسلّمت فلم يَرُدّ عليها ، فقالت : أما والله لولا عمرُ ما جئتُ ، إن أحد ابنيْه تعدّى على الآخر فقتَله فأردتَ قتلَ الآخر وهو الوليّ وقد عفا ؛ قال : إني أكره أن أعوّد الناس هذه العادةَ ؛ قالت : أنشدُك اللهَ يا أمير المؤمنين ، فقد عرفَت مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد ، وهو ببابي ؛ فلم تزل به حتى أخذتْ برجله فقبّلتها ؛ فقال : هو لك ، ولم يَبرَحا حتى أصطلحا ؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف

(١) أجمرتها : بخرتها .

رأيتَ ؟ قال : رأينا أثرَكَ ، فهاتِ حاجَتك ؛ قال : مَزْرَعة بعدَّتها وما فيها ، وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي ؛ قال : ذلك لك . ثم أندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيّر :

وإني لأرعى قومها من جَلالها

البيتين ؛ فعلِمتْ عاتكة ما أراد . فلما غُنيَ يزيد بهذا الشعر كَرِهَتْه مواليه إذ كان عبد الملك تمثّل به في أمّه ، ولم يَكرَهْه يزيد وقال : لو قيل هذا الشعر فيها ثم غُنيَ به لما كان عَيبا ، فكيف وإنما هو مَثلٌ تمثّل به أمير المؤمنين في أجمل العالمين !

قال أبو عبد الملك : وأمّا خبره لما غَنّى بشعر عمرو بن شأس فإن أبن الأشعث لما قُتِل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عَرار بن عمرو بن شأس ، فلمّا ورد به وأوصل كتاب الحجّاج جعل عبد الملك يقرؤه ، فكلما شكّ في شيء سأل عرار عنه فأخبره ، فعجب عبدُ الملك من بَيانه وفصاحته مع سَواده ، فقال متمثِّلًا :

وإنّ عراراً إن يكن غيرَ واضح ... فإني أحِبّ الجَونَ ذا المَنكبِ العَمَم[١]

فضحك عرار من قوله ضَحِكاً غاظ عبد الملك ؛ فقال له : مِمَّ ضَحكت ويلك ! قال : أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا ؛ قال : فأنا والله هو ؛ فضحك عبدُ الملك وقال : حظٌ وافق كلمة ، ثم أحسن جائزَته وسَرَّحه .

قال أبو عبد الله : وإنما أراد الغريض أن يُغنيَ يزيد بتمثّلات عبد الملك في الأمور العظام ، فلما تبيّن كَراهةَ مواليه غناءه فيما تمثّل به في عاتكة أراد أن يُعقِبَه ما تمثّل به في فتح عظيم كان لعبد الملك ، فغنّاه بشعر عمرو بن شأس في عرار .

(١) يقال : رجل عمم ، أي خير يعم بخيره وعقله .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

وإنّي لأرعى قومَهـا مِن جَلالها   وإن أظهروا غِشّاً نَصحتُ لهم جُهدي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لِقومهـا   صديقاً ولم أحمل على قومها حِقدي

عروضه من الطويل . الشعر لكثيّر . والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أن فيه لقفا النّجار ثاني ثقيل بالوسطى ، وفيه لعَلُّوَيْه ثقيل أوّل .

معبد يطلب لقاء الغريض :

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيـــه قال حدّثني إبراهيم عن يونس الكاتب قال حدّثني مَعبد قال :

خرجت إلى مكة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسنُ غِنائه في لحنه :

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ شادِناً   بمكة مَكحولا أسيلًا مَـدامِعُهْ

وقد كان بلغني أنه أوّل لحن صنعه وأن الجِنّ نهته أن يُغنيَه لأنه فتَن طائفة منهم ، فانتقلوا عن مكة من أجل حُسنه ، فلمّا قدمتُ مكة سألت عنه فدُلِلتُ على منزله ، فأتيتُه فقرعتُ البابَ فما كلّمني أحد ، فسألتُ بعضَ الجيران فقلت : هل في الدار أحدٌ ؟ قالوا لي : نعمْ ، فيها الغريض ، فقلت : إنّي قد أكثرتُ دقّ الباب ، فما أجابني أحدٌ ! قالوا : إن الغريض هناك ، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجبني أحد ، فقلت : إن نفعني غِنائي يوماً نفعني اليومَ ، فاندفعتُ فغنّيتُ لحني في شعر جميل :

عَلِقتُ الهوَى منها وَليداً فلم يزل   إلى اليوم يَنمي حبُّهـا ويزيدُ

فوالله ما سمعتُ حركةَ الباب ، فقلت : بطل سِحري[١] وضاع سَفَري وجئتُ أطلبُ ما هو عسيرٌ عليّ ، واحتقرتُ نفسي وقلت : لم يتوهّمني[٢] لضَعف غنائي عنده ، فما شعرتُ إلا بصائح يصيح : يا معبد المغني ، افهم وتلقّ عني شعرَ جميل الذي تُغنّي فيه يا شقيّ البخت ، وغنّى :

للغريض ولم تذكر طريقته

صوت

وما أنس مِ الأشياء لا أنس قولها — وقد قرّبتْ نِضوي[٣] أمِصرَ تريدُ
ولا قولَها لولا العيونُ التي ترى — أتيتُكَ فاعذِرني فدَتْك جُدودُ
خليليّ ما أُخفي من الوجد باطن — ودمعي بما قلتُ الغداةَ شهيدُ
يقولون جاهد يا جميلُ بغزوة — وأيّ جهادٍ غيرهن أُريدُ
لكلّ حديثٍ عندهنّ بشاشةٌ — وكلّ قتيلٍ بينهنّ شهيدُ

عروضه من الطويل . قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسن منه ، وقصّر[٤] إليّ نفسي وعلمتُ فضيلته عليّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت : إنه لحريّ بالاستتار من الناس تنزيهاً لنفسه وتعظيماً لقدْره ، وإنّ مثلَه لا يستحقّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعاً ، فلما كنتُ غير بعيد إذا بصائح يصيح بي : يا معبد ، انتظر أكلّمك ، فرجعتُ ، فقال لي : إن الغريض يدعوك ؛ فأسرعتُ فرِحاً فدنوتُ من الباب ؛ فقال لي : أتحبّ الدخول ؟ فقلتُ : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ فقرع الباب ففُتح ، فقال لي : ادخل ولا تُطِل الجلوس ؛ فدخلتُ فإذا شمس طالعةٌ في بيت ، فسلّمتُ فردّ السلام ، ثم قال :

---

(١) بطل سحري : ضاعت حيلتي وخاب مكري .
(٢) أي لم يتبيني ولم يعرفني .
(٣) النضو : المهزول من الابل وغيرها .
(٤) أي صغرها في عيني .

اجلس فجلست ، فإذا أنبلُ الناس وأحسنُهم وجهاً وخَلقاً وخُلقاً ، فقال : يا مَعبد ، كيف طرأتَ(١) إلى مكة ؟ فقلت : جُعِلتُ فداءك ! وكيف عرفتني ؟ فقال : بصوتك ؛ فقلتُ : وكيف وأنتَ لم تسمعه قط ! قال : لمّا غنيتَ عرفتك به وقلت : إن كان مَعبدٌ في الدنيا فهذا ؛ فقلت : جُعلت فداءك ، فكيف أجبتَني بقولك :

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنس قولَها   وقد قَرّبتْ نِضوي أمصرَ تريدُ

فقال : قد علمتُ أنك تريد أن أُسمعك صوتي :

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنس شادِناً(٢)   بمكة مكحولاً أسيلاً مدامعُهْ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنه صوتٌ قد نُهيتُ أن أغنيه فغنّيتك هذا الصوتَ جواباً لِما سألتَ وغنّيتَ ؛ فقلت : والله ما عدوتَ ما أردتُ ، فهل لك حاجةٌ ؟ فقال لي : يا أبا عَبّاد ، لولا مَلالةُ الحديثِ وثقلُ إطالة الجلوس لاستكثرت منك ، فاعْذِر ؛ فخرجتُ من عنده ، وإنه لأجلّ الناس عندي ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدّثتُ بحديثه وعجبتُ من فِطنته وقيافته(٣) ، فما رأيتُ إنساناً إلّا وهو أجلّ منه في عيني . وذكرتُ جميلاً وبُثينة فقلتُ : ليتني عرفت إنساناً يُحدّثني بقصة جميل وخبر الشعر فأكون قد أخذت بفضيلة الأمر كلِّه في الغناء والشعر .

خبر جميل وبثينة :

فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مشهورٌ ، وقيل لي : إن أردت أن تُخبَرَ بمشاهدته فأتِ بني حنظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يُخبِرْكَ الخبر ؛ فأتيت الشيخ فسألته فقال : نعم ، بينا أنا في إبلي في الربيع إذا أنا برجل مُنطوٍ على رَحله كأنه جانٌّ فسلّم عليّ ثم قال : ممن أنت يا عبدَ الله ؟ فقلت : أحدُ بني

(١) أي كيف أقبلت فجأة الى مكة .

(٢) الشادن : ولد الظبية .

(٣) القيافة : تتبع الاثر .

حنظلة ؛ قال : فأنتسِبْ ؛ فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فخذي الذي أنا منه ؛ ثم سألني عن بني عُذرة أين نزلوا ؛ فقلتُ له : هل ترى ذلك السَّفح ؟ فإنهم نزلوا من ورائه ؛ قال : يا أخا بني حنظلة ، هل لك في خير تصطنعه إليّ ؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحتَ تَسوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر مني لك عليه ؛ فقلتُ نعم، ومن أنتَ أوّلا ؟ قال : لا تسألني من أنا ولا أُخبرك غير أني رجلٌ بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العم ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنك تجد القومَ في مجلسهم فتنشُدُهم[١] بَكرةً أدماء تجرّ خُفَّيها غفلًا من السِّمة ، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلا أستأذنتهم في البيوت وقلتَ : إن المرأة والصبيّ قد يَريان ما لا يَرى الرجالُ ، فتنشدهم ولا تَدَعْ أحداً تُصيبه عينُك ولا بيتاً من بيوتهم إلّا نشدتَها فيه ؛ فأتيتُ القومَ فإذا هم على جَزُور[٢] يقتسمونها ، فسلّمتُ وأنتسبتُ لهم ونَشدتهم ضالّتي ، فلم يذكروا لي شيئاً ؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت : إنّ الصبيّ والمرأة يريان ما لا ترى الرجالُ ، فأذِنوا ؛ فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم أستقريتُها بيتاً بيتاً أنشدُهم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا انتصف النهارُ وآذاني حرّ الشمس وعَطِشتُ وفرغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حانتْ مني التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسي : سوءةً ! وَثِقَ بي رجلٌ وزعم أن حاجته تَعدِل مالي ثم آتيه فأقول : عَجزت عن ثلاثة أبيات ! فأنصرفتُ عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أرخي مُؤخّره ومقدّمه ، فسلّمت فردّ عليّ السلامُ ، وذكرتُ ضالّتي ، فقالت جارية منهم : يا عبد الله ، قد أصبتَ ضالّتك وما أظنك إلّا قد اشتدّ عليك الحرّ وأشتهيتَ الشراب ؛ قلت : أجلْ ؛ قالت : ادخل ؛ فدخلتُ فأتتني بصحفة[٣] فيها تمرٌ من تمر هَجر ، وقَدَحٍ فيه لبنٌ ، والصحفة مصريّة مُفَضَّضَةٌ والقدَحُ مفضَّض لم أرَ إناءً قطُّ أحسن منه ؛ فقالت :

---

(١) تنشدهم بكرة : تناديهم وتسألهم عنها والبكرة : الفتية من الابل ، والادماء : وصف من الادمة ، والأدمة في الناس : السمرة ، وفي الإبل والظباء : البياض . قال الأصمعي : الآدم من الإبل : الأبيض فان خالطته حمرة فهو أصهب فان خالطت الحمرة صفاء فهو المدمى .

(٢) الجزور : ما يجزر من النوق أو الغنم .

(٣) الصحفة : قصعة كبيرة منبسطة .

دونك؛ فتجمّعتُ وشربتُ من اللبن حتى رَويتُ، ثم قلتُ : يا أمة الله، والله ما أتيتُ اليومَ أكرم منكِ ولا أحقَّ بالفضل ، فهل ذكرتِ من ضالّتي شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرةَ فوق الشرف[1] ؟ قلت نعم ؛ قالت : فإن الشمس غَرَبتْ أمسِ وهي تُطيف حولَها ثم حال الليل بيني وبينها ؛ فقمتُ وجَزيتُها الخيرَ وقلت : والله لقد تغذّيتُ ورويتُ ! فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرةَ فأطفتُ بها، فوالله ما رأيتُ من أثرٍ، فأتيتُ صاحبي فإذا هو متَّشِحٌ في الإبل بكسائه ورافعٌ عَقيرَتَه[2] يُغنّي ؛ قلت : السلام عليك ؛ قال : وعليك السلام ما وراءك ؟ قلتُ : ما ورائي من شيء ؛ قال : لا عليك ! فأخبرني بما فعلت ، فاقتصصتُ عليه القصة حتى انتهيتُ إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذي صنعتْ ؛ فقال : قد أصبتَ طَلِبَتك ؛ فعجبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً ، ثم سألني عن صفة الإناءين : الصَّحفة والقدح فوصفتُهما له، فتنفس الصُّعداء وقال : قد اصبتَ طَلِبَتك ويحك ! ثم ذكرتُ له الشجرة وأنها رأتها تُطيف بها ؛ فقال : حسبك ! فمكثتُ حتى إذا أوتْ إبلي إلى مَباركها دعوتُه إلى العشاء فلم يدنُ منه ، وجلس منّي بمزجر الكلب ، فلمّا ظنَّ أنّي قد نِمتُ رَمَقتُه فقام إلى عَيبة[3] له فاستخرج منها بُردَين فأتَزر بأحدهما وتردّى بالآخر ، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة . واستبطنتُ الواديَ فجعلتُ أخفي نفسي حتى إذا خِفتُ أن يراني انبطحتُ ، فلم أزل كذلك حتى سبقتُه إلى شجرات قريبٍ من تلك الشجرة بحيث أسمع كلامهما فاستترتُ بهنّ ، وإذا صاحبته عند الشجرة، فأقبل حتى كان منها غيرَ بعيدٍ ، فقالت : أجلس ؛ فوالله لكأنّه لَصِق بالأرض ، فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرمَ سؤال سمعتُ به قطّ وأبعده من كل ريبة ، وسألته مثل مسئلته ، ثم أمرتْ جاريةً معها فقرّبتْ اليه طعاماً ، فلمّا أكل وفرَغ ، قالت أنشدني ما قلتَ ؛ فأنشدها :

---

(١) الشرف : المكان العالي .

(٢) عقيرة الرجل : صوته اذا غنى أو قرأ أو بكى . وقيل أصله أن رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقيل : رفع عقيرته ، ثم كثر ذلك حتى صير الصوت بالغناء عقيرة .

(٣) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع .

عَلِقْتُ الهوى منها وليداً ولم يَزل إلى اليومِ يَنمي حبُّهـا ويَزيدُ

فلم يزالا يتحدّثان، ما يقولان فُحشاً ولا هُجراً، حتى التفتت التفاتة فنظرت إلى الصبح، فودّع كلّ واحد منهما صاحبَه أحسنَ وَداع ما سمعتُ بـه قطّ ثمّ انصرفا، فقمتُ فمضيتُ إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثمّ يلتفت إلى صاحبه؛ فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرْديه ثم قال: يا أخا بني تميم، حتى متى تَنام! فقمتُ وتوضأتُ وصَلَّيت وحلبت إبلي وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً، ثمّ دعوتُه إلى الغداء فتغدّى، ثم قام الى عَيبته فافتتحها فإذا فيها سلاحٌ وبُردان مما كسته الملوك، فأعطاني أحدهما وقال: أما واللهِ لو كان معي شيء ما ذخرتُه عنك، وحدّثني حديثه وانتسب لي، فإذا هو جميل بن مَعْمَر والمرأة بُثينة، وقال لي: إني قد قلتُ أبياتاً في مُنصرفي من عندها، فهل لك إن رأيتها أن تُنشدَها؟ قلت: نعم! فأنشدني:

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها وقد قَرّبتْ نِضوي أمصرَ تُريدُ

الأبيات، ثم ودّعني وانصرف، فمكثتُ حتى أخذتِ الإبلُ مراتِعها، ثم عَمَدت إلى دُهنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي، ثم ارتديت بالبُرْد وأتيت المرأةَ فقلتُ: السلامُ عليكم، إني جئتُ أمسِ طالباً واليومَ زائراً، أفتأذنون؟ قالت نعم، فسمعتُ جُوَيرِيَة تقول لها: يا بُثينة، عليه واللهِ بُرْدُ جميلٍ؛ فجعلتُ أثني عـلى صَيفي وأذكر فضله، وقلت: إنه ذَكرَكِ فأحسن الذكر؛ فهل أنت بارزةٌ لي حتى أنظر اليكِ؟ قالت: نعم، فلبستْ ثيابها ثم بَرَزت ودعت لي بطرَفٍ، ثم قالت: يا أخا بني تميم، والله ما ثوباكَ هذان بمُشتَبِهَيْن، ودَعَتْ بعَيبتها فأخرجتْ لي مِلْحَفة مَرَوِيّة[١] مُشبَعَة من العُصفر[٢]، ثم قالت: أقسمتُ عليك لتقومَنَّ إلى كِسر البيت

(١) الملحفة (بالكسر): اللباس الذي فوق اللباس من دثار البرد ونحوه، ومروية: نسبة الى «مرو»: بلدة بفارس. والنسبة اليهـا «مروي» (بالفتح والتحريك) و«مروزي» بزيادة الزاي. وفي احدى النسخ: «ملحفة هروية». وهذه نسبة الى هراة: مدينة من أعظم مدن خراسان حضارة وكثرة سكان.

(٢) العصفر: صبغ أصفر اللون.

ولَتَخلَعَنَّ مِدرَعَتك[1] ثم لتَأتَزِرَنَّ بهذه الملحفة فهي أشبهُ ببُردِك ؛ ففعلتُ ذلك وأخذتُ مِدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي ، وأنشدتُها الأبيات فدمَعت عيناها ، وتحدّثنا طويلاً من النهار ، ثم انصرفتُ إلى إبلي بملحفة بُثينة وبُرد جميل ونظرةٍ من بُثينة . قال مَعبد : فجزَيتُ الشيخَ خيراً وانصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناس حالاً بنظرة من الغريض واستماعِ لغنائه ، وعلمٍ بحديثِ جميل وبُثينة فيما غنّيتُ أنا به وفيما غنّى به الغريض على حقّ ذلك وصدقِه ، فما رأيتُ ولا سمعتُ بزوجين قطّ أحسنَ من جميل وبُثينة ، ومن الغريض ومنّي .

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر

وهي كلها من قصيدة واحدة .

منها :

صوت

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يَزَلْ ... إلى اليومِ يَنمي حُبها ويَزيدُ
وأفنيتُ عُمري في انتظاري نوالَها ... وأفنتْ بذاكَ الدّهرَ وهو جَديدُ
فلا أنا مَردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حُبُّها فيما يَبيدُ يَبيدُ
وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها ... وقد قَرّبت نِضوي أمِصرَ تُريدُ
ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى ... لَزُرتُكَ فاعذرني فدتْكَ جُدودُ
إذا قلتُ ما بي يا بُثينةُ قاتلي ... من الحبّ قالتْ ثابتٌ ويَزيدُ
وإن قلتُ رُدّي بعضَ عقلي أعِش به ... تَوَلّتْ وقالتْ ذاكَ منكَ بَعيدُ

عَروضه من الطويل . الشعر لجميل بن مَعْمَر . والغناء لمعبد في الأوّل والثاني والثالث والسادس والسابع . ولحنُهُ ثقيل أوّل بالسبابة في مَجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بانَةَ . وذكر عمرو والهشامي أنّ فيه ثقيلاً أوّل آخر للهُذَليّ ،

(١) المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف .

وأنّ فيه خفيفَ ثقيل يُنسبُ إلى مَعبد والى الغريض والى إبراهيم ، أوّله : « وما أنسَ مِ الأشياء » . وفي الأربعة الأبيات الأُوَل ثاني ثقيل بالبنصر لاَبن أبي قباحة . ولإسحاق في الثالث والسادس ثاني ثقيل آخر بالوُسطى عن الهشاميّ . وأوّلُ هذه القصيدةِ فيه غناء أيضاً ، وهو موصول بأبيات أُخَرَ :

صوت

أَلا ليتَ رَيعانَ[1] الشبابِ جديدُ   ودهراً تَوَلّى يا بُثَينَ يعودُ

فنَغْنى كما كنّا نكون وأنتمُ   قريبٌ وما قد تَبذُلِين زَهيدُ

أَلا ليتَ شِعري هل أبيتنّ ليلةً   بوادي القُرى[2] إني إذاً لسعيدُ

وهل أَلقَيَنْ سُعدى من الدهر ليلةً   وما رثّ من حبل الصفاء جديدُ

فقد تَلتَقي الأهواء بعد تَفاوُتٍ   وقد تُطلبُ الحاجاتُ وهي بَعيدُ

في البيتين الأوّلين خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مَجرى البنصر ، ذكر حَبش أنه لإسحاق ؛ وليس يُشبه أن يَكونَ له . وفي الثالث وما بعده لاَبن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن حَبش أيضاً .

قريض عمر والغريض :

أخبرني إسماعيل بن يونس إجازةً قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال حدّثني الوليد بن هِشام عن محمد بن مَعن عن خالد بن سلمة المَخزوميّ قال :

---

(١) ريعان الشباب : أوّله .

(٢) وادي القرى : واد بين المدينة والشام وهو بين تيماء وخيبر ، فيه قرى كثيرة . قال ياقوت في معجم البلدان في اسم « القرى » : « قال أبو المنذر : سمي وادي القرى لان الوادي من أوّله الى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد ، وآثار القرى الى الآن بها ظاهرة ، إلا أنها في وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد » .

خرجت مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخٌ، فلما أسحرنا[1] قال لي أعمامي: انزل عن نَجيبك[2] وأحمل عليه هذا الشيخَ واركب جمله، ففعلت؛ فإذا الشيخُ قد أخرج عُوداً له من غِلاف[3]، ثم ضرَب به وغنّى:

هاجَ الغريضَ الذِّكَرُ لمّا غَدَوْا فانشَمَروا[4]

فقلتُ لبعض أصحابنا: مَنْ هذا؟ قال: الغريض.

نسبة هذا الصوت

صوت

هاجَ الغريضَ الذِّكَرُ لمّا غَـدَوْا فانشَمَروا
على بِغـالٍ شُحُجٍ[5] قـد ضَمَّهُنَّ السفَرُ
فيهنَّ هِنـدٌ ليتني مـا عُمِّرتُ أُعَمَّرُ[6]
حتى إذا مـا جاءها حَتفٌ أتاني القَـدَرُ

عَروضه من الرجز. الذي قال عمر:

هاجَ القريضَ الذِّكَرُ

بالقاف، فجعله الغريضُ لما غنّى فيه: «الغريضَ» يعني نفسه. الشعر لعمر بن أبي ربيعة. والغناء لابن سُرَيج. ذكر يونس أنّ له فيه لحنَين. وذكر إسحاق أنّ

---

(١) أسحرنا: دخلنا في السحر.
(٢) النجيب من الإبل: القويّ الخفيف السريع.
(٣) الغلاف: ما يوضع فيه الشيء.
(٤) فانشمروا: مرّوا جادّين مسرعين.
(٥) شحج: جمع شاحج، والشحاج: صوت البغل.
(٦) هذا البيت وما بعده وردا في قصيدة من ديوانه مطلعها.

قد هاج قلبي محضر أقوى وربع مقفر

أحدهما رَمَلٌ مطلق في مَجرى البنصر ولم يذكر الآخر، وذكر الهشاميّ أنّ الآخر خفيفُ رَمَلٍ . وفيه للغريض ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وقيل : إنه لحن ابن سريج، وإن خفيف الرَّمَل للغريض . وأوّل هذا الصوت في كتاب يونُس :

هاج فؤادي مَحضَرٌ[1] بذي عُكاظٍ مُقفِرُ
حتى إذا ما وازنوا الـمَرْوَةَ حين ائتمروا[2]
قيل انزلوا فعَرِّسوا من ليلكم وانشِمروا
وقولُها لأختها أمطمئنٌ عُمَرُ

الوليد في مكة مع عمر والغريض :

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السَّعْدِيّ :

أنّ الوليد بن عبد الملك قدِم مكة، فأراد أن يأتي الطائفَ، فقال : هل من رجل عالمٍ يُخبرني عنها ؟ فقالوا : عُمَرُ بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حاجة لي به، ثم عاد فسأل، فذكروه فأباه، ثم عاد فذكروه فقال : هاتوه ؛ وركِب معه فجعل يُحدِّثه، ثم حوّل عمرُ رداءه لِيُصلِحه على نفسه، فرأى الوليدُ على ظهره أثراً، فقال : ما هذا الأثرُ ؟ قال : كنت عند جاريةٍ لي إذ جاءتني جاريةٌ برسالة من عند جاريةٍ أخرى وجعلتْ تُسارُّني بها، فغارت التي كنتُ عندها فعضّت مَنكبي، فما وجدتُ ألمَ عضّتها من لذّة ما كانت تلك تنفُثُ في أذُني حتى بَلغتْ ما ترى والوليد يَضحك . فلما رجع عمرُ قيل له : ما الذي كنت تُضحِكُ به أميرَ المؤمنين ؟ قال : ما زلنا في حديث الزِّنا حتى رَجع . وكان قد حَمل الغريضَ معه، فقال له : يا أمير المؤمنين، إنّ عندي أجملَ الناسِ وجهاً وأحسنهم حديثاً، فهل

(١) المحضر عند العرب : المنهل الذي يجتمعون ويحضرون عليه، وسواء كان حاضرو المياه ممن يقرّون عليها للأبد، أم يحضرونها شهور القيظ ويفارقونها حين يقع ربيع في أرض فينتجعونه، وخلاف المحضر المنتجع والمبدي .

(٢) المراد من موازنتهم للمروة محاذاتهم لها ومقابلتهم إياها، والمروة : جبل بمكة وهو أحد شعائر الحج . وائتمروا : تشاوروا .

لك أن تسمعه؟ قال: هاتِه، فدعا به فقال: أسمِعْ أميرَ المؤمنين أحسنَ شيء قلتَه؛ فاندفع يغنّي بشعر عمر - ومن الناس مَنْ يرويه لجميل -:

صوت

إني لأحفَظُ سِرَّكم ويَسُرُّني ... لو تعلمين بصالحٍ أن تُذكَري
ويكونُ يومٌ لا أرى لكِ مُرسَلًا ... أو نلتقي فيه عليَّ كأشهُرِ
يا ليتني ألقى المنيَّةَ بَغتةً ... إنْ كان يومُ لقائكم لم يُقدَرِ
ما كنتِ والوعدَ الذي تَعِدينني ... إلّا كبَرْقِ سَحابةٍ لم تُمطِرِ
تُقضى الدُّيونُ وليس يُنجِزُ عاجلًا ... هذا الغريمُ لنا وليس بمُعسِرِ

- عروضه من الكامل. وذكر حَبَش أنّ الغناء للغريض، ولحنه ثقيل أوّل بالبنصر - قال: فاشتدّ سرورُ الوليد بذلك وقال له: يا عمر، هذه رُقْيَتُك، ووصله وكساه وقضى حوائجه.

عمر وجميل وكثير في نظر نصيب:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عَوانةَ قال حدّثني رجل من أهل الكوفة قال:

قَدِمَ نُصَيْبٌ الكوفة، فأرسلني أبي اليه، وكان له صديقاً، فقال: أقرئْه مني السلامَ وقل له: إنْ رأيتَ أن تُهديَ لنا شيئاً مما قلتَ! فأتيتُه في يوم جُمعة وهو يصلّي، فلمّا فرَغ أقرأتُه السلامَ وقلتُ له، فقال: قد عَلِم أبوك أني لا أُنشدُ في يوم الجمعة ولكنْ تلقاني في غيره فأبلغ ما تحبّ، فلمّا خرجتُ وانتهيتُ إلى الباب رُدِدْتُ اليه؛ فقال: أتَروي شيئاً من الشعر؟ قلتُ نعم؛ قال: فأنشدني، فأنشدتُه قولَ جميل:

إني لأحفظُ غيبَكم ويَسُرُّني ... لو تعلمين بصالحٍ أن تُذكَري

الأبيات المتقدّمة ؛ فقال نُصَيبٌ : أَمسِكْ ! أَمسِكْ ! لله دَرُّه ! ما قال أحدٌ إلا دون ما قال ، ولقد نحت للناس مثالا يحتذون عليه . ثم قال : أمّا أصدَقُنا في شعره فجميل ، وأمّا أوصفُنا لربّات الحجال فكثيّر ، وأمّا أكذَبُنا فعُمَرُ بن أبي ربيعة ، وأما أنا فأقول ما أعرف .

صنع لحنا من اصوات الرهبان :

وقال هارون بن محمد الزيّات حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه :

أن الغريض سمع أصوات رُهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض مَن معه : يا أبا يزيد ، صُغ على مثل هذا الصوت لحناً ؛ فصاغ مثله في لحنه :

يا أمّ بكرٍ حُبُّكِ البادي لا تَصرِميني إنّني غادي

فما سُمعَ بأحسنَ منه .

نسبة هذا الصوت

صوت

يا أمّ بكرٍ حُبُّكِ البادي لا تَصرميني إنّني غادي
جَدَّ الرحيلُ وحثّني صَحْبي وأريد إمتاعاً من الزادِ

عروضه من مُزاحَف الكامل[١] . الشعر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ . والغناء للغريض خفيفُ ثقيل أوّل بالوُسطى . وفيه لابن المكيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبش . وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم هَزَج .

عاقبة الاحتشام :

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شبّة عن أيوب بن عَبايَة عن عمرو بن عُقبة ــ وكان يُعرف بابن الماشطة ــ قال :

(١) البيتان من الكامل الذي دخل عروضه وضربه الحذف وهو حذف الوتد المجموع من متفاعلن ، والاضمار وهو إسكان ثانيه .

خرجتُ أنا وأصحابٌ لي فيهم إبراهيمُ بن أبي الهيثم الى العقيق، ومعنا رجلٌ ناسك كنّا نحتشم منه، وكان محموماً نائماً، وأحببنا أن نسمع مَن معنا من المغنّين ونحن نَهابُه ونحتشمه، فقلت له: إنّ فينا رجلاً يُنشد الشعرَ فيُحْسن، ونحن نُحبّ أن نَسمَعه، ولكنّا نَهابُك؛ قال: فما عليّ منكم! أنا محموم نائم، فاصنعوا ما بدا لكم؛ فاندفع إبراهيم بن أبي الهيثم فغنّى:

يا أمّ بكرٍ حبّكِ البادي   لا تَصْرِميني إنّني غادي
جدّ الرحيلُ وحَثّني صَحْبي   وأريد إمتـاعاً من الزادِ

فأجاده وأحسنه. قال: فوثب الناسكُ فجعـل يَرقُص ويصيح: أريد إمتاعاً من الزاد، والله أريد إمتاعاً من الزاد، ثم كشف عن أَيْره وقال: أنا أَنيكُ أمّ الحُمّى! قال: يقول لي ابنُ الماشطة: أعتقتُ ما أملِكُ إن كان ناك أمّ الحُمّى أحدٌ قبله.

أخبرني به الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيـه عن أيوب فذكر الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سَوْءته وما قاله بعد ذلك.

وفاته:

وكانت وفاة الغريض في أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها. والأشبه أنهُ مات في خلافة سليمان، لأن الوليد كان وَلّى نافع بن عَلقمة مكّة فهرب منه الغريض وأقام باليَمَن واستوطنها مـدّةً ثم مات بها. وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيّبي قال أخبرني بعض المخزوميّين أيضاً بخبره.

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان:

أن نافعَ بن علقمة لما وُلّيَ مكّة خافه الغريضُ — وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجده — فهرب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه. قال: فحدّثني رجلٌ من أهل مكّة كان يخدُمه: أنه دفع اليه يوماً رَبْعَةً[1] له وقال له: صِرْ بها الى فلان

(١) الربعة: جونة العطر.

العطّار يملؤها لي طيباً ؛ قال : فصرتُ بها اليه ، فلقيني نافعُ بن علقمة فقال : هذه رَبْعَةُ الغريض والله ! فلم أقدر أن أكتُمه ، فقلت : نعم ؛ قال : ما قصّته ؟ فأخبرتُه الخبر ؛ فضحك وقال : سِرْ معي إلى المنزل ففعلت ، فملأها طيباً وأعطاني دنانير ، وقال : أعطه وقل له يَظهرُ فلا بأسَ عليه ؛ فسِرتُ اليه مسروراً فأخبرتُه بذلك فجزع وقال : الآن ينبغي أن أهرُب ، إنما هذه حيلةٌ احتالها عليّ لأقع في يده ؛ ثم خرج من وقته الى اليَمن ، فكان آخرَ العهد به .

قال إسحاق فحدّثني هذا المخزوميّ : أن الغريضَ لمّا صار الى اليمن وأقام به اجتزنا به في بعض أسفارنا ؛ قال : فلما رآني بكى ؛ فقلت له : ما يُبكيك ؟ قال : بأبي أنتَ وأمّي ! وكيف يَطيبُ لي أن أعيشَ بين قوم يَرَوْنني أحمِلُ عُودي فيقولون لي : يا هَناه[١] ، أتبيع آخرةَ[٢] الرَّحل ! فقلت له : فارجع الى مكة ففيها أهلك ؛ فقال : يابن أخي ، إنّما كنتُ أستلِذّ مكة وأعيش بها مع أبيك ونحوه ، وقد أوطنتُ[٣] هذا المكانَ ولستُ تاركهُ ما عشتُ ؛ قلنا له : فغنِّنا بشيء من غنائك فتأبّى ، ثم أقسمْنا عليه فأجاب ، وعَمَدْنا إلى شاةٍ فذبحناها وخرَطنا من مُصرانها أوتاراً ، فشدّها على عُوده واندفع فغنّى في شعر زُهير :

جَرى دمعي فهيَّج لي شُجونا فقلبي يُستَجَنّ[٤] بـه جُنونا

فما سمعنا شيئاً أحسنَ منه ؛ فقلنا له : أرجع الى مكة ، فكلُّ مَن بها يشتاقُك . ولم نَزَل نُرَغبه في ذلك حتى أجاب اليه . ومَضَينا لحاجتنا ثم عُدْنا فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ما قصّتك ؟ قال : جاءني منذ ليالٍ قومٌ ، وقد كنتُ أغنّي في الليل ، فقالوا : غَنّنا ؛ فأنكرتُهم وخفتُهم ، فجعلت أغنّيهم ؛ فقال لي بعضهم غَنّني :

---

(١) الهن : كلمة يكنى بها عن اسم الانسان . وقد تزاد في النداء الالف والهاء فيقال : يا هناه او يا هناه أقبل بالضم والكسر ، فالضم على أنها آخر الاسم والكسر لالتقاء الساكنين .

(٢) آخرة الرحل ومؤخرته : ما يستند اليه الراكب ، وهي خلاف قادمته .

(٣) أي اتخذته وطناً .

(٤) استجن به (بالبناء للمفعول) : صار به مجنوناً .

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليَهْـــرُبوا منّا فلم يَئِلوا[١]

فعلت؛ فقام إليَّ هَنٌ[٢] منهم أزَبُّ[٣] فقال لي: أحسنتَ والله! ودقَّ رأسي، حتى سقطتُ لا أدري أين أنا، فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى، ولا أراني إلا سأموت. قال: فأقمنا عنده بقيّة يومنا ومات من غدٍ فدفنّاه وانصرفنا.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمر بن شبّة عن أبي غسّان قال:

زعم المكّيون أنّ الغريض خرج إلى بلاد عَكٍّ[٤] فغنّى ليلاً:

هُمُ رَكْبٌ لَقُوا رَكباً كما قــد تجمعُ السُّبُلُ

فصاح به صائحٌ: اكفُفْ يا أبا مَرْوان، فقد سفَّهتَ حُلَماءَنا، وأصبيتَ[٥] سفهاءنا، قال: فأصبح ميّتاً.

وفاته في رواية ثانية:

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الخطّاب قال حدّثنا رجل من آل أبي قَبيلٍ - يقال له مُحرز - عن أبي قبيل قــال: رأيتُ الغريض، وقال إسحاق في خبره المذكور: حدّثني محمد بن سلّام عن أبي قبيل - وهو مَوْلًى لآل الغريض - قال:

شهدتُ مَجمعاً لآل الغريض إمّا عُرساً أو خِتاناً، فقيل له: تَغَنَّ؛ فقال: هو ابنُ زانية إن فعــل؛ فقال له بعضُ مَواليه: فأنتَ والله كذلك! قال:

---

(١) لم يئلوا: لم يجدوا موئلاً وملجأ يعتصمون به.

(٢) الهن: اسم يكنى به عن الشخص وجمعه «هنون» وفي حديث الجن: «فاذا هو بهنين كأنهم الزط».

(٣) الأزب: الكثير الشعر.

(٤) عك: قبيلة، والبلاد التي تضاف اليها: مخلاف باليمن.

(٥) اصبيت: دعوت الى الصبا.

أوَكذلك أنا ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت أعلم بي والله ! ثم أخذ الدُّفَّ فرَمَى به وتمشَّى مِشيةً لم أرَ أحسنَ منها ، ثم تغنَّى :

تَشرَبُ لونَ الرَّازقيِّ[١] بياضُه ... أو الزعفرانِ خالط المِسكَ رادِعُهْ

فجعل يُغنّيه مُقبِلاً ومُدْبِراً حتى التوتْ عُنُقُه وخرَّ صريعاً ، وما رفعناه إلا ميّتاً ، وظننَّا أنَّ فالجاً عاجله . قال إسحاق وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبي مِسكين قال : إنما نهتْهُ الجنّ أن يتغنَّى بهذا الصوت ، فلمّا أغضبه مَواليه تغنّاه فقتلته الجنّ في ذلك .

نسبة هذه الأصوات

منها :

صوت

جَرى دمعي فهيَّج لي شُجونا ... فقلبي يُستَجَنُّ به جُنونا
أأبكي للفِراق وكل حيٍّ ... سيبكي حين يَفتَقِد القَرينا
فإن تُصبِحْ طُلَيحةُ فارقتني ... ببَيْنٍ فالرزيّةُ أن تَبينا
فقد بانتْ بكُرْهي يوم بانتْ ... مُفارِقةً وكنتُ بها ضَنينا

الشعر لزُهير . والغناء للغريض عن حَبش . وقيل : إنه لدَحمان . وفيه لأبي الوَرد خفيف رَمَلٍ بالوُسطى عن حبش والهشاميّ .

انقضت أخبار الغريض .

ومنها :

---

(١) الرازقي : يقال على ثياب الكتان البيض ، وقيل : الرازقي : الكتان نفسه ، ويقال على ضرب من عنب الطائف أبيض اللون .

صوت

من المائة المختارة في رواية جَحْظَة

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليهـربوا منّا فلم يَئِلوا
علـى آثارهنّ مُقَـلِّصُ السِّربال مُعْتَمِلُ(١)
وفيهم قلبُكَ المتبو لُ بالحسناء مُخْتَبَلُ(٢)
مُخَفَّفَة بمحمـل حما ئل الدِّيباج والحُلَلِ(٣)
أسائل عـاصماً في السـرِّ أينَ تُراهُمُ نَزَلوا
فقال هُمُ قريبٌ منـكَ لو نفعوك إذ رَحَلوا

الشعر للحكم بن عَبدَل الأسديّ . والغناء في اللحن المختار للغريض، ولحنُه خفيفُ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مَجرى الوُسطى في الأوّل والثاني من الأبيات . وذكر الهشاميّ أن فيهما لحناً لمعبد من الثقيل الاول . وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سُرَيج رَمَل بالسبّابة في مَجرى الوُسطى عن إسحاق . وفيها لإبراهيم ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن حَبش . وذكر أحمد بن عُبيد أنّ الذي صحّ فيه أربعة ألحان : منها لحنان في خفيف الثقيل للغريض ومالك ، ولحنان في الرمـل لابن سُرَيج ومُخارِق . وذكر ابن الكلبيّ أنّ فيها لعريب رَمَلاً ثالثاً ، وذكر حبشٌ أنّ فيها لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل بالبنصر ، ولابن مِسجَح رَمَلاً بالبنصر ، ولابن سُرَيج ثانيَ ثقيل بالبنصر . هذه الألحان كلها في « لقد حثُّوا » والذي بعده.

---

(١) مقلص السربال : مشمره، يقال : قلص قيصه أي شمره ورفعه . والمعتمل : الذي يعمل بنفسه .

(٢) المختبل : الذي اختبل عقله أي جن ، وقد خبله الحزن واختبله .

(٣) في هذا البيت اقواء ، وهو اختلاف حركة الروي .

اخبار الحكم بن عبدل ونسبه

نسبه :

هو الحَكَم بن عَبْدَل بن جَبَلة بن عمرو بن ثعلبة بن عِقال بن بِلال بن سَعد ابن حِبال بن نَصر بن غاضرة بن مالك بن ثَعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة ، شاعرٌ مُجيدٌ مُقدَّم في طبقته ، هَجَّاء خبيثُ اللسان ، من شعراء الدولة الأُمويَّة ؛ وكان أعرجَ أحدبَ . ومنزله ومنشؤه الكوفة .

كان اعرج ويكتب بحاجته على عصاه فلا ترد :

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا محمد بن إدريس القَيْسيّ بواسِط قال حدّثنا العُتبيّ قال :

كان الحَكَم بن عَبدَل الأسديّ أعرَج لا تُفارقه العصا ، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك ، وكان يكتُب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رُسُله ، فلا يُحبَسُ له رسولٌ ولا تُؤخَّر له حاجةٌ ؛ فقال في ذلك يحيى بن نَوفل :

عَصا حَكَمٍ في الدار أوّل داخلٍ ... ونحنُ على الأبواب نُقصَى ونُحجَبُ
وكانت عَصا موسى لِفِرْعَوْنَ آيةً ... وهذي لَعمرُ الله أدهى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعصى ويُحذَرُ سُخطُها ... ويُرْغَبُ في المَرْضاة منها وتُرْهَبُ

قال : فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحِك الناس منها ؛ فكان ابنُ عَبْدل بعد ذلك يقول ليحيى : يابن الزانية ! ما أردتَ من عصاي حتى صَيَّرتها ضُحْكةً[١] ؟ واجتَنَبَ أن يكتب عليها كما كان يفعل ، وكاتَبَ الناسَ بحوائجه في الرِّقاع :

---

(١) الضحكة (بضم الضاد وسكون الحاء) : من يضحك الناس منه .

أعاجيب الزمان :

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُراني ، وأخبرني ابن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا أبو جعفر القُرَشيّ قال :

كان للحكَمَ بن عَبْدَل صديق أعمى يقال له أبو عُلَيَّة ، وكان ابن عبدل قد أُقعد[١] ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحكمُ يُحمَلُ وأبو عُلَيَّة يُقاد ، فلقيهما صاحبُ العَسَس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلما استقرّا في الحبس نظر الحكمُ الى عصا أبي عُلَيَّة موضوعةً الى جانب عصاه ، فضحك وأنشأ يقول :

حَبسي وحَبسُ أبي عُلَيَّةَ من أعاجيب الزمانِ
أعمى يُقادُ ومُقْعَدٌ لا الرِّجلُ منه ولا اليَدانِ
هذا بلا بَصَرٍ هنا كَ وبي يَخُبُّ الحاملانِ
يا مَن رأى ضَبَّ الفَلا ةِ قَرينَ حُوتٍ في مكانِ
طِرْفي وطِرْفُ أبي عُلَيَّةَ دَهرَنا مُتَوافقانِ
مَنْ يَفتخِرْ بجوادِهِ فجِيادُنا عُكّازتانِ
طِرفانِ لا عَلَفاهُما يُشرى ولا يَتصاولانِ
هَبني وإيّاه الحريقَ أكان يَسطَع بالدُّخانِ

قال : وكان اسم أبي عُلَيَّة يحيى ، فقال فيه الحكَمُ أيضاً :

أقول ليحيى ليلةَ الحبسِ سادراً[٢] وَنَومي به نَومُ الأسيرِ المُقيَّدِ
أعِنّي على رَعْيِ النجومِ ولَحظِها أُعِنكَ على تحبيرِ شِعرٍ مُقَصَّدِ[٣]
ففي حالتَينا عِبرةٌ وتَفكُّرٌ وأعجبُ شيءٍ حَبسُ أعمى ومُقعَدِ

(١) أقعد الرجل (بالبناء للمفعول) : أصابه داء فلم يستطع المشي .
(٢) السادر : المتحير الواجم .
(٣) شعر مقصد : مطوّل كثيرة أبياته .

كِلانا اذا العُكّازُ فارقَ كَفَّـهُ   يُنيخ صَريعاً أو على الوجهِ يَسجُدُ[١]
فعُكّازة تَهدي الى السُّبل أكمهاً   وأخرى مَقامَ الرِّجل قامت مع اليَدِ

دولة العرجان :

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثني أحمد ابن بُكَير الأسديّ قال حدّثني محمد بن أنس السَّلاميّ الأسديّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت قال :

وَلِيَ الشُّرطةَ بالكوفة رجلٌ أعرجُ ، ثم وليَ الإمارة آخرُ أعرجُ ، وخرج ابنُ عَبْدَلٍ وكان أعرج ، فلقي سائلاً أعرجَ وقد تعرَّض للأمير يسأله ، فقال ابن عَبْدَلٍ للسائل :

أَلقِ العصا ودَعِ التخامُعَ[٢] والتَمِسْ   عَملاً فهـذي دَوْلَةُ العُرْجانِ
لأميرنا وأمـيرِ شُرْطتِنا مَعاً   يا قَومَنا لِكِلَيْهِما رِجْـلانِ
فإذا يـكونُ أمـيرُنا ووزيرُنا   وأنا فإنّ الرابـعَ الشيطانُ[٣]

فبلغت أبياتُه ذلك الأميرَ فبعث اليه بمائتي درهم وسأله أن يكُفّ عنـه .
وحدّثنيه الأخفش عن عُبيد الله اليَزيديّ عن سليمانَ بن أبي شَيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة عن عُمَر بن عبد العزيز قال :

وَليَ عبدُ الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفة وضُمّ اليه رجلٌ من الأشعريّين يقال له سهل ، وكانا جميعاً أعرجَيْن . ثم ذكر باقيَ الحديث مثلَ حديث يعقوب بن نُعَيم .

(١) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ بالرفع والكسر .

(٢) التخامع : التظاهر بالخمع وهو العرج ، يقال : خمعت الضبع خمعاً وخموعاً وخمعاناً اذا ظلعت في مشيتها كأنّ بها عرجا .

(٣) في هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الرويّ بالرفع والكسر .

هو وعبد الملك بن بشر بن مروان :

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب ابن المُحرز الباهليّ عن الهيثم الأحمريّ قال :

كانت لابن عَبدَل الأسديّ حاجةٌ الى عبد الملك بن بشر بن مَروان ، فجعل يَدخُل عليه ولا يتهيأ له الكلامُ ، حتى جاءه رجلٌ فقال : إني رأيتُ لك رؤيا ، فقال : هاتها ، فقصّها عليه ؛ فقال ابن عَبدَل : وأنا قد رأيتُ أيضاً ؛ قال : هاتِ ما رأيتَ ؛ فقال :

أغفيتُ قبلَ الصبح نومَ مُسَهَّدٍ ... في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أنامُها
فحبوتَني فيما أرى بوليــدةٍ ... مَغنوجةٍ حَسَنٍ عليّ قِيـامُها
وببَدْرةٍ[1] حُمِلتْ إليّ وبغـلةٍ ... شَهْباء ناجيةٍ[2] يَصِـلُ[3] لِجامُها
ليتَ المنابرَ يابنَ بِشر أصبحتْ ... تُرقى وأنتَ خطيبُهـا وإمامُها

فقال له ابنُ بشر : اذا رأيتَ هذا في اليَقَظَة أتعرِفُه؟ قال : نعم وإنما رأيتُه قُبيلَ الصبح؛ قال: يا غلام، ادعُ فلاناً، فجاء بوكيله، فقال: هاتِ فلانة فجاءت، فقال: أين هذه مما رأيتَ ؟ قال : هي هي ؛ وإلا فعليه وعليه؛ ثم دعا له ببَدْرة، فقال: مثلَ ذلك، وببغلة فركبها وخرج؛ فلقيَه قَهرمانُ[4] عبد الملك، قال : أتبيعها ؟ قال : نعم، قال : بِكَم ؟ قال : بستمائة ، قال : هي لك ؛ فأعطاه ستمائة ، فقال له : أما والله لو أبيتَ إلا ألفاً لأعطيتُك ؛ قال : إيّاي تُندِم ! لو أبيتَ إلّا ستّةً لَبِعتُك .

هجاؤه محمد بن حسان وقد تزوج امرأة قيسية :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدّثنا الكُرانيّ قال : حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم عن ابن عيّاش عن لَقيط قال :

---

(١) البدرة من المال : كمية عظيمة منه .
(٢) ناجية : سريعة .
(٣) يصل لجامها : يصوّت .
(٤) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

تزوّج محمد بن حسّان بن سَعد التَّميميّ امرأةً من ولد قَيس بن عاصِم وهي ابنة مُقاتل بن طَلْبة بن قَيس، زوّجها إياه رجلٌ منهم يقال له زياد، فقال ابن عَبدل:

أباعَ زيادٌ سوّد اللهُ وجهَهُ … عَقيلَةَ قومٍ سادةٍ بالدراهمِ
وما كان حسّانُ بن سعدٍ ولا ابنُه … أبو المسك من أكفاء قَيسِ بن عاصِمِ
ولكنّه ردّ الزمان على استِهِ … وَضَيَّع أمرَ المُحصَناتِ الكرائمِ
خُذي دِيَةً منه تكُنْ لكِ عُدّةً … وجيئي الى باب الأمير تخاصمي
فلو كنت في رَوْحٍ[1] لما قلتُ خاصمي … ولكنّنا ألقيتِ في سجن عارمِ[2]

قال: فلمّا بلغ أهلَها شعرُه أنِفوا من ذلك، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها. قال: وكان محمد بن حسّان عاملاً على بعض كُوَر السّواد، فسأله ابنُ عَبدَل حاجةً فردّه عنها، فقال فيه هذا الشعرَ وغيرَه وهجاه هجاءً كثيراً.

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا أحمد بن بُكَير الأسديّ عن محمد بن بِشر السّلاميّ عن محمد بن سَهل راوية الكُميت، فذكر نحوا مما ذكره عمي وزاد فيه قال:

وكانت المرأةُ التي تزوّجها مُعاذةَ بنت مُقاتل بن طَلْبة، فلما سمعت ما قال ابن عَبدَل فيها نَشزَت على زوجها وهرَبَتْ الى أهلها، فتوسّطوا ما بينهما وافتَدَيَتْ منه بمال وفارقها.

امرأة تنشد شعره:

أخبرني عمي قال حدّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ عن عطاء عن يحيى بن نصر أبي زكرياً قال:

(١) الروح: الراحة، ومن معانيها أيضاً الفرح والسرور والرحمة ومنه في القرآن الشريف (ولا تيأسوا من روح الله).

(٢) قال ياقوت: «وسجن عارم حبس فيه محمد بن الحنفية، حبسه فيه عبد الله بن الزبير فخرج المختار بالكوفة ودعا اليه ثم كان بعد ذلك سجنا للحجاج ولا أعرف موضعه وأظنه بالطائف».

سمع ابنُ عبدل الأسديّ امرأةً وهي تتمشّى بالبلاط تتمثل بقوله :

وأعِيرُ أحيانًا فتشتدّ عُسْرَتي ‍ ‍ ‍ ‍ وأدرِكُ ميسورَ الغِنى ومعي عِرضي

فقال لها ابنُ عبدل — وكان قريبًا منها — : يا أُخَيَّةُ ، أتعرفين قائلَ هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن عبدل الأسديّ ؛ قال : أفتُثْبِتِينه معرفةً ؟ قالت : لا ؛ قال فأنا هو ، وأنا الذي أقول :

وأنعِظُ أحيانًا فينقدُّ جلدُهُ ‍ ‍ ‍ ‍ وأعذُلُهُ جُهدي فلا ينفعُ العَذْلُ
وأزدادُ نَعْظًا حين أبصِرُ جارتي ‍ ‍ ‍ ‍ فأوثِقُه كيما يَثوبَ له عقلُ
وربّتما لم أدرِ ما حِيلَتي له ‍ ‍ ‍ ‍ اذا هو آذاني وغرَّ به الجهلُ
فآويتُهُ في بطنِ جاري وجارتي ‍ ‍ ‍ ‍ مكابرةً قُدْمًا[1] وإن رَغِمَ البَعْلُ

فقالت له المرأة : بئس والله الجارُ للمُغيبَة[2] أنتَ ، فقال: إي والله ، وللتي معها زوجها وأبوها وابنُها وأخوها .

الخلاف المهين :

أخبرني محمد بن زكريا الصَّحّاف[3] قال حدّثنا قَعنَب بن المُحرز الباهليّ قال حدّثنا الهيثم بن عديّ وأخبرني به حبيب بن نصر المُهَلّبي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الحسن قال حدّثني أبو خالد الخُزاعيّ الأسلميّ عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال :

قَدِمَ الحكَمُ بن عَبدل الشاعر الكوفيّ واسطًا[4] على ابن هُبَيرة وكان بخيلًا ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال :

---

(١) القدم (بضمتين وسكنت الدال لضرورة الشعر) : المضيّ ، الإقدام .
(٢) المغيبة : التي غاب عنها زوجها .
(٣) الصحاف كشدّاد : بائع الصحف أو صانعها .
(٤) واسط : بلد خطه الحجاج بين البصرة والكوفة ، يصرف ولا يصرف .

أتيتك في أمرٍ مِنَ أمرِ عَشيرتي ... وأعيا الأمورِ المُفظِعاتِ جَسيمُها
فإن قلتَ لي في حاجتي أنا فاعلٌ ... فقد ثَلِجَتْ نفسي وولَّتْ همومُها

قال: أنا فاعل إن اقتصدتَ، فما حاجتك؟ قال: غُرْمٌ لَزِمَني في حَمالة[١]؛ قال: وكم هي؟ قال: أربعة آلاف، قال: نحن مُناصِفوكها، قال: أصلح الله الأمير، أتخاف عليّ التُّخمة إن أتممتها؟ قال: أكره أن أعوِّد الناسَ هذه العادةَ؛ قال: فأعطني جميعَها سرًّا وامنعني جميعها ظاهراً حتى تُعوِّد النـاسَ المنعَ وإلّا فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلُبون؛ فضحك ابنُ هُبَيرة وقال: ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك؛ فجثا بين يديه وقال: امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلَّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان؛ قال: أعطوه إيّاها قبّحه الله — مـا عَلِمتُ — حَلّاف مَهين[٢]؛ فأخذها وانصرف.

طاعون بالكوفة:

أخبرني حَبيب بن نصر المُهلَّبيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال: حدّثني محمد بن معاوية الأَسديّ قال حدّثني مشايخنا من بني أَسد محمدُ بن أنس وغيرُه قالوا:

لمّا وقَعَ الطاعون بالكوفة أفنى بني غاضِرَة ومات فيه بنو زِرِّ بن حُبَيش الغاضِريّ صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكانوا ظُرَفاء، وبنو عمٍّ لهم، فقال الحكَمُ بن عَبدَل الغاضِريّ يَرثيهم:

أبعدَ بني زِرٍّ وبعدَ ابن جَندَلٍ ... وعمرو أُرَجّي لذّةَ العيش في خَفْضِ
مَضَوا وبَقينا نأمُلُ العيشَ بعدَهم ... ألا إنّ مَنْ يَبقى على إثْرِ مَن يمضي
فقد كان حَولي من جِيادٍ وسالمٍ ... كُهولٌ مَساعيرٌ[٣] وكلُّ فتًى بَضِّ

(١) الحمالة: الكفالة، أي الضمان.
(٢) مهين: فاجر.
(٣) مساعير: جمع مسعار وهو موقد نار الحرب، وبض: رخص الجسم.

يَرى الشُّحَّ عاراً والسماحةَ رِفعةً أغرُّ كعودِ البانة الناعِمِ الغَضِّ

هجاوه :

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبي مُحَلِّم قال : سأل الحكَم بن عَبدل أخو بني نصر بن قُعَين محمدَ بن حسَّان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألته إيَّاها ؛ فردَّه ولم يَقْضِها ؛ فقال فيه ابنُ عَبدَل :

رأيتُ محمداً شَرِهاً ظلوماً وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقول أماتني رَبّي خِداعاً أماتَ اللهُ حسَّانَ بن سَعْدِ
فلولا كَسْبُهُ لَوُجِدْتَ فَسْلاً لئيمَ الكسب شأنُك شأنُ عَبدِ
رَكِبتُ اليه في رَجُلٍ أتاني كريمٍ يَبتغي المعروفَ عندي
فقلتُ له وبعضُ القول نُصحٌ ومنه ما أُسِرُّ له وأُبدي
تَوَقَّ دراهمَ البَكريِّ إنّي أخافُ عليك عاقبةَ التعدِّي
أُقَرِّبُ كلَّ آصرةٍ ليدنو فما يزدادُ مِنّي غيرَ بُعدِ
فأُقسِمُ غيرَ مُستثنٍ يميناً أبا بَحرٍ لتَتَّخِمَنَّ رَدّي

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرَفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن بُكَير الأسديّ قال حدّثني محمد بن أنس السَّلاميّ قال حدّثني محمد بن سَهل الأسديّ راويةُ الكُمَيت :

أنَّ الحكَم بن عَبدل الأسديّ أتى محمدَ بن حسَّان بن سعد التَّميميّ وكان على خراج الكوفة ، فكلَّمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خَراجه ؛ فقال : أماتني الله إن كنتُ أقدِر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً ؛ فانصرف ابنُ عبدل وهو يقول :

دَعِ الثلاثين لا تَعرِضْ لصاحبها لا باركَ اللهُ في تلك الثلاثينا

(١) الفسل : المسترذل الضعيف الذي لا مروءة له ولا جلد .

ما علا صوتُه في الدار مُبتكراً كأشتفان يرى قوماً يَدوسُونا
أحسِنْ فإنّكَ قد أعطيتَ مملكةً أمارةً صرتَ فيها اليومَ مَفتونا
لا يُعطِكَ اللهُ خيراً مثلَها أبداً أقسمتُ باللهِ إلّا قلتَ آمينا

قال : فلم يضع له شيئاً مما على الرجل ؛ فقال فيه :

رأيتُ محمداً شَرِهاً ظَلوماً وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصدِ
يقولُ أماتني ربّي خِداعاً أماتَ اللهُ حَسّانَ بن سَعدِ
فما صادفتَ في قَحطان مِثلي ولا صادفتُ مِثلَكَ في مَعَدِّ
أقلَّ براعةً وأشدَّ بُخلاً وألأمَ عند مسئلة وحَمْدِ
نَحَوْتُ محمداً ودُخانُ فيه كريحِ الجعرِ[١] فوقَ عطينِ[٢] جلدِ
فأقسمُ غيرَ مستثنٍ يميناً أبا بَحرٍ لَتَتَّخِمَنْ رَدِّي
فلو كنتَ المهذَّبَ من تميمٍ لَخِفتَ مَلامَتي ورَجوتَ حَمْدي
نَكَهْتَ عليَّ نَكهةَ أخدَرِيٍّ شَتيمٍ أعصَلِ الأنيابِ وَرْدِ[٣]
فما يدنو إلى فيهِ ذُبابٌ ولو طُلِيَتْ مَشافِرُه بقَندِ[٤]
فإن أهديتَ لي من فيكَ حَتفاً فإني كالذي أهديتَ مُهدي

قال محمدُ بن سَهل : وما زال آبنُ عبدل يزيد في قصيدته هذه الدالية حتى مات وهي طويلة جداً . قال : واشتهرتْ حتى إن كان المُكاريَ لَيسوق بغله أو

---

(١) الجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع .

(٢) العطين : الجلد المنتن من عطن الجلد يعطنه إذا وضعه في الدباغ وتركه حتى فسد وأنتن .

(٣) المراد من "الأخدريّ" الأسد ، غير ان الوارد في اللسان وتاج العروس في وصف الأسد خادر ومخدر ؛ يقال : خدر الأسد اذا لزم خدره أي عرينه فهو خادر ، وأخدر أي اتخذ الأجمة خدراً فهو مخدر ، وإنما جاء الأخدريّ لحمار الوحش نسبة الى فحل يقال له أخدر ، وجاء أيضاً في وصف الليل كما قال العجاج : « ومخدر الأخدار أخدريّ » . والشتيم : الأسد العابس . وأعصل الأنياب : معوجها . والورد : الأحمر الضارب الى الصفرة .

(٤) القند : عسل قصب السكر اذا جمد .

حمارَه فيقول: عَدْ(١) أماتَ اللهُ حسَّانَ بن سَعدْ. فاذا سمع ذلك أبوه قال: بل أمات الله أبني محمداً، فهو عرّضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً.

ابن عبدل وابو المهاجر:

أخبرني أحمد بن محمد بن زكريا الصحّاف قال حدّثنا قَعنبُ بن مُحرِز قال أخبرنا الهيثم بن عديّ قال:

دعا أبو المُهاجر الحكمَ بن عَبدَل ليشرَب عنده وله جارية تغنّي فغنّت؛ فقال ابن عبدل:

يا أبا المُهاجر قد أردتَ كرامتي فأهنتَني وضررتَني لو تَعلَمُ
عند التي لو مَسّ جِلدي جلدها يوماً بَقيتُ مخلَّداً لا أهرَمُ
أو كنتُ في أحمى جهنّمَ بقعةً فرأيتُها بَرَدَتْ عليّ جهنّمُ

قال: فجعل أبو المُهاجر يَضحَك ويقولُ له: وَيْحَك! والله لو كان اليها سبيلٌ لوهبتُها لك، ولكن لها منّي ولدٌ.

ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسدي:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال: كان عمر بن يزيد الأسديّ مُبخَّلاً، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له فكان يُعيَّر بذلك، وجاءه الحكم بن عبدل الأسديّ ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً، فدخلوا اليه وهو يأكل تمراً فلم يَدعُهم اليه، وذكروا له حاجتَهم فلم يَقضِها؛ فقال فيه ابن عبدل:

جئنا وبين يديه التمرُ في طَبَقٍ فما دعانا أبو حَفص ولا كادا
علا على جسمه ثوبان من دَنَسٍ لؤمٌ وجُبنٌ ولولا أيرُه سادا

(١) هذه الكلمة تقولها العامة لزجر البغال بدل «عدس». قال صاحب اللسان (مادة عدس): «وعدس وحدس زجر البغال والعامة تقول عد».

يقتضي الديون :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأحول عن أبي نصر عن الأصمعيّ قال :

كانت امرأة موسِرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد، فاستعانت بأبن عبدل في دَينها ، وقالت : إني امرأة ليس لي زوج ، وجعلت تُعرِّض بأنها تزوّجه نَفسها ؛ فقام أبن عبدل في دَينها حتى اقتضاه ؛ فلما طالبها بالوفاء كتبتْ اليه :

سَيُخطئكَ الذي حاولتَ مِنّي ... فقطِّعْ حبلَ وصلك من حبالي
كما أخطاك معروفُ أبن بِشر ... وكنتَ تَعُدّ ذلك رأسَ مالِ

قال : وكان أبنُ عبدل أتى أبنَ بشر بالكوفة فسأله ؛ فقال له : أخمسمائة أحبُّ اليك الآن عاجلة أم ألف في قابل*؟ قال : ألف في قابل . فلما أتاه قال له : ألف أحبّ اليك أم ألفان في قابل ؟ قال : ألفان ؛ فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات أبن بشر وما أعطاه شيئاً .

يخطب امراة فترده :

أخبرني عمي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لَقيط قال :

دخل أبن عبدل على عبد الملك بن بشر ، فقال له : ما أحدثتَ بعدي ؟ قال : خطبتُ امرأة من قومي فردّتْ عليّ جواب رسالتي ببَيْتي شعرٍ ؛ قال : وما هما ؟ قال : قالت :

سيخطئك الذي حاولتَ مني ... فقطِّع حبلَ وصلك من حبالي
كما أخطاك معروفُ أبن بشر ... وكنتَ تعدّ ذلك رأسَ مالِ

فضحِك عبدُ الملك، ثم قال : لجاد ما أذكَرتَ بنفسك ! وأمر له بألفي درهم .

ابن عبدل وبشر بن مروان :

أخبرني أبو الحسن الأسديّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال حدّثني مِنجاب بن الحارث قال حدّثني عبد الملك بن عفّان قال :

كان الحكم بن عبدل الأسديّ ثم الغاضريّ صديقاً لبشر بن مروان ، فرأى منه جفاء لشغلٍ عرض له ، فغبَر[1] عنه شهراً ، ثم التقيا فقال : يابن عبدل ، ما لك تركتنا وقد كنت لنا زوّارا ؟ فقال ابنُ عبدل :

كنتُ أثني عليك خيراً فلمّا أضمر القلبُ من نوالك ياسا
كنت ذا منصب قنيتُ حياتي لم أقل غيرَ أن هجرتُك باسا
لم أطِق ما أردتَ بي يابن مروا ن تستلقي اذا أردتَ أناسا
يقبلون الخسيس منك ويُثنو ن ثناء مُدخَّماً[2] دِخماسا

فقال له : لا نسومك الخسيسَ ولا نزيد منك ثناء مدخماً ، ووصله وحمله وكساه .

عندما طلب للغزو :

أخبرني الأسديّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال وحدّثني محمد بن معاوية قال حدّثني مِنجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفّان قال :

أراد عمرُ بن هُبَيرة أن يُغزِيَ[3] الحكم بن عبدل الغاضريّ ، فاعتلّ بالزّمانة[4]

---

(١) غبر عنه : ذهب عنه ولم يره .

(٢) يقال : ثناء مدخمس ودخماس أي ليست له حقيقة ، وهو الذي لا يبين ولا يجدّ فيه .

(٣) يقال : أغزاه إغزاء : بعثه الى العدوّ غازيا .

(٤) الزمانة : العاهة .

فَحُمِل وأُلقيَ بين يديه لِجرْده فاذا هو أعرج مفلوج ، فوَضع عنه الغزوَ وضمّه اليه وشَخَص به معه الى واسط ؛ فقال الحكم بن عبدل :

لَعَمْري لقد جرّدتني فوجدتني كثيرَ العيوب سيّئَ المُتجرَّدِ[١]
فأعفيْتني لمّا رأيتَ زمانتي وَوُفّقتَ منّي للقضاء المُسدَّدِ

فلما صار عمر الى واسط شكا اليه الحكمُ بن عبدل الضَّبْعَة[٢]، فوهب له جاريةً من جواريه ، فواثَبها ليلةَ صارتْ اليه فنكحها تسعاً أو عشراً طَلَقاً[٣] ، فلما أصبحتْ قالت له : جُعِلتُ فِداك من أيِّ الناس أنت ؟ قال : أمرؤ من أهل الشام ؛ قالت : بهذا العمل نُصِرتم .

واعفاه الحجاج :

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيْرفيّ ، قال حدّثنا الحسن بن عُليل قال حدّثنا أحمد بن بُكَير الأسديّ عن محمد بن أنس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيْت فقال فيه :

ضرب الحجاج البَعْثَ[٤] على المُحتلِمين ومن أنبتَ[٥] من الصِّبيان ، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جُرّد فتضمّه اليها وتقول له : « بأبي » جَزَعاً عليه ، فَسُمّيَ ذلك الجيشُ « جيش بأبي » ، وأُحضِر ابنُ عبدل فجُرّد فوُجد أعرج فأُعفيَ ؛ فقال في ذلك :

لعمري لقد جَرّدتني فوجدتني

(١) سيء المتجرّد : يريد به أنه سيء الجسم . وفي صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان أنور المتجرّد ، أي ما جرد عنه الثياب من جسده وكشف .

(٢) الضبعة : شدّة شهوة الفحل .

(٣) شوطا واحدا .

(٤) البعث : بعث الجند الى الغزو .

(٥) أنبت الغلام : راهق وبلغ مبلغ الرجال .

البيتين ، وزاد معها ثالثاً وهو :

ولستُ بـذي شَيْخين يَلتزمانه ولكن يَتيمٌ ساقطُ الرِّجل واليدِ

كره زوجه فهجاها :

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن مِنجاب عن عبد الملك بن عفّان قال :

تزوّج ابنُ عبدل امرأةً من هَمدان فقالوا له : على كم تزوّجتَ ؟ فقال :

تزوّجتُ همدانيّةً ذاتَ بهجةٍ على نَمَطٍ[١] عـادِيّةٍ ووسائدِ
لعمري لقد غاليتُ بالمَهر إنه كذاك يُغالى بالنساء المَواجِدِ[٢]

قال : فلما دخل بها كرهها فقال :

أعاذِلتيّ من لَومٍ دعـاني أقِلّا اللومَ إن لم تَعذراني
فإني قـد دُلِلتُ على عجوز مُبَرقَعـة مخضّبة البَنانِ
تَغَضَّن جلدُها وأخضرّ إلا اذا ما ضُرّجَتْ بالزعفرانِ
فلما أن دخلتُ وحادَثَتني أظلّتْـني بيومٍ أرْوَنانِ[٣]
تُحدّثني عن الأزمان حتى سمعتُ نداء حُرّ بالأذانِ
فقالت قد نَكَحْتُ اثنين شتّى فلما صاحَبـاني طَلّقاني
وأربعةً نـكحتُهم فمـاتوا فليتَ عَريفَ حَيٍّ قد نعاني
وقالت ما تِلادُكَ[٤] قلتُ مالي حمار ظـالعٌ[٥] ومَزادتانِ

(١) النمط : ضرب من البسط وجمعه أنماط ، ولم يظهر لوصف النمط بقوله « عادية » وجه إذ لم نجده فيما يؤنث من الاسماء . والعادية : نسبة الى عاد ، وهو كناية عن القدم ، يقال : بئر عادية أي قديمة . فلعله محرف عن « بسط » .

(٢) المواجد : جمع ماجدة ، وهي المرأة السمحة الحسنة الخلق .

(٣) أرونان : صعب .

(٤) تلد المال كالأبل والغنم : كان أو ولد في بيتك من قديم فهو تالد وتلاد .

(٥) ظلع البعير : غمز في مشيه .

وبُوريٍّ[١] وأربعةٌ[٢] زُيوف وثوبا مُفلسٍ مُتخرِّقانِ
وقِطعةُ جُلَّةٍ[٣] لا تمرَ فيها ودَنَّا عومةٍ مُتقابلانِ
فقالت قد رَضيتُ فسَمِّ ألفاً ليسمع ما تقولُ الشاهدانِ
وما لكَ عندنا ألفٌ عَتيد ولا تِسعٌ تُعَدُّ ولا ثَمانِ
ولا سَبعٌ ولا سِتٌّ ولكن لكم عندي الطويلُ من الهوانِ

رثى بشر بن مروان وكان منقطعا له :

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبي قال :

كان الحكم بنُ عبدل الأسديّ منقطعاً الى بشر بن مروان ، وكان يأنَس به ويُحبُّه ويَستطيبه ، وأخرجه معه الى البَصرَة لمّا وَليَها ، فلما مات بشر جَزع عليه الحكمُ وقال يَرثيه :

أصبحتُ جَمَّ بَلابلِ[٤] الصَّدرِ مُتَعجِّباً لتصرُّفِ الدَّهرِ
ما زلتُ أطلبُ في البلاد فتًى ليكون لي ذُخراً من الذُّخرِ
ويكون يُسعدني وأسعِده في كلِّ نائبةٍ من الأمرِ
حتى إذا ظَفِرتْ يداي به جاء القضاء بحَيْنِه يَجري
إني لَفي همٍّ يُباكِرُني منه وهمٍّ طارقٍ يَسري
فلأصبِرَنَّ وما رأيتُ دوًى[٥] للهمِّ غيرَ عزيمةِ الصبرِ
واللهِ ما استعظمتُ فُرقَتَه حتى أحاط بفضله خُبري

---

(١) البوري : الحصير المنسوج من القصب ، فارسي معرب .

(٢) أي أربعة دراهم زائفة .

(٣) الجلة : قفة كبيرة للتمر .

(٤) البلابل : جمع بلبال وهو شدّة الهمّ والوسواس في الصدر .

(٥) الدوى بالياء مقصوراً : الدواء .

كان يسمر عند عبد الملك في الشام :

أخبرني ابن دُرَيد قال حدّثني عمي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال :

لمّا ظَفِرَ ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عُمّال بني أميّةَ خرج ابنُ عبدل معهم الى الشام ، وكان ممن يدخُل الى عبد الملك ويَسمر عنده ، فقال لعبد الملك ليلةً :

يا ليتَ شعري وليتُ رُبّما نفعتْ   هل ابصِرَنّ بني العَوّام قد شُمِلوا
بالذلّ والأسرِ والتشريد إنهمُ   على البَرِيّة حَتْف حيثما نَزلوا
أم هل أراكَ بأكنافِ العراق وقد   ذلّت لعزّك أقوامٌ وقد نَكَلوا

فقال عبد الملك — ويُروى أنه قائل هذا الشعر — :

إن يُمكِنِ اللهُ من قَيس ومن جَدَسٍ[١]   ومن جُذام ويُقتَلْ صاحبُ الحَرَمِ
نَضربْ جَماجمَ أقوامٍ على حَنَقٍ   ضَرباً يُنكّلُ عنّا سائرَ[٢] الأممِ

ابن هبيره وبنت عبدل :

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم عن أبيه قال حدّثني محمد بن عمر الجرجانيّ عن رجل من بني أسد قال :

خرج يَزيد بن عُمر بن هُبيرة يسير بالكوفة فانتهى الى مسجد بني غاضِرة ، وقد أقيمت الصلاةُ ، فنزل يُصَلِّي ، واجتمع الناسُ لمكانه في الطريق وأشرفَ النساء من السطوح ، فلما قضى صلاتَه قال : لمن هذا المسجدُ ؟ قالوا : لبني غاضرة ، فتمثل قولَ الشاعر :

---

(١) جدس : بطن من كندة . وفي نسخة : « جرش » بالجيم وجرش (بضم ففتح) : بطن من حمير . وفي نسخة أخرى : « حرش » بالحاء المهملة . وحرش : اسم لعدّة قبائل .

(٢) في باقي الاصول : « غابر الامم » . والغابر يطلق على الماضي والباقي ، فهو من الأضداد .

ما إن تَرَكْنَ من الغواضر مُعْصِراً إلا فَصَمْنَ[١] بساقها خَلخالا

فقالت له امرأةٌ من المُشرِفات :

ولقد عَطفن على فَزارةَ عَطفَةً كَرَّ المَنيحِ[٢] وجُلنَ ثَمَّ مَجالا

فقال يَزيد : مَن هذه؟ فقالوا : بنت الحَكَم بن عبدل ؛ فقال : هل تلد الحَيَّةُ إلا حيَّةً ! وقام خجِلاً .

ابن عبدل وصاحب العسس :

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثني أحمد بن الهَيثم قال حدّثنا العُمَريّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال :

كان ابن عَبدل الأسديّ أعرجَ أحدبَ ، وكان من أطيب الناس وأملحِهم ، فلَقِيَه صاحبُ العَسَس ليلةً وهو سكرانُ محمولٌ في محفّة[٣] ؛ فقال له : مَنْ أنت؟ فقال له : يا بَغيض ، أنت أعرفُ بي من أن تسألني مَن أنا ، فاذهبْ الى شُغلك ، فإنّك تعلمُ أن اللصوص لا يَخرجون بالليل للسَّرِقةِ محمولين في محفّة ؛ فضحِك الرجلُ وانصرف عنه .

ابن عبدل يعرض بابن هبيرة في شعر حتى اغضبه :

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال حدّثني أبو عَدنان عن الهَيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال :

---

(١) وفي بعض النسخ : «قصمن» بالقاف ، والفرق بين الفصم والقصم أن الفصم كسر من غير بينونة ، والقصم هو ان ينكسر الشيء فيبين .

(٢) المنيح : اسم فرس قيس بن مسعود الشيباني .

(٣) المحفة : مركب من مراكب النساء كالهودج .

رأيتُ أبنَ عبدل الأسديّ وقد دخل على أبن هُبَيرة ، فقال له : أنشدْني شيئاً ، فقال : أنشدك مَقولةَ أيها الأمير ؟ قال : هات ؛ فأنشده هــذه الأبياتَ — وهي قديمةٌ وقد تمثل بها أبن الأشعث حين خرج ، ويُروى أنها لأعشى همدان — :

نجمّ ولا نُعطى وتُعطى جُيوشُهم وقد ملأوا مِن مالنا ذا الأكارعِ
وقــد كلّفونا عُدَّةً وروائعا فقد وأبي رُعناكُمُ بالرَّوائعِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ من ألفِ فَرسخ اليكم بمَخمرَ من الموت ناقعِ

قال : فغضب أبن هُبَيرة من تعريضه به ، وقال له : والله لولا أنّي قد أمّنتك وأستنشدْتُك لضَرَبتُ عُنُقَك .

هل تلد الحية الا حية ؟

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان أبو عبدالله قال حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن قال :

كانت للحكم بن عبدل جاريةٌ سوداء ، وقد كان يميــل اليها فولَدتْ له ابناً أسودَ ، فكان من أعرَمِ[1] الصِّبيان ، فقال فيه :

يا رُبَّ خــالٍ لكَ مُسْوَدِّ القفا لا يَشتكي من رِجْله مَسَّ الحفا
كأنَّ عَيْنَيْــه اذا تَشوَّفا عَينا غُرابٍ فوقَ نِيقٍ[2] أشرفا

هو واحد البخلاء :

أخبرنا محمد بن خلف بن المَرزبان بان أبو عبد الله قال حدّثنا عُبَيد الله بن محمد قال حدّثنا المدائني قال :

---

(١) من أعرم الصبيان : من أخبثهم يقال : عرم الصبيّ (بالفتح والضم والكسر) اذا خبث .
(٢) النيق بالكسر : أرفع موضع في الجبل .

كان عُمرُ بن يزيد الأسديّ بخيلًا على الطعام ، فدخل عليه الحكم بن عبدل الشاعر وهو يأكل بطّيخًا ، فسلّم فلم يَرُدّ عليه السلام ولم يَدْعه الى الطعام ؛ فقال ابنُ عبدل يهجوه :

في عُمرَ بن يزيـد خَلّتا دَنَسٍ   بُخلٌ وجُبنٌ ولولا أيرُه سادا
جئناه يأكلُ بطّيخًا على طَبَقٍ   فمـا دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

قال وكان عُمر على شُرطة الحجّاج وكان بخيلًا جدًّا ، فأصابه قُولنج(١) فحقنه الطبيبُ بدُهن كثير ، فانحلّ ما في بطنه في الطَّست ، فقال للغلام : ما تصنع به ؟ قال : أصبُّه ؛ قال : لا ! لكن مَيِّز منه الدُّهنَ واستصبحْ به .

هو وكاتب عبد الملك :

اخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أبو هِفّان قال :

كان لعبـد الملك بن بشر بن مروان كاتب يقال له محمد بن عُمير وكان كلّما مدحه ابن عبـدل بشيء وامر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها ، فدخل يومًا الى عبد الملك وكاتبُه هذا يُسارُّه ، فوقف وأنشأ يقول :

ألقيتَ نفسَك في عَروضٍ(٢) مَشَقَّةٍ   وحَصادُ أنفك بالمناجـل أهونُ
فبحقِّ أُمك وهي غيرُ حقيقـة   باللّين واللُّطف الذي لا يُخزَنُ
لا تُدْنِ فـاكَ الى الأمير ونَحِّهِ   حتى يُداويَ نَتْنَه لك أهونُ
إن كان للظَّربان(٣) جُحْرٌ مُنتِنٌ   فلَجُحْرُ أنفِكَ يا محمـدُ أنتَنُ

خطب امراة فابت فقال يعيرها :

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني أحمد بن بُكير الأسديّ عن محمد بن أنس السَّلاميّ عن محمد بن سَهل راوية الكُميت قال :

---

(١) القولنج : مرض معويّ مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .
(٢) العروض : الطريق في عرض الجبل في مضيق .
(٣) الظربان : دويبة كالهرّة كثيرة الفسو منتنة .

خطب ابنُ عبدل امرأةً من همدان يقال لها : أمّ رياح فلم تتزوّجه ، فقال : أما واللهِ لأفضحنّكِ ولأعيّرنّكِ فقال :

فلا خيرَ في الفتيان بعدَ ابنِ عبدلٍ ولا في الزّواني بعد أمّ رياحِ
فأيري بحمدِ اللهِ ماضٍ مجرّبٌ وأمّ رياحٍ عرضةٌ لنكاحي

ولد له ولد فسماه بشرا تيمنا :

قال : فتحاماها الناس فما تزوّجت حتى أسنّت . وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال : وُلد للحكم بن عبدل ابنٌ فسماه بشراً ، ودخل على بشر بن مروان فأنشده :

سمّيتُ بشراً ببشر النّدى فلا تفضحنّي بتصداقِها
اذا ما قريشٌ قريشُ البطا حِ عند تجمّع آفاقِها
تسامتْ قرومُهمُ للنّدى تباري الرّياحَ بأوراقِها[1]
فمالُكَ أنفعُ أموالِها وخلقُكَ أكرمُ أخلاقِها

دفع عنه عبد الملك مالا اقترضه :

فأمر له بألفي درهم ، وقال : استعنْ بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن سهل قال : أقترض ابن عبدل مالا من التّجار وحلف لهم بالطلاق ثلاثاً أنْ يقضيهم المالَ عند طلوع الهلال ، فلما بقيَ من الشهر يومان قال :

قد بات همّي قرناً أكابدُهُ كأنّما مضجعي على حَجرِ
من رهبةٍ أنْ يُرى هلالُ غدٍ فإنْ رأوْه فحقٌّ لي حذَري
من فقْدِ بيضاء غادةٍ كَمُلَتْ كأنها صورةٌ من الصُّوَرِ
أصبحتُ من أهلي الغداةَ ومن مالي على مثل ليلةِ الصَّدَرِ[2]

(١) أوراق جمع ورق وهو المال من إبل ودراهم وغيرها .

(٢) يقال : تركته على مثل ليلة الصدر ، أي مضطرباً كالناس حين يصدرون عن حجهم .

فبلغ خبرُه عبد الملك بن بشر فأعطاهم ما لهم عليه وأضعفَه له؛ فقال فيه :

لمّا أتاه الذي أُصِبتُ بهِ   وأنشدُوه إيّاه في شِعري
جادَ بضِعفَيْ ما حلّ من غُرمي   عفواً فزالت حرارةُ الصّدْرِ
لأشكرنّ الذي مَنَنْتَ بهِ   ما دُمتُ حيّاً وطال لي عُمري

فضله الحجاج في الجائزة على الشعراء:

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد: أجتمع الشعراء الى الحجّاج وفيهم أبن عبدل ، فقالوا للحجاج : إنما شعرُ أبن عبدل كلّه هجاء وشعرٌ سخيف ؛ فقال له : قد سمِعتَ قولهم فاستمع منّي؛ قال هات ؛ فأنشده قوله :

وإني لأستَغني فما أبطَرُ[1] الغِنى   وأعرِضُ مَيسوري لمَنْ يَبتَغي قَرْضي
وأُعسِرُ أحياناً فتَشتَدُّ عُسْرَتي   فأُدرِكُ مَيسورَ الغِنى ومعي عِرْضي

حتى أنتهى الى قوله :

ولستُ بذي وَجْهَيْن فيمن عَرَفْتَهُ   ولا البُخْلُ فاعلَمْ مِن سَمائي ولا أرضي

فقال له الحجّاج : أحسنتَ ! وفضّله في الجائزة عليهم بألفي درهم .

احد الاصوات المائة المختارة :

صوت

من المائة المختارة

أَجِدَّ بعَمْرَةَ غُنيانُها   فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها
فإنْ تُمسِ شَطّتْ بها دارُها   وباحَ لك اليومَ هِجرانُها

---

(١) البطر : الطغيان عند النعمة . ونصب الغنى على إسقاط الخافض ، وبذلك أوّل قوله تعالى : (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) ، قال صاحب اللسان : « وتأويله : بطرت في معيشتها .

فما روضةٌ من رياض القَطا[1] كأنّ المصابيحَ حَوْذانُها[2]
بأحسنَ منها ولا مُزْنةٌ دلوحٌ تَكَشَّفَ إدجانُها
وعَمْرةُ من سَرَوات النِّسا ءِ تَنفَحُ بالمسك أردانُها

أجدّ : أَستمرّ . وغُنيانُها : أستغناؤها . أم شأننا شانها : يقول أمْ هي على ما نحبّ . وشطّتْ : بعُدتْ، قال ابن الأعرابيّ : يقال : شطَّتْ وشَطَنَتْ وشَسَعت وتشَسَّعت وبعُدت ونأت وتزحزحت وشطرت ؛ قال :

لا تَتْرُكَنّي فيهمُ شَطيرا[3]

ومنه سُمّي الشاطرُ[4] . وباح : ظَهر ؛ ومنه باحة الدار وأنشد :

أَتَكْتُمُ حُبَّ سَلمى أم تَبوحُ

والرّوْضة : موضع فيه نَبْتٌ وماء مستدير، وكذلك الحديقة . وقوله :

كأنّ المصابيحَ حَوْذانُها

أراد كأنّ حَوْذانها المصابيحُ فقلَب ، والعرب تفعل ذلك ؛ قال الأعشى :

. . . كأنّ الجمرَ مثلُ تُرابِها

أراد كأنّ ترابَها مثلُ الجمر . والمُزْنة : السحابةُ . والدَّلوحُ : الثقيلةُ ،

---

(١) ورد في أشعار العرب « رياض القطا » و « روض القطا » وقد ساق ياقوت في معجم البلدان عند اسم روضة القطا نبذة من هذه الاشعار ، ثم نقل عن أبي جعفر محمد بن ادريس ما يدل على أنه من أرض اليمامة .

(٢) الحوذان بالفتح : نبات سهليّ حلو طيب الطعم يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء في أصلها صفرة وورقته مدوّرة .

(٣) شطيراً : غريباً .

(٤) الشاطر : هو من أعيا أهله خبثاً . قال صاحب اللسان : وأراه مولداً ، ووجه أخذه من شطر بمعنى بعد أنه يشطر عن أهله أى ينزح عنهم ويتركهم مراغماً أو مخالفاً .

يقال : مرّ يَدلح بحمله اذا مرّ به مُثقلا . والدَّجن : إلباسُ الغيم السحابَ[١] برشٍ ونَدًى ، يقال : أدجنت السماء ؛ وقوله : تكشَّف دجاُنها إذا انكشف السوادُ عنها ، وذلك أحسن لها ، وأراد مُزنة بيضاء . والأردان : ما يلي الذراعين جميعاً والإبطين من الكُمَّين .

الشعر لقيس بن الخطيم ، والغناء لطُوَيس خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسطى .

---

(١) « إلباس الغيم برش وندى » بدون كلمة السحاب وفي اللسان في مادة « دجن » والدجن : إلباس الغيم الارض ، وقيل : إلباسه أقطار السماء .

فهرس

المجلد الثاني من كتاب الأغاني

ذكر عدي بن زيد

خبر الحطيئة

اخبار ابن عائشة

اخبار ابن ارطاة

اخبار ابن ميادة

اخبار حنين الحيري

ذكر الغريض

اخبار الحكم بن عبدل